103

~~636~~

الجزء الرابع من كتاب لباب التأويل
في معاني التنزيل تأليف الفقير
إلى الله تعالى أبي محمد علي بن محمد بن
إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف
بالخازن رحمه الله رحمة واسعة
بمنه وكرمه
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

تفسير سورة ص ويقال سورة داود عليه السلام وهي مكية وهي ست وقيل
ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ص قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه
الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن ذي الذكر قال ابن عباس أي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو
قوله تعالى ص أقسم الله بالقرآن أن محمدا لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر
ما الأمر كما يقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله تعالى بل الذين كفروا وقيل بل الذين كفروا موضع
القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا في عزة وشقاق والقرآن ذي الذكر قسم
جوابه إن كل إلا كذب الرسل وقيل جوابه إن هذا لرزقنا وقيل إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهو
ضعيف لأنه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي
آخر ومجاز الآية إن الله تعالى أقسم بصاد والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة في عزة أي حمية ○
وجاهلية وتكبر عن وشقاق أي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم كم أهلكنا من قبلهم
من قرن يعني من الأمم الخالية فنادوا أي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة ولات حين مناص
أي ليس حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطربوا في الحرب قال
بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فأنزل الله تعالى
ولات حين مناص أي ليس حين هذا القول وعجبوا يعني كفار مكة أن جاءهم منذر منهم يعني
من أنفسهم ينذرهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب قوله عز وجل أجعل الآلهة إلها
واحدا وذلك أن عمر بن الخطاب أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون وقال الوليد بن المغيرة ○
للملإ من قريش وهم الصناديد والأشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن
المغيرة امشوا إلى أبي طالب فأتوا أبا طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء
السفهاء وإنا أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فأرسل إليه أبو طالب فدعاه فلما أتاه النبي صلى
وقال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وماذا يسألون قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها
وعشر أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا إله إلا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل
الآلهة إلها واحدا كيف يسع الخلق إله واحد إن هذا لشيء عجاب أي عجيب وانطلق الملأ
منهم أي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب أن امشوا أي يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا
على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم إن هذا لشيء يراد أي لأمر يراد بنا وذلك أن عمر لما أسلم
وحصل للمسلمين به قوة بمكانه قالوا هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد

قا

بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان ينزل علينا ما سمعنا بهذا اي الذي يقوله محمد
صلى الله عليه وسلم من التوحيد في الملة الاخرة قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها اخر الملل وهم لا يوحدون
بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه ان هذا الا اختلاق اي كذب وافتعال
أانزل عليه الذكر اي القرءان من بيننا اي يقول اهل مكة ليس هو باكبر منا ولا اشرفنا قال الله تعالى
بل هم في شك من ذكري اي وحيي وما انزلت بل لما يذوقوا عذاب اي لو ذاقوه لما قالوا هذا القول
ام عندهم خزائن رحمة ربك يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاءوا العزيز اي في ملكه الوهاب
اي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي ليس لهم ذلك
فليرتقوا في الاسباب يعني ان ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الى السماء
وليأتوا منها بالوحي الى من يختارون وقيل اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء
وهذا امر توبيخ وتعجيز جند ما هنالك اي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك مهزوم اي مغلوب
من الاحزاب يعني انهم جند من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا
اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تاويلها يوم بدر وهنا الاشارة
الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الاوتاد قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هم في عز ثابت
الاوتاد يريدون انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ... في ظل ملك ثابت الاوتاد

واصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس ذو الجنود
والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون امره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء وسميت الاجناد اوتادا لكثرة
المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في اسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له اوتاد يعذب الناس
عليها وكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد يشد كل طرف منه الى وتد ويتركه حتى يموت
وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كان له اوتاد وارسان وملاعب يلعب عليها بين يديه
وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب اي الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله ان مشركي
قريش حزب من هؤلاء الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب يعني ان هؤلاء الطوائف والامم الخالية لما
كذبوا انبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا اتاهم العذاب وفي ذلك زجر وتخويف
للسامعين وما ينظر اي ينتظر هؤلاء يعني كفار مكة الا صيحة واحدة ما لها من فواق اي رجوع
والمعنى ان تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف وقالوا ربنا عجل لنا قطنا اي حظنا
ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحرث استعجالا منه بالعذاب
وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي احصت كل شيء قيل لما نزل في الحاقة فاما من اوتي
كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب وقيل
قطنا اي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط الكتاب بالجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله
عليه وسلم اصبر على ما يقولون اي على ما يقول الكافرون من تكذيبك واذكر عبدنا داود ذا الايد قال ابن عباس

أي القوة في العبادة ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحب الصيام إلى الله
صيام داود وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه وقيل معناه ذو القوة في الملك إنه أواب أي رجاع إلى الله تعالى عز وجل بالتوبة عن
عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله وقيل مسبح بلغة الحبش إنا سخرنا الجبال معه
يسبحن أي بتسبيحه إذا سبح بالعشي والإشراق أي غدوة وعشية والإشراق هو أن تشرق الشمس
ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله
بالعشي والإشراق وقال كنت أمر بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله صلى
صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق
قلت والذي أخرجاه في الصحيحين من حديث أم هانئ في صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال
من هذه فقلت أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا بأم هانئ فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا
في ثوب قالت أم هانئ وذلك الضحى ولهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ما أخبرنا أحد أنه رأى النبي
صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير أم هانئ فإنها قالت إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح
مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم أر صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود قوله تعالى
والطير أي وسخرنا له الطير محشورة أي مجموعة إليه تسبح معه كل له أواب أي رجاع رجاع
إلى طاعته مطيع له بالتسبيح وشددنا ملكه أي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك
الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروي عن ابن عباس أن رجلا من بني
إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود فقال إن هذا غصبني بقرا فسأله داود فجحد فسأل
الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فأوحي إلى داود في منامه أن يقتل
الذي استعدي عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتثبت فأوحي إليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحي
إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل داود إليه فقال إن الله أوحى إلي أن أقتلك فقال تقتلني بغير
بينة فقال داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما علم الرجل أنه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك
إني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك أخذت فأمر به داود فقتله فاشتدت
هيبته في بني إسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة يعني
النبوة والإصابة في الأمور وفصل الخطاب قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم
والبصر بالقضاء وقال علي بن أبي طالب هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر لأن كلام الخصوم
ينقطع وينفصل وقال أبي بن كعب فصل الخطاب الشهود والأيمان وقيل إن فصل الخطاب
هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد إذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله داود
عليه السلام قوله عز وجل وهل أتاك أي وقد أتاك يا محمد نبأ الخصم أي خبر الخصم فاستمع لما نقصه
عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأخبار العجيبة والتشويق إلى سماعه والخصم
الخصماء يقع على الواحد والجمع إذ تسوروا المحراب أي صعدوا وعلوا المحراب أي البيت الذي كان يدخل

فيه

فيه داود ويشتغل فيه بالطاعة والعبادة والمعنى انهم أتوا المحراب من سوره وهو اعلاه وفي ذلك
قصة امتحان داود عليه السلام واختلف العلماء بأخبار الانبياء في سبب ذلك وسأذكر ما قاله
المفسرون ثم اتبعه بقول فيه ذكر نزاهة داود عليه السلام عما لا يليق بمنصبه لأن منصب النبوة
اشرف المناصب واعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها فأما ما قاله المفسرون فإن داود عليه السلام
تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة يوم يقضي
فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ويوم لنسائه واشتغاله وكان يجد فيما يقرا من الكتب
فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال يا رب ارى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى
الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلي ابراهيم بنمرود وذبح ابنه وابتلي
اسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود رب لو ابتليتني بمثل
ما ابتليتهم صبرت ايضا فأوحى الله اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم
الذي وعده الله به دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه
الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت
بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد اخذها
طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت
في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها فأبصر امرأة في بستان
على شط بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من اجمل الناس خلقا فعجب داود من حسنها
وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هي
تشايع بنت شايع امرأة أوريا ابن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع ايوب ابن صوريا ابن اخت داود
فكتب داود الى ابن اخته ان يبعث اوريا الى موضع كذا ويقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت
لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه او يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب
اليه ابعثه الى عدو كذا وكذا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا
اشد منه باسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي ام سليمان عليه
السلام وقيل ان داود احب ان يقتل اوريا ويتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود
كان ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير ان الله لم يرض
لداود ذلك لانه رغبة في الدنيا وازدياد من النساء وقد اغناه الله عنها بما اعطاه من غيرها وقيل سبب
امتحان داود انه كان قد جزأ الدهر أجزاء يوما للنساء ويوما للعبادة ويوما بين بني اسرائيل ويوما يذاكرهم
ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب
فيه ذنبا فأضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود في نفسه
انه ان ابتلي اعتصم فلما كان يوم عبادته اغلق عليه ابوابه وامر ان لا يدخل عليه احد واكب على قراءة التوراة
فبينما هو يقرأ اذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله الملكين
اليه وقيل ان داود ما زال يجتهد في العبادة حتى نزله حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما

استانس بهم قال اخبروني باي شي انتم موكلون قالوا نكتب صالح عملك ونوفقك ونصرف عنك السهو فقال
في نفسه ليت شعري كيف اكون لو خلوني ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله الى الملكين
ان يعتزلاه ليعلم انه لا غنى به عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد في العبادة الى ان ظن انه قد
غلب نفسه فاراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فارسل طايرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم **وقيل**
قال داود لبني اسرايل لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي وقيل انه اعجبه عمله فابتلي فبعث الله اليه
ملكين في صورة رجلين وذلك في يوم عبادته وطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب
فما شعر بهما وهما بين يديه جالسين وهو يصلي فقال كان جبريل وميكايل فذلك قوله عز وجل وهل
اتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب **اذ دخلوا على داود ففزع منهم** اي خاف منهما حين هجما عليه
في محرابه بغير اذنه فقال لهما ما ادخلكما علي **قالوا لا تخف خصمان** اي نحن خصمان **بغى بعضنا على**
بعض اي تعدى وخرج عن الحد جيناك لتقضي بيننا **فان قلت** اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور
البغي منهما والملايكة لا يبغي بعضهم على بعض **قلت** هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي
من احدهما والمعنى رايت خصمين بغى احدهما على الاخر **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** اي لا تجر في
حكمك **واهدنا الى سواء الصراط** اي ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال
احدهما **ان هذا اخي** اي على ديني وطريقتي لا من جهة النسب **له تسع وتسعون نعجة** يعني امراة
ولي نعجة واحدة اي امراة واحدة والعرب تكني بالنعجة عن المراة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه
والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي **فقال اكفلنيها** قال ابن عباس اعطينيها **وقيل** معناه
انزل لي عنها وضمها الي واجعلني كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها **وعزني في الخطاب** يعني غلبني وقهرني
في القول لانه افصح مني في الكلام وان حارب كان ابطش مني لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له
على لضعفي في يده وان كان الحق معي **وهذا** كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المراة التي تزوجها
داود حيث كان لداود تسع وتسعون امراة ولاوريا واحدة فضمها داود الى نسايه **قال** داود **لقد**
ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه اي ليضمها الى نعاجه **فان قلت** كيف قال داود لقد
ظلمك ولم يكن سمع قول الاخر **قلت** معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك **وقيل** انه
قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول **وان كثيرا من الخلطاء** اي الشركاء **ليبغي بعضهم على بعض**
اي يظلم بعضهم بعضا **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** فانهم لا يظلمون احدا **وقليل ما هم** اي هم
قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر احدهما الى صاحبه وضحك وصعد
الى السما فعلم داود ان الله ابتلاه وذلك قوله تعالى **وظن داود** اي ايقن وعلم **انما فتناه** اي ابتليناه
وامتحناه **وقال ابن عباس** ان داود لما دخل عليه الملكين فقضى على نفسه فتحولا في
صورتهما وعرجا وهم يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انه انما عني به **وروى البغوي**
باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي عليه
السلام حين نظر الى المراة فاهم بقطع على بني اسرايل فاوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب
فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت

وهو

يجمع

4

لعله وقيل

لم يرجع حتى يقتل او يهزم وعند الجيش بقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن
داود فسجد اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه واكلت الارض من جبهته
وهو يقول في سجوده رب زل داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم
تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلق من بعده فجاء جبريل من بعد اربعين ليلة فقال يا داود
ان الله قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود ان الرب قادر على ان يغفر لي الهم الذي هممت به
وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند
داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لأفعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء
الله ثم نزل جبريل فقال سألت الله يا داود عن الذي ارسلتني فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم
القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول فان لك في الجنة ما شئت
وما اشتهيت عوضا. هذه اقاويل السلف من اهل التفسير في قصة امتحان داود **فصل**
م في تنزيه داود عليه السلام عما لا يليق به وما ينسب اليه **اعلم** ان من خصه الله بنبوته واكرمه
برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعلهم واسطة بينه وبين خلقه لا يليق ما
نسب اليه ما لو نسب الى آحاد الناس لاستنكف منه او تحدث به عنه فكيف يجوز ان ينسب
الى بعض اعلام الانبياء والصفوة الامناء كذلك **روى سعيد بن المسيب** والحارث الاعور عن علي
ابن ابي طالب انه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على
الانبياء **وقال القاضي عياض** لا يجب ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون عن اهل الكتاب
الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي
نص الله عليه في قصة داود وظن داود انما فتناه وليس في قصة داود واوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي
محبة قتل مسلم وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امر داود **قال الامام فخر الدين** حاصل
القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق
بعاقل ان يظن بداود هذا **وقال** غيره ان الله تعالى اثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها
وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بعد مدح حين ذم ولو جرى
ذلك من بعض الناس في كلام لاستهجنه العقلاء ولقالوا انت في مدح شخص فكيف تجري ذمه
في اثناء مدحه والله تعالى منزه عن مثل هذا في كلامه القديم **فان قلت** في الآية ما يدل على صدور
الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود انما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله واناب وقوله
فغفرنا له ذلك **قلت** ليس في هذه الآية ما يدل على ذلك وذلك ان مقام النبوة اشرف المقامات
واعلاها فيطالبون باكمل الاخلاق والاوصاف واسناها فاذا نزلوا عن ذلك الى طبع البشرية عا
تبهم الله على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين **فان قلت** فعلى هذا
القول الاحتمال فما معنى الامتحان في الآية **قلت** ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في
هذه القصة الى ان داود عليه السلام ما زاد ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك
ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا **وقيل** تمنى ان تكون امرأة اوريا له فاتفق غزو اوريا ۞

خ
دارو الطف شي بلل

وهلاكه في الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امراته فعاتبه
الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيم عند الله وقيل ان اوريا قد كان خطب تلك
المراة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا
فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسعة وتسعون امراة ويدل على
صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما في الخطبة ولم يكن قد تقدم
تزوج اوريا لها فعوتب داود بشيئين احدهما خطبته على خطبة اخيه والثاني اظهار الحرص على التزوج
مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذي استغفر منه هو بسبب اوريا والمراة وانما هو بسبب
الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الاخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك
بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب
اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبتت بهذه الوجوه نزاهة داود صلى الله عليه وسلم مما نسب اليه
والله اعلم قوله عز وجل فاستغفر ربه اي سال ربه الغفران وخر راكعا اي ساجدا عبر بالركوع
عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعد ما كان راكعا فصل
اختلف العلماء في سجدة ص هل هي من عزائم السجود فذهب الشافعي الى انها ليست من عزائم
سجود التلاوة وقيل لانها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة وقال ابو حنيفة هي
من عزائم سجود التلاوة واستدل بعضهم بهذه الاية على ان الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلاوة
وعن احمد في سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ عن ابن عباس
قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ قال مجاهد
قلت لابن عباس امن السجدة في ص فقرا ومن ذريته داود وسليمان حتى اتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم
ممن امر ان يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائي عن ابن عباس ص
ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا عن ابي سعيد
الخدري قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد
الناس معه فلما كان يوما اخر قراها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رايتكم تشزنتم فنزل فسجد وسجدوا اخرجه ابو داود وقوله تشزن
الناس يعني تاهبوا وتهيئوا واستعدوا للسجود عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رايتني الليلة وانا نائم كاني اصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت
الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك
ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فسمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قرا سجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة اخرجه الترمذي قال المفسرون
سجد داود اربعين يوما لا يرفع راسه الا لحاجة او لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام اربعين
يوما لا ياكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول راسه وهو ينادي ربه عز وجل ويساله
التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق

النور

النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور إلهي أنت دققتني خلقت بيني وبين عدوي إبليس ولم
أفهم لقنتنيه إذ لقيتني سبحان خالق النور إلهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر سبحان
خالق النور الويل الطويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقول هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور إلهي بأي عين أنظر
إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور إلهي بأي قدم أقوم أمامك يوم القيامة
يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان
خالق النور سبحان خالق النور إلهي أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر جهنم سبحان خالق النور
إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب سبحان خالق النور إلهي كيف يستتر الخاطئون بخطا
ياهم دونك وأنت شاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور إلهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل عذري
سبحان خالق النور إلهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواي سبحان خالق النور إلهي أعوذ بنور
وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور إلهي فررت إليك بذنبي واعترفت بخطيئتي فلا
تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور **قيل** مكث داود أربعين يوما لا يرفع
رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أظمآن
أنت فتسقى أعاريا أنت فتكسى أمظلوم أنت فتنصر فأجيب في غير ما طلب ولم يجب في ذكر خطيئته
بشيء فنحب نحبة هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله التوبة والمغفرة **قال**
وهب إن داود أتاه نداء أني قد غفرت لك قال يا رب كيف وأنت لا تظلم أحدا قال اذهب إلى قبر
أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم
نادى يا أوريا فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال
أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني إليك قال وما كان منك إلي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة فأنت
في حل فأوحى الله إليه يا داود ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي بالتعنت ألا أعلمته أنك قد تزوجت امرأته
قال فرجع فناداه فأجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال أنا داود قال يا نبي الله أليس قد عفوت
عنك قال نعم وإنما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة أخرى
فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل
الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود إذا نصبت الموازين بالقسط سبحان خالق النور
الويل لداود ثم الويل الطويل حين يؤخذ بذقنه فيدفع إلى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود
ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار سبحان خالق النور فأتاه نداء
من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يا رب كيف
وصاحبي لم يعف عني قال يا داود أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع
أذناه فأقول له رضي عبدي فيقول يا رب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي فأقول هذا عوض من عبدي داود
فاستوهبك منه فيهبك لي هذا ولم يبلغه عملي فأقول قال يا رب الآن عرفت أنك قد غفرت لي من الله
قوله فاستغفر ربه وخر راكعا **وأناب** أي رجع **فغفرنا له ذلك** أي الذنب **وإن له عندنا** أي
يوم القيامة بعد المغفرة **لزلفى** أي القربى والمكانة **وحسن مآب** أي حسن مرجع ومنقلب قال وهب

ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقى دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة
وهو ابن اثنين وسبعين سنة وقسم الدهر على اربعة اقسام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم لنسائه
ويوم يسيح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار له فيها اربعة آلاف محراب فيجتمع اليه
الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي
ويرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي الشجر والرمال والطير والوحش حتى يسيل من دموعهم مثل
الانهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته ويبكي ويبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل
من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل ويرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء
فاذا امسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه
فليحضر من يساعده، ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف
فيجلس عليها ويجيء اربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي ايديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب
ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش
في دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع
بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر ما ترى فلو عدل بكاء داود ببكاء اهل الدنيا لعدله
وعن ابن الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود كالقربتين ينطفان
ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض **وقال وهب** لما تاب الله على داود
قال يا رب غفرت لي فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال
فوسم له خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا في
الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا استغفر
للخاطئين قبل نفسه **وعن الحسن كان داود** بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا
الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة
فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا اكل
الخاطئين **قال وكان** داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من
خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله **وقال ثابت** كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت
اوصاله فلا يشدها الا الاسى واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش **وقيل** ان الوحوش
والطير كانت تسمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته وقيل انه قالت يا داود ذهبت
خطيئتك بحلاوة صوتك قوله عز وجل **يا داود انا جعلناك خليفة في الارض** اي لتدبر امر الناس بامر
نا فيه الحكم بينهم **فاحكم بين الناس بالحق** اي بالعدل **ولا تتبع الهوى** اي لا تمل مع ما تشتهي اذا
خالف امر الله **فيضلك عن سبيل الله** اي عن دين الله وطريقه **ان الذين يضلون عن سبيل الله**
لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل
لذلك اليوم وقيل بتركهم العدل في القضاء قوله تعالى **وما خلقنا السماء والارض وما بينهما**
باطلا قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه ما خلقناهما عبثا لا لشيء **ذلك ظن**

الذين كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انهم خلقوا لغير شيء وانه لا بعث ولا حساب فويل للذين
كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض قيل ان كفار قريش
قالوا للمومنين انا نعطى في الاخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الاية ام نجعل المتقين يعني الذين اتقوا
الشرك وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كالفجار يعني الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء في الاخرة
كتاب انزلناه اليك اي هذا كتاب يعني القرآن انزلناه اليك مبارك اي كثير خيره ونفعه ليدبروا
آياته اي ليتدبروا آياته ويتفكروا في اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته
اتباعه في اوامره ونواهيه وليتذكر اولوا الالباب اي ذوو العقول والبصائر قوله عز وجل ووهبنا

اي وليتعظ

لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل ان سليمن غزا
اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة
فصلى سليمن الصلاة الاولى التي هي صلاة الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها
تسعماية فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم
لذلك وقال ردوها علي فاقبل يضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل
بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها ماية فرس فالذي في ايدي الناس من الخيل يقال
انها من نسل تلك الماية فلما عقرها الله ابدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف شاء وقوله
تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل الخيل القائمة على ثلاث قوائم واقامت الرابعة على طرف الحافر
من يد او رجل وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده
من النار يريد الخيل السوابق فقال اني احببت حب الخير اي آثرت حب الخير واراد بالخير الخيل سميت به
لانه معقود في نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه
عن ذكر ربي يعني صلاة العصر حتى توارت اي استترت الشمس بالحجاب اي ما يحجبها عن الابصار يقال الحجاب
جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ردوها علي اي ردوا الخيل علي فطفق مسحا
بالسوق جمع ساق والاعناق اي جعل يضرب سوقها واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين
وكان ذلك مباحا له لان نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن يتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر
وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحاق لم يعنفه الله على عقر الخيل اذ كان ذلك اسفا على ما فاته من فريضة ربه
عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل ان معناه انه حبسها في سبيل الله وكوى سوقها واعناقها
بكي الصدقة وحكي عن علي انه قال معنى قوله ردوها علي يقول بامر الله الملائكة الموكلين بالشمس
ردوها علي فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ
القرآن ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمن عليه السلام
احتاج الى الغزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها
لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باعدائها وجريها حتى توارت
بالحجاب اي غابت عن بصره ثم امر برد الخيل وهو قوله ردوها علي فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها
والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفا لها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو والثاني انه اراد ان يظهر انه

في ضبط السياسة والمملكة فيبلغ إلى أنه يباشر الأمور بنفسه الثالث أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها
وعيوبها من غيره فكان يمسحها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فعلى هذا التفسير
الذي ذكرنا ينطلق عليه لفظ القرآن ولا يلزم منا شيء من تلك المنكرات والمحذورات والعجب من الناس كيف قبلوا
هذه الوجوه السخيفة **فإن قيل** فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول
لنا هاهنا مقامات المقام الأول أن ندعي أن لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد
ظهر والحمد لله أن الأمر كما ذكرنا ظهورًا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني أن يقال هب أن لفظ الآية لا يدل عليه
إلا أنه كلام ذكره الناس وأن الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الأنبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات
قوله عز وجل **ولقد فتنا سليمن** أي اختبرناه وابتليناه بسبب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب
ابن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس
إليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانًا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر إنما
يركب إليه الريح فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها
واستفاء ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها
لنفسه ودعاها للإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت
على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقى دمعها الدهر لا يرقى فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا
الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقى قالت إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك
قال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانًا هو أعظم من سلطانه وهداك إلى الـ
إسلام وهو خير من ذلك قالت إن ذلك كذلك ولكني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت
الشياطين فصوروا صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزني وأن يسلي
عني بعض ما أجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا
فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت إليه حين صنعوه فألبسته ثيابا مثل ثيابه
التي كان يلبس ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو إليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن له كما
كانت تصنع به في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا وبلغ
ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته
دخل حاضرا سليمان أو غائبا فأتاه فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان مني
الذهاب وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله وأثني عليهم بعلمي
فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير أمرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم
خطيبا فذكر ما مضى من أنبياء الله وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى إلى سليمان
فقال ما كان أحلمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من
كل ما يكره الله في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملأه غضبا فلما دخل سليمان
داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله فأثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال
من أمرهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيرا في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي

اخرى

احد تشتهي اخي ابي فقال آصف ان غير الله يعبد في دارك منذ اربعين صباحا في هوى امراة فقال سليمان في داري فقال في دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون فعرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المراة وولائدها ثم امر بثياب الطهرة فاتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لم تمسها يد امراة قد رات الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل الخلا او اراد اصابة امراة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه واتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا ينكر منه شيئا فقال خاتمي يا امينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الوحوش والجن والانس وخرج سليمان فاتى امينة وقد تغيرت حاله وهيئته عند كل من رآه فقال يا امينة خاتمي فقالت من انت قال انا سليمان بن داود فقالت كذبت فقد جاء سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول يزعم انه سليمان فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الى السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فياكلها فمكث على ذلك اربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رايتم من اختلاف حكم ابن داود ما رايت قالوا نعم فقال امهلوني حتى ادخل على نسائه فاسالهن هل انكرن في خاصة امره ما انكرنا قالوا نعم في عامة الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن هل انكرتن من ابن داود ما انكرنا فقلن اشده ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله ليسلط الشيطان على نساء نبيه عليه السلام

قال وهب ثم ان آصف خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة اشد مما في العامة فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى اعطاه سمكتيه فباع سليمان احدهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن واقبل الناس عليه وعرف الذي كان قد دخل عليه لما كان احدث في داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان ياتوه بصخر فطلبوه حتى اخذوه فاتي به فادخله جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف في البحر وقيل في سبب فتنة سليمان ان جرادة كانت اكثر نسائه عنده وكان ياتمنها على خاتمه فقالت له ان بين اخي وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر والحو ما تقدم وقيل

[illegible]

حـ
والعبد الوزير لا اله الا هو ما اظن ان الله تعالى يسلط الشيطان على حرم نبيه عليه الصلاة والسلام ولا يصدق بهذا عاقل والله سبحانه اعلم وبه التوفيق

ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فاعاده الى يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة
فاتاه آصف فقال لسليمان انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فانا اقوم
مقامك واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله هاربا واعطى آصف الخاتم فوضعه في يده
فثبت فاقام آصف في ملك سليمان يسير بسيرته اربعة عشر يوما الى ان رد الله على سليمان ملكه وتاب عليه
فرجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي القي على كرسيه وروي
عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه احتجبت
عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله عز وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث
الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه وان الشياطين لا
يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله الانبياء من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب
فتنته ما اخرج في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان
لاطوفن الليلة على تسعين امراة كلهن تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء
الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق
رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وفي
رواية لاطوفن بمائة امراة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل قال العلماء والشق
هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهو عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص كما صح في حديث لينفعن امر الله ومراده فيه وقيل بل الجسد الذي القي على كرسيه
انه ولد له فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا
ان نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من
الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ القي ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه
الله على خوفه من الشياطين وانه لم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطاياه فاستغفر ربه فذلك قوله
عز وجل والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اي رجع الى ملكه بعد اربعين يوما وقيل
اناب الى الله بالاستغفار وهو قوله قال رب اغفر لي اي سال ربه المغفرة وهب لي ملكا لا ينبغي
لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يكون لاحد من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه
غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري انك انت الوهاب فان قلت قول سليمان لا ينبغي لاحد
من بعدي مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة
بها ولكن كان قصده في ذلك ان لا يسلط عليه الشيطان مرة اخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان
استولى على ملكه وقيل سال ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودالة
على قبول توبته حيث اجاب الله دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه
احب ان يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى والابراء الاكمه والابرص
فسال شيئا يختص به كما روي في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

وغلب من التمني وقيل
نعني ان سبع نتبين ع

ان عفريتا

عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه
الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه فذكرت دعوة اخي سليمن رب هب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي فرددته خاسيا قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء اي لينة لينة
لا عاصفة حيث اصاب اي اراد والشياطين اي وسخرنا له الشياطين كل بناء اي يبنون له ما يشا
وغواص يعني يستخرجون له اللالي من البحر وهو اول من استخرج اللولو من البحر وآخرين اي وسخرنا له
آخرين وهم مردة الشياطين مقرنين في الاصفاد اي مشدودين في القيود سخرت له حتى قرنهم
في الاصفاد هذا عطاؤنا اي وقلنا له هذا عطاؤنا فامنن اي احسن الى من شئت او امسك
اي عمن شئت بغير حساب اي لا حرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت قال الحسن
ما انعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمن فانه ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة
وقيل هذا من امر الشياطين يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه
او امسك اي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب لما ذكر الله ما انعم عليه به في الدنيا اتبعه بما انعم به في الآخرة قوله عز وجل
واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب اي بمشقة وعذاب اي ضر
وذلك في المال والجسد وقد تقدمت القصة ايوب اركض يعني انه لما انقضت مدة بلائه قيل له اركض اي
اضرب برجلك يعني الارض ففعل فنبعت عين ماء هذا مغتسل بارد فامره الله ان يغتسل منه
ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فركض برجله الارض مرة اخرى فنبعت عين
ماء عذب اخرى فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه فذلك قوله وشراب ووهبنا له اهله
ومثلهم معهم رحمة منا اي انما فعلنا ذلك لامعه على سبيل التفضيل والرحمة لا على اللزوم وذكرى لاولي
الالباب يعني سلطنا البلاء عليه فصبر ثم ازلنا عنه البلاء وكشفناه فشكر فهو موعظة
لذوي العقول والبصائر وخذ بيدك ضغثا اي ملء كفك من حشيش او عيدان او ريحان فاضرب
به ولا تحنث وكان قد حلف ان يضرب امراته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فافتاه
في ضربها وسهل له الامر وامره بان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل
ذلك ولم يحنث في يمينه وهل ذلك لايوب خاصة ام لا فيه قولان احدهما انه عام وبه قال ابن عباس
وعطاء ابن رباح والثاني انه خاص لايوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف ان يضرب
عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد واحمد يبر وقال ابو حنيفة
والشافعي اذا اصابه بضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية
انا وجدناه صابرا اي على البلاء الذي ابتليناه به نعم العبد انه اواب قوله تعالى واذكر عبادنا
ابراهيم واسحاق ويعقوب اي اذكر صبرهم فابراهيم القي في النار فصبر واسحاق ذبح فصبر وابتلي
الذبح في قول وصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده وذهاب بصره فصبر اولي الايدي قال ابن عباس اولي القوة
في طاعة الله والابصار اي في المعرفة بالله وقيل بالايدي الاعمال وبالابصار اقوى الادراك
فيعني عن العمل بالايدي وعن الادراك بالبصر ولان الانسان قوتان عالمية وعاملية فاشرف ما يصدر عن القوة

العالمية معرفة الله تعالى والتفكر فيما يبصر من القوى العاملة طاعته وعبادته وعبّر عن هاتين القوتين
بالأيدي والأبصار **انا اخلصناهم** اي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين **بخالصة ذكرى الدار** قيل
معناه اخلصناهم بذكر الآخرة فليس لهم ذكر غيرها **وقيل** نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها
واخلصناهم بحب الآخرة وذكرها **وقيل** كانوا يدعون الى الآخرة والى الله تعالى **وقيل** اخلصوا
بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم في القلب **وقيل** اخلصناهم بافضل ما في الآخرة **وانهم عندنا**
لمن المصطفين الاخيار يعني من الذين اختارهم الله واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار
واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل اي اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم **وكل من الاخيار**
قوله عز وجل **هذا ذكر** اي الذي يتلى عليكم ذكر **وقيل** شرف **وقيل** جميل تذكرون به **وان للمتقين**
لحسن مآب اي حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه في الآخرة ثم ذكره فقال تعالى **جنات**
عدن مفتحة لهم الابواب قيل تفتح ابوابها بغير فتح لها بيد بل بالامر يقال لها انفتحي انغلقي
متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب اي
مستويات في الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة **وقيل** متواخيات لا يتباغضن ولا
يتغايرن ولا يتحاسدن **هذا ما توعدون ليوم الحساب** اي قل للمومنين هذا ما توعدون وقيل هذا
ما يوعد به المتقون **ان هذا لرزقنا ماله من نفاد** اي دائم ماله من فناء وانقطاع بل هو دائم كلما اخذ منه
شيء عاد مثله في مكانه قوله تعالى **هذا** اي الامر الذي ذكرناه **وان للطاغين** يعني الكافرين **لشر مآب**
يعني لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى **جهنم يصلونها** اي يدخلونها **فبئس المهاد** اي الفراش
هذا فليذوقوه حميم وغساق معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو
الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها **وقيل** هو ما يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم
وفروج الزناة **وقيل** الغساق عين في جهنم **وقيل** هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق
فليذوقوه **وآخر من شكله** اي مثل الحميم والغساق **ازواج** اي اصناف اخر من العذاب **هذا فوج مقتحم**
معكم قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا
فوج يعني جماعة الاتباع مقتحم معكم النار اي داخلوها كما دخلتموها انتم **قيل** انهم يضربون بالمقامع
حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة **لا مرحبا بهم** اي بالاتباع **انهم صالوا النار**
اي داخلوها كما صليناها نحن **قالوا** الاتباع للقادة **بل انتم لا مرحبا بكم** اي لا رحبت بكم الارض والعرب
تقول مرحبا واهلا وسهلا اي اتيت رحبا وسعة **انتم قدمتموه لنا** يعني يقول الاتباع للقادة انتم
بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا **وقيل** معناه انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر
فبئس القرار فبئس دار القرار جهنم **قالوا** يعني الاتباع **ربنا من قدم لنا هذا** اي شرعه وسنه لنا
فزده عذابا ضعفا في النار اي اضعف عليه العذاب في النار قال ابن مسعود حيات وافاعي **وقالوا** يعني
كفار قريش وصناديدها واشرافها وهم في النار **ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم** اي في الدنيا **من**
الاشرار يعنون بذلك فقراء المومنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم اشرارا
لانهم كانوا على خلاف دينهم **اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار** يعني ان الكفار اذا دخلوا

النار

النار نظن وا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا فلم يدخلوا
معنا النار أم هم خلوها فزاغت عنهم ابصارنا فلم نرهم حين دخلوها وقيل معناه أم هم في النار ولكن
احتجبوا عن ابصارنا وقيل معناه ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم
في الدنيا فلا نعدهم شيئا ان ذلك لحق اي الذي ذكرنا لحق ثم بين ذلك فقال تعالى تخاصم اهل النار اي في
النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا
بكم من باب الخصومة قوله عز وجل قل اي يا محمد لمشركي مكة انما انا منذر اي مخوف وما من اله الا
الله الواحد يعني الذي لا شريك له في ملكه القهار اي الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف
ثم اردفه بما يدل على الرجا والترغيب فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار
فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه يغفر الذنوب وان
عظمت وفي جمع قل هو نبأ عظيم يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة انتم عنه
معرضون اي لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقي في نبوتي وان ما جئت به لم اعلمه الا بوحي من الله تعالى
ما كان لي من علم بالملا الاعلى يعني الملائكة يعني في شان آدم حين قال الله اني جاعل في الارض خليفة قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب
قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله لا تليق ولا تمكن قلت لا شك انه
جرى هناك سؤال وجواب فيشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ
المخاصمة عليه ان يوحى الي اي انما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى الي الا انما انا نذير مبين
يعني الا انما انا نبي انذركم وابين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتاني ربي في احسن صورة قال احسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا
الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي او قال في نحري فعلمت ما في السموات
وما في الارض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث
في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات وابلاغ الوضوء في المكاره ومن فعل ذلك
عاش بخير ومات بخير من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني
اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون
قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية فقلت لبيك
وسعديك في المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
فصل في الكلام على معنى هذا الحديث وللعلماء في هذا الحديث وفي امثاله من احاديث الصفات
مذهبان احدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير
تاويل له والسكوت عنه وعن امثاله مع الاعتقاد بان الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير المذهب
الثاني وهو تاويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث
مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد بن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عايش
عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن ابي كثير عن زيد بن سلام

عن عبد الرحمن بن عايش الحضرمي عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف
العمي عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو ابو سلام عن ابي السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه
ايوب عن ابي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس قال البخاري عن عبد الرحمن بن عايش الحضرمي له حديث
واحد الا انهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من اوجه كلها ضعاف وفي ثبوته نظر
واحسن طريق رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيه ما يدل على ان ذلك كان في المنام
فاما تاويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز ان يكون الباري تعالى مصورا ولا ان يكون
له صورة لان الصور مختلفة والهيئات متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه فاستحال ان يكون مصورا وهو
الخالق البارئ المصور فقوله اتاني ربي في احسن صورة يحتمل وجهين احدهما وانا في احسن صورة كانه زاده
كمالا وجمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك التي بعثا ان الله تعالى زين خلقه وحسن صورته عند رؤيته
لربه وانما التغيير وقع بعده لشدة الوحي وثقله الوجه الثاني ان الصورة بمعنى الصفة وهي جعل ذلك
الى الله تعالى والمعنى انه راه في احسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام
والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جميل ومعناه انه مجمل في افعاله وذلك نوع من الاحسان
والانعام فذلك احسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة ايضا يرجع الى صفاته العلية من التناهي
في العظمة والكبريا والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث
على هذا انه يعني ما اتى ايدي من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤيته ربه عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته وكبريا
وبهائه وتعاليه عن شبه المخلوق ونفي فيه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله
صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتاويله ان المراد باليد النعمة
والمنة والرحمة وذلك شايع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله اياه وانعامه
عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لم يعرفه حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك ما نور
قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الارض باعلام الله اياه فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة او مباشرة او نقص وهذا هو اللائق
بتنزيهه ويحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال
وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التاويل لان رؤية الباري عز وجل في المنام على الصفات الحسنة دليل على
البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام الملا الاعلى هم الملائكة في الكفارات وهي الخصال
المذكورة في الحديث في ايها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهو من باب
تسمية الشيء باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة
فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله اعلم قوله عز وجل اذ قال ربك للملائكة اني
خالق بشرا من طين يعني آدم عليه السلام فاذا سويته اي اتممت خلقه ونفخت فيه من روحي
اضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله وان الروح جوهر شريف قدسي
يسري في بدن الانسان سريان الضوء في الفضا وكسريان النار في الفحم فقعوا له ساجدين فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر اي تعاظم وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك

ان تسجد

أن تسجد لما خلقت بيدي أي توليت خلقه استكبرت أي تعظمت بنفسك عن السجود له أم كنت من العالين أي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فأجاب إبليس بقوله أنا خير منه يعني لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح أن أسجد له فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار أشرف من الطين وأفضل منه وأخطأ إبليس في القياس لأن مآل النار الرماد الذي لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نابت كالنسل والشجر المثمر ومعلوم أن الإنسان والشجر المثمر خير من الرماد وأفضل وقيل هب أن النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص ذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فإن نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة قال فاخرج منها أي من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التي كان فيها وذلك لأن إبليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته فإنك رجيم أي مطرود وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين فإن قلت إذا كان الرجيم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق أن يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء ويحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ وحصل الفرق وزال التكرار فإن قلت كلمة إلى لانتهاء الغاية وقوله إلى يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجيء يوم الدين قلت معناه أن اللعنة باقية عليه في الدنيا فإذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة أنواع من العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكأنها انقطعت عنه قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يعني النفخة الأولى قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول أي أنا أقول الحق وقيل الأول قسم أي فبالحق وهو الله أقسم بنفسه لأملأن جهنم منك بنفسك وذريتك وممن تبعك منهم أجمعين يعني من بني آدم قل ما أسألكم عليه أي على تبليغ الرسالة من أجر أي جعل وما أنا من المتكلفين أي المتقولين القرآن من تلقاء نفسي وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف له ق عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين لفظ البخاري إن هو يعني القرآن إلا ذكر يعني موعظة للعالمين أي للخلق أجمعين ولتعلمن يعني أنتم يا أهل مكة نبأه أي خبر صدقه بعد حين قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت قال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله أعلم

تفسير سورة الزمر مكية

إلا قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم وقوله الله نزل أحسن الحديث وقيل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم عوض قوله الله نزل أحسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله يا عبادي الذين أسرفوا إلى قوله لا تشعرون وهي اثنتان وقيل خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل تنزيل الكتاب أي هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم لا من غيره إنا أنزلنا

لعله علم

إليك الكتاب بالحق أي لم ننزله باطلا لغير شيء فاعبد الله مخلصا له الدين أي الطاعة ألا لله
الدين الخالص أي شهادة أن لا إله إلا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص إلا الله وقيل يعني الخالص من
الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذي أمر به لأن رأس العبادات الإخلاص في التوحيد واتباع الأوامر واجتناب
النواهي والذين اتخذوا من دونه أي من دون الله أولياء يعني الأصنام ما نعبدهم أي قالوا ما نعبدهم
إلا ليقربونا إلى الله زلفى يعني قربة وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم من خلقكم وخلق السماوات والأرض
ومن ربكم قالوا الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الأصنام فيقولوا لتقربنا إلى الله زلفى وتشفع لنا عنده إن
الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون أي من أمر الدين إن الله لا يهدي أي يرشد لدينه من هو كاذب
أي في قوله إن الآلهة تشفع له كفار أي باتخاذه الآلهة دون الله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى
لاختار مما يخلق ما يشاء يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحانه أي تنزيها له عن ذلك وعما
لا يليق بطهارته تقديسه هو الله الواحد أي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد القهار أي الغالب الكامل
القدرة قوله تعالى خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على
الليل معناه يغشي هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على الآخر وقيل ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر فما
نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى
الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر أحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر
عليهما قاهر لهما وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يعني إلى يوم القيامة ألا هو العزيز
الغفار معناه أن خلق هذه الأشياء العظيمة وإن دلت على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع أنه
غفار عظيم الرحمة والفضل والإحسان خلقكم من نفس واحدة يعني آدم ثم جعل منها زوجها
يعني حواء ولما ذكر الله آيات قدرته في خلق السماوات والأرض وتكوير الليل على النهار ثم أتبعه بذكر
خلق الإنسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يعني الإبل
والبقر والغنم والمعز والمراد بالزوج الذكر والأنثى من هذه الأصناف وفي تفسير الإنزال وجوه قيل
إنه هنا بمعنى الإحداث والإنشاء وقيل إن الحيوان لا يعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وهو
ينزل من السماء فكان التقدير أنزل الماء الذي يعيش به الأنعام وقيل إن أصول هذه الأصناف خلقت في الجنة
ثم أنزلت إلى الأرض يخلقكم في بطون أمهاتكم لما ذكر الله تعالى أصل خلق الإنسان ثم أتبعه بذكر الأنعام
عقبه بذكر حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان وهو كونها مخلوقة في بطون الأمهات وإنما قال في بطون
أمهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الإنسان على سائر الخلق خلقا من بعد خلق يعني نطفة ثم علقة ثم
مضغة في ظلمات ثلاث قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة
الرحم وظلمة البطن ذلكم الله ربكم أي الذي خلق هذه الأشياء ربكم له الملك أي لا لغيره لا إله إلا هو
أي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم إلا الله فأنى تصرفون أي عن طريق الحق بعد هذا البيان قوله عز وجل
إن تكفروا فإن الله غني عنكم يعني أنه تعالى ما كلف المكلفين ليجر إلى نفسه نفعا أو ليدفع عن نفسه ضررا
وذلك لأنه تعالى غني على الإطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولأنه لو كان محتاجا لكان
ذا نقص والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا أن جميع العالمين لو كفروا وأصروا عليه فإن الله غني

عنهم ثم قال تعالى

عنهم ثم قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر يعني انه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى
لعباده بالكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المومنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد
بعض عباد الله واجراه قوم على العموم فقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الاية لا يرضى لعباده ان يكفروا
به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر بغير رضى لله وان كان بارادته لان الرضى عبارة عن مدح الشيء والثناء
عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه الا ما اراد وقد لا يرضى به ولا يمدح
عليه فقد ثبت الفرق بين الارادة والرضى وان تشكروا اي تومنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم فيثيبكم عليه
ولا تزر وازرة تقدم بيانه ثم الى ربكم مرجعكم اي في الاخرة فينبئكم بما كنتم تعملون
اي في الدنيا انه عليم بذات الصدور اي بما في القلوب قوله تعالى واذا مس الانسان ضر اي شدة
وبلاء دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مستغيثا به ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة منه نسي
اي ترك ما كان يدعو اليه من قبل والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله
اندادا يعني الاصنام ليضل عن سبيله اي ليرد عن دين الله قل اي لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا
اي في الدنيا الى انقضاء اجلك انك من اصحاب النار قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في ابي حذيفة
المخزومي وقيل هو عام في كل كافر امن هو قانت قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل
مجازه الذي جعل لله اندادا خير امن هو قانت وقيل معنى الاية تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار يا من هو
قانت انك من اصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت في ابي بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان
وقيل انها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الاية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة
وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه اناء الليل اي في
ساعات الليل اوله واوسطه واخره ساجدا وقائما اي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار
وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى
الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الباطن وهو الخشوع في
الصلاة ومعرفة من يصلي له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس
فيكون الثواب فيه اكثر يحذر الاخرة اي يخاف الاخرة ويرجو رحمة ربه قيل المغفرة وقيل الجنة
وفيه فائدة وهي انه قال في مقام الخوف يحذر الاخرة فلم يضف الحذر الى نفسه وقال في مقام
الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء اكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روي عن
انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك فقال ارجو الله
يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد مثل هذا الموطن الا
اعطاه الله ما يرجو منه وامنه مما يخاف اخرجه الترمذي قل هل يستوي الذين يعلمون اي ما وعد الله
من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون اي ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لا يعلمون ابو حذيفة
المخزومي وقيل ابتدأ الاية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات
وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله انما يتذكر اولو الالباب قوله تعالى

قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم اي بطاعته واجتناب معاصيه للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني امنوا واحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل يعني الصحة والعافية في هذه الدنيا وارض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حين لم يتركوا دينهم لما نزل بهم من البلاء وصبروا وهاجروا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال علي بن ابي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانهم يحثى لهم حثيا وروي انه يوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب اهل البلاء من الفضل قوله عز وجل قل يا محمد اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي مخلصا له التوحيد لا اشرك به شيئا وامرت لان اكون اول المسلمين اي من هذه الامة وقيل امرت اولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امرت ثانيا بعمل الجوارح ولان شرائع الله لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام لينبه على ان غيره احق بذلك فهو كالترغيب لغيره قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وذلك ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الدين الذي اتيتنا به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وقومك فتاخذ بها فانزل الله هذه الاية ومعنى الاية زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصي فغيره اولى بذلك قل الله اعبد مخلصا له ديني فان قلت ما معنى التكرار في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني قلت ليس هذا بتكرار لان الاول الاخبار بانه مامور من جهة الله بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثاني انه اخبار بانه امر ان يخص الله وحده بالعبادة ولا يعبد احدا غيره مخلصا له دينه لان قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله اعبد يفيد الحصر والمعنى الله اعبد ولا اعبد احدا سواه ثم اتبعه بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه ليس امرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يعني ازواجهم وخدمهم يوم القيامة قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا واهلا في الجنة فمن عمل بطاعته كان له ذلك المنزل والاهل ومن عمل بمعصية الله خسر نفسه واهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه وبين اهله الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار اي اطباق وسرادقات ومن تحتهم ظلل اي فرش ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر الثاني ان الذي تحتهم من النار يكون ظلة لاخرين تحتهم في النار لانها دركات الثالث ان الظلة التحتانية اذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة ذلك الذي يخوف الله به عباده اي المومنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار في الاخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله وهو قوله يا عباد فاتقون اي خافون قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت يعني الاوثان ان يعبدوها وانابوا الى الله اي رجعوا الى عبادة الله بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة

غيره

غيره لهم البشرى اي في الدنيا وفي الاخرة اما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت
وعند الوضع في القبر واما في الاخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط
وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف للحساب وعند جواز تحصل لهم البشارة
بنوع من الخير والراحة والروح والريحان فبشر عبادي الذين يستمعون القول يعني القرآن فيتبعون
احسنه اي احسن ما يؤمرون به وهو ان الله تعالى ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه
والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل
يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لان كله حسن وقال ابن عباس لما
اسلم ابو بكر الصديق جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد
بن زيد فسألوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه وقيل نزلت هذه في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد
بن عمرو وابو ذر وسلمان الفارسي اولئك الذين هداهم الله اي الى عبادته وتوحيده واولئك
هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب قال ابن عباس سبق في علم الله انه في النار
وقيل كلمة العذاب قوله لاملأن جهنم وقيل قوله هؤلاء في النار ولا ابالي افانت تنقذ من
في النار اي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها
غرف مبنية اي منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها تجري من تحتها الانهار وعد
الله لا يخلف الله الميعاد اي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه ق عن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب
الدري الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا
يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر اي الباقي في
الافق اي في ناحية المشرق او المغرب قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه اي فادخل
ذلك الماء ينابيع في الارض اي عيونا وركايا ومسالك ومجاري في الارض كالعروق في الجسد قال
الشعبي كل ماء في الارض فمن السماء نزل ثم يخرج به اي بالماء زرعا مختلفا الوانه اي مثل اصفر واحمر
واخضر وابيض وقيل اصنافه مثل البر والشعير وسائر انواع الحبوب ثم يهيج اي ييبس فتراه
اي بعد خضرته ونضرته مصفرا ثم يجعله حطاما اي فتاتا متكسرا ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب
قوله عز وجل افمن شرح الله صدره اي وسعه للاسلام وقبول الحق كمن طبع الله على قلبه فلم يهتد
فهو على نور من ربه اي على يقين وبيان وهداية روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله
كيف انشراح صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا
يا رسول الله ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله القسوة جمود وصلابة تحصل في القلب فان قلت كيف
يقسو القلب من ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انه كلما تلي عليهم ذكر الله الذي

الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الإيمان به وقيل إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر
بعيدة عن قبول الحق فإن سماعها لذكر الله يزيدها القساوة والكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد
الملح فكذلك القرآن تلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين إلا قسوة قال مالك
ابن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة
أولئك في ضلال مبين قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وفي أبي بن خلف وقيل في علي وحمزة
وفي أبي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل قوله عز وجل الله نزل
أحسن الحديث يعني القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة
المعنى أما الأول فلأن القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس
الخطب والرسائل بل نوع يخالف الكل في أسلوبه وأما الوجه الثاني وهو كون القرآن من أحسن الحديث
لأجل المعنى فلأنه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتملا على أخبار الماضين وقصص الأولين
وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار كتابا متشابها أي يشبه بعضه
بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا مثاني أي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والأمر والنهي والأخبار
والأحكام تقشعر أي تضطرب وتشمئز منه جلود الذين يخشون ربهم والمعنى تأخذهم
قشعريرة وهو تغير يحدث في جلد الإنسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب
أي قلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أي لذكر الله تعالى قيل
إذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وإذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت
جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى أن جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روي
عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد العبد
من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله
على النار قال بعض العارفين السيارون في بيداء جلال الله إذا نظروا إلى عالم الجلال طاشوا وإذا
لاح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا قال قتادة نعت أولياء الذين نعتهم الله به أن تقشعر جلودهم
وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو
من الشيطان وروي عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر الصديق كيف
كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله
عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها إن ناسا إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه البوم
مغشيا عليه فقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي أن ابن عمر مر برجل من أهل العراق ساقط
فقال ما بال هذا قالوا إنه إذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر إنا لنخشى الله وما
نسقط وقال ابن عمر إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم
على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فإن رمى بنفسه فهو صادق فإن قلت
لم ذكرت الجلود وحدها أولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا في الرجاء قلت إذا ذكرت

الخشية

الخشية التي محلها القلوب اقشعرت من ذكر آيات الوعيد في أول وهلة وإذا ذكر الله وبني أمره على الرأفة
والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم وقيل إن المكاشفة
في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف لأن الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب فإذا حصل
الخوف اقشعر منه الجلد وإذا حصل الرجاء اطمأن إليه القلب ولان الجلد ذلك أي القرآن الذي هو
أحسن الحديث هدى الله يهدي به من يشاء أي هو الذي شرح الله صدره للإسلام لقبول الهداية
ومن يضلل الله أي يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية فما له من هاد أي يهديه قوله تعالى أفمن
يتقي بوجهه سوء العذاب أي شدته يوم القيامة قيل يجر على وجهه في النار وقيل يرمى به في
النار منكوسا فأول شيء تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه إلى
عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها
على وجهه لا يطيق دفعها عنه للأغلال التي في يده وعنقه ومعنى الآية أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب
كمن هو آمن من العذاب وقيل للظالمين أي تقول لهم الخزنة ذوقوا أي وبال ما كنتم تكسبون في الدنيا
من المعاصي كذب الذين من قبلهم أي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
بمجيئه وهم غافلون آمنون من العذاب فأذاقهم الله الخزي أي العذاب والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب
الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم
يتذكرون أي يتعظون قرآنا عربيا أي وجعلناه عربيا أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته غير ذي عوج أي
منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذي لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك
ابن أنس وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق لعلهم يتقون
أي الكفر والتكذيب فإن قلت ما الحكمة في تقديم التذكر في الآية الأولى على التقوى في هذه الآية ۝
قلت سبب تقديم التذكر أن الإنسان إذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشيء واحتاط بمعناه اتقاه
واحترز منه قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون أي متنازعون مختلفون سيئة
أخلاقهم والشكس السيء الخلق المخالف للناس ولا يرضى بالإنصاف ورجلا سلما أي خالصا لا شريك
له فيه ولا منازع والمعنى واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء
بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي أنه عبده وهم يتجاذبونه في مهن شتى فإذا عنت له حاجة يتدافعونه فهو
متحير في أمره لا يدري أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجته وفي رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد
يخدمه على سبيل الإخلاص وذلك السيد يعينه على خدمته في حاجته فأي هذين العبدين أحسن حالا وأحمد
شأنا وهذا مثل ضربه الله للكافر الذي يعبد آلهة شتى والمؤمن الذي يعبد الله وحده فكان حال المؤمن الذي
يعبد إلها واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذي يعبد آلهة شتى وهو قوله هل يستويان مثلا وهذا
استفهام إنكار لا يستويان في الحال والصفة قال تعالى الحمد لله أي لله وحده كله دون غيره من
المعبودين وقيل إنه لما ثبت أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الحق بالدلائل الظاهرة والأمثال الباهرة قال
الحمد لله أي على حصول هذه النعماء وظهور هذه الدلالات بل أكثرهم لا يعلمون أي أن المستحق للعبادة
هو الله وحده لا غيره قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون أي ستموت ويموتون وذلك أنهم كانوا يتربصون برسول الله

صلى الله عليه وسلم موته فاخبر موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني
وقيل نعى الى نبيه صلى الله عليه وسلم نفسه والى المكذبين انفسكم وقيل والمعنى انه واياهم ميتون وان كنتم احيا
فانتم في عداد الموتى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم
والمظلوم عن عبد الله ابن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله انكرر
علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتابين ثم انكم
يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم ودِيننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب
وجوه بعض بالسيف فعرفنا انه فينا نزلت وعن ابي سعيد الخدري في هذه الاية قال كنا نقول
ربنا واحد ودِيننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف
قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف
نختصم نحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا خ عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرض او مال فليتحلله اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم
ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه م عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم
له ولا متاع قال ان المفلس من امتي ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد شتم هذا وقذف هذا
واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته
قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قوله عز وجل فمن اظلم ممن كذب
على الله اي بزعم ان له ولدا وشريكا وكذب بالصدق اذ جاءه اي بالقران وقيل بالرسالة اليه اليس في جهنم
مثوى اي منزل ومقام للكافرين قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اي والذي صدق به قال ابن عباس
الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايضا بلغه الى الخلق وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقران وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقيل
وصدق به المومنون وقيل الذي جاء بالصدق الانبيا وصدق به الاتباع وقيل الذي جاء بالصدق اهل
القران وهو الصدق يجيئون به يوم القيامة وقد ادوا حقه فهم الذين صدقوا به اولئك هم المتقون اي الذين
اتقوا الشرك لهم ما يشاءون عند ربهم اي من الجزاء والكرامة ذلك جزاء المحسنين اي في اقوالهم وافعالهم
ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا اي يسترها عليهم بالمغفرة ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا
يعملون اي يجزيهم بمحاسن اعمالهم ولا يجزيهم بمساويها قوله عز وجل اليس الله بكاف عبده يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعني الانبيا عليهم السلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله شر من
عاداهم ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معرة الاوثان وقالوا لتكفن
عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل وجنون ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له
من مضل اليس الله بعزيز اي منيع في ملكه ذي انتقام اي ممن ينتقم من اعدائه ولين سالتهم من خلق

السموات

السموات والارض ليقولن الله يعني ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العليم الحكيم وذلك
متفق عليه عند الجمهور الخلائق فان فطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فان من تامل عجائب السموات والارض وما
فيهما من انواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم امره الله تعالى ان يحتج عليهم بان ما يعبدون من
دون الله لا قدرة لها على جلب خير ودفع ضر وهو قوله تعالى قل افرايتم ما تدعون من دون الله يعني الاصنام
ان ارادني الله بضر اي بشدة وبلاء هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة اي بنعمة وخير وبركة
هل هن ممسكات رحمته فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله عليه اي هو ثقتي وعليه اعتمادي عليه يتوكل المتوكلون اي عليه
يثق الواثقون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اي اجتهدوا في انواع مكركم وكيدكم وهو امر تهديد ووعيد
اني عامل اي فيما امرت به من اقامة الدين فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه اي انا وانتم ويحل
عليه عذاب مقيم اي دائم وهو تهديد وتخويف انا انزلنا عليك الكتاب يعني القرآن للناس
بالحق اي ليهتدي به كافة الخلق فمن اهتدى فلنفسه اي نفع ذلك يعود عليه ومن ضل فانما يضل
عليها اي رجع وبال الضلالة عليه وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم قيل هذا منسوخ
باية القتال قوله تعالى الله يتوفى الانفس اي الارواح حين موتها اي يقبضها عند فناء اكلها
وانقضاء اجالها وهو موت الاجساد والتي لم تمت في منامها والنفس التي يتوفاها عند النوم هي
التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان هي التي يكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها
الحياة والنفس الاخرى هي التي يكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها النفس
فيمسك التي قضى عليها الموت اي فلا يردها الى جسدها ويرسل الاخرى اي يرد النفس التي
لم تمت الى جسدها الى اجل مسمى اي الى ان ياتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفس وروح فعند
النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن ابي طالب تخرج الروح عند النوم فيبصر الحلم ويرى الرؤيا
فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي
في المنام فتتعارف ما شاء الله تعالى فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله ارواح الاموات عنده
وارسل ارواح الاحياء الى اجسادها الى حين انقضاء مدة اجالها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه
عليه ثم يقول ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى
حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القا
بض للروح باذن الله وملك الموت هو القابض للروح باذن الله ولملك الموت اعوان وجنود من الملائكة ينتزعون الروح
من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون اي في البعث
وذلك ان توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل ان في ذلك لدليل على قدرتنا حيث
لم تغلط في امساك ما نمسك من الارواح وارسال ما نرسل منها قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء
يعني الاصنام قل يا محمد اولو كانوا يعني الالهة لا يملكون شيئا اي من الشفاعة ولا يعقلون اي
انكم تعبدونهم وانتم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة قل لله الشفاعة جميعا اي لا يشفع احد الا باذنه

فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع على الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده
له ملك السموات والارض اي لا ملك لاحد فيهما سواه ثم اليه ترجعون اي في الاخرة قوله تعالى واذا
ذكر الله وحده اشمأزت اي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت قلوب الذين
لا يؤمنون بالاخرة قيل ان الاشمئزاز ان يمتلئ القلب من غيظ غما وغيظا ينقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه
اثر ذلك مثل الغبرة والظلمة واذا ذكر الذين من دونه يعني الاصنام اذا هم يستبشرون اي يفرحون والا
ستبشار ان يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل قوله عز وجل قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون اي من امور الدين م عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال سالت عائشة باي شيء كان نبي الله صلى الله
عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل
واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم قوله عز وجل ولو ان
للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا
لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا انه نازل بهم في الاخرة وقيل
ظنوا انها حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله بعبادة الاصنام فلما عوقبوا
عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا روي ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال اخشى
ان يبدو لي ما لم احتسب وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي مساوي اعمالهم من الشرك والظلم باولياء
الله وحاق بهم اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون فاذا مس الانسان ضر اي شدة دعانا ثم
اذا خولناه اي اعطيناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم اي من الله اني له اهل وقيل على
خير علمه الله عندي بل هي فتنة يعني تلك النعمة استدراج من الله وامتحان وبلية ولكن اكثرهم
لا يعلمون انه استدراج قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون فانه قال انما اوتيته على علم عندي
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي فما اغنى الكفر من العذاب شيئا فاصابهم سيئات ما
كسبوا اي جزاؤهم وهو العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم
سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين اي بفائتين لان مرجعهم الى الله عز وجل اولم يعلموا ان
الله يبسط الرزق لمن يشاء اي يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر اي يقتر ويضيق على من يشاء ان في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
روي عن ابن عباس في سبب نزول هذه الاية ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا
وانتهكوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا
ان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
قال يبدل الله شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله اخرجه النسائي وعن ابن عباس ايضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
وحشي يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم انه من قتل او اشرك او زنى

يلوا انا مثلا بغا عبد له العذاب وانا اقدر فعلت ذلك كله فانزل الله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي
هذا شرط شديد لعلي لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فقال وحشي اراني بعد في شبهة فلا ادري يغفر الله لي ام لا فانزل الله قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجاء فاسلم وعن ابن عمر رضي الله عنه
قال نزلت هذه الآية في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا
ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هولاء صرفا ولا عدلا ابدا قوم اسلموا ثم تركوا
دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل الله هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي
ربيعة والوليد بن الوليد والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا وعن ابن عمر ايضا كنا معشر اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا
الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش
قال فكنا اذا راينا من اصاب شيئا منها قلنا هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا
راينا احدا اصاب شيئا من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجونا له وقوله اسرفوا على انفسهم
اي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم فيدخل فيه ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة
الله اي لا تياسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله من الكبائر ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها اغراء بالمعاصي واطلاقا
في الاقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصي انه لا مخلص
له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا احد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه
وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا اي بالتوبة اذا تاب وصحت التوبة
غفرت ذنوبه ومن مات قبل ان يتوب فهو موكول الى مشيئة الله فيه فان شاء غفر له وان شاء عفا عنه وان
شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل احد وخوف العقاب قائم
فلعل الله يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله اعلم **فصل** في لطائف تتعلق
بالآية روي عن ابن مسعود انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه
فقال يا مذكر لم يقنط الناس ثم قرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله عن اسما
بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ق عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا
ثم خرج يسال فاتى راهبا فساله فقال له توبة قال لا فقتله وجعل يسال فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا
فادركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان
تقربي واوحى الى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد الى هذه اقرب بشبر فغفر له لفظ البخاري
ولمسلم قال فدل على راهب فاتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به
مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول

بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها
ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاتاهم
ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه
الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان رجل يسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط
فلما حضره الموت قال لبنيه اذا انا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم اذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني
عذابا ما عذبه احدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله الارض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم
فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب او قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني اسرائيل رجلان متحابان وكان احدهما مذنب والآخر في عبادة
مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال
خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك او قال لا يدخلك الجنة فقبض الله ارواحهما
فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد اكنت بي عالما او كنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب
ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال ابو هريرة تكلم والله بكلمة اوبقت دنياه
وآخرته اخرجه ابو داود عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك
ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت
لك ولا ابالي يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة
اخرجه الترمذي قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها . وقراب الارض بضم
القاف هو ما يقارب ملأها قوله عز وجل وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة
واسلموا له اي اخلصوا له التوحيد من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اي لا تمنعون منه
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني القرآن لانه كله حسن ومعنى الآية ما قاله الحسن
الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه اتى في القرآن ذكر القبيح لتجتنبوه وذكر الادون لئلا ترغب
فيه وذكر الاحسن لتؤثروه وتاخذوا به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ من قبل ان ياتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون يعني غافلين عنه ان تقول نفس اي لئلا تقول وقيل معناه بادروا حذرا
ان تقول وقيل خوفا ان تصير الى حال ان تقول نفس يا حسرتى اي يا ندما ويا حزنا والتحسر الاغتمام
والحزن على ما فات على ما فرطت في جنب الله اي على ما قصرت في طاعة الله وقيل في امر الله
وقيل في حق الله وقيل على ما ضيعت في ذات الله وقيل معناه على ما قصرت في الجانب
الذي يؤدي الى رضى الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله والمؤمنين
قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها او تقول لو ان الله هداني اي ارشدني الى دينه وطاعته
لكنت من المتقين اي الشرك او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة اي رجعة الى الدنيا
فاكون من المحسنين اي الموحدين ثم اجاب الله هذا القائل بان لا عذر له زايلة والتعلل باطل
وهو قوله تعالى بلى قد جاءتك آياتي يعني القرآن فكذبت بها اي قلت ليست من الله واستكبرت

اي تكبرت

اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله اي في دعواهم ان
له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون ان الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل وجو
ههم مسودة قيل هو سواد مخالف لسائر انواع السواد اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اي
عن الايمان قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا اي الشرك بمفازتهم اي بالطريق التي تؤديهم الى الفوز
والنجاة وقرئ بمفازاتهم اي ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار لا يمسهم السوء اي لا
يصيبهم المكروه ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء اي مما هو كائن او يكون في الدنيا والاخرة
وهو على كل شيء وكيل اي ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها له مقاليد السموات
والارض اي مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير
قياس قيل هو فارسي معرب قال الراجز لم يوذها الديك بصوت تغريد ولم يعالج غلقا باقليد والمعنى
الله تعالى مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي بيده
مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات
والذين كفروا بايات الله اي جحدوا بايات الله الظاهرة الباهرة اولئك هم الخاسرون قوله
عز وجل قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين ابائه
ووصفهم بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بان الله هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك اي الذي عملته قبل الشرك وهذا
خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عصم نبيه من الشرك وفيه تهديد لغيره
ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين اي لانعامه عليك قوله تعالى وما
قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره ثم اخبر عن عظمته فقال والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون
ق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
ان الله يضع السماء على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر والانهار على اصبع وسائر الخلق
على اصبع ثم يقول ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق قدره
وفي رواية والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الاية ف
عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم
القيامة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين بشماله له
ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وفي رواية ويقول انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها
انا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله
عليه وسلم لفظ مسلم وللبخاري ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه
ويقول انا الملك خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله
الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابي ليس فيما

يطوف الى السدي وجل موصوفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روي كلتا يديه يمين
وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها ۞
وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا هو مذهب اهل السنة والجماعة
وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه
قوله عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض اي ماتوا من الفزع وهي النفخة
الاولى الا من شاء الله تقدم في سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله
يعني الله وحده ثم نفخ فيه اي في الصور اخرى مرة اخرى وهي النفخة الثانية فاذا هم قيام اي من قبورهم
ينظرون اي ينتظرون الله فيهم ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين
النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قال اربعون سنة قال
ابيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا
وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها وذلك حين
يتجلى الرب تعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل
بعدل ربها واراد بالارض عرصات القيامة ووضع الكتاب اي كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه
اعمال الخلق من المبتدا الى المنتهى وجيء بالنبيين يعني ليكونوا شهداء على اممهم والشهداء قال ابن
عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة.
وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون اي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ۞
ووفيت كل نفس ما عملت اي ثواب ما عملت وهو اعلم بما يفعلون يعني انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم
لا يحتاج الى كاتب ولا شاهد قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم يعني سوقا عنيفا
اي افواجا بعضهم على اثر بعض كل امة على حدة وقيل جماعات في تفرقة واحدها زمرة حتى
اذا جاءوها فتحت ابوابها يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة وقال لهم خزنتها يعني توبيخا
وتقريعا الم ياتكم رسل منكم اي من انفسكم ومن جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب اي وجبت على الكافرين وهي قوله لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين
قوله عز وجل وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق
فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق اهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير
اذا سيق الى الحبس او القتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين والمراد
بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين حتى اذا جاءوها وفتحت
ابوابها فان قلت قال في اهل النار فتحت بغير واو وهنا زاده بالواو فما الفرق قلت
فيه وجوه احدها انها زائدة والثاني انها واو الحال مجازه وقد فتحت ابوابها فادخل الواو لبيان
انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو في حالة الاولى لبيان ابواب جهنم كانت
مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان اهل الجنة اذا جاءوها ووجدوا ابوابها مفتحة

حصل

حصل السرور والفرح بذلك وأهل النار إذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالثة زيدت الواو
هنا لبيان أن أبواب الجنة ثمانية ونقصت هنالك لأن أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو
على ما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية فإن قلت حتى إذا جاءوها شرط فأين جوابه قلت
فيه وجوه أحدها أنه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على أنه بلغ في الكمال إلى حيث لا يمكن
ذكره الثاني أن الجواب هو قوله قال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو تقديره فادخلوها خالدين
دخولها محذوف دخولها لدلالة الكلام عليه وقال لهم خزنتها سلام عليكم أي البشر وأي السلامة
من كل الآفات طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة
بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذا سيقوا إلى الجنة
فإذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة تخرج من تحتها عينان فيغتسل المومن من أحدهما فيطهر ظاهره
ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها
خلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده أي بالجنة وأورثنا الأرض أي أرض الجنة
نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله نتبوأ أي ننزل منها أي من
الجنة حيث نشاء فإن قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره قلت
يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء
ولا يحتاج إلى غيره وقيل إن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الأمم فينزلون فيها حيث شاءوا وا
ثم تنزل الأمم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل فنعم أجر العاملين أي ثواب المطيعين في الدنيا
الجنة في العقبى وترى الملائكة حافين من حول العرش أي محدقين محيطين بالعرش مطيفين بحافته وجوانبه
يسبحون بحمد ربهم قيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لأن التكليف يزول في ذلك اليوم وقضي بينهم
بالحق أي قضي بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين أي يقوله أهل الجنة شكرا أ
جزيل وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وختم
بالحمد في آخر الأمر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية كل أمر وخاتمته والله
أعلم تفسير سورة حم المومن وتسمى غافر وهي مكية قيل غير آيتين وهما
قوله الذين يجادلون في آيات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع
وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال إن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب
منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب فقيل له إن مثل الغيث
الأول مثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن وعن ابن عباس قال
لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات
أتأنق فيهن وقال سعد بن إبراهيم كن آل حم يسمين العرائس بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم قال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة
وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح اسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حُم
بضم الحاء اي قضي ما هو كائن تنزيل الكتاب من الله العزيز اي الغالب القوي وقيل الذي لا مثل
له العليم اي بكل المعلومات غافر الذنب اي ساتر الذنب وقابل التوب اي التوبة قال ابن عباس هو
غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله
ذي الطول اي ذي السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم واصل الطول انعام الذي يطول مدته
على صاحبه لا اله الا هو اي هو الموصوف بصفات الوحدانية التي لا يوصف بها غيره اليه المصير اي
مصير العباد اليه في الآخرة قوله تعالى ما يجادل اي ما يخاصم ويحاجج في آيات الله اي في دفع آيات الله بالتكذيب
والانكار الا الذين كفروا قال ابو العالية آيتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله ما يجادل في آيات
الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في القرآن كفر واخرجه ابو داود وقال المراء في القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا
كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما نزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فما علمتم منه فقولوه وما
جهلتم فكلوه الى عالمه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هجرت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فسمع اصوات رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه
الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب فلا يغررك تقلبهم اي تصرفهم في البلاد للتجا
رات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة امرهم العذاب كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من
بعدهم اي الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم
ليأخذوه قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه وجادلوا اي خاصموا بالباطل
ليدحضوا اي ليبطلوا به الحق الذي جاء به فأخذتهم فكيف كان عقاب اي انزلت بهم من الهلاك
ما هموا هم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم اليس كان مهلكا مستاصلا وكذلك
حقت اي وجبت كلمة ربك اي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت على الذين كفروا ا
من قومك انهم اي بانهم اصحاب النار قوله عز وجل الذين يحملون العرش قيل حملة العرش اليوم اربعة فاذا
كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى كما قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم من اشرف الملائكة وافضلهم
لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد
ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش
فيصعق وجناحان يهفوا بهما في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد ما بين اظلافهم
الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى ركبتيه اسفل
منه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم وهم
يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح
قدوس رب الملائكة والروح وقيل ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع

يسبحون

لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من التي تليها
والتي تليها اشد خوفا من التي تليها وروي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذن لي ان احدث
عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اخرجه
ابو داود وأما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من اعظم المخلوقات خلقا روى جعفر
ابن محمد عن ابيه عن جده انه قال ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين
الف عام ويكسى العرش كل يوم الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله والاشياء
كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب
حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة
قبلة لاهل الارض قوله ومن حوله يعني الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال
وهب ابن منبه ان حول العرش سبعون الف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء
ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون الف صف قيام ايديهم الى اعناقهم
قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير اولئك وتهليلهم رفعوا اصواتهم وقالوا سبحانك وبحمدك
ما اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء
مائة الف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الاخر
ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلاثمائة عام وما بين شحمة اذن احدهم الى عاتقه اربعمائة عام واحتجب
الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين
حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ياقوت احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين
حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل قوله يسبحون بحمد ربهم اي ينزهون الله عما
لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق ويومنون به اي يعترفون بانه واحد لا شريك
له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت الذين يسبحون بحمد ربهم يومنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الا
يمان فما فائدة قوله ويومنون به قلت فائدة التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب
فيه ولما كان الله عز وجل محتجب عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال
شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة
منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك وعلمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم ويستغفرون للذين امنوا اي يسالون الله
طلب المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل القول لهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما
صدر هذا منهم اولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في احد بشيء
يكره ان يستغفر له ربنا اي ويقولون ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك
كل شيء وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله بما هو اهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز
وجل قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي دينك وقهم عذاب الجحيم قال مطرف انصح
عباد الله المومنين الملائكة واغش الخلق للمومنين هم الشياطين ربنا وادخلهم جنات عدن

لعله تنفتح بالواو

وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم قيل إذا دخل المومن الجنة
قال أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجتي فيقال إنهم لم يعملوا عملك فيقول إني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلهم
الجنة فإذا اجتمع بأهله في الجنة كان أكمل لسروره ولذته وقهم السيئات أي عقوبات السيئات
بأن تصونهم عن أعمال الفاسدة التي توجب العقاب ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته أي في   أي تقيهم في الدنيا
القيامة وذلك هو الفوز العظيم أي النعيم الذي لا ينقطع في جوار مليك لا تصل العقول إلى كنه عظمته
وجلاله قوله تعالى إن الذين كفروا ينادون أي يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضوا
عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم أي إياكم في الدنيا
إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون اليوم عند حلول العذاب بكم قالوا ربنا أمتنا اثنتين قال
ابن عباس كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحيا   هم
للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في القبر للسؤال ثم أميتوا
في قبورهم ثم أحيوا للبعث في الآخرة وذلك أنهم عددوا أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة الموتة الأولى
ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فأما الحياة الأولى التي هي في الدنيا فلم يعدوها
لأنها ليست من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهي
الموتة الأولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها
فاعترفنا بذنوبنا يعني إنكارهم الموت البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم
سألوا الرجعة بقولهم فهل إلى خروج أي من النار من سبيل والمعنى فهل من رجوع إلى الدنيا من سبيل
لنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وإنما قالوا ذلك تعللا
وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل إليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى ذلكم
بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم معناه فأجيبوا أن لا سبيل إلى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار
بأنكم إذا دعي الله وحده كفرتم يعني إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم ذلك وإن يشرك به أي غيره تؤمنون
أي تصدقوا ذلك المشرك فالحكم لله العلي أي لا أعلى منه الكبير أي لا أكبر منه قوله عز وجل هو الذي
يريكم آياته أي عجائب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته وينزل لكم من السماء رزقا يعني المطر
الذي هو سبب الأرزاق وما يتذكر أي يتعظ بهذه الآيات إلا من ينيب أي يرجع إلى الله في جميع أموره   الأرزاق
فادعوا الله مخلصين له الدين أي الطاعة والعبادة ولو كره الكافرون قوله تعالى رفيع
الدرجات أي رافع درجات الأنبياء والأولياء والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع أي
إنه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن كل ما سواه
وكل الخلق فقراء إليه ذو العرش أي خالقه ومالكه والفائدة في تخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم الأجسام
والمقصود بيان التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى يلقي الروح
يعني ينزل الروح الوحي سماه روحا لأنه به يحيى الأرواح كما يحيى بدن الإنسان بالأرواح من أمره قال ابن
عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله على من يشاء من عباده يعني الأنبياء لينذر يوم
التلاق يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة والمعنى يلتقي أهل السماء

واهل الارض

واهل الارض وقيل يلتقي الخلق والخالق وهو يوم القيامة وقيل يلتقي العابدون والمعبودون
وقيل يلتقي المرء مع عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم يوم هم بارزون أي خارجون من قبورهم
ظاهرون لا يسترهم شيء لا يخفى على الله منهم شيء أي من اعمالهم واحوالهم فإن قلت ان الله تعالى
لا يخفى عليه شيء في سائر الايام فما وجه تخصيص هذا اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا
بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم وهم في هذا اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون
فيه مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا لمن الملك اليوم أي يقول الله عز وجل في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك
ولا احد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول لله الواحد القهار أي الذي قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون
والآخرون في يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق في يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون
يقولون بلذة احليت كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على
سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه في الدنيا اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يعني يجزى
المحسن باحسانه والمسيء باساءته لا ظلم اليوم أي ان الخلق آمنون في هذا اليوم من الظلم لان الله ليس
بظلام للعبيد ان الله سريع الحساب أي انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق كله في
وقت واحد قوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة يعني يوم القيامة سميت آزفة لقربها وكل ما هو آت فهو
قريب اذ القلوب لدى الحناجر وذلك انها تزول عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى اماكنها
ولا هي تخرج من افواههم فيموتوا ويستريحوا كاظمين أي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق
القلب عنه ما للظالمين من حميم أي من قريب ينفعهم ولا شفيع أي يشفع لهم يطاع أي فيهم يعلم
خائنة الاعين أي خيانتها وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين الى ما نهى الله
عنه وما تخفي الصدور أي يعلم مضمرات القلوب والله يقضي بالحق أي يحكم بالعدل والذين يدعون
من دونه يعني الاصنام لا يقضون بشيء لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء ان الله هو السميع
أي لاقوال الخلق البصير لافعالهم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
كانوا من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وآثارا في الارض أي ان المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان
الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء فلم ينفعهم قوتهم فاخذهم الله بذنوبهم وما
ذلكم كان لهم من الله من واق أي يدفع عنهم العذاب ذلك أي العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى
بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق
من عندنا قالوا يعني فرعون وقومه اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه قيل هذا القتل غير القتل الاول
لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم القتل
واستحيوا نساءهم أي استحيوا النساء يعني ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته وما
كيد الكافرين أي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم الا في ضلال أي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما
يريده الله تعالى وقال فرعون أي لملائه ذروني اقتل موسى وانما قال فرعون هذا لانه كان في خاصة
قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه من قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا فا

وقيل قالوا لا تقتله فإنما هو ساحر ضعيف ولا يقدر أن يغلب سحرنا فإن قتلته قالت العامة كان محقا
صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وليدع ربه أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه
منا إني أخاف أن يبدل دينكم يعني يقول فرعون يغير دينكم الذي أنتم عليه أو أن يظهر في الأرض
الفساد يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره وقال موسى يعني لما توعده فرعون
بالقتل إني عذت بربي وربكم يعني أن موسى لم يأت في دفع شره إلا بالاستعاذة بالله والاعتماد عليه
فلا جرم صانه الله عن كل بلية من كل متكبر أي متعظم عن الإيمان لا يؤمن بيوم الحساب
قوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط
وقيل كان من بني إسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون
وكان اسم هذا المؤمن حزقيل عند ابن عباس وأكثر العلماء وقال ابن إسحاق كان اسمه
جبريل وقيل حبيب أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله أي لأن يقول ربي الله وهذا استفهام
إنكار وهو إشارة إلى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فيه إشارة إلى تقرير نبوته
بإظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه وإن يك كاذبا فعليه كذبه أي لا يضركم
ذلك إنما يعود وبال كذبه عليه وإن يك صادقا أي فكذبتموه يصبكم بعض الذي يعدكم قيل
معناه يصبكم الذي يعدكم إن قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قال أقل ما يكون
في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل إن الله لا
يهدي أي إلى دينه من هو مسرف كذاب أي على الله خ عن عروة ابن الزبير قال سألت عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قوله يا قوم لكم الملك
اليوم ظاهرين في الأرض أي غالبين في أرض مصر فمن ينصرنا أي يمنعنا من بأس الله إن جاءنا
والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فإنه لا مانع من عذاب الله إن حل بكم
قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى أي من الرأي والنصيحة وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ح
أي ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى أن مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه
أن يحل به مثل ما حل بالأمم قبله بقوله وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب إ
مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم أي مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب
حتى أتاهم العذاب وما الله يريد ظلما للعباد أي لا يهلكهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم ويا قوم
إني أخاف عليكم يوم التناد يعني يوم القيامة سمي يوم القيامة يوم التناد لأنه يدعى فيه كل
أناس بإمامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وأصحاب النار أصحاب الجنة
وينادى فيه بالسعادة والشقاوة ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان بن
فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلا موت

ويا أهل

ويا اهل النار خلود فلا موت وقيل ينادي المومنون هاؤم اقرءوا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم
اوت كتابيه وقيل يوم التناد يعني يوم التنادّ من ندّ البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا
سمعوا زفير النار ندّوا هرابا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون
الى المكان الذي كانوا فيه يوم تولون مدبرين اي منصرفين عن موقف الحساب الى النار ما لكم من الله
من عاصم اي يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد اي يهديه ولقد جاءكم يوسف يعني
يوسف ابن يعقوب من قبل اي من قبل موسى بالبينات يعني قوله ارباب متفرقون خير ام الله الواحد
القهار قيل مكث فيهم عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون
آخر فما زلتم في شك مما جاءكم به قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين
في نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءكم بها حتى اذا هلك يعني مات قلتم لن يبعث
الله من بعده رسولا اي اقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على
سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان بل قالوا ذلك ليكون لهم اساسا في تكذيب الانبياء
الذين ياتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا
فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب برسالته كذلك يضل الله من هو مسرف
اي في شركه وعصيانه مرتاب اي في دينه الذين يجادلون في آيات الله قيل هو تفسير المسرف المرتاب
يعني الذين يجادلون في ابطال آيات الله بالتكذيب بغير سلطان اي بغير حجة وبرهان اتاهم من الله
كبر مقتا اي ذلك الجدال مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار قوله عز وجل وقال فرعون يعني لوزيره يا هامان ابن لي صرحا اي بناء ظاهرا لا يخفى على
الناظر وان بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات اي طرقها وابوابها
من سماء الى سماء فاطلع الى اله موسى واني لاظنه يعني موسى كاذبا فيما يدعي ويقول ان له ربا
غيري وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل قال ابن عباس صده الله عن سبيل
الهدى وقرئ وصَدّ بالفتح اي وصد فرعون عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب اي وما كيده
في ابطال آيات موسى الا في خسار وهلاك قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم
سبيل الرشاد اي طريق الهدى يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي منفعة ينتفعون بها
مدة ثم تنقطع وان الآخرة هي دار القرار اي التي لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لا يبقى
فيها وان الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا
والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق من عمل
سيئة فلا يجزى الا مثلها قيل معناه من عمل بالشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصي
فجزاؤه العقوبة بقدرها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب اي لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا
بغير تقتير ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار معناه انا ادعوكم الى الايمان
الذي يوجب النجاة من النار وانتم تدعونني الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال تدعونني

تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أي لا علم لي أن هذا الذي تدعونني إليه بالله كيف يعقل أن أجعله
شريكا لله الإله الحق والمعنى أنهم يدعونه إلى الكفر والشرك ثم بيّن أنه يدعوهم إلى الإيمان بقوله وأنا أدعوكم إلى
العزيز أي في انتقامه ممن كفر الغفار أي لذنوب أهل التوحيد لا جرم يعني حقا أنما تدعونني إليه يعني الصنم
ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة يعني ليس له استجابة دعوة لا في الدنيا ولا في الآخرة وقيل
ليس له دعوة للأصنام في الدنيا لأن الأصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعوا إلى عبادتها وفي الآخرة
تتبرأ من عابديها وأن مردنا إلى الله أي مرجعنا إلى الله أي فيجازي كلا بما يستحقه وأن المسرفين يعني
المشركين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم أي إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر وأفوض
أمري إلى الله أي أرد أمري إلى الله وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم إن الله بصير بالعباد يعني يعلم
المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا
أي ما أرادوا به من الشر قيل إنه نجا مع موسى وكان قبطيا وحاق أي نزل بآل فرعون سوء العذاب
يعني الغرق في الدنيا والنار في الآخرة وذلك قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا يعني صباحا ومساء
قال ابن مسعود أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى
النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا
ما دامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر أعاذنا الله منه بمنه وكرمه ق عن عبد
الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك
الله يوم القيامة ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى ويوم تقوم الساعة
أدخلوا آل فرعون أي يقال لهم أدخلوا يا آل فرعون أشد العذاب قال ابن عباس من ألوان العذاب
غير الذي كانوا يعذبون به منذ أغرقوا قوله تعالى وإذ يتحاجون أي اذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون يعني أهل
النار في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا أي في الدنيا فهل أنتم مغنون عنا
نصيبا من النار قال الذين استكبروا يعني الرؤساء والقادة إنا كل فيها يعني نحن وأنتم إن الله قد
حكم بين العباد أي قضى علينا وعليكم وقال الذين في النار يعني اشتد عليهم لخزنة جهنم ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب قالوا يعني الخزنة أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات يعني لا عذر لكم بعد مجيء
الرسل قالوا بلى اعترفوا بذلك قالوا فادعوا يعني أنتم أنا لا ندعو لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب
قال الله تعالى وما دعاء الكافرين إلا في ضلال يعني يبطل ولا ينفعهم قوله عز وجل إنا لننصر رسلنا
والذين آمنوا في الحياة الدنيا قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل
بالانتقام من أعدائهم في الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد
نصرهم بالقهر على من ناوأهم وإهلاك أعدائهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فإنه قتل به سبعين
ألفا ويوم يقوم الأشهاد يعني وينصرهم يوم القيامة يوم يقوم الأشهاد وهم الحفظة من الملائكة ۝
ويشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم أي إن اعتذروا عن كفرهم
لم يقبل منهم ولهم اللعنة أي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار يعني جهنم ولقد آتينا موسى الهدى يعني

النبوة

النبوءة وقيل التوراة واورثنا بني اسرائيل الكتاب يعني التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على انبيائهم هدى
وذكرى لاولي الالباب قوله تعالى فاصبر اي يا محمد على اذاهم ان وعد الله حق اي في اظهار دينك واهلاك
اعدائك قال الكلبي نسخت اية القتال اية الصبر واستغفر لذنبك يعني الصغائر وهذا على قول من
يجوزها على الانبياء وقيل يعني على ترك الاولى والافضل وقيل على ما كان قد صدر منه قبل النبوءة
وعند من لا يجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى من نبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده به درجة
ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال
بما ينبغي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثاني الاشتغال بالطاعات وهو قوله وسبح بحمد ربك
اي نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك بالعشي والابكار يعني صلاة العصر وصلاة الفجر
وقال ابن عباس الصلوات الخمس ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم يعني كفار
قريش ان في صدورهم اي ما في قلوبهم الا كبر قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا ما في صدورهم
من الكبر والعظمة ما هم ببالغيه اي ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وقيل ان معناه في صدورهم الكبر على
محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر
ويرد الملك الينا قال الله تعالى فاستعذ بالله من فتنة الدجال انه هو السميع اي لاقوالهم البصير اي
باعمالهم قوله تعالى لخلق السموات والارض اي مع عظمها اكبر من خلق الناس اي من اعادتهم بعد الموت
والمعنى انهم مقرون ان الله خلق السموات والارض وذلك اعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث
بعد الموت ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال
قوم معنى اكبر من خلق الناس اي اعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون
في امر الدجال **فصل في ذكر الدجال** م عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما بين خلق ادم الى قيام الساعة خلق اكبر من الدجال معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من
الدجال ق عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور عين اليمنى كانها عنبة طافية ولابي
داود والترمذي عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال
فقال اني انذركموه وما من نبي الا وقد انذر قومه لقد انذر نوح قومه ولكني ساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي
لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا
وقد انذر امته الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية
لمسلم مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاه ك ف ر يقرأه كل مسلم عن اسماء بنت يزيد الانصارية قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء
ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة
تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم الا هلك من اشد
فتنته انه ياتي الاعرابي فيقول ارايت ان احييت لك ابلك الست تعلم اني ربك قال فيقول بلى فيمثل له
ابله كاحسن ما يكون ضروعا واعظمه اسنمة ويأتي الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ارايت

إن احييت لك ابلك او اخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابيه ونحو اخيه قالت ثم خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قالت فاخذ بلحمتي الباب
فقال مهيم اسما قلت يا رسول الله لقد خلعت افيدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي فانا حجيجه
والا فان ربي خليفتي على كل مومن **قالت** اسما فقلت يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نختبزه حتى نجوع
فكيف بالمومنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السماء من التسبيح والتقديس **وفي رواية عنها**
قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة
والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار هذا حديث اخرجه البغوي بسنده **والزيجا**
في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله ما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم
كجمعة وساير ايامه كايامكم فقلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة ايكفينا فيه صلاة يوم قال
لا اقدروا له قدره **قلنا** يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح **وفي رواية**
ابي داود عنه فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته **قيل**
ثم ينزل عيسى عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله **ق عن حذيفة**
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما الذي يرى الناس انه
نار فماء بارد واما الذي يرى الناس انه ماء فنار تحرق فمن ادرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى انه
نار فانه ماء عذب بارد **ق عن ابي هريرة رضي الله عنه** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجي بمثال الجنة والنار فالتي يقول
انها الجنة هي النار واني انذركم كما انذر نوح قومه **ق عن المغيرة بن شعبة** قال ما سال احد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال اكثر مما سالته وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه
جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله من ذلك **عن عمران بن حصين** ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سمع بالدجال فلينأ منه فوالله ان الرجل لياتيه وهو يحسب انه مومن فيتبعه مما
يبعث به من الشبهات او قال لما يبعث به من الشبهات اخرجه ابو داود **ق عن ابن عباس** ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطاه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من
نقابها الا عليه الملايكة صافين يحرسونها فينزل السبخة فترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج
اليه كل كافر ومنافق **م عن ابي هريرة** رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياتي
المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملايكة وجهه قبل الشام وهنالك
يهلك **عن ابي بكر الصديق** رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج من ارض
بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه اقوام كان وجوههم المجان المطرقة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب **م عن انس** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا
عليهم الطيالسة **عن مجمع بن جارية** الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل
ابن مريم الدجال بباب لد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **قال الشيخ محيي الدين**
النووي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب الحق في صحة وجوده

وانه شخص

وانه يمحو بيمينه ابتلى الله به عباده بما قدره على يديه من المقدورات من احياء الميت الذي يقتله
ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب في معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وامره السماء ان تمطر فتمطر
والارض ان تنبت فتنبت ويقع ذلك بقدرة الله ومشيئته ثم يعجزه الله بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك
الرجل ولا غيره ويبطل امره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية
وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في انه صحيح الوجود ولكن
الذي ياتي به زعموا انها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا انه لو كانت حقا لما اشتبهت معجزات
الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون معه كالمصدق له وانما يدعي الربوبية
وهو في نفسه مدع وحاله مكذبة لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة
العور الذي في عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الا رعاع
من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق او خوفا من اذاه لان فتنته عظيمة جدا
تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فاما اهل التوفيق فلا يغترون به
ولا يخدعون لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله
قلت يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله من ذلك معناه هو
اهون على الله من ان يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما
جعله الله ليزداد الذين آمنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه انه ليس
معه شيء من ذلك لانه ثبت في الحديث ان معه ماء ونارا فماؤه نار وناره ماء بارد والله اعلم قوله عز
وجل وما يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء
اي لا يستوون قليلا ما تتذكرون ان الساعة يعني القيامة لآتية لا ريب فيها اي لا شك في قيامها ومجيئها
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي لا يصدقون بالبعث بعد الموت قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب
لكم اي اعبدوني دون غيري اجبكم واثبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة
استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء
هو العبادة ثم قرا وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من لم يسال الله يغضب عليه اخرجه الترمذي وعنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ليس شيء اكرم على الله من الدعاء اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب فان قلت
كيف قال ادعوني استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط
منها الاخلاص في الدعاء وان لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة
للانسان وان لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كمل الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما ان
يعجلها له واما ان يؤخرها له يدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما من رجل يدعو الله بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الاخرة واما ان يكفر
عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل
قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال
ان الذين يستكبرون عن عبادتي اي عن توحيدي وقيل عن دعائي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين
ذليلين قوله عز وجل الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي لتحصل لكم الراحة بسبب النوم
والسكون والنهار مبصرا اي ليحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومعاشكم ان الله لذو فضل على
الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم اي ذلكم المنفرد بالافعال الخاصة التي لا يشا
ركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية
والربوبية وخلق الاشياء كلها وانه لا شريك له في ذلك فانى تؤفكون اي فانى تصرفون عن الحق كذلك
اي كما افكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون الله الذي
جعل لكم الارض قرارا اي فرشا لتستقروا عليها وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت والسماء
بناء اي سقفا مرفوعا كالقبة وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن
عباس خلق ابن ادم قائما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن ادم يتناول بفيه ورزقكم من
الطيبات قيل هو ما خلق الله لعباده من المآكل والمشارب من غير رزق الدواب ذلكم الله ربكم
فتبارك الله رب العالمين هو الحي وهذا يفيد الحصر اي لا حي الا هو فيوجب ان يحمل ذلك على الذي يمتنع
ان يموت امتناعا دائما ثابتا وهو الله تعالى الذي يوصف بالحياة الكاملة لا اله الا هو والحي هو المدرك
الفعال وهذا اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية
بقوله لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين اي فادعوه واحمدوه قال
ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين
تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين وذلك حين دعي الى
الكفر امره الله تعالى ان يقول ذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب يعني اصلكم ادم وقيل
يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهي من الاغذية والاغذية من النبات والنبات
من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا يعني
ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث مراتب الطفولية وهي حال النمو والزيادة الى ان يبلغ
كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهو الشيخوخة ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل
ان يصير شيخا ولتبلغوا اي جميعا اجلا مسمى اي وقتا محدودا لا تجاوزونه يريد اجل الحياة الى الموت
ولعلكم تعقلون اي ما في هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته هو
الله الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي يكونه من غير كلفة ولا معاناة
ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته فانه
فله من الاقتدار اذا قضى الله امرا كان اهون شيء واسرعه قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون
في ايات الله يعني القرآن انى يصرفون اي عن دين الحق وقيل نزلت في القدرية الذين كذبوا

بالكتاب

بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون وعيد وتهديد ثم وصف ما وعدهم به فقال
اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون اي يجرون بتلك السلاسل في الحميم ثم في النار يسجرون
اي توقد بهم النار ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله يعني الاصنام قالوا ضلوا عنا اي فقدناهم
فلا نراهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا قيل انهم انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعوا شيئا ينفع
ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين اي كما اضل
هؤلاء ذلكم اي العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون اي تبطرون وتاشرون في الارض بغير الحق وبما
كنتم تمرحون اي تختالون وتفرحون ادخلوا ابواب جهنم يعني السبعة خالدين فيها
فبئس مثوى المتكبرين عن الايمان قوله عز وجل فاصبر ان وعد الله حق الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اي فاصبر على الاعداء فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك او نتوفينك
اي قبل ان يحل ذلك بهم فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك
اي خبره وحاله في القرءان ومنهم من لم نقصص عليك اي خبره وحاله في القرءان ولم نذكر لك حالهم الا بالنبي
وليس منهم احد الا اعطاه الله ايات معجزات الا وقد جادله قومه وكذبوه فيه وما جرى عليهم يقارب ما
جرى عليك فصبروا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي
بامره وارادته فاذا جاء امر الله اي قضاؤه بين الانبياء والامم قضي بالحق اي بالعدل وخسر هنالك
المبطلون اي الذين يجادلون في ايات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى
الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع اي في اصوافها واوبارها
واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم اي تحمل اثقالكم من بلد الى بلد في اسفاركم و
حاجتكم وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر ويريكم اياته اي دلائل قدرته
فاي ايات الله تنكرون يعني ان هذه الايات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يمكن انكاره
قوله تعالى افلم يسيروا اي في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم
واشد قوة واثارا في الارض يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو ساروا في اطراف الارض لعرفوا
ان عاقبة المتكبرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا وعددا واموالا من هؤلاء فما اغنى
عنهم اي لم ينفعهم ما كانوا يكسبون اي اي شيء اغنى عنهم كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا اي رضوا بما عندهم من العلم قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم باحوال
الدنيا سموه علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
فلما راوا باسنا اي عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي نتبرأ مما كنا
نعدل بالله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده يعني ان سنة
الله قد جرت في الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة الباس وهو العذاب يعني بتلك السنة
انهم اذا راوا العذاب امنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب وخسر هنالك الكافرون اي
بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا راى العذاب والله اعلم

تفسير سورة حم السجدة وتسمى فصلت وسورة المصابيح

وهي مكية وهي أربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة
وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم
تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته أي بينت وميزت جعلت معاني مختلفة من أحكام
وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد قرآنا عربيا أي باللسان العربي لقوم يعلمون أي إن لقاه على العرب
بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه بشيرا ونذيرا نعتان للقرآن أي بشيرا لأولياء
الله بالثواب ونذيرا لأعدائه بالعقاب فأعرض أكثرهم أي عنه فهم لا يسمعون أي لا يصغون إليه تكبرا
وقالوا يعني مشركي مكة قلوبنا في أكنة أي أغطية مما تدعونا إليه أي فلا نفقه ما تقول وفي آذاننا
وقر أي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى أنا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا
وبينك حجاب أي خلاف في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول فاعمل أي أنت على دينك
إننا عاملون أي على ديننا قل يا محمد إنما أنا بشر مثلكم أي كواحد منكم يوحى إلي أي لولا الوحي ما دعوتكم قال
الحسن علمه الله التواضع أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه أي توجهوا إليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله الهلكة
واستغفروه أي من ذنوبكم وشرككم وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال ابن عباس لا يقولون لا إله
إلا الله لأنها زكاة الأنفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بالزكاة المفروضة
إتيانها وأجابوا بمقال الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل لا ينفقون في
طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون أعمالهم وهم بالآخرة هم كافرون أي جاحدون بالبعث بعد الموت
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل
غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن العمل والطاعة
كتب لهم من الأجر كأصح ما كانوا يعملون فيه خ عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير مرة ولا مرتين يقول إذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض أو سفر كتب الله له كصالح ما كان يعمل
وهو صحيح مقيم قوله عز وجل قل أئنكم استفهام بمعنى الإنكار وذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله
وهو قوله لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وثانيهما وتجعلون له أندادا أي إثبات الشركاء والأنداد له
والمعنى كيف يجوز جعل هذه الأصنام الخسيسة أندادا لله تعالى مع أنه تعالى هو الذي خلق الأرض في يومين
يعني الأحد والاثنين ذلك رب العالمين أي هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الأنداد المنحوتة
من الأرض الخشب والحجر وجعل فيها رواسي أي جبالا ثوابت من فوقها أي من فوق الأرض وبارك فيها أي في
الأرض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار وخلق أصناف الحيوانات
وكل ما يحتاج إليه وقدر فيها أقواتها أي قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم وقيل قدر في كل بلدة ما
لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر الخبز لأهل قطر من الأرض والتمر لأهل قطر
آخر والذرة لأهل قطر والسمك لأهل قطر وكذا سائر الأقوات قيل إن الزراعة أكثر الحرف بركة لأن الله تعالى وضع
الأقوات في الأرض قال الله تعالى وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الأولين فخلق الأرض في يومين وقدر
الأقوات في يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فصار المجموع أربعة أيام رد الآخر على الأول في الذكر سواء للسائلين
معناه سواء لمن سأل عن ذلك فيكون الجواب سواء لا زيادة ولا نقصان في كم خلقت الأرض والأقوات ثم استوى

إلى السماء أي عمد إلى خلق السماء وهي دخان يعني أن ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق
السماوات والأرض على الماء فلما أراد الله تعالى أن يخلق السماوات والأرض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه
بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس الماء فخلق منه أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فإن قلت
هذه الآية مشعرة بأن خلق الأرض كان قبل خلق السماء وقوله والأرض بعد ذلك دحاها مشعر بأن خلق
الأرض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور أنه تعالى خلق الأرض أولا ثم
خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحى الأرض ومدها وجواب آخر وهو أن يقال إن خلق
السماء مقدم على خلق الأرض في يومين ليس الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير
أيضا فيكون المعنى قضى أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء فعلى هذا يزول الإشكال والله أعلم
بالحقيقة فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها أي ائتيا ما آمركما أي افعلاه وقيل افعلا ما
آمركما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرها فأجابتا بالطوع قالتا أتينا طائعين
معناه أتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقبول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما
أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد أما أنت يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك
وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك وقوله فقضاهن سبع سماوات أي أتمهن
وفرغ من خلقهن في يومين وهما الخميس والجمعة وأوحى في كل سماء أمرها قال ابن عباس خلق في كل
سماء خلقها من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله وقيل أوحى
إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي وزينا السماء الدنيا أي التي تلي الأرض بمصابيح أي بكواكب تشرق
كالمصابيح وحفظا أي وجعلناها يعني الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع
ذلك أي الذي ذكر من صنعه وخلقه تقدير العزيز أي في ملكه العليم أي بخلقه وفيه إشارة إلى كمال القدرة
والعلم قوله تعالى فإن أعرضوا يعني هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان فقل أنذرتكم أي
خوفتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء إذ
جاءتهم الرسل يعني إلى عاد وثمود من بين أيديهم يعني الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا
إليهم وهم هود وصالح وإنما خص هاتين القبيلتين لأن قريشا كانوا يمرون على بلادهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة يعني لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة بدل
هؤلاء الرسل فإنا بما أرسلتم به كافرون روى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة
والسحر فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر
وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي إن كان كذلك فأتاه فلما أتاه قال له يا محمد أنت خير أم هاشم
أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فإن كنت إنما بك الرياسة
عقدنا لك ألويتنا فكنت رأسنا ما بقيت وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش
وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم
فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت

ومن خلفهم يعني ومن بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم ح

دابا به الى قوله الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده
الرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا
قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فقال ابو جهل والله يا عتبة
ما حبسك عنا الا انك صبوت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك
عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته
وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرا السورة الى قوله فان
اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان
محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب **وقال محمد بن كعب القرظي** حدثنا ان
عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
وحده في المسجد فقال يا معشر قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل منها بعضها
فنعطيه ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة ورأوا اصحاب محمد يزيدون ويكثرون فقالوا بلى يا ابا الوليد
فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا حيث
علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت
احلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد فقال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك
من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه
لا تستطيع رده طلبنا لك الطب ولعل هذا شعر جاش به صدرك فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون
من ذلك على ما لا يقدر عليه حتى اذا فرغ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت يا ابا الوليد قال نعم
قال فاسمع مني قال افعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
آياته ثم مضى فيها يقرؤها فلما سمعها عتبة انصت له والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه
حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فقال سمعت يا ابا الوليد فانت وذاك
فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب
به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني قد سمعت قولا والله ما سمعت بمثله
ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه
فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على
العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا
رايي لكم فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل **فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا
من اشد منا قوة** وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا
وكانوا ذوي اجسام طوال قال الله ردا عليهم **اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة
وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا** اي عاصفا شديدة الصوت وقيل هي
الريح الباردة **وقيل** ان الرياح ثمانية فاربعة منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف

اي اولم يعلموا

والعقيم وأربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل وأرسل عليهم من
الريح على قدر خرق الخاتم فأهلكوا جميعا في أيام نحسات أي نكدات مشؤومات ذات نحس وقيل إن
عادا روي أنه ما نبت الا ما يكاد يبقى فيه ويبقى فيه وقيل أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين
ودام عليهم الريح من غير مطر كلها لنذيقهم عذاب الخزي أي عذاب الذل والهوان وهو مقابل لقوله ۝
فاستكبروا في الأرض بغير الحق ولعذاب الآخرة أخزى أي أشد إهانة وهم لا ينصرون أي لا يمنعون
من العذاب وأما ثمود فهديناهم قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر
فاستحبوا العمى على الهدى أي اختاروا الكفر على الإيمان فأخذتهم صاعقة العذاب الهون أي ذي
الهوان بما كانوا يكسبون أي من الشرك ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون أي يتقون الشرك
والأعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه قوله تعالى ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم
يوزعون أي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم حتى إذا ما جاؤوها يعني
النار شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم أي بشراتهم وقيل فروجهم بما كانوا يعملون
معناه أن الجوارح تنطق بما كتمت الألسن من عملهم م عن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فضحك فقال هل تدرون مما أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرني من
الظلم قال فيقول بلى فيقول فإني لا أجيز اليوم على نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم ۝
عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله
ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقالوا يعني الكفار الذين يحشرون
إلى النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء معناه أن القادر الذي
خلقكم أول مرة في الدنيا وأنطقكم ثم أعادكم بعد الموت قادر على إنطاق الأعضاء والجوارح وهو قوله تعالى
وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وقيل تم الكلام عند قوله الذي أنطق كل شيء ثم ابتدأ بقوله
وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وقيل لأنه ليس من جواب الجلود وما كنتم تستترون أي تستخفون
وقيل معناه تظنون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم والمعنى أنكم لا تقدرون على ۝
الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون أنها تشهد عليكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
قال ابن عباس كان الكفار يقولون إن الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر ق عن
عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحم
بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول فقال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع
إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله وما كنتم تستترون أن
يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي هو
عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان ابن أمية قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم أي ظنكم أن الله لا يعلم ما تعملون أرداكم أي أهلككم وقال ابن عباس طرحكم في النار ۝
فأصبحتم من الخاسرين ثم أخبر عن حالهم بقوله فإن يصبروا فالنار مثوى لهم أي مسكن وإن يستعتبوا
أي يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل فما هم من المعتبين

في الحياة الدنيا أي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا

اي المرضيين وقيضنا لهم اي بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا وسببنا لهم قرناء اي نظراء من الشياطين
حتى اضلوهم فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم اي من امر الدنيا حتى آثروه على الآخرة وما
خلفهم اي فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم اعمالهم القبيحة
الماضية والمستقبلة وحق عليهم القول اي وجب في امم اي مع امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس
انهم كانوا خاسرين قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي قريش لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه قال ابن عباس يعني والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم
يوصي الى بعض اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل اكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما
يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا في وجهه لعلكم تغلبون يعني محمدا على
قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ يعني باسوإ الذي كانوا يعملون
اي في الدنيا وهو الشرك ذلك اي الذي ذكر من العذاب جزاء اعداء الله ثم بين ذلك الجزاء فقال النار
لهم فيها دار الخلد اي دار الاقامة لا انتقال لهم عنها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال
الذين كفروا اي في النار ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعني ابليس وقابيل بن آدم الذي
قتل اخاه لانهما سنا المعصية نجعلهما تحت اقدامنا اي في النار ليكونا من الاسفلين اي في الدرك
الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
قال اهل التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وراس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى
واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله وراس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما في الوسط
غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في امر الدين والتوحيد وتكون في الاعمال الصالحة
سئل ابو بكر الصديق عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب
الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان استقاموا اخلصوا في
العمل وقال علي ادوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على الطاعة اي لله فعملوا بطاعته
واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه
الآية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس عند
الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر
وعند البعث ان لا تخافوا اي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر الآخرة ولا تحزنوا
على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا
اغفرها لكم وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم اي تقول لهم الملائكة عند نزولهم بال
بشرى نحن اولياؤكم اي انصاركم واحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم في الحياة الدنيا
ونحن اولياؤكم في الآخرة ولا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ولكم فيها اي في الجنة ما تشتهي انفسكم اي
من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون اي تتمنون نزلا اي رزقا والنزل رزق النزيل وهو الضيف
من غفور رحيم قال اهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا
اعطى هذا النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى

الله

4

إلى الله أي إلى طاعة الله قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقيل هو المومن أجاب الله فيما دعاه إليه ودعا الناس إلى ما أجاب إليه وعمل صالحا في إجابته وقالت عائشة أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين وقيل إنه كل من دعا إلى الله بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية وللدعوة إلى الله مراتب فالأولى دعوة الأنبياء إلى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق ولم تحصل لغير الأنبياء. المرتبة الثانية دعوة العلماء إلى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء بأحكام الله. المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين إلى الله بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين إلى الصلاة فهم أيضا دعاة إلى الله وإلى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الأذان والإقامة وعن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة قال في الثالثة لمن شاء عن أنس بن مالك قال الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن وقال إنني من المسلمين قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم إليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الإسلام مع التلفظ به قوله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا السيئة يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والإساءة ادفع بالتي هي أحسن قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الإساءة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم أي الصديق القريب قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وذلك لأنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالإسلام حميما بالقرابة وما يلقاها أي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم أي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها إلا من وجبت له الجنة وإما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه أي يبعثه على ما لا ينبغي ومعنى الآية وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن فاستعذ بالله أي من شره إنه هو السميع أي لاستعاذتك العليم بأحوالك قوله تعالى ومن آياته أي ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر أي لأنهما عبدان مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لأن السجود عن نهاية التعظيم واسجدوا لله الذي خلقهن أي المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر إن كنتم إياه تعبدون يعني أن ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون أن سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله فنهوا عن السجود لهذه الوسائط وأمروا بالسجود لله الذي خلق هذه الأشياء كلها فإن استكبروا أي عن السجود لله فالذين عند ربك يعني

يعني الملايكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون اي لا يفترون ولا يملون فصل
وهذه السجدة من عزايم سجود التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعي
احدهما انه عند قوله ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن ابي
حنيفة واحمد لانه ذكر السجدة قبله والثاني وهو الاصح عند اصحاب الشافعي وكذا نقله الرافعي
انه عند قوله وهم لا يسئمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري
عن ابي حنيفة لان عنده يتم الكلام ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير قوله تعالى ان الذين
يلحدون اي يميلون عن الحق في آياتنا اي في ادلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغط وقيل يكذبون
في آياتنا ويعاندون ويشاقون لا يخفون علينا تهديد ووعيد قيل نزلت في ابي جهل افمن يلقى
في النار هو ابو جهل خير ام من ياتي آمنا يوم القيامة المعنى الذين يلحدون في آياتنا يلقون في
النار والذين يومنون بآياتنا ياتون آمنين يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل هو عثمان وقيل عمار بن
ياسر اعملوا ما شئتم امر تهديد ووعيد انه بما تعملون بصير اي انه عالم باعمالكم فيجازيكم بها
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم يعني القرآن وفي جواب ان وجهان احدهما انه محذوف تقديره ان
الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثاني جوابه اولئك ينادون من مكان بعيد ثم اخذ في وصف
الذكر فقال تعالى وانه لكتاب عزيز قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز العديم النظير وذلك
ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره
وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فياتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فياتيه الباطل من خلفه
وعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا ياتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء
بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات
حتى يصل اليه وقيل لا ياتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تاخر تنزيل من حكيم اي
في جميع افعاله حميد اي الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
على تكذيبهم اياه فقال عز وجل ما يقال لك اي من الاذى والتكذيب الا ما قد قيل للرسل من قبلك
يعني انه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت ان ربك لذو مغفرة اي لمن تاب
وآمن بك وذو عقاب اليم اي لمن اصر على التكذيب قوله عز وجل ولو جعلناه اي هذا الكتاب
الذي قراه على الناس قرآنا اعجميا اي بغير لغة العرب لقالوا لولا فصلت آياته اي هلا بينت
آياته بالعربية حتى نفهمها أأعجمي وعربي يعني اكتاب اعجمي ورسول عربي وهذا استفهام انكار
المعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل عجميا وقيل في معنى
الآية انا لو انزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف انزل الكلام العجمي الى القوم العرب ويصح
قولهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي آذاننا وقر لا نفهمه ولا نحيط بمعناه اما لما انزلنا هذا القرآن
بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي آذاننا وقر وقيل

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا
فكيهة فقال المشركون إنما يعلمه يسار فضربه سيده وقال إنك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمني
فأنزل الله هذه الآية قل يا محمد هو يعني القرآن للذين آمنوا هدى أي من الضلالة وشفاء أي لما في
القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الأوجاع والأسقام والذين لا يؤمنون في آذانهم
وقر وهو عليهم عمى أي صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به أولئك ينادون من مكان
بعيد أي كأن من يدعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم
ينادون من حيث لا يسمعون ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه أي فمصدق به ومكذب
كما اختلف قومك في كتابك ولولا كلمة سبقت من ربك أي في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن
لقضي بينهم أي لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم وإنهم لفي شك منه مريب أي من كتابك وصدقك
من عمل صالحا فلنفسه أي يعود نفع إيمانه وعمله على نفسه ومن أساء فعليها أي ضر إساءته
وكفره يعود على نفسه وما ربك بظلام للعبيد يعني فيعذب غير المسيء قوله عز وجل إليه يرد
علم الساعة يعني إذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله ولا سبيل للخلق
إلى معرفة ذلك وما تخرج من ثمرة من أكمامها أي من أوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل أن ينشق
وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه أي يعلم عدد أيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر هو
الحمل أم أنثى ومعنى الآية كما يرد إليه علم الساعة فكذلك يرد إليه علم ما يحدث من شيء كالثمار
والنتاج وغيره فإن قلت قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشوف قولا فيصيب فيه
وكذلك الكهان والمنجمون قلت أما أصحاب الكشف إذا قالوا قولا فهو من إلهام الله وإطلاعه
إياهم عليه فكان من علمه الذي يرد إليه وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء
مما يقولونه البتة وإنما غايتهم ادعاء ظن ضعيف قل ما يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين
المقطوع به الذي لا يشركه فيه أحد ويوم يناديهم أي ينادي الله المشركين فيقول أين شركائي الذين
كنتم تزعمون أي أنها آلهة قالوا يعني المشركين آذناك أي أعلمناك ما منا من شهيد أي يشهد
أن لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤوا من الأصنام وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل أي يعبدون
في الدنيا وظنوا ما لهم من محيص أي مهرب قوله تعالى لا يسأم الإنسان أي لا يمل الكافر من دعاء الخير
يعني لا يزال يسأل ربه الخير وهو المال والصحة وإن مسه الشر أي الشدة والفقر فيؤوس أي من روح
الله قنوط أي من رحمته ولئن أذقناه رحمة منا أي آتيناه خيرا وعافية وغنى من بعد ضراء مسته
أي من بعد شدة وبلاء أصابه ليقولن هذا لي أي أستحقه بعملي وما أظن الساعة قائمة أي ولست على يقين
من البعث ولئن رجعت إلى ربي يقول هذا الكافر فإن كان الأمر على ذلك ورجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى
أي الجنة والمعنى كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة فلننبئن الذين كفروا بما عملوا قال
ابن عباس لنوقفنهم على مساوي أعمالهم ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا أنعمنا على الإنسان
أعرض ونأى بجانبه أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وإذا مسه الشر أي الشدة والفقر فذو دعاء
عريض أي كثير قل يا محمد لكفار مكة أرأيتم إن كان من عند الله يعني هذا القرآن ثم كفرتم به

اي جحدتموه من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا اضل منكم سنريهم
آياتنا في الآفاق قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية وفي انفسهم اي البلايا والامراض وقيل
ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد والمسلمين وفي انفسهم هو فتح
مكة حتى يتبين لهم انه الحق يعني دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل
يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل في الآفاق يعني اقطار السماء والارض
من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفي انفسهم يعني من لطيف الحكمة وبديع
الصنعة حتى تبين لهم انه الحق يعني لا يقدر على هذا الا الله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء
شهيد يعني يشهد ان القرآن من عند الله وقيل اولم يكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي اوضحها
الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شيء الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك عظيم
من البعث والقيامة الا انه بكل شيء محيط اي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها احاط بكل
شيء علما واحصى كل شيء عددا والله اعلم

تفسير سورة حم عسق

وتسمى سورة الشورى وهي مكية في قول ابن عباس والجمهور وحكي عن ابن عباس الا اربع آيات
نزلت بالمدينة اولها قل لا اسألكم عليه اجرا وقيل فيهن من المؤمنين ذلك الذي يبشر الله عباده الى قوله
بذات الصدور وقوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهي ثلاث وخمسون
آية وثمانمائة وست وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم عسق سئل الحسين بن الفضل لم قطعت
حم عسق ولم يقطع المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور اولها حم فجرت مجرى نظائرها
فكان حم مبتدا وعسق خبره لا حم عسق عدتا آيتين وعدت اخواتها التي لم تقطع آية واحدة وقيل
لان اهل التاويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انها حروف التهجي واختلفوا في حم فاخرجها
بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم اي قضي وبقي عسق على اصله وقال
ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته اقسم الله بها وقيل ان العين من العزيز
والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب في قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك
يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنين كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه وقيل
هذا في شان محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوض المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين
سناؤه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المعبود قال ابن عباس ليس من نبي صاحب
كتاب الا وقد اوحي اليه حم عسق فلذلك قال تعالى كذلك الله يوحي اليك والى الذين من قبلك
وقيل معناه كذلك يوحي اليك اخبار الغيب كما اوحينا الى الذين من قبلك الله العزيز في ملكه الحكيم
في صنعه والمعنى كانه قيل من يوحي فقيل الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وبين سعة ملكه فقال تعالى
له ما في السماوات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السماوات يتفطرن
من فوقهن اي من فوق الارضين وقيل تتفطر كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى وقيل

من قول المشركين

المشركين اتخذ الله ولدا والملائكة يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بأمر
ربهم ويستغفرون لمن في الارض اي من المومنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملا
يكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من في الارض اما في حق الكفار فبواسطة الشيطان طلب الايما
نهم ويحتمل ان يكون المراد بالاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقوبة واما في حق المومنين فيتجاوز
عن سيئاتهم وقيل استغفارهم لمن في الارض هو سوال الرزق لهم فيدخل فيهم المومن والكافر
الا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه يعطي المغفرة التي سالوها ويضم اليها بمنه وكرمه الرحمة
التامة الشاملة قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء اي جعلوا له شركاء وانداد الله حفيظ
عليهم اي رقيب على احوالهم واعمالهم وما انت عليهم بوكيل اي لم نوكل اليهم حتى تؤخذ بهم انما
انت نذير وكذلك اي ومثل ما ذكرنا اوحينا اليك قرءانا عربيا لتنذر ام القرى يعني مكة والمراد
اهلها ومن حولها يعني قرى الارض كلها وتنذر يوم الجمع اي وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة
يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السماوات واهل الارض لا ريب فيه اي لا شك في الجمع انه كائن
ثم بعد الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال
اتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين
باسماء اهل الجنة واسماء ابائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان
يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله
عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء
ابائهم وعشائرهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم
في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة فقال
عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا فقال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل
الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق
في السعير عدل من الله اخرجه احمد بن حنبل في مسنده قوله تعالى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة
قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي في دينه الاسلام
والظالمون اي الكافرون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب ولا نصير اي يمنعهم من العذاب ام اتخذوا
يعني الكفار من دونه اولياء فالله هو الولي قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك
وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير يعني من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن
لا يكون بهذه الصفة فليس بولي وما اختلفتم فيه من شيء اي من امر الدين فحكمه الى الله اي يقضي
فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته ذلكم الله اي الذي
يحكم بين المختلفين هو ربي عليه توكلت اي في جميع اموري واليه انيب اي واليه ارجع في كل المهمات
فاطر السماوات والارض جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا اي حلائل وقيل اناثا قال

انفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم ومن الانعام ازواجا اي اصنافا ذكرانا واناثا يذرؤكم اي يخلقكم
وقيل يكثركم فيه اي في الرحم وقيل في البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل
حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين من الناس والانعام
الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء من الانعام وقيل بمعنى الباء اي يذرؤكم به اي يكثركم بالتزويج
ليس كمثله شيء المثل صلة اي ليس هو كشيء وقيل الكاف صلة مجاز ليس مثله شيء قال ابن عباس ليس
له نظير فان قلت هذه الاية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض يقتضي
اثبات المثل فما الفرق قلت المثل هو الذي يكون مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية وقوله
ليس كمثله شيء معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس او يكون معناه ليس لانه سبحانه وتعالى
مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد فقد
علم بهذا التقسيم معنى ما يبين حصل الفرق بينهما وهو السميع اي لسائر المسموعات البصير اي لسائر المبصرات
له مقاليد السماوات والارض اي مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الارض النبات يدل عليه قوله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني انه يعني انه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق
بيده انه بكل شيء عليم اي من البسط والضيق قوله عز وجل شرع لكم من الدين اي بين وسن لكم طريقا
واضحا من الدين اي دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله ما وصى به نوحا يعني انه اول الانبياء
اصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا والذي اوحينا اليك اي من القرآن وشرائع
الاسلام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء
واصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة واولو العزم ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاعلام
من رسله بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد من اقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه و
ورسله واليوم الآخر والطاعة لله في اوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التي
هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وقيل اراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن
وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله بالوحدانية والطاعة به التوحيد
وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة كبر على المشركين ما تدعوهم
اليه اي من التوحيد ورفض الاوثان الله يجتبي اليه من يشاء اي يصطفي لدينه من يشاء من عباده ويهدي
اليه من ينيب اي يقبل الى الطاعة وما تفرقوا يعني اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعني اهل الكتاب الا من
بعد ما جاءهم العلم اي بان الفرقة ضلالة بغيا بينهم اي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم
على محمد صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك اي في تأخير العذاب عنهم الى اجل مسمى يعني الى يوم
لقضي بينهم اي بين من آمن وكفر يعني انزل العذاب بالمكذبين في الدنيا وان الذين اورثوا الكتاب يعني اليهود
والنصارى من بعدهم اي من بعد انبيائهم وقيل من الامم الخالية لفي شك منه اي من امر محمد صلى الله عليه
وسلم فلا يؤمنون به مريب يعني مرتابين شاكين فيه فلذلك اي فالى ذلك فادع اي الى ما وصى الله به الانبياء من
التوحيد وقيل لاجل ما حدث من الاختلاف الكثير في الدين فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية ٥

واستقم

واستقم كما أمرت أي اثبت على الدين الذي أمرت به ولا تتبع أهواءهم أي المختلفة الباطلة وقل آمنت بما
أنزل الله من كتاب أي آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لأن المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وجحدوا ببعض
وأمرت لأعدل بينكم قال ابن عباس أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام وقيل
لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء وقيل لأعدل بينكم في الحكم إذا تخاصمتم وتحاكمتم الله ربنا
وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم يعني أن الإله واحد وكل مخصوص بعمل نفسه وإن اختلفت أعمالنا فكل
يجازى بعمله لا حجة أي لا خصومة بيننا وبينكم وهذه الآية منسوخة الله يجمع بيننا وبينكم
أي في المعاد لفصل القضاء وإليه المصير قوله تعالى والذين يحاجون في الله أي يخاصمون في دين الله
قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من
بعد ما استجيب له أي من بعد ما استجاب الناس لرسول الله فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور
معجزة النبي صلى الله عليه وسلم حجتهم داحضة أي خصومتهم باطلة عند ربهم وعليهم غضب
ولهم عذاب شديد أي في الآخرة الله الذي أنزل الكتاب بالحق أي الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل
والأحكام والميزان أي العدل سمي العدل ميزانا لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية قال ابن عباس أمر
الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس وما يدريك لعل الساعة قريب أي وقتها إنما قال ذلك لأن النبي
صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فأنزل
الله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها أي ظنا منهم أنها غير آتية والذين آمنوا مشفقون
أي خائفون منها ويعلمون أنها الحق أي أنها آتية لا شك فيها ألا إن الذين يمارون أي يخاصمون في
الساعة وقيل يشكون فيها لفي ضلال بعيد قوله عز وجل الله لطيف بعباده أي كثير الإحسان
إليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق وقيل اللطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا
بمعاصيهم يدل عليه قوله يرزق من يشاء يعني أن الإحسان والبر عام في حق كل العباد وهو
إعطاء ما لا بد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذي روح فهم ممن يشاء أن يرزقه الله وقيل العدح
اللطيف في الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات والثاني أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة
وهو القوي العزيز أي الذي لا يغالب ولا يدافع من كان يريد حرث الآخرة أي كسب الآخرة والمعنى
من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما يشاء من الزيادة وقيل
أنا نزيد في توفيقه وإعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه ومن كان يريد حرث الدنيا
يعني يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة نؤته منها أي ما قدر وقسم له منها وما له في الآخرة من نصيب
يعني لأنه لم يعمل لها على الآخرة نؤته منها أي ما قدر وقسم له منها وما له في الآخرة من نصيب يعني لأنه
لم يعمل لها عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والتمكين
في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ذكره في جامع الأصول ولم يعزه إلى أحد الكتب
الستة وأخرجه البغوي بإسناده قوله تعالى أم لهم يعني كفار مكة شركاء يعني الأصنام وقيل
الشياطين شرعوا لهم من الدين قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الإسلام ما لم يأذن به الله
يعني أن تلك الشرائع بأسرها على خلاف دين الله الذي أمر به وذلك أنهم زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل

لأنهم لا يعلمون غيرها **ولولا كلمة الفصل** يعني أن الله حكم في تأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة **لقضي**
بينهم أي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا **وإن الظالمين** يعني المشركين **لهم عذاب أليم** أي في الآخرة
ترى الظالمين يعني يوم القيامة **مشفقين** أي وجلين خائفين **مما كسبوا** أي من السيئات والأعمال الخبيثة
وهو واقع بهم أي جزاء كسبهم واقع بهم **والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات**
كأن روضة الجنة أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات به وفيه تنبيه على
أن في الجنة منازل غير الروضات هي لمن دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة **لهم ما يشاء** ون
عند ربهم أي من الكرامة **ذلك هو الفضل الكبير** أي الذي ذكر من نعيم الجنة **ذلك** يعني الذي ذكر من
نعيم الجنة **الذي يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات** قوله عز وجل **قل لا**
أسألكم على تبليغ الرسالة **أجرا** أي جزاء **إلا المودة في القربى** خ عن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه سئل عن قوله إلا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت إن النبي
صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة
وعن ابن عباس أيضا في قوله إلا المودة في القربى يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي
وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك خ عن ابن عمر أن أبا بكر قال
ارقبوا محمدا في أهل بيته **واختلفوا في قرابته** فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وقيل
أهل بيته من تحرم عليه الصدقة من أقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا
إسلام م عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى
والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله
في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال
نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل
عباس **فإن قلت** طلب الأجر على تبليغ الرسالة لا يجوز لقوله في قصة نوح وغيره من الأنبياء
وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين **قلت** لا نزاع في أنه لا يجوز طلب الأجر على تبليغ
الرسالة بقي الجواب عن قوله إلا المودة في القربى **والجواب** عنه من وجهين الأول معناه لا
أطلب منكم إلا هذا وهذا في الحقيقة ليس بأجر ومنه قول الشاعر: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب معناه إذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولأن المودة بين
المسلمين أمر واجب وإذا كان كذلك في حق جميع المسلمين كان في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أولى
فقوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى والمودة في القربى ليست أجرا في الحقيقة لأن قرابته
قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة فثبت أنه لا أجر البتة **والوجه الثاني** أن هذا استثناء منقطع
وتم الكلام عند قوله لا أسألكم عليه أجرا ثم ابتدأ فقال إلا المودة في القربى أي لكن أذكركم المودة
في القربى وأذكركم قرابتي منكم في الذين هم من قرابتكم فلا تؤذوهم **وقيل** هذه منسوخة ونزلت هذه الآية
بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فأمرهم فيها بمودة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه أحب الله أن يلحقه

بإخوانه

باخوانه من النبيين فان قيل ما اسألكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فصار منه هذه الاية ناسخة لقوله
قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه
الاية غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه من فرايض الدين وهو قول السلف
فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الاية وروي عن ابن عباس في معنى هذه الاية قول اخر قال الا ان تودوا
الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله والتودد اليه ط
بالطاعة والعمل الصالح وقوله تعالى ومن يقترف حسنة اي يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا
اي بالتضعيف ان الله غفور للذنوب شكور اي للقليل من الاعمال حتى يضاعفها ام يقولون بل يقولون
كفار مكة افترى على الله كذبا فيه توبيخ لهم معناه ايقع في قلوبهم ويجري على السنتهم ان ينسبوا مثله
الى الكذب وانه افترى على الله كذبا وهو افحش انواع الكذب فان يشا الله يختم على قلبك اي يربط على قلبك
بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرءان وما اتاك فاخبرهم
انه لو افترى على الله الكذب لفعل به ما اخبر في هذه الاية ويمح الله الباطل اخبر الله تعالى انما يقولونه با
لباطل والله يمحوه ويحق الحق بكلماته اي يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله ذلك فمحى باطلهم واعلى
كلمة الاسلام انه عليم بذات الصدور قال ابن عباس لما نزلت قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة
في القربى وقع في قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه
وانزل هذه الاية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده قال ابن عباس يريد اولياءه واهل طاعته فصل في ذكر التوبة وحكمها
قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق ادمي فلها
ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث يعزم على ان لا يعود اليها
ابدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق
بحق ادمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرا من حق صاحبها فهذه شروط التوبة
وقيل التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله
التستري التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة خ عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين
مرة م عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب
في اليوم مائة مرة ق عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله افرح
بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام
نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى
مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته
عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المومن من هذا براحلته وزاده :. الدوية
الفلاة والمفازة ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره
وقد اضله في ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اشد فرحا بتوبة عبده

قف على تفسير الدوية

حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع
في ظلها وقد أيس من راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منه فبينما
هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك
أخطأ من شدة الفرح عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك
قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها الآية أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب م عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن
الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل
حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عز وجل ويعفو عن السيئات أي يمحوها إذا تابوا ويعلم
ما تفعلون يعني من خير أو شر فيجازيهم عليه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يعني من خير أو شر يجيب المؤمنون الله فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب للذين آمنوا
إذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين آمنوا ويزيدهم من فضله أي سوى ثواب أعمالهم
تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم في إخوانهم ويزيدهم من فضله قال في إخوان إخوانهم
والكافرون لهم عذاب شديد قوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده قال خباب
ابن الأرت فينا نزلت هذه الآية وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع
فتمنيناها فأنزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده أي وسع الله الرزق لعباده لبغوا أي لطغوا
وعتوا في الأرض قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد
ملبس وقيل إن الإنسان متكبر بالطبع فإذا وجد الغنى والقدرة رجع إلى مقتضى خلقته
وهو التكبر وإذا وقع في شدة ومكروه وبلاء انكسر فرجع إلى الطاعة والتواضع وقيل إن البغي
مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لأن النفس مائلة إلى الشر لكنها إذا كانت فاقدة لا
لآلة كان الشر أقل وإذا كانت واجدة كان الشر أكثر فثبت أن وجدان المال يوجب الطغيان
ولكن ينزل بقدر ما يشاء يعني أرزاقهم لمصالح عباده وهو قوله إنه بعباده خبير بصير
يعني أنه تعالى عالم بأحوال عباده وبطبائعهم وعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل
على ذلك ما روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل
من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب
إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه
فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وما ترددت
في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وإن
من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك وإن
من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن

لا يصلح

لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين من لا يصلح ايمانه الا الصحة
ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لا
فسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير اخرجه البغوي باسناده قوله تعالى
وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل
حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم ان الله امطرهم فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول
النعمة بعد الشدة اتم وينشر رحمته يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب
وهو الولي اي لاهل طاعته الحميد اي المحمود على ما يوصل الى الخلق من اقسام رحمته ومن آياته
خلق السموات والارض وما بث اي اوجد فيهما اي في السموات والارض من دابة فان قلت
كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب في اللغة المشي الخفيف على الارض
فيحتمل ان يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل
يحتمل ان الله خلق في السموات انواعا من الحيوان يدبون دبيب الانسان وهو على جمعهم اذا
يشاء قدير يعني يوم القيامة قوله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
يعني ان المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق
والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت ايديكم من الذنوب والمعاصي ويعفو عن كثير
قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا
عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابي سخيلة قال قال علي بن ابي طالب الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله حدثنا
به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير
وسأفسرها لك يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان
يثني عليكم العقوبة في الاخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعود بعد عفوه وقال
عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها او درجة لم يكن
الله ليبلغه الا بها ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المومن شوكة
فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة وما انتم بمعجزين اي بفائتين في
الارض هربا يعني لا تعجزوني حيث ما كنتم وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير قوله تعالى
ومن آياته الجوار يعني السفن في البحر كالاعلام اي كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب فهو
علم ان يشأ يسكن الريح التي تجري بها السفن فيظللن يعني السفن الجواري رواكد اي ثوابت على
ظهره اي على ظهر البحر لا تجري ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وهذه صفة المومن لانه يصبر في
الشدة ويشكر في الرخاء او يوبقهن اي يغرقهن ويهلكهن بما كسبوا اي بما كسبت ركابها من الذنوب
ويعف عن كثير اي من ذنوبهم فلا يعاقب عليها ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من
محيص يعني يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله ما لهم من مهرب من عذابه فما اوتيتم
من شيء اي من زينة الدنيا فمتاع الحياة الدنيا اي ليس هو من زاد المعاد وما عند الله اي من الثواب

خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والمعنى ان المومن والكافر يستويان في متاع الدنيا
فاذا صار الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خير للمومن والذين يجتنبون كبائر الاثم يعني كل
ذنب يعظم عقوبته كالقتل والزنى والسرقة وشبه ذلك والفواحش يعني ما عظم قبحه من الافعال
واذا ما غضبوا هم يغفرون يعني يكظمون الغيظ ويحلمون والذين استجابوا لربهم اي اجابوه لما
دعاهم اليه من طاعته واقاموا الصلاة يعني المفروضة وامرهم شورى بينهم يعني يتشاورون
فيما بينهم فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون براي ما لم يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم الا هدوا
لارشد امرهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي يعني الظلم والعدوان هم
ينتصرون يعني ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله المومنين صنفين صنف
يعفون عن من ظلمهم من غير تعد فبدا بذكرهم وهو قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون
من ظالميهم وهم الذين ذكروا في هذه الاية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم
فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغراء للسفيه قال عطاء هم المومنون الذين اخرجهم الكفار
من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرع
الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها سمى الجزاء سيئة وان
لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل لان الجزاء يسوء من ينزل به قيل هو جواب القبيح
اذا قيل اخزاك الله فقل له اخزاك الله ولا تزد واذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل
هو القصاص في الجراحات والدماء يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل ان الله لم يرغب في الانتصار
بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى فمن عفا اي عن من ظلمه واصلح اي بالعفو بينه
وبين الظالم فاجره على الله قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله
اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرا هذه الاية انه لا يحب الظالمين قال ابن عباس الذين يبدؤون بالظلم
ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ظلم الظالم اياه فاولئك يعني المنتصرين ما عليهم من سبيل
اي بعقوبة ومؤاخذة انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي يبدؤون بالظلم ويبغون
في الارض بغير الحق اي يعملون فيها بالمعاصي اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر اي لم ينتصر
وغفر اي تجاوز عن ظالمه ان ذلك اي الصبر والتجاوز لمن عزم الامور يعني ان ترك الانتصار من عزم
الامور الجيدة التي امر الله بها وقيل ان الصابر يوتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب اتم عزم
ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده يعني ما له من احد يلي هدايته بعد اضلال الله اياه او يمنعه
من عذابه وترى الظالمين لما راوا العذاب يعني يوم القيامة يقولون هل الى مرد من سبيل
يعني انهم يسالون الرجعة الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها اي على النار خاشعين من الذل
اي خاضعين متواضعين ينظرون من طرف خفي يعني يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة في
انفسهم وقيل ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم
يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
يعني بان صاروا الى النار واهليهم يوم القيامة يعني وخسروا اهليهم بان صاروا الى غيرهم في

في الجنة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء من دون الله ومن يضلل الله
فما له من سبيل أي وصول إلى الحق ينصرونهم في الدنيا والجنة والعقبى فقد انسد عليهم طرق
الخير استجيبوا لربكم أي أجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل أن يأتي
يوم لا مرد له من الله أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت
ما لكم من ملجإ يومئذ أي ما لكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت وما لكم من نكير أي من
منكر لما حل بكم وقيل النكير الإنكار يعني لا تقدرون أن تنكروا من أعمالكم شيئا فإن أعرضوا
أي عن الإجابة فما أرسلناك عليهم حفيظا أي تحفظ أعمالهم إن عليك إلا البلاغ أي ليس إلا
البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة قال ابن عباس يعني
الغنى والصحة فرح بها وإن تصبهم سيئة أي قحط بما قدمت أيديهم أي من الأعمال الخبيثة فإن
الإنسان كفور أي لما تقدم من نعمة الله عليه قوله عز وجل لله ملك السماوات والأرض يعني له
التصرف فيهما بما يريد يخلق ما يشاء أي لا يقدر أحد أن يعترض عليه في ملكه وإرادته يهب لمن يشاء
إناثا أي فلا يولد له ذكر ويهب لمن يشاء الذكور أي فلا يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا
أي يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث ويجعل من يشاء عقيما أي فلا يولد له فيصل هذا في
الأنبياء عليهم السلام فقوله يهب لمن يشاء إناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان
ويهب لمن يشاء الذكور يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى
عليهما السلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل وإلا فالآية عامة في جميع الناس إنه عليم أي
بما يخلق قدير أي على ما يريد أن يخلق قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا قيل في
سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما
كلمه موسى ونظر إليه فقال لم ينظر موسى إلى الله فأنزل الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا
أي يوحي إليه في المنام أو بالإلهام كما رأى إبراهيم في المنام أن يذبح ولده وهو وحي وكما ألهم أم
موسى أن تقذفه في البحر أو من وراء حجاب أي يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى
أو يرسل رسولا يعني من الملائكة إما جبريل أو غيره فيوحي بإذنه ما يشاء يعني يوحي ذلك
الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على أنه لا يكلم بشرا إلا من وراء
حجاب في الدنيا وسيأتي بيان هذه المسألة إن شاء الله تعالى في سورة النجم إنه علي أي عن صفات
المخلوقين حكيم أي في جميع أفعاله قوله عز وجل وكذلك أي وكما أوحينا إلى سائر رسلنا أوحينا
إليك روحا من أمرنا قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لأن به حياة الأرواح وقيل رحمة وقيل جبريل
ما كنت تدري أي قبل الوحي ما الكتاب يعني القرآن ولا الإيمان اختلف العلماء في هذه الآية
مع اتفاقهم على أن الأنبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي شرائع
الإيمان ومعالمه وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة الإيمان في هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله
ليضيع إيمانكم يعني صلاتكم ولم يرد به الإيمان الذي هو الإقرار بالله تعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم

كان قبل النبوءة يوحد الله ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا ياكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين
ابراهيم عليه السلام ولم يتبين له شرايع دينه الا بعد الوحي اليه **ولكن جعلناه نورا** قال ابن عباس يعني الايمان
وقيل القرءان لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله **نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي** اي لتدعوا
الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام **صراط الله** يعني امور الخلايق في الاخرة فيثيب المحسن ويعاقب
المسيء والله اعلم

تفسير سورة الزخرف وهي مكية وهي تسع وثمانون اية

وثلاثة وثلاثون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة حرف **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **حم** وثمان مائة
والكتاب المبين اقسم بالكتاب وهو القرءان الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما يحتاج اليه الامة من
الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم **انا جعلناه** اي صيرنا قراءة هذا الكتاب عربيا
وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه **قرءانا عربيا لعلكم تعقلون** اي معانيه واحكامه
وانه يعني القرءان **في ام الكتاب** اي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ما خلق القلم فامره ان يكتب ما يريد
ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ وانه في ام الكتاب **لدينا** فالقرءان مثبت عند الله في اللوح المحفوظ **لعلي حكيم**
اخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا اهل مكة بالقرءان فانه عندنا لعلي اي رفيع شريف وقيل
علي على جميع الكتب حكيم اي محكم لا ينطق واليه الفساد والبطلان قوله تعالى **افنضرب عنكم الذكر صفحا**
معناه افنترك عنكم الوحي ونمسك عن انزال القرءان فلا نامركم ولا ننهاكم من اجل انكم اسرفتم في كفركم وتركتم
الايمان وهو قوله **ان** اي لان **كنتم قوما مسرفين** والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرءان
رفع حين رده اوايل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عاد بعايدته ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة او ما
شاء الله وقيل معناه افنضرب عنكم تذكرنا اياكم صافحين اي معرضين عنكم وقيل معناه افنطوي عنكم
الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل افنذكركم فلا نعاقبكم على كفركم **وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما
ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون** يعني كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
فاهلكنا اشد منهم بطشا اي اقوى من قومك قوة **ومضى مثل الاولين** اي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا
في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة قوله
عز وجل **ولئن سالتهم** اي سالت يا محمد قومك **من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز
العليم** يعني انهم اقروا بان الله تعالى خلقهما واقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وانكروا
قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدا تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال **الذي جعل لكم الارض
مهادا** معناه وافية ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي كذلك جعل الارض
مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق **وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون** يعني الى مقاصدكم في اسفاركم
والذي نزل من السماء ماء بقدر اي بقدر حاجتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى اهلكهم **فانشرنا
به** اي بالمطر **بلدة ميتا** اي كما احيينا هذه البلدة اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر **كذلك تخرجون**
من قبوركم احياء **والذي خلق الازواج كلها** اي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى
فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية **وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون**

بعني

يعني في البحر والبر لتستووا على ظهوره اي على ظهور الفلك وهما نعلم ثم تذكروا نعمة ربكم اذا
استويتم عليه يعني بتسخير المركب في البر والبحر وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا
وما كنا له مقرنين اي مطيقين وقيل ضابطين وانا الى ربنا لمنقلبون لمنصرفون في المعاد ع عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا
ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسالك
في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم انت
انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء
المنقلب في الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله
وعثاء السفر يعني تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يعود
من سفره حزينا كئيبا او يصادف ما يحزنه في اهل ومال عن علي بن ربيعة قال شهدت عليا بن ابي
طالب وقد اتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال
الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال
الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت
يا امير المومنين مما ضحكت قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله
من اي شيء ضحكت قال ان ربك ليعجب من عبده اذا قال اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب غيري اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا يعني ولدا وهو قولهم الملائكة بنات
الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا حكموا واثبتوا ان الانسان لكفور مبين اي لجحود لنعم الله
ام اتخذ مما يخلق بنات هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفاكم اي
اخلصكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان
الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولد
له بنت اغتم وربد وجهه غيظا واسفا وهو قوله تعالى ظل وجهه مسودا اي صار وجهه مسودا
وهو كظيم اي من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولدت له انثى فهجر بيت امراته التي ولدت فيه الانثى
فقالت المراة ما لابي حمزة لا ياتينا، يظل في البيت الذي يلينا، غضبان ان لا نلد البنينا، ليس لنا من
امرنا ما شينا، وانما ناخذ ما اعطينا، قوله عز وجل اومن ينشأ يعني اومن يتربى في الحلية
يعني الزينة والنعمة والمعنى اوجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتا
جت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله وهو في الخصام اي المخاصمة غير
مبين للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة ما تكلمت امراة فتريد ان تتكلم بحجتها الا
تكلمت بالحجة عليها وجعلوا اي حكموا واثبتوا الملائكة الذين هم عباد وقرئ عند الرحمن اناثا اشهدوا
خلقهم اي حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار يعني لم يشهدوا ذلك ستكتب شهادتهم اي
على الملائكة انهم بنات الله ويسئلون اي عنها قيل لما قالوا هذا القول سالهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
وما يدريكم انهم بنات قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم

ويسئلون عنها في الآخرة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم يعني الملائكة وقيل الأصنام وإنما لم يعجل عقوبتنا
على عبادتنا إياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى ردا عليهم ما لهم بذلك من علم أي فيما يقولون إن هم
إلا يخرصون يعني ما هم إلا كاذبون في قولهم إن الله رضي منا بعبادتها وقيل يكذبون في قولهم إن
الملائكة إناث وإنهم بنات الله أم آتيناهم كتابا من قبله أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله فهم
به مستمسكون أي يأخذون بما فيه بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة أي على دين وملة وإنا
على آثارهم مهتدون يعني أنهم جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم أخبر أن
غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها
أي أغنياؤها ورؤساؤها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون أي بهم قل أولو
جئتكم بأهدى أي بدين أصوب مما وجدتم عليه آباءكم فأبوا أن يقبلوا وقالوا إنا بما أرسلتم
به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قوله تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه
وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني معناه أنا بريء مما تعبدون إلا من الله الذي خلقني فإنه
سيهدين أي يرشدني إلى دينه وجعلها أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا إله إلا الله
كلمة باقية في عقبه أي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده لعلهم يرجعون أي لعل
من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه
من الشرك إلى دين إبراهيم بل متعت هؤلاء يعني كفار مكة وآباءهم في الدنيا بالمد في العمر والنعمة
ولم أعاجلهم بعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق يعني القرآن وقيل الإسلام ورسول هو محمد صلى الله
عليه وسلم مبين أي يبين لهم الأحكام وقيل مبين الرسالة وأوضحها بما معه من الآيات والمعجزات فكان
من حق هذا الإنعام أن يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى ولما جاءهم
الحق يعني القرآن قالوا هذا سحر وإنا به كافرون قوله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم معناه أنهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق إلا برجل شريف عظيم كثير
المال والجاه من إحدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم فقيل الوليد بن المغيرة
بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي
من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة
بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة
ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم أهم يقسمون رحمة ربك معناه والثقفي
أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وفيه إنكار الله عليهم وتجهيلهم والتعجب من
اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا أي نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا
فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم إن أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا
ولا على الخروج عن قضائنا فإذا عجزوا عن الاعتراض على حكمنا في أحوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف
يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا

بعضهم

بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يعني لو انا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم احد احدا
ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكن فعلنا ذلك
ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش
هذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك ورحمة ربك يعني
الجنة خير للمؤمنين مما يجمعون اي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله
ورحمته يبقى ابد الاباد قوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي لولا ان يصيروا كلهم كفارا
فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا راوا الكفار في سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار اكثر الاسباب
المفيدة للتنعم وهو قوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج يعني مصاعد
ودرجات من فضة عليها يظهرون يعني يصعدون ويرتقون عليها ولبيوتهم ابوابا اي من فضة وسررا
اي وجعلنا لهم سررا من فضة عليها يتكئون وزخرفا اي وجعلنا مع ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل
الزخرف الزينة من كل شيء وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلا
ثم ينقضي لان الدنيا سريعة الزوال والذهاب والاخرة عند ربك للمتقين يعني الجنة خاصة للمتقين
يعني الذين زهدوا في الدنيا عن سهل ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا
تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وعن المستورد بن شداد احد بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين القوها
قالوا من هوانها القوها يا رسول الله قال فان الدنيا اهون على الله من هذه على اهلها اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا
حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر قوله تعالى ومن يعش
اي يعرض عن ذكر الرحمن اي فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن نقيض
له شيطانا اي نسببه له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه فهو له قرين يعني لا يفارقه يزين له
العمى ويخيل اليه انه على الهدى وانهم يعني الشياطين ليصدونهم عن السبيل يعني يمنعونهم عن
الهدى وانهم يعني الشياطين ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون يعني ويحسب
كفار بني ادم انهم على الهدى حتى اذا جاءنا يعني الكافر وحده وقرئ جاءانا على التثنية يعني
الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة قال الكافر لقرينه الشيطان يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين يعني بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما على الآخر كما يقال للشمس
والقمر القمران ولابي بكر وعمر العمران وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول
الاول اصح فبئس القرين يعني الشيطان قال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه
من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم يعني لا ينفعكم الاشتراك

في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا لان لكل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل
لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين
في الكفر **فانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين** يعني الكافرين حقت عليهم
كلمة العذاب انهم لا يومنون قوله عز وجل **فاما نذهبن بك** اي بان نميتك قبل ان نعذبهم **فانا منهم
منتقمون** اي بالقتل بعدك **فانا منهم منتقمون** اي بالقتل بعدك **او نرينك** اي في حياتك **الذي
وعدناهم** اي من العذاب **فانا عليهم مقتدرون** اي قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم واراد بهم
مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يقتضي التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه وعد الانتقا
م منهم اما حال حياته او بعد وفاته وهذا قول اكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون في امته وقد
كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في امته ولكن اكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه
وسلم وذهب به ولم يره في امته الا الذي تقر به عينه وابقى النقمة بعده **وروي** ان النبي صلى الله
عليه وسلم اري ما يصيب امته بعده فما روي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى **فاستمسك
بالذي اوحي اليك** يعني القرآن **انك على صراط مستقيم** اي على دين مستقيم لا يميل عنه الا
ضال **وانه** يعني القرآن **لذكر لك** اي لشرف عظيم لك **ولقومك وسوف تسألون** يعني عن حقه
واداء شكره **وروى ابن عباس** ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك
فلم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الاية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش **ق** عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان **خ** عن معاوية
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله
على وجهه ما اقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك
الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك اي ذلك شرف
لك بما اعطاك من النبوة والحكمة ولقومك يعني المومنين بما هداهم الله به وسوف تسألون يعني
عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله تعالى **واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون** اختلف في هؤلاء المسؤولين فروي عن ابن عباس في رواية عنه لما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله له ادم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد
تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا اسال قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع
له الرسل ليلة اسري به وامر ان يسالهم فلم يشك ولم يسال فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الاية نزلت
ببيت المقدس ليلة اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال اكثر المفسرين معناه سل مومني اهل
الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبياء هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في اكثر
الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن والمقاتلين ومعنى الامر بالسؤال التقرير
لمشركي قريش انه لم يات رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل قوله عز وجل **ولقد ارسلنا
موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها**

اليم

يضحكون

يضحكون اي استهزاء وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها اي من قرينتها التي قبلها واخذناهم
بالعذاب اي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه ايات ودلالات
لموسى وعذابا لهم وكانت كل واحدة اكبر من التي قبلها لعلهم يرجعون اي عن كفرهم وقالوا يعني لموسى
لما عاينوا العذاب يا ايه الساحر اي العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا له لان
السحر كان عندهم علما عظيما وصفة ممدوحة وقيل معناه يا ايها الذي غلبنا بسحره ادع لنا ربك
بما عهد عندك اي بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان امنا كشف عنا العذاب فسله ان يكشف عنا
اننا لمهتدون اي لمومنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يومنوا فذلك قوله فلما كشفنا عنهم
عنهم العذاب اذا هم ينكثون اي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ونادى فرعون في قومه
قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي يعني انهار النيل الكبار وكانت تجري تحت
قصره وقيل معناه تجري بين يدي في جناني وبساتيني وقيل تجري بامري افلا تبصرون اي عظمتي وشدة
ملكي ام انا اي بل انا خير وليس هو عطف على قول اكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه افلا تبصرون
ام لا تبصرون ثم ابتدا فقال انا خير من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد يبين
يفصح بكلامه للثغة التي كانت في لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه اولا وقيل معناه ولا يكاد
يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام فلولا القي عليه اي ان كان
صادقا اسورة من ذهب قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق
من ذهب فيكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا القي رب موسى عليه اسورة من ذهب ان كان
سيدا تجب طاعته او جاء معه الملائكة مقترنين اي متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون
له بصدقه ويعينونه على امره قال الله تعالى فاستخف يعني فرعون قومه يعني القبط اي وجدهم
جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل فاطاعوه اي على تكذيب موسى انهم كانوا قوما فاسقين
يعني حيث اطاعوا فرعون فيما استخفهم به فلما اسفونا اي اغضبونا وهو في حق الله ارادة العقاب
وهو قوله انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين يعني جعلنا المتقدمين
من الماضين عبرة وموعظة لمن يجي بعدهم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا قال ابن عباس نزلت
هذه الاية في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شان عيسى بن مريم عليه السلام
وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة الانبيا
ومعنى الاية ولما ضرب عبد الله الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة
النصارى اياه اذا قومك يعني قريشا منه اي من المثل يصدون اي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل
يقولون ما يريد محمد منا الا نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى وقالوا االهتنا خير ام هو
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك الهتنا وقيل معناه ام هو يعني عيسى قالوا
يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار قال الله تعالى ما ضربوه يعني هذا المثل لك الا جدلا اي خصومة
بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هو الاصنام بل هم قوم
خصمون اي بالباطل عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا ا

عليه الا اوتوا الجدل ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ما ضربوه لك الا جدلا ثم ذكر عيسى
فقال ان هو اي ما عيسى الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا اي آية وعبرة لبني
اسرائيل يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير اب ولو نشاء لجعلنا منكم الخطاب لاهل
مكة ملائكة معناه لو نشاء لاهلكناكم ولجعلنا بدلا منكم ملائكة في الارض يخلفون اي يكونون خلفا
منكم يعمرون الارض ويعبدوني ويطيعوني وقيل يخلف بعضهم بعضا وانه يعني عيسى لعلم الساعة
يعني نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وفي رواية ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليس بيني وبين عيسى نبي وانه نازل فيكم فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض
ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذئب فامكم بكتاب ربكم عز
وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى انه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال
فياتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد
صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصلبان ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن
به وقيل في معنى الآية وانه اي وان القرآن لعلم للساعة اي يعلم قيامها ويخبركم باحوالها فلا
تمترن بها اي لا تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون اي على التوحيد هذا اي
الذي انا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم اي لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله الذي امرتم به
انه يعني الشيطان لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة اي
بالنبوة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه اي من احكام التوراة وقيل اختلاف الفرق الذين
تحزبوا في امر عيسى وقيل الذي جاء به عيسى الانجيل انما هو بعض الذي اختلف فيه وبين لهم عيسى
في غير الانجيل ما احتاجوا اليه فاتقوا الله واطيعون اي فيما آمركم به ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم اي اختلف الفرق المتحزبة بعد
عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون اي ينتظرون الا الساعة ان تاتيهم
بغتة اي فجاءة والمعنى انها تاتيهم لا محالة وهم لا يشعرون الاخلاء اي على الكفر والمعصية
في الدنيا يومئذ يعني يوم القيامة بعضهم لبعض عدو اي ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة
يوم القيامة الا المتقين اي الا الموحدين المتحابين في الله عز وجل المجتمعين على طاعته روي
عن علي بن ابي طالب في هذه الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات احد المؤمنين فقال
يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك
يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما

فيقول

36

4

فيقول الخليلان كل واحد منهما على صاحبه فيقول نعم الأخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافر
ين فيقول يا رب إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني
أني غير ملاقيك فيقول بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب قوله عز وجل يا عبادي لا خوف
عليكم ولا أنتم تحزنون قيل إن الناس حين يبعثون ليس أحد منهم إلا فزع فينادي منادي يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا
مسلمين فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون أي
تسرون وتنعمون يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحفة وهي القصعة الواسعة وأكواب
جمع كوب وهو إناء مستدير بلا عروة وفيها أي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين عن عبد
الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله هل في الجنة خيل فإني أحب الخيل فقال إن يدخلك الله الجنة
فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فيطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت وسأل أعرابي فقال
يا رسول الله هل في الجنة من إبل فإني أحب الإبل فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال إن يدخلك الله الجنة
يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذي وأنتم فيها خالدون وتلك
الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ورد في الخبر
أنه لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها ثمرة إلا نبت مكانها مثلاها قوله تعالى إن المجرمين يعني المشركين
في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم أي لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون أي آيسون
من رحمة الله تعالى وما ظلمناهم أي وما عذبناهم بغير ذنب ولكن كانوا هم الظالمين أي لأنفسهم
بما جنوا عليها ونادوا يا مالك يعني يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون ليقض
علينا ربك أي ليمتنا ربك فنستريح والمعنى أنهم توسلوا به ليسأل الله لهم الموت فيجيبهم بعد ألف
سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم قال إنكم ماكثون قال هانت
والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب لقد جئناكم بالحق
يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ولكن أكثرهم للحق كارهون أم أبرموا أمرا
أي أحكموا أمرا في مجازاتهم المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنا مبرمون أي محكمون أمرا في مجازاتهم
إن كادوا شرا كدناهم بمثله أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم أي ما يسرونه من غيرهم
ويتناجون به بينهم بلى نسمع ذلك كله ونعلمه ورسلنا يعني الحفظة من الملائكة لديهم يكتبون قوله
عز وجل قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين معناه إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا
أول من عبد الرحمن فإنه لا شريك له ولا ولد وقال ابن عباس إن كان أي ما كان للرحمن ولد وأنا أول العابدين
أي الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل
العابدين يعني الآنفين الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد وقال
الزمخشري في معنى الآية إن كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها
فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا

كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات
القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها
ثم نزه نفسه عن الولد اي عما يقولون من الكذب فقال تعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما
يصفون اي عما يقولون من الكذب فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا اي في دنياهم حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون يعني يوم القيامة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي هو الاله الذي يعبد في
السماء وفي الارض لا اله الا هو وهو الحكيم العليم اي في تدبير خلقه العليم اي بمصالحهم تبارك الذي له
ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من
دونه الشفاعة قيل سبب نزولها ان النضر بن الحارث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن
نتولى الملائكة وهم احق بالشفاعة من محمد فنزلت هذه الاية واراد بالذين يدعون من دونه الهتهم ثم
استثنى عيسى والعزير والملائكة بقوله الا من شهد بالحق لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل
المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هولاء الشفاعة الا من
شهد بالحق لانهم عبدوا من دون الله وهي كلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له
وهو قوله وهم يعلمون اي بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون ان الله خلق عيسى والعزير
والملائكة ويعلمون انهم عباده ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله يعني انهم اذا اقروا بان الله خالق
العالم باسره فكيف اقدموا على عبادة غيره فانى يوفكون اي يصرفون عن عبادته الى غيره وقيله
يارب يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يارب ان هولاء قوم لا يومنون قال ابن عباس شكى
الى الله تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هو نبيكم يشكو قومه الى ربه فاصفح عنهم اي اعرض
عنهم وفي ضمنه منعه من ان يدعو عليهم بالعذاب وقل سلام معناه المتاركة وقيل معناه وقل خيرا
بدلا من شرهم فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال
مقاتل نسختها اية السيف والله اعلم

تفسير سورة الدخان وهي مكية وهي سبع وقيل تسع وخمسون

آية وثلاثمائة وست واربعون كلمة والف واربعمائة واحد وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم والكتاب المبين اي المبين ما يحتاج الناس اليه
من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام انا انزلناه في ليلة مباركة قيل ليلة القدر انزل الله فيها القرءان
جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع عشرين سنة وقيل
هي ليلة النصف من شعبان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل
ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب اخرجه الترمذي انا كنا منذرين
اي مخوفين عقابنا فيها اي في تلك الليلة المباركة يفرق اي يفصل كل امر حكيم اي محكم قال ابن عباس
يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال
يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاموات من الاحياء
وروى البغوي بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل

لينكح

لينكح ويولد له ولقد اخرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان
ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر أمرا اي انزلناه امرا من عندنا انا كنا مرسلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومن
قبله من الانبياء رحمة من ربك قال ابن عباس رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل اي
انزلناه في ليلة مباركة رحمة من ربك انه هو السميع اي لاقوالهم العليم باحوالهم رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين اي ان الله رب السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت
ربكم ورب ءابائكم الاولين قوله تعالى بل هم في شك اي من هذا القرءان يلعبون اي يهزءون به لاهون عنه
فارتقب يا محمد يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ق عن مسروق قال
كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان قاصا عند
ابواب كندة يقص ويزعم ان اية الدخان تجيء فتاخذ بانفاس الكفار وياخذ المومنين منه
كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان يا ايها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئا فليقل
به ومن لا يعلم شيئا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم فان الله عز وجل قال
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لا اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبع كسبع يوسف وفي رواية لما دعا قريشا فكذبوه
واستعصوا عليه قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شيء حتى
اكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر الى السماء احدهم فيرى كهيئة الدخان فاتاه ابو سفيان فقال
يا محمد انك جئت تامر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب
يوم تاتي السماء بدخان مبين الى قوله انكم عائدون قال عبد الله افيكشف عذاب الاخرة يوم نبطش البطشة
الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية البخاري فقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون
فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله
فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون. قوله حصت كل شيء بالحاء والصاد المهملتين
اي حلقته واهلكته واستاصلت كل شيء ق عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة
والقمر والدخان فيما اصابهم من الجوع كالظلمة في ابصارهم وسبب ذلك ان في سنة القحط العظيم تيبس
الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجيء
قبل قيام الساعة ولم يات بعد فيدخل في اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون راسه كالراس الحنيذ يعني
المشوي ويعتري المومن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كبيت اوقد فيه النار وهو قول ابن عباس وابن
عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تقيل
معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الاية يوم تاتي السماء بدخان مبين يملا
ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر فبمنزلة
السكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره انى لهم الذكرى اي كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة وقد
جاءهم رسول مبين معناه وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يد رسول

الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والبينات الباهرات ثم تولوا عنه اي اعرضوا عنه وقالوا معلم
اي يعلمه بشر مجنون اي يلقون اليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي انا كاشفوا العذاب اي الجوع
قليلا اي زمنا يسيرا اقبل الى يوم بدر انكم عائدون أي الى كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر
انا منتقمون اي منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلماء وفي رواية عن ابن عباس انه يوم
القيامة قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم اي قبل هؤلاء قوم فرعون وجاءهم رسول كريم اي على الله وهو
موسى ابن عمران عليه السلام ان ادوا الي عباد الله اي اطلقوا الي بني اسرائيل ولا تعذبوهم اني لكم رسول
امين اي على الوحي وان لا تعلوا على الله اي لا تتجبروا عليه بترك طاعته اني آتيكم بسلطان مبين اي
برهان بين على صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال واني عذت بربي وربكم ان ترجمون اي تقتلوني
وقال ابن عباس تشتموني وتقولون هو ساحر وقيل ترجموني بالحجارة وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون اي
فلا تكونوا معي ولا علي وقال ابن عباس فاعتزلوا اذاي باليد واللسان فلم يؤمنوا فدعا ربه ان
هؤلاء قوم مجرمون أي مشركون فاسر بعبادي ليلا اي اجاب الله دعاءه وامره ان يسير ببني اسرائيل
بالليل انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه واترك البحر أي اذا قطعته انت واصحابك رهوا اي
ساكنا والمعنى لا تامره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا
وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك
البحر كما هو انهم جند مغرقون يعني اخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه في ترك البحر كما هو كم تركوا اي بعد
الغرق من جنات وعيون وزروع ومقام كريم اي مجلس شريف حسن ونعمة اي وعيش لين رغيد
كانوا فيها اي في تلك النعمة فاكهين اي ناعمين وقرئ فكهين اي أشرين بطرين كذلك اي افعل بمن عصاني
واورثناها قوما آخرين يعني بني اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض وذلك ان المومن اذا مات
تبكي عليه السماء والارض اربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء ولا الارض على
فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكي الارض عليه عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من مومن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه
فذلك قوله فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه
مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة اطرافها قال مجاهد ما مات مومن الا بكت عليه
السماء والارض اربعين صباحا فقيل أو تبكي قال وما للارض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود
وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل وقيل المراد من اهل السماء
واهل الارض وما كانوا اي لم يمهلوا حين اخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل ولقد نجينا بني
اسرائيل من العذاب المهين اي من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب في العمل من فرعون انه كان
عاليا اي جبارا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم اي علمه الله تعالى فيهم على العالمين اي على عالمي
زمانهم وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين اي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى والنعم التي انعم بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة ان هؤلاء يعني مشركي
مكة ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي لا موتة لنا الا هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث بعدها وهو

قوله ما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعد موتتنا هذه فاتوا بآبائنا اي الذين ماتوا قبل ان كنتم صادقين
اي انا نبعث احياء بعد الموت قيل طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم
مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى أهم خير ام قوم تبع اي ليسوا خيرا من قوم تبع يعني في الشدة والقوة
والكثرة قيل هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن
يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما يسمى في الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا
قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم اخرجه احمد بن حنبل في مسنده وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري تبع نبيا كان او غير نبي وعن عايشة
قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وكان من قصته على ما ذكره محمد بن كعب واسحاق وغيره وذكر
عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الاخير وهو ابو كرب اسعد بن مليك وكان يسير بالجيوش نحو المشرق
حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين
أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستيصال اهلها وجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا
بذلك من امره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام
فبينما هو كذلك اذ جاءه حبران عالمان من احبار بني قريظة وكانا ابني عم اسم احدهما كعب والاخر اسد حين
سمعا ما يريد من اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينه
ولم نامن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه
دار هجرته ومنزلك الذي انت فيه يكون به من القتل والجراح امر كبير في اصحابه وفي عدوهم قال تبع ومن يقاتله
وهو نبي قالا يسير اليه قومه فيقتتلون ها هنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى
دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن
فاتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا له انا ندلك على بيت فيه كنز من لولو وزبرجد وفضة قال اي بيت هذا
قالوا بيت بمكة وانما اراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده احد بسوء الا هلك فذكر ذلك للاحبار ر
فقالوا ما نعلم لله في الارض بيتا غير هذا البيت الذي بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق
راسك وما اراد القوم الا هلاكك وما ناواه احد قط الا هلك فاكرمه واصنع عنده ما يصنع اهله فلما قالوا
له ذلك اخذ اولئك النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل بالشعب
شعب المطابخ وكسا البيت الوصايل وهي برود تصنع باليمن وهو اول من كسا البيت ونحر بالشعب
ستة الاف بدنة واقام به ستة ايام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير
بينه وبين ذلك وقالوا له لا تدخلها علينا وانت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير
من دينكم فقالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار في اسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه
فتاكل الظالم ولا تضر المظلوم فقال تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج
الحبران بمصاحفهما في اعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار فاقبلت حتى
غشيتهم فاكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما في اعناقهما

اعلم ان اول من كسى البيت تبع

يتلون التوراة نعم وخيار اصحابهم تقدموا النار فتكشف النار حتى رجعت الى حيث جاءت فلما صدقت عنده الم
حمير على دينهما فمن هنا كان اصل اليهودية باليمن قال الواحدي كان ابو كرب اسعد الحميري من التبابعة
من آمن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه
قوله تعالى والذين من قبلهم اي من الامم الكافرة اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق اي بالعدل وهو الثواب على الطاعة
والعقوبة على المعصية ولكن اكثرهم لا يعلمون قوله عز وجل ان يوم الفصل اي الذي يفصل الله فيه بين
العباد ميقاتهم اجمعين اي يوافي يوم القيامة الاولون والاخرون يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا اي لا
ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله الا من رحم الله يعني المومنين
فانه يشفع بعضهم لبعض انه هو العزيز اي في انتقامه من اعدائه الرحيم اي باوليائه المومنين قوله
تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اي ذي الاثم وهو ابو جهل كالمهل اي كدردي الزيت اسود يغلي
في البطون اي في بطون الكفار كغلي الحميم يعني كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت
فروة وجهه فيه اخرجه الترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم
مسلمون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل
الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى
خذوه اي يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم فاعتلوه اي ادفعوه وسوقوه بالعنف الى سواء الجحيم
اي الى وسط النار ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم قيل ان خازن النار يضربه على راسه فينقب
راسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له ذق اي هذا العذاب انك انت العزيز
الكريم اي عند قومك بزعمك وذلك ان ابا جهل كان يقول انا اعز اهل الوادي واكرمهم فيقول له خزنة النار
هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ ان هذا ما كنتم به تمترون اي تشكون فيه ولا تومنون به ثم ذكر
مستقر المتقين فقال تعالى ان المتقين في مقام امين اي في مجلس امنوا فيه من الغير في جنات
وعيون يلبسون من سندس واستبرق قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ
منه وهو معرب واصله فان قلت كيف ساغ ان يقع في القران العربي المبين لفظ اعجمي قلت
اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه
واجرايه على اوجه الاعراب متقابلين اي يقابل بعضهم بعضا كذلك اي كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات
والعيون واللباس كذلك اكرمناهم بان زوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن وليس هو من
عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اي جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات
البياض وقيل يحار الناظر الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات البياض
العينين يدعون فيها بكل فاكهة يعني ارادوها واشتهوها امنين اي من نفادها ومن
مضرتها وقيل امنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان لا يذوقون فيها الموت الا الموتة

الاولى

الأولى أي لا يذوقون في الجنة الموت البتة سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا وقيل إلا بمعنى لكن وتقديره
لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الأولى قد ذاقوها وقيل إنما استثنى الموتة من الموت في الجنة لأن
السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله إلى أسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم
في الجنة فكان موتهم في الدنيا كأنهم في الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم إياها ووقاهم
عذاب الجحيم فضلا من ربك يعني كل ما وصل إليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة
إنما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه ذلك هو الفوز العظيم فإنما يسرناه
بلسانك أي سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور لعلهم يتذكرون أي يتعظون فارتقب
أي فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب إنهم مرتقبون أي منتظرون قهرك بزعمهم وقيل
منتظرون موتك وقيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك أخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وعمر بن خثعم أحد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر
الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له أخرجه الترمذي
وقال هشام أبو المقدام أحد رواته ضعيف والله أعلم

تَفسيرُ سُورَةِ الجاثيةِ وَتُسمَّى الشَّريعةَ وَهيَ مَكّيَّةٌ وَهِيَ

سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمانون كلمة وألفان ومائة وأحد وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في
السموات والأرض لآيات أي إن في خلق السموات والأرض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة الفا
عل المختار وهو قوله لآيات للمؤمنين وفي خلقكم أي وفي خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة إلى أن يصير
إنسانا ذا عقل وتمييز وما يبث من دابة أي وما يفرق في الأرض من جميع الحيوانات على اختلاف أجنا
سها في الخلق والشكل والصورة آيات دالات تدل على وحدانية من خلقها وأنه الإله القادر المختار
لقوم يوقنون يعني أنه لا إله غيره واختلاف الليل والنهار يعني بالظلام والضياء والطول والقصر
وما أنزل الله من السماء من رزق يعني المطر الذي هو سبب أرزاق العباد فأحيا به أي بالمطر ا
لأرض بعد موتها أي بعد يبسها وتصريف الرياح في مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب
ومنها الحارة والباردة وغير ذلك آيات لقوم يعقلون فإن قلت ما وجه هذا الترتيب
في قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه أن المنصفين من العباد إذا نظروا
في هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا به وأقروا أنه القا در
على كل شيء ثم إذا أمعنوا النظر ازدادوا إيقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة
العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده في أسرار كتابه تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث
بعد الله أي بعد كتاب الله وآياته يؤمنون قوله تعالى ويل لكل أفاك أثيم أي كذاب أي صاحب
إثم يعني النضر بن الحارث يسمع آيات الله يعني آيات القرآن تتلى عليه ثم يصر مستكبرا
كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئا يعني آيات القرآن اتخذها هزوا

اي سخر منها اولئك اشارة الى من هذه صفته لهم عذاب مهين ثم وصف ذلك العذاب فقال تعالى من ورائهم جهنم يعني
امامهم جهنم وذلك انهم في الدنيا ولهم في الآخرة النار ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا اي من اموالهم
من دون الله اولياء اي ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة ولهم عذاب عظيم هذا يعني القرآن
هدى اي هو هدى من الضلالة والذين كفروا بآيات الله لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم
البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله اي بسبب التجارة واستخراج منافعه ولعلكم
تشكرون نعمته على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض يعني انه خلقها ومنافعها فهي
مسخرة لنا من حيث اننا ننتفع بها جميعا منه قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه
واحسان ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قوله عز وجل قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله اي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمه قال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب وذلك
ان رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله هذه الآية وامره ان يعفو عنه
وقيل نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في اذى شديد من
المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية
ثم نسختها آية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي يجزيهم باعمالهم فيثيبهم ثم قال تعالى
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون قوله عز وجل ولقد آتينا بني اسرائيل
الكتاب يعني التوراة والحكم يعني المعرفة باحكام الله والنبوة ورزقناهم من الطيبات اي
الحلالات وهو ما وسع عليهم في الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون وديارهم وانزل عليهم المن والسلوى
وفضلناهم على العالمين اي على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين في زمانهم اكرم على
الله ولا احب اليه منهم وآتيناهم بينات من الامر اي بيان الحلال والحرام وقيل العلم بمبعث محمد صلى الله
عليه وسلم وما بين لهم من امره فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم معناه
التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجيء العلم سببا لحصول
الاختلاف وذلك لانه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم
ثم انهم لما علموا عاندوا واظهروا النزاع والحسد والاختلاف ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك يا محمد على شريعة اي على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى
من الامر اي من الدين فاتبعها اي اتبع شريعتك الثابتة ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يعني
مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا افضل منك فقال تعالى
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعت اهواءهم وان الظالمين
بعضهم اولياء بعض يعني ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الآخرة والله ولي
المتقين اي هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الآخرة هذا يعني القرآن بصائر للناس اي معالم للناس
في الحدود والاحكام يبصرون به وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيئات
اي اكتسبوا المعاصي والكفر ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلت في نفر من مشركي
مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما يقولون حقا لنفضلن في الآخرة كما فضلنا في الدنيا سواء محياهم

ومماتهم

ومماتهم معناه احسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم كحياة المومنين وموتهم سواء كلا والمعنى ان المومن مومن
في محياه ومماته في الدنيا والآخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين
في الحال والمآل ساء ما يحكمون اي بيس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك
تميم الداري ولقد رايته قام ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله يركع بها ويسجد
ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية وخلق الله السماوات والارض بالحق اي بالعدل
ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ومعنى الاية ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار
العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات
قوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه
لانه لا يومن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه
وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا شيئا احسن من الاول رموا بالاول
وكسروه وعبدوا الاخر وقيل انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار واضله الله على
علم اي على علم منه بعاقبة امره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل ان يخلقه وختم على سمعه
وقلبه اي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه وجعل على بصره غشاوة اي ظلمة فهو لا يبصر الهدى
فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ان اضله الله افلا تذكرون قال الواحدي ليس يبقى للقدرية
مع هذه الاية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياهم عن الهدى حين اخبر انه ختم على سمعه وقلبه
وبصره وقالوا يعني منكري البعث ما هي الا حياتنا الدنيا اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيى اي يموت الاباء ويحيى الابناء وقيل تقديره نحيى ونموت وما يهلكنا الا الدهر اي وما
يفنينا الا ممر الزمان واختلاف الليل والنهار وما لهم بذلك من علم اي لم يقولوه عن علم علموه
ان هم الا يظنون ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وفي رواية يوذيني ابن ادم
ويقول يا خيبة الدهر فلا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب الليل والنهار فاذا
شئت قبضتهما وفي رواية يسب ابن ادم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى هذا
الحديث ان العرب كان من شانها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما
يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله عز وجل
عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها
فكان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر فنهوا
عن سب الدهر وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر مصروف فيه يقع
به التاثيرات يقع بك والله اعلم قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم
الا ان قالوا ايتوا باباينا ان كنتم صادقين معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا
ان صح ذلك فاتوا باباينا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم يميتكم
ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السماوات

والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون يعني في ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الأباطيل وهم
الكافرون يصيرون إلى النار وترى كل أمة جاثية أي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحكم ينتظر
القضاء قال سلمان الفارسي إن في القيامة لساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى
إن إبراهيم ينادي ربه لا أسألك إلا نفسي كل أمة تدعى إلى كتابها أي الذي فيه أعمالها ويقال لهم اليوم
تجزون ما كنتم تعملون أي من خير وشر هذا كتابنا يعني ديوان الحفظة فإن قلت كيف أضاف
الكتاب إليهم بقوله أولا تدعى إلى كتابها وإليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لا منافاة بينهما
فأضافه إليهم لأنه كتاب أعمالهم وأضافه إلى نفسه لأنه هو أمر الحفظة بكتبه ينطق عليكم بالحق
أي يشهد عليكم ببيان شاف فكأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ إنا كنا نستنسخ ما
كنتم تعملون أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها وإثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته
وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو
نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من
أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون إلا من أصل فينسخ كتاب من كتاب فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كتاب من كتاب
فيدخلهم ربهم في رحمته أي جنته ذلك هو الفوز المبين أي الظفر الظاهر وأما الذين كفروا أي فيقال لهم
أفلم تكن آياتي تتلى عليكم يعني آيات القرآن فاستكبرتم أي عن الإيمان بها وكنتم قوما مجرمين يعني
كافرين متكبرين قوله عز وجل وإذا قيل إن وعد الله حق أي البعث كائن والساعة لا ريب فيها أي لا شك
في أنها كائنة قلتم ما ندري ما الساعة أي أنكرتموها وقلتم إن نظن إلا ظنا أي ما نعلم ذلك إلا حدسا
وتوهما وما نحن بمستيقنين أي أنها كائنة وبدا لهم أي في الآخرة سيئات ما عملوا أي في الدنيا والمعنى
بدا لهم جزاء سيئاتهم وحاق بهم أي نزل بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم
لقاء يومكم هذا أي تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم ومأواكم النار وما لكم من ناصرين أي ما لكم من مانعين
يمنعونكم من العذاب ذلكم أي هذا الجزاء بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا يعني حتى قلتم
لا بعث ولا حساب فاليوم لا يخرجون منها أي من النار ولا هم يستعتبون أي لا يطلب منهم أن يرجعوا
إلى طاعة الله والإيمان به لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب
العالمين معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والأرض والعالمين فإن مثل هذه الربوبية
العامة توجب الحمد والثناء على كل أحد وله الكبرياء أي وكبروه فإن له الكبرياء والعظمة في السموات
والأرض وحق لمثله أن يكبر ويعظم وهو العزيز الحكيم م عن أبي سعيد وأبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل العز إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم وأخرجه
البرقاني وأبو مسعود عنهما يقول الله عز وجل العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيئا منهما عذبته
ولأبي داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري
فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار شرح الحديث قيل هذا الحديث خرج على ما تعتاده
العرب في بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثوب فيقولون شعار فلان الزهد
ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الإزار والرداء مثلا له في انفراده بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى

الحمد

انما اللباس كسائر الصفات التي يتصف بها احد المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وشبههما فالازار والرداء لا
المتصف بهما يشتملان كما يشتمل الرداء الانسان ولا تم لا يشاركه في ازاره وردائه احد فكذلك الله تعالى
لا ينبغي ان يشاركه فيهما احد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق بغيره والله أعلم

تفسير سورة الاحقاف وهي مكية قيل غير قوله قل ارايتم

وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة . وهي اربع وقيل خمس وثلاثون اية
وسبعمائة واربع واربعون كلمة والفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالعدل واجل مسمى يعني يوم القيامة وهو الاجل
الذي ينتهي اليه فناء السموات والارض والذين كفروا عما انذروا اي خوفوا به في القرءان من البعث والحساب
معرضون اي لا يومنون به قل ارايتم ما تدعون من دون الله يعني الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا اي بكتاب جاءكم من الله قبل القرءان فيه بيان
ما تقولون او اثارة من علم اي بقية من علم يوثر عن الاولين ويسند اليهم ويوثر عنهم وقيل رواية
عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض وهو
العيافة ان كنتم صادقين اي ان لله شريكا ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له يعني
الاصنام لا تجيب عابديها الى شيء يسالونها الى يوم القيامة يعني لا تجيب ابدا ما دامت الدنيا وهم عن
دعائهم غافلون يعني لانها جماد اذ لا تسمع ولا تفهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين اي جاحدين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم
هذا سحر مبين سموا القرءان سحرا ام يقولون افتراه اي اختلق القرءان محمد من قبل نفسه فقال الله عز
وجل قل يا محمد ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه ان عذبني على
افترائي فكيف افتري على الله من اجلكم هو اعلم اي الله اعلم بما تفيضون فيه اي تخوضون فيه من
التكذيب بالقرءان والقول فيه انه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم اي ان القرءان جاء من عنده وهو الغفور
الرحيم اي في تاخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة معناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به
قوله تعالى قل يا محمد ما كنت بدعا من الرسل اي بديعا اي لست باول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبياء
فكيف تنكرون نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اختلف العلماء في معنى هذه الاية فقيل معناه
ما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة فلما نزلت هذه الاية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما
امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقول من ذات نفسه لاخبره
الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة
هنيئا لك يا نبي الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار الاية وانزل وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به
وبهم وهذا قول ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران
ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك الخ عن خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلاء امراة من الانصار

وكانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه في ابياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا السائب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابي انت وامي يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين والله اني لارجو له الخير والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي قالت فوالله لا ازكي بعده أحدًا يا رسول الله قالت واريته لعثمان في النوم عينا تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفي رواية غير البخاري قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا اما في الآخرة فقد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له اصحابه متى نهاجر الى الارض التي اريت فسكت فانزل الله هذه الاية وما ادري ما يفعل بي ولا بكم أأترك في مكاني أم اخرج وإياكم الى الارض التي رفعت لي وقيل لا ادري الى ماذا يصير أمري وامركم في الدنيا اما انا فلا ادري أأخرج كما اخرجت الانبياء من قبلي ام اقتل كما قتل الانبياء من قبلي واما انتم ايها المصدقون فلا ادري أتخرجون معي أم تتركون أم يفعل بكم وما ادري ماذا يفعل بكم واما انتم ايها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أي شيء يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة فبلغ ثم اخبره الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبامته وقيل معناه لا ادري الى ما يصير امري وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم اخبره انه يظهر دينه على الاديان وامته على سائر الامم قوله ان اتبع الا ما يوحى الي معناه ما اتبع غير القرآن الذي يوحى الي ولا ابتدع من عندي شيئا وما انا الا نذير مبين أي انذركم العذاب وابين لكم الشرائع قل أرأيتم أي اخبروني ماذا تقولون ان كان من عند الله يعني القرآن وكفرتم به أيها المشركون وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله أي انه من عند الله فآمن يعني الشاهد واستكبرتم أي عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك أليس قد ظلمتم وتعديتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه ما روي عن انس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في ارض يخترف فاتاه فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة ومن اي شيء ينزع الولد الى ابيه ومن اي شيء ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرني بهن جبريل آنفا قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد

حوت وأما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا أعلمنا وابن أعلمنا واخيرنا وابن اخيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك زاد في رواية فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد في رواية فقال يعني عبد الله بن سلام هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله اخرجه البخاري في صحيحه (ق) عن سعد بن ابي وقاص قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قال الراوي لا ادري قال مالك الآية او في الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق في هذه الآية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله ابن سلام بالمدينة ونزلت الآية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن ان الله لا يهدي القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين بل تكونوا ظالمين قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني من اليهود للذين آمنوا لو كان خيرا يعني دين محمد صلى الله عليه وسلم ما سبقونا اليه يعني عبد الله بن سلام واصحابه وقيل نزلت في مشركي مكة قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به اي بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان فسيقولون هذا افك قديم اي كذب اي كذب متقدم ومن قبله اي من قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة اماما اي جعلناه اماما يقتدى به ورحمة اي من الله لمن آمن به وهذا كتاب يعني القرآن مصدق للكتب التي قبله لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا يعني مشركي مكة وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون تقدم تفسيره قوله تعالى عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة حملته امه كرها يعني حين اثقلت وثقل عليها الولد ووضعته كرها يريد شدة الطلق وحمله وفصاله ثلاثون شهرا يعني ومدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة اشهر ارضعت احدى وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا حتى اذا بلغ اشده اي نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة وهو قوله وبلغ اربعين سنة قيل نزلت هذه الآية في سعد بن ابي وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم

والاصح انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك انه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة
والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله
عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك فساله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة
فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى احد
الا هذا وهو نبي اخر الزمان فوقع في قلب ابي بكر اليقين والتصديق وكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم
في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة اكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته
امن به ابو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل رب اوزعني اي
الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي بالايمان والهداية وقال علي بن ابي طالب
في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ابواه
غيره واوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجابه الله تعالى فاعتق تسعة
من المومنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في
ذريتي فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع لابي بكر اسلام ابويه ابوه ابو قحافة
عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن ابو عتيق محمد فهولاء اربعة
ابو بكر وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة
غير ابي بكر وقوله اني تبت اليك اي رجعت اليك والى كل ما تحب واني من المسلمين اي واسلمت بقلبي ولساني
اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن فالاحسن
بمعنى الحسن فيثيبهم عليها ونتجاوز عن سيئاتهم اي فلا نواخذهم بها في اصحاب الجنة اي مع اصحاب
الجنة وعد الصدق اي الذي وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وعد صدق وهو قوله وعدهم بان
يدخلهم الجنة الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والذي قال
لوالديه يعني اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار والبعث بعد الموت اف لكما وهي كلمة كراهية اتعدانني
ان اخرج اي من قبري حيا وقد خلت القرون من قبلي اي فلم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله اي
يستغيثان بالله عليه ويقولان له ويلك امن ان وعد الله حق اي بالبعث فيقول ما هذا الذي تدعوني
اليه الا اساطير الاولين قال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى
اسالهم عما تقولون وانكرت عائشة ان يكون نزل هذا في عبد الرحمن بن ابي بكر خ عن يوسف بن ماهك
قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد ابيه فقال له
عبد الرحمن بن ابي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان ان هذا الذي انزل الله فيه
والذي قال لوالديه اف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيئا من القران الا ان الله انزل في
سورة النور من براءتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الاية شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفا
بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وانكر وقيل نزلت في كل كافر عاق
لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم
القول اعلم الله ان هولاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مومن من افاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت

اي في بيان سن النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من سن ابي بكر رضي الله عنه

اي في اسم ابي قحافة عثمان بن عمرو ابو ابي بكر رضي الله عنهما وامه ام الخير

عليهم

عليهم كلمة العذاب اولياء الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب في أمم اي مع امم قد خلت من قبلهم من
الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن
تخلف عنه ولو ساعة وقيل الكل ولكل من الفريقين المومنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب
عند الله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها وقيل درج الجنة تذهب الى علو ودرج النار تذهب الى اسفل
وليوفيهم اعمالهم اي جزاء اعمالهم وهم لا يظلمون قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا اي يجاء بهم
فيكشف لهم عنها ويقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها يعني ان كل ما قدر لكم
من الطيبات واللذات فقد افنيتموه في الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء فاليوم
تجزون عذاب الهون اي العذاب الذي فيه الذل والخزي بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون
علل هذا العذاب بامرين احدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل ان يكون عن الايمان والثاني الفسق وهو المعاصي
والاول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح **فصل** لما وبخ الله تعالى الكفار بالتمتع بالطيبات
آثر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة عن عمر بن الخطاب
قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت استانس
يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت شيئا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت ادع
الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفي شك انت
يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله ق عن عائشة
رضي الله عنها قالت ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ق
عنها قالت كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا ان نوتى باللحيم
رواية أخرى انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات
رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا انه
قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من البانها فيسقينا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي
المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم الشعير أخرجه الترمذي وله عن أنس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد اخفت في الله وما يخاف أحد واوذيت في الله وما يوذى احد ولقد اتت علي ثلاثون من بين
يوم وليلة وما لي ولبلال طعام ياكله ذو كبد الا شيء يواريه ابط بلال عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رايت سبعين من اصحاب
الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما
يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته خ عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف اتي بطعام
وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي راسه بدت رجلاه وان غطي رجلاه
بدا راسه قال واراه قال وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما
بسط وقد خشينا ان تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال
جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر فقلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال
عمر او كلما اشتهيت يا جابر اشتريت أما تخاف هذه الاية اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قوله عز وجل

واذكر أخا عاد يعني هودا عليه السلام **إذ أنذر قومه بالأحقاف** قال ابن عباس الأحقاف واد بين
عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمد سيارة
في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم وكانوا من قبيلة إرم وقيل إن عادا كانوا أحياء
باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر والأحقاف جمع حقف وهو المستطيل من
الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا **وقيل** الأحقاف ما استدار من الرمل **وقد خلت
النذر** أي مضت الرسل **من بين يديه** أي من قبل هود **ومن خلفه** أي بعده **ألا تعبدوا إلا الله إني
أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** والمعنى أن هودا قد أنذركم بذلك وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله
والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون كإنذاره **قالوا أجئتنا لتأفكنا** أي لتصرفنا **عن آلهتنا** أي عن عبادتها
فأتنا بما تعدنا أي من العذاب **إن كنت من الصادقين** يعني أن العذاب نازل بنا **قال** يعني هودا
إنما العلم عند الله يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب **وأبلغكم ما أرسلت به** يعني من الوحي الذي أنزله
الله علي وأمرني بتبليغه إليكم **ولكني أراكم قوما تجهلون** فلما رأوه يعني قدر العذاب الذي ينزل عليكم
فلما رأوه يعني رأوا ما يوعدون من العذاب ثم بينه فقال تعالى **عارضا** يعني رأوا سحابا عارضا وهو السحاب
الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء **مستقبل أوديتهم** وذلك أنه خرجت عليهم سحابة سوداء من
ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا تلك السحابة استبشروا بها
قالوا هذا عارض ممطرنا قال الله عز وجل **بل هو ما استعجلتم به** يعني من العذاب ثم بين ماهية
ذلك العذاب فقال تعالى **ريح فيها عذاب أليم** ثم وصف تلك الريح فقال تعالى **تدمر كل شيء بأمر ربها** يعني تهلك
كل شيء مرت به من رجال عاد وأموالهم يقال إن تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها
جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت الأبواب وصرعتهم وأمر الله
الريح فأمالت الرمال عليهم فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل
واحتملتهم فرمت بهم في البحر **وقيل** إن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من
المومنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قوم شديدة عاصفة مهلكة وهذه
معجزة عظيمة لهود عليه السلام **وقيل إن الله تعالى** أمر خازن الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم
فأهلكهم بهذا القدر وفي هذا إظهار كمال القدرة **ق عن عائشة** قالت ما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته إنما كان يتبسم زاد في رواية وكان إذا رأى غيما
أو ريحا عرف في وجهه قالت يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته
غيما عرف في وجهك الكراهة فقال يا عائشة ما يومنني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى
قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا **وفي رواية** قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى مخيلة
في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فإذا أمطرت السماء سري عنه فعرفته عائشة ذلك فقال
ما أدري لعله كما قال قوم فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية **وفي رواية
أخرى** قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت
به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر

وادي فاذا امطرت السماء سري عنه فعرفت ذلك عائشة في وجهه فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال
قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحابة التي يظن
فيه مطر وتخيلت السماء اذا تغيمت. وقوله سري عنه اي كشف وازال عنه ما كان به من الغم والحزن
وقوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى
لا ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد وقرئ يرى بالياء المضمومة والمعنى
لا يرى الا آثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة كذلك نجزي القوم المجرمين يخوف
بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما
لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة يعني
انا اعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في امر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها
فلا جرم فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء يعني انه لما نزل بهم العذاب ما اغنى
ذلك عنهم شيئا اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون يعني ونزل بهم
العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الخطاب
لاهل مكة يعني اهلكنا قرى ديار ثمود وهي الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد
باليمن يخوف اهل مكة بذلك وصرفنا الآيات يعني وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد
لعلهم يرجعون يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر فلولا يعني
فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة يعني انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها
الى الله سبحانه والقربان كل ما يتقرب به الى الله بل ضلوا عنهم يعني بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم
عند نزول العذاب بهم وذلك افكهم يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم عنده
وما كانوا يفترون يعني يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم قوله عز وجل واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن ذكر القصة في ذلك قال المفسرون لما مات ابو طالب عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان في حياته يحوطه ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة فروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد
عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ
سادات ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير وعندهم امرأة
من قريش من بني جمح فجلس اليهم ثم دعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على
من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الآخر ما وجد الله احدا
يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان
ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من
عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم اذا فعلتم ما فعلتم
فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيذئرهم ذلك في جرأتهم عليه فلم يفعلوا
واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس والجؤوه الى حائط

لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه ورجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمدوا الى ظل حبلة من
عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس انت ارحم الراحمين وانت رب
المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك غضب فلا ابالي ولكن
عافيتك أوسع اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك
او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فلما راى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما
فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به
الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس في ذلك الطبق ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم اكل فنظر
عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اي البلاد أنت يا عداس وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل راسه ويديه
وقدميه قال فقال أحد ابني ربيعة اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك
يا عداس ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض خير من هذا الرجل لقد اخبرني
بامر ما يعلمه الا نبي فقالا ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه ∴ ثم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من
جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من
السماء ورموا بالشهب واستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به
واجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية في قول
اكثر وسيأتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث بن عباس وروي أن الجن لما رجموا
بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان اول بعث بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن
وسادتهم فبعثهم الى تهامة وقال ابو حمزة الثمالي بلغنا انهم من بني الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم
عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقالت جماعة بل امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم
من اهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فأيكم
يتبعني فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال
عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه احد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله
عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود
اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت ارى امثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى

خفت

خط على النبي صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم
طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق اليّ
فقال لي نمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم
بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك ان يختطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت
نعم رايت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم
بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم
ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما
الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت يا رسول الله سمعت
لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز
رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معي اداوة فيها شيء
من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور وقال قتادة ذكر لنا
ان ابن مسعود قدم الكوفة راى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين راهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء
قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث
التوضي بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده واجاب عنها كلها. والذي
صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم احد قال ما صحبه منا
احد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب
فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا
يا رسول الله فقدناك وطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معهم
فقرات عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر
اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة
اخرجه مسلم في صحيحه **واما** تفسير الاية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد اولئك النفر فقال ابن عباس كانوا
سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة
وروي عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن **وروي** ان الجن ثلاثة
اصناف صنف منهم لهم اجنحة يطيرون بها في الهوى وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف
يحلون ويظعنون. ونقل بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة
مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول
بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع واطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون
سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب **فلما حضروه** الضمير يعود الى القرآن
يعني فلما حضروا الاستماع للقرآن وقيل يحتمل انه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما

رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرءان **قالوا انصتوا** يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع
الى قراءته يعني قال بعضهم لبعض لا يحول بيننا وبين سماعه شيء فانصتوا واستمعوا القرءان حتى كاد يقع بعضهم
على بعض من شدة حرصهم على سماعه **فلما قضي** اي فرغ من قراءته **ولوا** اي رجعوا **الى قومهم منذرين** يعني
داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك يدل على انهم لانهم
لا يدعون غيرهم الى سماع القرءان والتصديق به الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له **قالوا يا قومنا انا سمعنا**
كتابا انزل من بعد موسى مصدقا قال عطاء كان دينهم اليهودية لذلك قالوا انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء
كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء
هذا الكتاب وهو القرءان المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فلذلك هو تصديق لما بين يديه من الكتب
يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يعني يهدي الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة
يا قومنا اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه يدعو الى الله عز وجل وفي الاية دليل
على انه كان مبعوثا الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله **وامنوا**
به **فان قلت** قوله تعالى اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان
فلم اعاد ذكره بلفظ التعيين **قلت** انما اعاده لان الايمان اهم اقسام المامور به واشرفه
فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه **يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم**
من عذاب اليم قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على اصلها وذلك
وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا اسلموا جرت عليهم احكام الاسلام فمن اتى بذنب
اخذ به ما لم يتب منه او يبقى تحت خطر المشيئة ان شاء الله عفا له وان شاء اخذه بذنبه واختلف
العلماء في مومني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتاولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم
ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكي عن الليث قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم
يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن ابي الزناد قال اذا قضي بين الناس قيل لمومني الجن عودوا ترابا فيعودون
ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فعند ذلك يقول **وقال اخرون** لهم الثواب
في الاحسان كما يكون لهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه
ذهب مالك وابن ابي ليلى **قال الضحاك** الجن يدخلون الجنة وياكلون ويشربون **وقال** ارطاة
ابن المنذر سالت ضمرة ابن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال
فالانسيات للانس والجنيات للجن **وقال عمر بن عبد العزيز** ان مومني الجن حول الجنة في ربض
ورحاب ليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى **ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض** يعني لا
يعجز الله فيفوته **وليس له من دونه اولياء** يعني انصارا يمنعونه من دون الله **اولئك** يعني الذين لم
يجيبوا داعي الله **في ضلال مبين** قوله تعالى **اولم يروا ان الله الذي خلق السماوات والارض ولم يعي**
بخلقهن يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعي عن ابداعه واختراعه وتكوينه **بقادر على**
ان يحيي الموتى يعني ان اعادة الخلق واحياءه بعد الموت اهون عليه من ابداعه وخلقه وابتدائه ه

بلى

هين ابتداء الخلق وإعادتهم بعد الموت وهو قوله **بلى إنه على كل شيء قدير** يعني من إماتتهم وإحيائهم لأنه قادر على كل شيء **ويوم يعرض الذين كفروا على النار** فيه إضمار تقديره فيقال لهم **أليس هذا بالحق** يعني هذا العذاب الذي وعدكم به الرسل وهو الحق **قالوا بلى وربنا** هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم وعند ذلك يقال لهم **فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**

قوله عز وجل **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اصبر يا محمد على أذى قومك كما صبر أولو العزم من الرسل في الصبر على أذى قومهم **قال ابن عباس** ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر **واختلفوا** في أولي العزم من هم من الرسل فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيا إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل وهو اختيار الإمام فخر الدين الرازي قال لأن لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم ووصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الأنبياء كلهم أولو العزم إلا يونس للعجلة التي كانت فيه ألا ترى أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم أولو العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده **وقال** الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الله **وقيل** هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار وإسحق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وأيوب صبر على الضر **وقال** ابن عباس وقتادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وسلم أجمعين خمسة وقد ذكرهم الله تعالى على التخصيص والتعيين وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به الآية **روى** البغوي بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم إلا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ولم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وإني والله لا بد لي من طاعته والله لأصبرن كما صبروا ولأجهدن ولا قوة إلا بالله قوله تعالى **ولا تستعجل لهم** يعني اصبر على أذاهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فإنه نازل بهم لا محالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر وأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فأمره الله بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب العذاب فقال تعالى **كأنهم يوم يرون ما يوعدون** يعني من العذاب في الآخرة **لم يلبثوا** يعني في الدنيا **إلا ساعة من نهار** يعني أنهم إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لأن ما مضى وإن كان طويلا صار قصيرا بالنسبة إلى ما يلاقيهم عليهم من العذاب وهو أبد الآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى **بلاغ** أي هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله إليكم والبلاغ بمعنى التبليغ **فهل يهلك** يعني بالعذاب إذا نزل **إلا القوم الفاسقون** يعني الخارجين عن الإيمان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله

والله اعلم بمراده واسرار كتابه :: تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم
وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها ولم يتقبلها منهم واراد بالاعمال ما كانوا يفعلونه من اعمال البر من
اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم اول هذه السورة
متعلق باخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم اعمال صالحة
كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بان الفا
سقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها لم تكن لله ولا بامره انما فعلوها
من عند انفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب ابطلها الله تعالى وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون
الجيش يوم بدر وهم رؤساء كفار قريش وقيل هم كفار اهل الكتاب وقيل هو عام يدخل فيه
كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الاسلام او منعوا انفسهم
من الدخول في الاسلام اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما
عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والذين امنوا وعملوا الصالحات قال ابن عباس الذين كفروا اهل
مكة كفار قريش والذين امنوا هم الانصار وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب وقيل هو عام يدخل فيه كل مومن
امن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المومنين وامنوا بما نزل على محمد يعني القرءان الذي
انزل على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الله تعظيما لشان القرءان العظيم الكريم وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به واكد ذلك بقوله
هو الحق من ربهم وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه
نسخ وقال سفيان الثوري في قوله وامنوا بما نزل على محمد يعني لم يخالفوه في شيء كفر عنهم سيئاتهم
يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها وغفر لهم بذلك ما كان منهم
واصلح بالهم يعني حالهم وشانهم وامرهم بالتوفيق في امور الدين والتسليط على امور الدنيا بما اعطاهم
من النصر على اعدائهم وقيل اصلح بالهم يعني قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال ابن عباس
عصمهم ايام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح يعود الى اصلاح اعمالهم حتى لا يعصوا ذلك بان الذين كفروا اتبعوا
الباطل يعني الشيطان وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني القرءان ومعنى الاية ذلك الامر
وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيئات المومنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المومنين
الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم الضمير في امثالهم راجع الى الناس على انه تعالى يضرب
للناس امثال انفسهم او انه راجع الى الفريقين على معنى انه تعالى يضرب امثال الفريقين للناس ليعتبروا بهم قال
الزجاج كذلك يبين الله امثال حسنات المومنين واضلال اعمال الكافرين للناس قوله تعالى فاذا لقيتم
الذين كفروا من العدو اي في الحرب فضرب الرقاب يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل وهوم
لان المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالذكر لان قتل الانسان اشنع ما يكون
بضرب رقبته فلهذا خص بالذكر في الامور بالقتل ولان الراس من اشرف اعضاء البدن فاذا ابين عن

بدنه

عن بدنه كان أسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره، وفي هذا عظة **حتى اذا اثخنتموهم** يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشيء الثخين وهو الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة **فشدوا الوثاق** يعني في الاسر والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به اي يشد به **فإما منا بعد وإما فداء** يعني بعد أسرهم إما أن تمنوا عليهم منا بإطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء

فصل في حكم الآية اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الأوزاعي وأصحاب الرأي قالوا لا يجوز المن على من وقع في الأسر من الكفار ولا الفداء بل إما القتل أو الاسترقاق أيهما رأى الإمام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الاسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ويكونوا من أهل الذمة وفي الفداء أن يفادى بأساراهم أسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور عنه أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وذهب أكثر العلماء الى أن الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال او بأسرى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء واكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى فإما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح لانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده **(ق)** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان الغد قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة فقال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض ابغض علي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الدين كله الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد كلها الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكني اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما ثقيف أخرجه الشافعي

في مسنده وابو داود بلفظ أطول من هذا وقوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها يعني اثقالها والمراد اهل الحرب
حتى يضعوا اسلحتهم ويمسكوا عن القتال واصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل
الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الاثام ومعناه حتى تضع المحاربون اوزارهم بان يتوبوا
من كفرهم فيومنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار المشركين وقبائح اعمالهم بان يسلموا
ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخلوا اهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا
يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل اخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند قال الكلبي معناه
حتى يسلموا أو يسالموا قال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم كذلك يعني الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار
ولو يشاء الله لانتصر منهم يعني لو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم أمرهم ولكن يعني ولكن
أمركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض يعني فيصير من قتل من المومنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب
والذين قتلوا في سبيل الله يعني استشهدوا وفي قراءة قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله فلن يضل اعمالهم
يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت
يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل سيهديهم يعني ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة
الى الدرجات العلى ويصلح بالهم يعني يرضي خصماءهم ويقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يعني بين لهم منازلهم في الجنة
حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها كانهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المومن أهدى
الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله واهله في الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن
ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف اي مطيب قوله عز وجل
يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اولياء الله
وحزبه ينصركم يعني على عدوكم ويثبت اقدامكم يعني عند القتال وعلى الصراط والذين كفروا
فتعسا لهم قال ابن عباس بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الفراء
خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي في النار
ويقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وارادوا قيامه وفي هذا
اشارة لطيفة وهو انه تعالى لما قال في حق المومنين ويثبت اقدامكم يعني في الحرب والقتال كان من الجائز ان
يتوهم ان الكافر ايضا يصبر ويثبت قدمه في الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان له الثبات ايها المومنون ولهم
العثار والزوال والهلاك وقال في حق المومنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شيء وقال في حق الكفار
بصيغة الدعاء عليهم واضل اعمالهم يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان ذلك يعني التعس
والاضلال بانهم كرهوا ما انزل الله يعني القرآن الذي فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام
والتكاليف الشاقة على النفوس لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق
عليهم ذلك ولاخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله فاحبط
اعمالهم يعني فابطل اعمالهم التي عملوها في غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال
تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني من الامم الماضية

والقرون الخالية الكافرة دمر الله عليهم يعني دمر الله يعني اهلكهم والدمر على ابدانهم اهلكهم ما يختص
به والمعنى اهلك الله عليهم ما يختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم وللكافرين يعني بمحمد صلى الله
عليه وسلم امثالها يعني ان لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا التعقيب
انما يكون في الاخرة ذلك للاهلاك والهوان بان اي بسبب ان الله مولى الذين امنوا يعني هو ناصر
هم ووليهم ومتولي امورهم وان الكافرين لا مولى لهم يعني لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا
الاصنام وهي جماد لا تنصر ولا تنفع ولا تضر من عبدها فلاجرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا
مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمعنى هنالك بمعنى الرب والمالك
والله تعالى رب كل احد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الايتين ولما ذكر الله تعالى حال المومنين
والكافرين في الدنيا ذكر حالهم في الاخرة فقال تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار يعني هذا لهم في الاخرة والذين كفروا يتمتعون يعني في الدنيا
بلذاتها وشهواتها وياكلون كما تاكل الانعام يعني ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ومع
ذلك لاهون ساهون عما لهم في غد ولهذا اشبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذا
الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه فقيل المومن في الدنيا يتزود
والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لانها جنته وهي سجن المومن بالنسبة
الى ما اعد الله له في الاخرة من النعيم العظيم الدائم والنار مثوى لهم يعني مقام الكافر في الاخرة والثوى
المقام في المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم قوله تعالى وكاين من قرية هي
اشد قوة من قريتك التي اخرجتك يعني اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال
هي اشد قوة من اهل مكة اهلكهم الله يدل عليه قوله اهلكناهم ولم يقل اهلكناها فلا ناصر لهم
يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذي حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله واحب بلاد الله الي ولولا ان المشركين
لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الاية افمن كان على بينة من ربه يعني على يقين من دينه وهو محمد
صلى الله عليه وسلم والمومنون معه كمن زين له سوء عمله وهو الكافر ابو جهل ومن معه من المشركين
واتبعوا اهواءهم يعني في عبادة الاوثان قوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون لما بين الله
عز وجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بين في هذه الاية ما اعد لكل واحد من الفريقين فقدم اولا ما
اعد للمومنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة قال سيبويه حيث
قال المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشبها به وقيل الممثل به محذوف غير
مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشيء عظيم وقيل الممثل به مذكور والمعنى
مثل الجنة وهو قوله كمن هو خالد في النار فيها يعني في الجنة التي وعد المتقون انهار من ماء غير
اسن يعني غير متغير ولا منتن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانهار من لبن لم يتغير
طعمه كما تتغير البان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعام وانهار من خمر لذة للشاربين
يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس

مع شربه ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد اللذة فقط **وانهار من عسل مصفى** يعني ليس
فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يكون فيه بعض خلطه بل هو خالص صاف من جميع شوائب
عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل
وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **عن ابي هريرة** رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة .:.
قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما
سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر اذنة
وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما
ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال واما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تاويلان الثاني
وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة والجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب
اهل السنة **وقال** كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر
نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي عنه
وقوله تعالى **ولهم فيها من كل الثمرات** يعني ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان ماكول اهل الجنة للذة لا
للحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة **ومغفرة من ربهم** **فان قلت** المومن
المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها مغفرة **قلت** ليس بلازم ان يكون المعنى لهم
مغفرة فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها
وجواب اخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيها فيما ياكلون ويشربون بخلاف الدنيا
فان ماكولها يترتب عليه حساب التكاليف عنهم فيها وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب
فيه قوله تعالى **كمن هو خالد في النار** يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار يتجرع
من حميمها وهو قوله تعالى **وسقوا ماء حميما** يعني شديد الحر اذ اسعرت عليه جهنم منذ خلقت
اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فاذا شربوه **فقطع امعاءهم** يعني فخرجت
من ادبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد
في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في
النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم **عن ابي هريرة** رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو
الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح **عن ابي امامة** عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى
وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال الله تعالى وسقوا ماء حميما
فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب قوله تعالى **ومنهم** يعني ومن هؤلاء الكفار **من يستمع اليك** وهم المنافقون
يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه حتى اذا خرجوا **من عندك** يعني ان

هؤلاء

هولاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فإذا خرجوا من عندك قالوا يعني المنافقين
للذين أوتوا العلم يعني من الصحابة ماذا قال آنفا يعني ما الذي قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال
ائتنفت هذا أي ابتدأته قال مقاتل وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فإذا خرجوا
من المسجد وسألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت
فيمن سئل أولئك يعني المنافقين الذين طبع الله على قلوبهم يعني فلم يومنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا أهواءهم يعني في الكفر والنفاق والمعنى أنهم لما تركوا اتباع
الحق أمات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل وعند ذلك اتبعوا أهواءهم في الباطل والذين اهتدوا
يعني المومنين لما بين الله تعالى أن المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المومن
المهتدي الذي ينتفع بما يسمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداية الله تعالى إياهم إلى الإيمان زادهم
هدى يعني أنهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا
منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وإيمانا مع إيمانهم وآتاهم تقواهم يعني ووفقهم
للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير أثابهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نصيب
تقواهم بعد أن تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة
يعني أن الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الإيمان فلم يومنوا فالساعة تأتيهم بغتة فجأة وهم
وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون إلا الساعة والساعة آتية لا محا
لة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما
مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن وقوله تعالى فقد جاء أشراطها أي أماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام
الساعة أمرا مستبعدا في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فكأن
قائلا قال فمتى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء أشراطها قال المفسرون من أشراط
الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن سهل بن سعد قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بإصبعيه هكذا الوسطى والتي تلي الإبهام وقال بعثت أنا والساعة
كهاتين وفي رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بإصبعيه يمدهما ق عن أنس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل إحداهما على الأخرى
وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى
قيل معنى الحديث أن المراد أن ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شيء يسير كما بين الإصبعين
في الطول وقيل هو إشارة إلى قرب المجاورة ق عن أنس قال عندي [illegible] لأحدثكم حديثا
عن نبي صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الساعة أو قال
من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنى ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون
لخمسين امرأة قيم وفي رواية ويظهر الزنى ويقل الرجال ويكثر النساء ق عن أبي هريرة رضي الله

عنه قال قال رسول الله ﷺ من اشراط الساعة ان يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج
قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل او قال يظهر الجهل خ عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه اعرابي فقال متى الساعة
فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم
بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة
فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وقوله تعالى فأنى
لهم اذا جاءتهم ذكراهم يعني من اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل
معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا تحسب
بالايمان في ذلك الوقت فاعلم انه لا اله الا الله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه
صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فائدة هذا الامر واجيب عنه بان معناه
دم على ما انت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس اي دم على ما انت عليه من الجلوس او يكون معناه
ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من امته
قال ابو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم الساعة فاعلم
انه لا ملجأ ولا منجا ولا مفزع عند قيامها الا الى الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا
حكم لاحد الا الله الذي لا اله الا هو واستغفر لذنبك امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار
مع انه مغفور له ليستن به امته وليقتدوا به في ذلك م عن الاغر المزني الجهني قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم مائة مرة في اليوم خ عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين
مرة وفي رواية اكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر اي يلبس
على قلبي ويغطى وسبب ذلك ما اطلعه الله عليه من احوال امته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم
وقيل انه لما كان يشغله النظر في امور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من
اعظم طاعة واشرف عبادة عن ارفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه
وخلوص همه من كل شيء سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات
الابرار سيئات المقربين وقيل هو ماخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى السماء وكان هذا
الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويقطعه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين
هو السكينة التي تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار
الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين النووي عن القاضي عياض ان المراد به الفترات والغفلات
من الذكر الذي كان شانه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا افتر او غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى
الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحارث المحاسبي خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال
وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب
ويكون استغفاره شكرا كما قال افلا اكون عبدا شكورا وقيل في معنى الاية استغفر

لذنبك

لذنبك اي لذنوب اهل بيتك وللمومنين والمومنات يعني من غير اهل بيته وقيل هذا الكلام من الله عز وجل
لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم والله يعلم
متقلبكم ومثواكم قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني منصرفكم ومنتشركم في اعمالكم في الدنيا ومثواكم
يعني مصيركم الى الجنة والى النار وقيل متقلبكم في اشتغالكم بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم وقيل
متقلبكم من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى انه تعالى عالم
بجميع ها مرامه وبطونهن ومثواكم في الدنيا الحوالك فلا يخفى عليه شيء منها وان دق وخفي قوله تعالى
ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة وذلك ان المومنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله فقالوا
هلا انزلت سورة تامرنا بالجهاد لكيما نجاهد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال قال
مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين رايت الذين في قلوبهم مرض
يعني نفاق وهم المنافقون ينظرون اليك يعني شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو
نظر المغشي عليه من الموت يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت فاولى لهم فيه وعيد
وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد اولى لك اي وليك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدا
بقوله طاعة وقول معروف وعلى هذا هو مبتدا محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل
لهم واولى بهم والمعنى لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا كان امثل واحسن وقيل متصل بما قبله واللام
في لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو اطاعوا
واجابوا لكانت الطاعة والاجابة اولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه فاذا عزم الامر
فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على اصله ومجازه كقولنا جاء الامر وجاء الوقت وهذا
اي متوقع ومعناه فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به فلو صدقوا الله لكان
خيرا لهم يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم فهل
عسيتم فلعلكم ان توليتم يعني اعرضتم عن سماع القران وفارقتم احكامه ان تفسدوا في
الارض يعني تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد في الارض بالمعصية والبغي وسفك
الدماء وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام وتقطعوا ارحامكم قال قتادة كيف رايتم القوم
حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدماء الحرام ويقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك
قطعته وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم
فاخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع
من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو مشد الازار من
الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك
القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم من الله الانعام والاحسان اليهم وقطع الرحم صلته

والعابد اللائي المستنجد. قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبر انما هي معنى من المعاني
وليست بجسم وانما هي قرابة ونسب يجمعه رحم والدة فيتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما
والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على
عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمي
العقوق قطعا كأنه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملائكة وتعلق بالعرش
وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله عز وجل هذا كلام القاضي عياض في معنى هذا الحديث والله اعلم
وقيل في الاية في قوله ان توليتم هو من الولاية يعني فهل عسيتم ان وليتم امر الناس ان تفسدوا في
الارض يعني بالظلم وتقطعوا ارحامكم ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور
والمعنى هل يتوقع منكم الا الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لانه
تعالى عالم بكل شيء فما معناه قلت قال بعضهم معنى تعليله بفعل المترجي المتوقع وقال بعضهم
معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشري معناه انه لما عهد منكم كنتم احقاء بان يقول
لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم
امور الناس وتأمرتم عليهم الا ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا
اولئك اشارة الى من اذا تولى افسد في الارض وقطع الارحام الذين لعنهم الله يعني ابعدهم من
رحمته وطردهم عن جنته فاصمهم يعني عن سماع الحق واعمى ابصارهم يعني عن طريق الهدى
وذلك انهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه
فكانوا بمنزلة الصم العمي وان كان لهم اسماع وابصار في الظاهر افلا يتدبرون القرآن يعني يتفكرون
في مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر في عاقبته وما يؤول اليه امره وتدبر القرآن لا يكون الا مع حضور
القلب وجمع الهم وقت قراءته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية ام على قلوب
اقفالها يعني بل على قلوب اقفالها وجعل الاقفال مثلا لكل مانع للانسان من تعاطي فعل يقال فلان
مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله قد اصمهم واعمى ابصارهم واقفل على قلوبهم
وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليفه ما لا يطاق
جائز عندنا لان الدعاء بالايمان بيان لمن سبق في علمه انه لا يؤمن فكذلك لا يؤمن هذا والله يفعل ما يريد لا اعتراض
لاحد عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون القرآن المراد به التاسيس وقيل ان هذه الاية محققة للاية
المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله افلا
يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذين استحقوا بسببه اللعنة وكالتحقيق
لهم على اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراده. روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب
اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث
مرسل عروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين واجلتهم لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنين
وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل ان الذين ارتدوا على ادبارهم يعني رجعوا القهقرى كفارا

من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى
الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون قد
آمنوا اولا ثم كفروا ثانيا الشيطان سول لهم يعني زين لهم القبيح حتى راوه حسنا واملى لهم قرئ
بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله يعني امهلوا ومد لهم في العمر وقرئ واملى لهم بفتح الالف
واللام يعني واملى لهم الشيطان بان مد لهم في الامل فإن قلت الاملاء والامهال لا يكون الا من الله لانه
الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول
والمملي هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما اسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده
ولسانه والشيطان يغويهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى
آخر العمر ذلك اشارة الى التسويل والاملاء بانهم يعني اهل الكتاب او المنافقين قالوا للذين كرهوا ما
انزل الله وهم المشركون سنطيعكم في بعض الامر يعني في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك
الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم
ثم قال والله يعلم اسرارهم يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية من امرهم فكيف اذا توفتهم الملائكة
يعني كيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك يعني الضرب بانهم
يعني بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما
كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكرهوا رضوانه يعني كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل
وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحبط اعمالهم يعني فابطل اعمالهم التي
عملوها من اعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره ام حسب الذين في قلوبهم مرض يعني شك ونفاق وهم المنافقون
ان لن يخرج الله اضغانهم يعني يظهر احقادهم على المومنين فيبديها حتى يعرف المومنون نفاقهم واحدها
ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم
لما قال الله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ويظهرها فاخبر تعالى انه انما اخر ذلك
لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم اي لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف
فيطلعون لا يلزم المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكذا المعنى ههنا فلو عرفتهم تعريفا تعرفهم به وفيه
اشارة الى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعني بعلاماتهم اي نجعل لك علامة
تعرفهم بها قال انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين وكان يعرفهم
بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول يعني في معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صواب وخطأ
صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
فلعل بعضكم الحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم في لحن القول واما اللحن المذموم فظاهر وهو
صرف الكلام عن الصواب الى الخطأ بازالة الاعراب والتصحيف ومعنى الآية وانك يا محمد لتعرفن المنا
فقين فيما يعرضون به من القول من تهجين امرك وامر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق
عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال والله
يعلم اعمالكم يعني اعمال جميع عباده فيجازي كلا على قدر عمله قوله تعالى ولنبلونكم يعني ولنعاملنكم

معاملة المختبر فإن الله تعالى عالم بجميع الأشيا قبل كونها ووجودها حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
يعني أننا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر إليه منكم ويصبر عليه من غيره لأن المراد من
قوله حتى نعلم علم الوجود والظهور ونبلو أخباركم يعني نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال
ولا يصبر على الجهاد إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول يعني خالفوه فيما
يأمرهم به من الجهاد وغيره من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق
الرسول صلى الله عليه وسلم لن يضروا الله شيئا يعني إنما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك
وسيحبط أعمالهم يعني وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الآخرة لأنها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس
هم المطعمون يوم بدر قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول لما ذكر الله
الكفار بسبب مشاقتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المومنين بطاعته وطاعة رسوله ثم قال
تعالى ولا تبطلوا أعمالكم قال عطاء يعني بالشك والنفاق والمعنى داوموا على ما أنتم عليه من الإيمان والطاعة
ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أبطل أهل
الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبي لا تبطلوا
أعمالكم بالريا والسمعة لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن
لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي والكبائر قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعده أن
تحبط الأعمال واستدل بهذه الآية من يرى إحباط الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك
لأن الله يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وإن تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالله تعالى أعدل وأكرم من أن يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية
واحدة وروي عن ابن عمر أنه قال كنا نرى أنه لا شيء من حسناتنا إلا مقبولة حتى نزلت ولا تبطلوا
أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل إن الله لا يغفر أن
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجوا
لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى إبطال النوافل حتى لو دخل في صلاة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز
له إبطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم في الآية ولا حجة لأن السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيح
أن النبي صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع إلى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما
فأكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفي الصحيح أيضا أن سلمان زار أبا الدرداء فصنع له طعاما فلما
قربه قال كل فإني صائم قال لست بآكل حتى تأكل فأكل معه وقال مقاتل في معنى الآية لا تمنوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا أعمالكم نزلت في بني أسد وسنذكر القصة في تفسير سورة الحجرات
إن شاء الله تعالى إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
قيل نزلت في أهل القليب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا يوم بدر وألقوا في القليب ببدر وحكمها
عام في كل كافر مات على كفره فإن الله لا يغفر له لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فلا تهنوا الخطاب فيه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلا

تضعفوا

تضعفوا ايها المومنون وتدعون الى السلم يعني لا تدعوا الكفار الى الصلح ابتداء منع الله المسلمين ان يدعوا
الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا وانتم الاعلون يعني وانتم الغالبون لهم العالون عليهم اخبر الله انه
ناصر للمسلمين والنصر والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين في بعض الاوقات والله معكم يعني بالنصر والعونة
ومن كان الله معه فهو العلي الغالب ولن يتركم اعمالكم يعني لن ينقصكم شيئا من ثواب اعمالكم وقال
ابن عباس وغيره لن يظلمكم اعمالكم الصالحة بل يوتيكم اجورها ثم حض على طلب الاخرة بذم الدنيا فقال تعالى
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اي باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الاخرة وقد علمتم ان الدنيا
كلها لعب ولهو الا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما اشغل الانسان وليس فيه منفعة
في الحال ولا في المال ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه اشغاله المهمة فهو اللعب وان
شغله عن مهمات نفسه فهو اللهو وان تومنوا وتتقوا يوتكم اجوركم يعني يوتكم جزاء اعمالكم في الاخرة
ولا يسالكم اموالكم يعني ان الله لا يسال من العباد اموالهم لا يتناوله شي عليهم بل يامرهم بالايمان والتقوى
ليثيبهم لا يسالكم الله ورسوله اموالكم كلها في الصدقات انما يسالكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من اموالكم
وهي زكاة اموالكم ثم زكى عليكم ليس لله ورسوله فيه حاجة انما فرضها الله في اموال الاغنياء وردها على الفقراء
فطيبوا باخراج الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الاية وهو
قوله تعالى ان يسالكموها الضمير عائد الى الاموال فيحفكم يعني يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة في
المسالة وبلوغ الغاية في كل شي يقال احفى في المسالة اذا لم يترك شيئا من الالحاح تبخلوا يعني بالا
موال فلا تعطوها ويخرج اضغانكم يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله ان
الاحفاء بمسالة الاموال خروج الاضغان ها انتم هولاء يعني انتم يا هولاء المخاطبون الموصوفون ثم
استانف وصفهم فقال تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل اراد به النفقة في الجهاد والغزو
وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله فمنكم من يبخل يعني بالصدقة
واداء الفريضة فلا يتعدا ضر بخله وهو قوله ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني يعني عن
صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض وانتم الفقراء يعني اليه والى
ما عنده من الخير والثواب في الدنيا والاخرة وان تتولوا يعني عن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم وعن القيام بما امركم الله والى ما ابيه يستبدل قوما غيركم يعني يكونون اطوع لله ولرسوله منكم
ثم لا يكونوا امثالكم قال الكلبي هم كندة والنخع من اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس
والروم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب
سلمان ثم قال هذا وقومه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وله في رواية اخرى عن ابي هريرة
قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هولاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا
ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وهذا
الحديث طرف في الصحيح زاد في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الفتح وهي مدنية

خ عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك عمر نزرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل فيّ قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون نزل فيّ قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا واخرجه الترمذي وزاد فيه فقال في بعض اسفاره بالحديبية ق عن انس قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي آية هي احب الي من الدنيا جميعا ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك قال الحديبية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فما لنا ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال اما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس واما هنيئا مريئا فعن عكرمة واخرجه الترمذي عن قتادة عن انس قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي آية احب الي مما على الارض ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك بفتح مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد هو فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله تعالى له فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء به بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كأنه تعالى قال انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال اكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الراجح وهو رواية عن انس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه عن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن

لفظ مسلم

وركابنا

وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر من ذنبه وما تاخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المو
منون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشر
كين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق
كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع
المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن ابن الفضل هو مردود الى قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمو
منات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وليدخل المومنين والمومنات جنات وقال ابن جرير
هو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله وقيل ان الفتح لم يجعل
سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية
الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفر لك ذنبك وهديناك ص
راطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والاجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا
للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان
هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الاية ليغفر لك
الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تاخر يعني بعدها وهذا على قول من يجوز
الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب ابويك ادم وحواء ببركتك
وما تاخر ذنوب امتك بدعائك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك ما كان منك قبل
النبوة وما تاخر يعني كل شيء لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التاكيد كما تقول اعط من راك ومن لم ي
رك واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل
المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتاويل لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد
بذكر الذنب هنا ما عسى ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقربين فسماه
ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله عز وجل بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته
عليه وهو قوله تعالى ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة وما اعطاك من الفتح والنصر والتمكين
ويهديك صراطا مستقيما يعني ويهدي بك الى صراط مستقيم ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع
الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدي بك
الى صراط مستقيم وينصرك الله نصرا عزيزا يعني غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الاعداء وفتح
ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله فان قلت وصف الله النصر بكونه عزيزا والعزيز
هو المنصور صاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية اي ذات رضى
وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازا يقال هذا كلام صادق كما يقال
متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل
انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كان العز من الغلبة والعزيز الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس

الخليل الكريم المطمئن فلا يحتاج إلى هذا التقرير لأن النبي الذي هو من الله تعالى عزيز في نفسه لكونه من الله
فيه وصف كونه منصورا عزيزا قوله تعالى **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المومنين** يعني الطمانينة والوقار
في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة في القرآن طمانينة إلا التي في سورة البقرة
وقد تقدم تفسيرها في موضعها لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر
كيف هو وذلك أنه تعالى جعل السكينة التي هي الطمانينة والثبات في قلوب المومنين في الحرب
من ذلك لا تبلغ الأفزاع عند اللقاء في الحرب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذي وعد الله نبيه
صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى **ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم** وذلك أنه جعل السكينة والطمانينة
في قلوب المومنين سببا لزيادة الإيمان في قلوبهم وذلك أنه كلما ورد عليهم أمر أو نهي فآمنوا
به وعملوا بمقتضاه كان ذلك زيادة في إيمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم
بشهادة أن لا إله إلا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ح
أكمل دينهم فكلما أمروا بشيء وصدقوه ازدادوا تصديقا إلى تصديقهم **وقال الضحاك**
يقينا مع يقينهم **وقال الكلبي** هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل
لما آمنوا بالأصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله عز وجل
وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهي جميع التكاليف البدنية
والمالية كان ذلك زيادة في إيمانهم **ولله جنود السماوات والأرض** لما قال الله عز وجل وينصرك الله
نصرا عزيزا وكان المومنون في قلة من العدد والعدد وكان قليلا قال كيف ينصرهم فأخبر الله تعالى أن
له جنود السماوات والأرض وهو قادر على نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو
قادر على أن يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينته في قلوبكم
أيها المومنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإهلاك أعدائه على أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم
العذاب وفي جنود السماوات والأرض وجوه الأول أنهم ملائكة السماوات والأرض الثاني أن
جنود السماوات الملائكة وجنود الأرض جميع الحيوان الثالث جنود السماوات مثل الصا
عقة والصيحة والحجارة وجنود الأرض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك **وكان الله عليما**
يعني بجميع جنوده الذين في السماوات والأرض **حكيما** يعني في تدبيرهم وقيل عليما بما في قلوبكم
أيها المومنون حكيما حيث جعل النصر على أيديكم قوله عز وجل **ليدخل المومنين والمومنات**
جنات تجري من تحتها الأنهار فقوله ليدخل المومنين يستدعي سابقا تقديره هو الذي أنزل
السكينة في قلوب المومنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره إن من علمه وحكمته أن سكن قلوب
المومنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات
تجري من تحتها الأنهار وقد تقدم ما روي عن أنس أنه لما نزلت قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا
فأنزل الله الآية التي بعدها ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الأنهار **خالدين فيها**
ويكفر عنهم سيئاتهم **فإن قلت** تكفير السيئات إنما يكون قبل دخول الجنة فكيف ذكره بعد

دخولهم

دخولهم الجنة **قلت** الواو لا يقتضي الترتيب وقيل ان تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون
المكلف من اهل الجنة فتقدم الادخال الذي يعني انه من اهل الجنة **وكان ذلك عند الله فوزا عظيما**
يعني ان ذلك الادخال والتكفير كان في علم الله فوزا عظيما **ويعذب المنافقين والمنافقات والمشر
كين والمشركات** يعني المنافقين والمنافقات من اهل المدينة والمشركين والمشركات من اهل مكة
انما قدم المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين كانوا اشد على المومنين من الكافرين
لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره
اكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافقين الذي اولى **الظانين بالله ظن السوء** يعني انهم ظنوا ان الله تعالى
لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمومنين **عليهم دائرة السوء** يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك **وغضب
الله عليهم** زيادة في تعذيبهم وهلاكهم **ولعنهم** يعني وابعدهم وطردهم عن رحمته **واعد لهم جهنم**
يعني في الاخرة **وساءت مصيرا** يعني ساءت جهنم منقلبا **ولله جنود السموات والارض** تقدم تفسير
يعني ما فائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السماوات والارض على ادخال المومنين الجنة ولم اخر ذكر جنود
السماوات هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتاكيد وجنود السموات قبل
ادخال المومنين الجنة ليكون مع المومنين جنود الرحمة فيثبتونهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا
الجنة افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شيء واخر ذكر جنود السموات
والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم ابدا **فان قلت**
قال في الاية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه وكان الله عزيزا حكيما فما معناه **قلت**
لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المومنين ناسب ان يكون
خاتمة الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ في وصف الكافر والمنافق وشدته ناسب ان يكون خاتمة
الاية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله اليس الله بعزيز ذي انتقام وقوله اخذناهم اخذ عزيز
مقتدر قوله تعالى **انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر في معرض الا
متنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا يعني على اعمال امته ومبشرا يعني
لمن امن به واطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى امره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال فقال
تعالى **ليومنوا بالله ورسوله** فالضمير فيه للناس المرسل اليهم **ويعزروه** يعني ويعينوه وينصروه والتعز
ير نصر مع تعظيم **ويوقروه** يعني ويعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل **ويسبحوه** من التسبيح
الذي هو التنزيه من جميع النقائص او من السبحة وهي الصلاة فالتي تختص به والضمير لله تعالى والمراد بتعزير الله
دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقال بعضهم الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم وعند هذا تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه **بكرة
واصيلا** على ان الكناية في ويسبحوه راجعة الى الله عز وجل يعني ويصلوا لله او ويسبحوا الله بالغداة
والعشي قوله عز وجل **ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله** يعني ان الذين يبايعونك بالحديبية
على ان لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان
على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزم له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية

المنافق

وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت ببير هنالك وقد جاء في الحديث
ان الحديبية بير قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد
والتخفيف افصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن ابي عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شيء
بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رايتني يوم الشجرة والنبي صلى
الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن راسه ونحن اربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت
ولكن بايعناه على ان لا نفر. قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة
بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا او ينصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار
على ان لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال
الشجرة فاذا الناس محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شان الناس احدقوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى
يد الله فوق ايديهم قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال
السدي كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم كذا نقله البغوي
عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازي في
يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين
فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله كما قال
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق ايديهم اي نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال
اليد لفلان اي الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد في حق الله بمعنى الحفظ وقال
الزمخشري لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريق التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله عز وجل منزه عن الجوارح وعن صفات
الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت
بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله هذا مذهب اهل التاويل وكلامهم في هذه الاية ومذهب
السلف السكوت عن التاويل وامرار ايات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير
تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه يعني فمن نقض العهد
الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فانما يرجع وبال ذلك النقض عليه ولا يضر الا نفسه ومن
اوفى بما عاهد عليه الله يعني من البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الاخرة وهو الجنة قوله
تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة
واشجع واسلم والنخع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية
معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او
يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا
واعتلوا بالشغل فانزل الله فيهم سيقول لك المخلفون من الاعراب يعني الذين خلفهم الله عن صحبتك
اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك شغلتنا اموالنا واهلونا يعني النساء

والذراري

والذراري يعني من يكون لنا من يخلفنا فيهم ولذلك تخلفنا عنك فاستغفر لنا انا مع عذرنا معترفون بالاساءة
فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني
انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا قل فمن يملك لكم من
الله شيئا ان اراد بكم ضرا يعني سوءا او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة لهم في انفسهم واموالهم فاخبرهم الله انه ان اراد شيئا من ذلك
لم يقدر احد على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفا
ئكم النفاق بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا يعني ظننتم ان العدو يستاصلهم
فلا يرجعون الى اهليهم وزين ذلك في قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار
الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان من يوسوس في قلب الانسان الشيء ويزينه له حتى يقطع به وظننتم
ظن السوء يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس فيبيدون ان الله
قتلهم فلا يرجعون الى اهليهم وزين ذلك في قلوبهم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به
حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان من يوسوس في قلب الانسان الشيء ويزينه له حتى يقطع
به وظننتم فان ترجعون معهم انظروا ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا يعني وصرتم بسبب ذلك الظن
الفاسد قوما هالكين ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا لما بين الله تعالى
حال المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرضهم
على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده
فانه كافر وانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء لما ذكر الله تعالى حال المومنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء
اخبر انه له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه
ورحمته اعم واشمل واتم واكمل واليه الاشارة بقوله وكان الله غفورا رحيما قوله عز وجل سيقول
لك المخلفون يعني الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم وذهبتم ايها المومنون الى
مغانم لتاخذوها يعني غنائم خيبر وذلك ان المومنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال
ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا
عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا ذرونا نتبعكم يعني الى خيبر لنشهد
معكم قتال اهلها وفي هذا بيان ان المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا انه لم
يكن لهم هنالك طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة يريدون ان يبدلوا
كلام الله يعني يريدون ان يغيروا او يبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر خاصة
وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير
معه منهم احد الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فان استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي
ابدا والقول الاول اصوب قل اي قل لهم يا محمد لن تتبعونا يعني الى خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني
من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل

تحسدوننا يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا يعني الا قليلا
منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب لما قال النبي صلى الله عليه
وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخير ه
بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه وكان فيهم جعل الله لقبول توبتهم علامة وهي انهم
يدعون الى قوم اولي باس شديد فان اطاعوا كانوا من المومنين ويوتيهم الله اجرا حسنا وهو الجنة
وان تولوا واعرضوا اعماهم عوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا في المشار اليهم
بقوله ستدعون الى قوم اولي باس شديد من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب
هم الروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري
وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الاية
ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعا
هم عمر الى قتال فارس وقال ابو هريرة لم تات تاويل هذه الاية بعد واقوى هذه الاقوال
قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده قول من قال انهم
بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب اما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر اوهم في اخر
الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مومن تقي طاهر او مجاهر واما المنافقون فكان قد
علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب باسا وكذلك غطفان وقد استنفر
النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فثبت بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله
عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين احدهما انهم كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه
الثاني قوله اولي باس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم اولي باس شديد لان الهيبة
قد دخلت قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان يكون قوله لن
تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا مقيدا بقيد وهو ان يكون تقديره لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا
ما دمتم على ما انتم من النفاق والمنازعة وهذا القيد لا بد منه لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه
الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن
الوجه الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت
مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يدعهم الى
الجهاد معه ومنعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع ابو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الى الجهاد معهما
كما امتنعا من اخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من اخذها واما الجواب
عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم اولي باس شديد فغير مسلم لان
الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم اولوا باس شديد وثقيف فثبت بهذا البيان ان الداعي
للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم واما قول من قال ان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة اصحاب
مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة على صحة خلافتهما

لان الله وعد على طاعته الجنة وعلى مخالفته النار وقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون فيه اشارة الى وقوع
الحرب التي تنتهي الى الاسلام او القتل فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا يعني الجنة وان تتولوا يعني
تعرضوا عن الجهاد كما توليتم من قبل يعني عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما يعني النار ولما
نزلت هذه الاية قال اهل الزمانة والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في
جواز ترك الجهاد لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب
ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى
المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد
ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار اخر دون ما ذكر وهو الفقر الذي لا يمكن صاحبه ان يستصحب معه ما يحتاج اليه
في مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو
ذلك وانما قدم الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرب ولا غيره بخلاف الاعرج فانه
يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال
المرض عن قريب ومن يطع الله ورسوله يعني في امر الجهاد وغيره يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار ومن يتول يعني يعرض عن الطاعة ويستمر في الكفر والنفاق يعذبه عذابا اليما
يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك يعني بالحديبية على ان
يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت هذه الشجرة سمرة ق عن طارق بن عبد الرحمن (سمرة)
قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فاتيت سعيد بن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان ابي ممن بايع تحت
الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم اعلم وفي رواية سعيد
ابن المسيب عن ابيه قال لقد رايت الشجرة ثم اتيتها بعد فلم اعرفها وروي ان عمر مر بذلك المكان
بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول هاهنا وبعضهم يقول هاهنا فلما كثر
اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة خ عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على
الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله عن ابي الزبير انه سمع جابرا يسال كم كانوا يوم
الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير
جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية وقال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على
الموت واخرج الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت ق عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد
الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربع
مائة قال ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة
مائة ق عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان اصحاب الشجرة الفا وثلاثمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين

وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكر محمد بن إسحاق عن أهل
العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة
وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا
قتله فمنعتهم الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخاف على نفسي
من قريش وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك
على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبي سفيان
وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة
فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم ردفه
وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد
قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت
بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت
قال بكير بن الأشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد
تقدم عن جابر ومعقل بن يسار أنهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر وقد تقدم أيضا
الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الأكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان أحد
من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة قال جابر لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته
يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن ~~النار أحد ممن بايع تحت الشجر~~ الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل
الأحمر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم يعني من الصدق فأنزل
السكينة يعني الطمأنينة عليهم يعني المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى أن
لا يفروا وفي هذه الآية لطيفة وهي أن هذه البيعة كان فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله في الآية
المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار فيقتضي هذا البيان أن أهل
بيعة الرضوان من أهل الجنة ويتبين لهم صحة ما قلناه الحديث المتقدم فإن قلت الفاء في فعلم
للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لأنه تعالى علم ما في قلوبهم من الصدق والإيمان فرضي عنهم فكيف يفهم
التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم قلت قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله إذ يبايعونك
فيكون تقديره لقد رضي الله على المؤمنين إذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق إشارة الى أن الرضى
لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فأنزل السكينة

الشجرة

للتعقيب

شغف ب لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضيهم بانزل السكينة عليهم وقوله تعالى **واثابهم فتحا**
قريبا يعني خيبر **ومغانم كثيرة تاخذونها** يعني اموال اهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار
واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم **وكان الله عزيزا** يعني منيعا كامل العزة غنيا
عن اعانتكم **حكيما** حيث حكم لهم بالغنائم ولاعدائهم بالهلاك على ايديكم قوله تعالى **وعدكم**
الله مغانم كثيرة تاخذونها يعني المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لهم الى يوم القيامة
فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم الله
عز وجل في المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به
من الغنائم كالقليل من الكثير **وكف ايدي الناس عنكم** وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر
وحاصر اهلها همت قبائل من بني اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة
فكف الله عز وجل ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل ان الله كف ايدي اهل مكة بالصلح عنكم
لتمام المنة عليكم **ولتكون آية للمؤمنين** هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم المغانم لتنتفعوا بها
ولتكون آية للمؤمنين يعني وليحصل لمن بعدكم آية تدلهم على ان ما وعدكم الله حاصل مثله لهم وقيل ولتكون
آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم ويعلموا
ان الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم **ويهديكم صراطا مستقيما** يعني ويهديكم
الى دين الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر **ذكر غزوة**
خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة
وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع **ق** عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما
لم يكن يغير بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فانتهينا
اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال
فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما راهم النبي صلى الله
عليه وسلم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين **م عن سلمة بن الاكوع**
قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم. تالله لولا الله ما اهتدينا.
ولا تصدقنا ولا صلينا. ونحن من فضلك ما استغنينا. فثبت الاقدام ان لاقينا. وانزلن سكينة علينا.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر قال غفر الله لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما
قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا
الحروب اقبلت تلهب. قال وبرز له عمي عامر فقال. قد علمت خيبر اني عامر. شاكي السلاح بطل مغامر.
قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع
اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل
نفسه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قال ذلك فقلت ناس من اصحابك فقال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم ارسلني الى علي وهو ارمد فقال

فقال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما أصبح بعث عليا يجيئه به أقود وهو
أرمد حتى أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرئ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال
قد علمت خيبر أني مرحب ، شاكي السلاح بطل مجرب ، إذا الحروب أقبلت تلهب ، فقال علي أنا الذي سمتني
أمي حيدره ، كليث غابات كريه المنظره ، أوفيهم بالصاع كيل السندره ، قال فضرب مرحب فقتله ثم
كان الفتح على يديه أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخاري طرفا منه قال البغوي وقد روى
حديث خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس وأبو هريرة يزيدون وينقصون وفيه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل
قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا أشد من القتال الأول ثم رجع فأخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على
يديه فدعا عليا فأعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فلما أتى مدينة خيبر خرج إليه
مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد ثقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج إليه علي بن أبي طالب
فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف في الأضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو
يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوام فقالت صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابني يا رسول الله قال بل ابنك يقتله
إن شاء الله تعالى فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل
المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الأموال قال محمد بن إسحاق فكان أول حصونهم افتتح حصن
ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح القموص حصن بني أبي الحقيق فأصاب
منه سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب جاء بها بلال وبأخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم
التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية
ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي
عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا أنك
تمنين ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منها
فسألها عن ذلك ما هو فأخبرته الخبر وأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده
كنز بني النضير فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم إني رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت
إن وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم
سأله ما بقي فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل
ما عنده فكان الزبير يقدح بزند على صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة
فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر قال فصلينا
عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة فأجرى نبي

الله

بني الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه
حتى اني انظر بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فاصبناها
عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يا نبي الله اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت
حيي سيدة قريضة والنضير فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اعطيت دحية صفية بنت حيي
سيدة قريضة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من
من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال
قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل فاصبح النبي صلى الله عليه
عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجل يجيء ۝
بالسمن قال واحسبه قد ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ق
عن عبد الله بن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليلة خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية
فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفئوا القدور ولا تاكلوا
من لحوم الحمر فقال اناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون نهى عنها البتة ق عن انس ان امراة يهودية
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذاك
او قال علي قالوا الا نقتلها قال لا فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسماعيل
قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عا
يشة ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم خ عن عايشة
رضي الله عنها قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر ق عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان عمر اجلى اليهود من ارض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها
وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسالت
اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى اجلاهم عمر في امارته الى تيماء واريحا قال محمد بن اسحق
لما سمع اهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه
ان يحقن دماءهم وان يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان اهل خيبر سالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يعاملهم على النصف وقال على انا اذا شئنا اخرجناكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر ۝
للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم اليهودية شاة ۝
مصلية يعني مشوية وسالت اي عضو من الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت
فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع
فاخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاما بشر فاساغها يعني ابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه

مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا
استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على موضعه الذي توفي فيه
فقال يا ام بشر ما زالت الاكلة بخيبر التي اكلت مع ابنك تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري فكان المسلمون يرون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة عن عبد الله بن سلمان ان رجلا
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس
يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربح احد من اهل هذا الوادي فقال
ويحك ما ربحت قال ما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلاث مائة اوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتين بعد الصلاة اخرجه ابو داود قوله تعالى
واخرى لم تقدروا عليها يعني وعدكم الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها **قد احاط الله بها** يعني
حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم
واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل
كانوا خولا لهم حتى اقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله
عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح
فتحه المسلمون او يفتحونه الى آخر الزمان **وكان الله على كل شيء قديرا** اي من فتح القرى والبلدان
لكم وغير ذلك **ولو قاتلكم الذين كفروا** يعني اسدا وغطفان واهل خيبر **لولوا الادبار** اي لانهزموا
عنكم **ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا** يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد **سنة الله التي
خلت من قبل** يعني هذه سنة الله في نصر اوليائه وقهر اعدائه **ولن تجد لسنة الله تبديلا** قوله
عز وجل **وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم** سبب نزول هذه الآية ما روي عن انس بن مالك
ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين
يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم
عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم اخرجه مسلم وقال عبد الله
ابن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن
من اغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون
شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم
فقمنا اليهم فاخذناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جئتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا
قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الآية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى
اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم الفتح وهو قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم يعني ايدي اهل مكة
وايديكم عنهم اي قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة **ببطن مكة** قيل اراد به الحديبية وقيل
التنعيم وقيل وادي مكة **من بعد ان اظفركم عليهم** اي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم **وكان الله بما تعملون
بصيرا** قوله عز وجل **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام**

ذكر صلح الحديبية

روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه

قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة
البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما
اتى ذا الحليفة قلد الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه عينه الخزاعي وقال ان قريشا
قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل الى ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا
قعدوا موتورين وان نجوا يكن عنقا قطعها الله او ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا
على اسم الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات
اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل
فالحت فقالوا خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن
حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات
الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على
ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكا الناس الى النبي صلى الله عليه
وسلم العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن
النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر فغرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه
فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية
معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال
احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا
بيني وبين الناس فان اظهر فان شاؤوا ان يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا
فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم
ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم
ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الراي منهم هات ما سمعته
يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي
اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون
اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا
الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه فجعل
وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارايت ان استاصلت قومك
هل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لارى وجوها واني لارى اشوابا
من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق رضي الله عنه امصص بظر اللات انحن نفر عنه

وتركوك فقال من ذا قالوا ابو بكر فقال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال
وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على راس النبي صلى
الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب
يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا
المغيرة بن شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم
واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه
في شيء ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله
عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا
كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة
الى اصحابه فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رايت
ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك
بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا
اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من
كنانة دعوني اتيه فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون
فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد
قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش
فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما
راى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس رجع الى قريش ولم يصل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما راى فقال يا معشر قريش اني قد رايت ما لا يحل صد الهدي في قلائده قد اكل
اوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال
يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ايصد عن بيت الله من جاء معظما
له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا
مه كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني
اتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى
الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء
سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ادري
ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله
الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه
محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب

محمد بن عبد الله **قال الزهري** وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم
اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر
سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ان تخلوا بيننا وبين
البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل
فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان
الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما **وروى** عن البراء قصة الصلح وفيه فقالوا لو نعلم انك رسول الله
ما منعناك شيئا ولكن انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله
قال لا والله لا امحوك ابدا قال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده **وفي رواية** فاخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال
البراء اشترط ثلاثة اشياء على ان من اتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من
قابل ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه **وروى ثابت**
عن انس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا ان من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم
منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله انكتب هذا قال نعم من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن
جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا الى حديث الزهري قال فبينما هم كذلك اذ جاء ابو
جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر
المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول من اقاضيك عليه ان ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم
نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما
انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال ابو جندل اي معشر
المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا في
الله **وفي الحديث** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك
ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر يمشي
الى جنب ابي جندل ويقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون وانما دم احدهم دم كلب ويدني قائم السيف منه
قال عمر رجوت ان ياخذ السيف فيضرب به اباه فضن الرجل بابيه وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوا ذلك دخل الناس امر
عظيم حتى كادوا يهلكوا وزادهم امر ابي جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت
الا يومئذ **قال الزهري** في حديثه عن مروان والمسور ورواه ابو وائل عن سهل بن حنيف قال
عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق
وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو
ناصري قلت اوليس كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى افاخبرتك انك تاتيه العام
قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى
قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال ايها الرجل انه

انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا
انا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى فأخبرك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال عمر فعملت
لذلك اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا
فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم احد منهم قام فدخل على ام سلمة فذكر لها ما
لقي من الناس فقالت ام سلمة يا نبي الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم احدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو
حالقك فيحلقك فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا
غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال والمقصرين
قال لا ثم انسكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين
بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاءه نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم
المؤمنات فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر
فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج احداهما معاوية بن ابي سفيان والاخرى صفوان بن امية قال
فنهاهم ان يردوا النساء وامرهم برد الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه ابو بصير
عتبة بن اسيد رجل من ثقيف وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عبد عوف والاخنس
ابن شريق الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم
فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا
الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا
الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله اني لأرى سيفك هذا جيدا فاستله
الآخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال ابو بصير ارني انظر اليه فأخذه منه فضربه
حتى برد وفر الآخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه
لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ويلك ما لك قال قتل والله صاحبي واني لمقتول
فوالله ما برح حتى طلع ابو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله اوفى الله ذمتك فقد رددتني اليهم ثم انجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه
مسعر حرب لو كان معه احد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر وبلغ المسلمين
الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بصير ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد
فخرج عصابة منهم اليه فانفلت ابو جندل بن سهيل فلحق بابي بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين
رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فيقتلونهم ويأخذون اموالهم
فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه فهو آمن فارسل اليهم
النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه المدينة وانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم
حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم

وحالوا

وحالوا بيننا وبين البيت. هذا الحديث أخرجه البخاري بطوله سوى ألفاظ منه وهي مستثناة في
الحديث منها قوله فنزع سهماً من كنانته وأعطاه رجلاً من أصحابه الى قوله فوالله ما زال الجيش لهم
بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة الى قوله فقالوا له كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا
بما نرضى به ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت
ومنها قوله وروي عن العلماء قصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهري ومنها قوله
وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل الى قوله قال عمر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت ألست نبي الله ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهري في حديثه
ثم جاءه نسوة مؤمنات فهذه الألفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه

شرح غريب

الألفاظ الحديث قوله في بضع عشرة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح وهو ما بين الثلاثة الى التسعة
وقيل ما بين الواحد الى العشرة. قوله وبعث عينا له أي جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الأحابيش
أحابيش القارة انضموا الى بني ليث في محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة
وبني الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي فسموا بذلك وقيل
هو اسم واد بأسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبش التجمع. قوله فإن قعدوا قعدوا
موتورين أي منقوصين. قوله فنفروا أي مضوا وخلصوا. قوله إن خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع
ومنه كراع الغميم. طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على أخبار العدو وقترة
الجيش هو الغبار الساطع معه سواد. قوله بركض نذيراً الذي يعلم القوم بالأمر الحادث. قوله
حل حل هو زجر للناقة. القصواء يعني أنها لما توقفت عن المشي وقعدت ظنوا خلأت أي ليس ذلك لها
من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل أي منعها من المسير الذي منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى
والقصواء اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصواء وهو شق الأذن. قوله خطة أي حالة وقضية
يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهي ما وجب القيام به من الإعظام من الحرم ونحوه. قوله
حتى نزل بأقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي قرية ليست بالكبيرة وسميت ببئر هنالك
عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل قال مالك وهي من الحرم
وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه في المطالع. والثمد الماء القليل الذي لا مادة له. والتبرض أخذ
الشيء قليلا قليلا. قوله فما زال يجيش بالري يقال جاشت البئر بالماء إذا ارتفعت وفاضت. والري
ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورد. قوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقال فلان عيبة نصح فلان إذا كان موضع سره وثقته في ذلك. قوله نزلوا أعداد مياه الحديبية الماء
العد الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه أعداد. وقوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ
وهي الناقة إذا وضعت الى أن يقوى ولدها وقيل هي كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل هي
جمع مطفل وهي الناقة التي معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد به أن معهم
النساء والصبيان. قوله وإن هم شاؤوا ماددتهم الحرب أي أضربه لهم وأؤقت بينهم وقوله ماددتهم أي
جعلت بيني وبينهم مدة. قوله وإلا فقد جموا أي استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب

قوله بعد تنبع في سالفتي: السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة جبل العنق وهو
العنق الذي بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانه لا تنبع غدة الا بالموت قوله اذ استنفرت يقال
استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية معروفة. وقوله بلحوا
علي بيه لغتان التخفيف والتشديد واصل التبلح الاعيا والفتور والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم
به قوله استماطت قومه واجتلاح اطلبه الاجتلاح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجالحة والاستيصال
والاجتياح متقاربان في مبالغة الاذى. قوله اذ لا ارى وجوها واشوابا: الاشواب مثل الاوباش
وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك اي جدير لا يبعد ذلك خلقه قوله افضى
بحق اللات هو اسم صنم كانوا يعبدونه والبظر ما تقطعه الخافظة وهي الخاتنة من الهنة التي
تكون في فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما يدور في السنتهم. قوله لولا يد لك عند اليد النعمة وما يمتن
به الانسان على غيره. قوله اي عذر معروف من عاذر وهو للمبالغة وقوله هذه عن علي خطة رشد
يقال خطة رشد وخطة غي والى شيء والرشاد خلاف الغي والمراد منه انه قد طلب منه طريقا واضحا في
هدى واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن اي هذا بل تهدى الى البيت في حج او عمرة وتقليدها
هو ان يجعل في رقابها شيء كالقلادة من لحا الشجر او نعل او غيره ليعلم بذلك انه هدي والاشعار هو ان
يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله فلما راى الهدي يسيل عليه اي يقبل عليه كالسيل من
عرض الوادي اي جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل وافى الفجور والميل عن الحق وكل انحراف في شيء فهو
فجور. قوله هذا ما قاضى عليه اي فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في اللغة على وجوه
مرجعها الى انقطاع الشيء وتمامه قوله ضغطة هو كناية عن الغم والضيق قوله جلبان السلاح بضم الجيم
وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعاء من ادم شبه الجراب يوضع
فيه السيف مغمودا ويعلق في آخرة الرحل قوله في شعب بضم السين وكسرها لغتان وهو مشي
المغنين: قوله فاجزه لي قال اني لست بمجيزه يجوز ان يكون بالزاي والراء اما الزاي فمن الاجازة اي اجعله
جائزا غير ممنوع ولا محرم او اطلقه لي وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما
صالح في هذا الموضع قوله فلم نعطي الدنية اي النقيصة التي لا نرضى بها ولا نرجع اي لم نرض بالدون والافل
في ديننا قوله واستمسك بالغرز الغرز للكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك
به ولا تفارقه ساعة كما لا يفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذي لا يجوز الا حل تركه: قوله
ويل امه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها ايضا. ومسعر حرب اي موقدها يقال سعرت
النار واسعرتها اذا اوقدتها والمسعر الخشب الذي يوقد به النار. وسيف البحر بكسر السين جانبه
وساحله والله اعلم. وأما تفسير هاتيه فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعني كفار مكة
وصدوكم اي منعوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به والهدي معكوفا اي وصدوا الهدي وهي البدن
التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة. معكوفا اي محبوسا ان يبلغ محله اي
منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم ولولا رجال مومنون ونساء مومنات يعني المستضعفين بمكة
لم تعلموهم اي لم تعرفوهم ان تطؤوهم اي بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي اثم

وقيل عتق الرقبة وقيل كفارة قتل الخطأ لان الله اوجب على قاتل المومن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة
دون الدية وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم والمعرة المشقة ويقال لولا ان
ان تطاوا رجالا مومنين ونساء مومنات لا تعلمونهم فيلزمكم به كفارة او سبة وجواب لولا مومنين
ونساء مومنات لا تعلمونهم فيلزمكم به كفارة محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكن حال
بينكم وبين ذلك لهذا السبب ليدخل الله في رحمته اي في دين الاسلام من يشاء اي من اهل مكة بعد
الصلح وقيل دخولها لو تزيلوا اي تميزوا اي يعني المومنين من الكفار لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما
اي بالسبي والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال
ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المومنين والمومنات في رحمته اي في جنته قال قتادة في هذه الاية
ان الله تعالى يدفع بالمومنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المومنين عن مشركي مكة قوله
تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية اي الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم والصحابة عن البيت ومنعوا الهدي محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد
رسول الله وقيل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم د
دخلوا علينا على رغم انافنا واللات والعزى لا يدخلون علينا فكانت هذه حمية الجاهلية التي دخلت
قلوبهم فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين اي حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية ف
فيعصوا الله في قتالهم والزمهم كلمة التقوى قال ابن عباس واكثر المفسرين كلمة التقوى لا اله الا
الله وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم والزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال
الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم وكانوا احق بها اي من كفار مكة واهلها اي كانوا اهلها
في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح وكان الله بكل
شيء عليما يعني من امر الكفار وما كانوا به يستحقون من العقوبة وامر المومنين وما كانوا يستحقونه
من الخير قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اري في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه امنين
ويحلقون رووسهم ويقصرون فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا
ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون اين روياه التي راى فانزل الله هذه الاية ودخلوا في العام
المقبل روي عن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع
الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وفيه
دليل ان المراد بالفتح هو صلح الحديبية وتحقق الرويا بالحق حين ان الرويا التي راها انما هي في خروجه الى الحد
يبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق في الذي راه حقا وصدقا وقيل يجوز ان يكون بالحق

قسما فإن الحق من أسماء الله تعالى أو قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه لتدخلن المسجد الحرام
وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عز وجل
عن رسوله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك لهم إن شاء الله آمنين قيل لما استثنى مع علمه بدخولها تعليما
لعباده الأدب وتأكيدا لقوله ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وقيل إن بمعنى إذ مجازه
إذ شاء الله وقيل لما يقع الدخول عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح
قال لتدخلن المسجد الحرام والذي لا يفوتكم وارتاحت والذي بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع
على الأمن لا على الدخول لأن الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وإنا إن شاء الله بكم لاحقون
مع أنه لا شك في الموت محلقين رؤوسكم أي كلها أو مقصرين أي تأخذون بعض شعوركم لا تخافون أي
من عدو يهجم عليكم لأن قوله آمنين أي في حال الإحرام لأنه لا قتال فيه وقوله لا تخافون أي بعد انقضاء الإحرام
بعد الإحرام وفي حال الرجوع فعلم ما لم تعلموا يعني علم أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول وكون
ذلك سبب لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم أن دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا أنتم ظ
وظننتم أنه في السنة الأولى فجعل من دون ذلك أي من قبل دخولكم الحرم فتحا قريبا يعني صلح
الحديبية قاله الأكثرون وقيل هو فتح خيبر قوله عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق هذا البيان صدق الرؤيا وذلك أن الله لا يري رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون فيحدث
الناس فيقع خلافه فيكون ذلك سببا لضلال فحقق الله أمر الرؤيا بالحق بقوله هو الذي أرسل رسوله
بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى ليظهره على الدين كله
أي يعليه ويغلبه على الأديان كلها فيقضي على الأديان كلها دونه وكفى بالله شهيدا في أنه رسول
الله لتسلية قلوب المؤمنين وذلك أنهم تأذوا من قول الكفار لو نعلم أنه رسول الله ما صددناه
عن البيت فقال تعالى وكفى بالله شهيدا أنه رسول الله ثم قال تعالى محمد رسول الله أي هو محمد
رسول الله الذي سبق ذكره في قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال
تعالى والذين معه يعني أصحابه المؤمنين أشداء على الكفار أي غلاظ أقوياء كالأسد على فريسته
لا تأخذهم فيهم رأفة رحماء بينهم أي متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد مع الولد كما قال
في حقهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها
يبتغون أي يطلبون فضلا من الله يعني الجنة ورضوانا أي أن يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو أن المخلص
بعمله لله يطلب أجره من الله والمراد أي بعمله لا يبتغي له أجرا وذكر بعضهم في قوله والذين معه
يعني أبا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا
علي بن أبي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة سيماهم أي علامتهم في وجوههم
من أثر السجود واختلفوا في هذا السيما على قولين أحدهما أن المراد به يوم القيامة قيل هو نور بياض في
وجوههم يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا لله في الدنيا وهو رواية عن ابن عباس وقيل يبعثون
غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثاني أن ذلك في الدنيا وذلك أنهم استنارت وجوههم بالنهار
من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي

ترون

يرون ولكنه سيما الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت
الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل في الصلاة وبعد ذلك في رجلين احدهما سهر الليل
الليل في الصلاة والعبادة والآخر في اللهو واللعب فاذا اصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر على وجه المصلي نورا
وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وخبالا وقيل هو اثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب
لا على الاثواب قال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس ذلك مثلهم
في التوراة يعني الذي ذكر من صفتهم في التوراة وتم الكلام هاهنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم في الانجيل
فقال تعالى ومثلهم اي صفتهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه اي فراخه قيل هو نبت يخرج بعده
فيسمى شطأ فآزره اي قواه واعانه وشد ازره فاستغلظ اي غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى اي
تم وتلاحق نباته وقام على سوقه جمع ساق اي على اصوله يعجب الزراع اي يعجب ذلك الزرع زراعه
وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون
ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون
نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء اصحابه والمؤمنون
وقيل كزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطأه ابو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى
على سوقه علي بن ابي طالب يعجب الزراع يعني جميع المؤمنين ليغيظ بهم الكفار قيل هو قول عمر بن الخطاب
لاهل مكة بعد ما اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قد ثبتهم وكثرهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك
ابن انس من اصبح في قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية

فصل في فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن عائشة رضي الله عنها

قالت سال رجل النبي صلى الله عليه وسلم اي الناس خير قال القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني اصحابي ثم التابعين وتابعيهم والقرن اهل كل زمان قيل
هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن ابي طالب في الجنة وعبد
الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وابو عبيدة في الجنة ابن الجراح
اخرجه الترمذي واخرجه عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا اصح من حديث الاول عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بامتي ابو بكر واشدهم في امر الله عمر واشدهم حياء عثمان واقضاهم علي واعلمهم
بالحلال والحرام معاذ بن جبل وافرضهم زيد بن ثابت واقرؤهم ابي بن كعب ولكل قوم امين وامين هذه الامة
ابو عبيدة بن الجراح وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابي ذر اشبه عيسى في ورعه قال
عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم اخرجه الترمذي مفرقا في موضعين احدهما الى قوله ابو عبيدة
ابن الجراح والآخر عن ابي ذر خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان
فرجف بهم فقال اثبت احد اراه ضربه فانما عليك نبي وصديق وشهيدان عن ابن مسعود عن
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقتدوا بالذين من بعدي من اصحابي ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا
بعهد عبد الله بن مسعود اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى

بعشر في جيش ذات السلاسل فقال يا رسول الله اي الناس احب اليك قال عايشة فقلت من الرجال قال
ابوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا عن علي ابن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق بلالا من ماله رحم
الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وما له من صديق رحم الله عثمان تستحيي منه الملايكة رحم الله عليا
اللهم ادر الحق معه حيث دار اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن زر بن حبيش قال سمعت
عليا يقول والذي فلق الحبة وبرا النسمة انه لعهد النبي الامي الي انه لا يحبني الا مومن ولا يبغضني الا
منافق عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت من
اصحابي بارض الا بعث قايدا ونورا لهم يوم القيامة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال وقد روي عن
ابن بريدة مرسل وهو اصح وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وعن ابي هريرة
نحوه اخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله فيوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى وعد الله
الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم ليست من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا
الرجس من الاوثان فيكون معنى الاية وعد الله الذين امنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني من الشطا
الذي اخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطا لا على لفظه ولذلك
لم يقل منه مغفرة واجرا عظيما يعني الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان فان لكل مومن مغفرة
والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله اعلم

تفسير سورة الحجرات مدنية وهي ثمانية عشر اية وثلاثمائة

وثلاثة واربعون كلمة والف واربعماية وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله من التقديم اي لا ينبغي لكم
ان يصدر منكم تقديم اصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي امر الله ورسوله
ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول
الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول او فعل قبل ان يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم او يفعل وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى
الاية فروي عن جابر رضي الله عنه في الذبح يوم الاضحى اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك ان ناسا كانوا يذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فامروا ان يعيدوا الذبح وعن البراء بن عازب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدا به يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب
سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء زاد الترمذي في اوله قال خطبنا النبي
صلى الله عليه وسلم يوم النحر وفي الحديث وروي عن عايشة انه في النهي عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا
قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى ابا القاسم صلى الله عليه

ولم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الآية ما روي عن
عبد الله بن الزبير أنه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر أمّر القعقاع بن
معبد بن زرارة وقال عمر بل أمّر الأقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت
خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه
حتى يستفهمه أخرجه البخاري وقيل نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا
أو صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الآية لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه وقيل نهى في القتال ومن شرائع الدين لا تقضوا امرا دون
الله ورسوله واتقوا الله في تضييع حقه ومخالفة أمره إن الله سميع لأقوالكم عليم بأفعالكم
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي لا تجعلوا كلامكم
مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت يدل على قلة الاحتشام
وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهي عن قول ولا تجهروا
له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي عظموه ووقروه وبجلوه ولا ترفعوا اصواتكم
عنده ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا فيقولوا يا محمد بل قولوا يا رسول الله يا نبي الله
ان تحبط اعمالكم اي لئلا تحبط وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم وانتم لا تشعرون اي بذلك
عن انس بن مالك رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس
عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ يا ابا عمرو ما شأن ثابت
اشتكى فقال سعد انه لجاري وما علمت له بشكوى فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال أنزلت هذه الآية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو
من اهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ مسلم وللبخاري
نحوه وروي لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت
قال هذه الآية أتخوف ان تكون نزلت فيّ وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى ثابت البكا فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن ابي سلول وقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي
علي الضبة بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى عاصم رسول
الله فأخبره خبره فقال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء الى اهله
فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيّت وأتخوف
أن تكون هذه الآية نزلت فيّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا
وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا

فانزل الله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية قال انس فلما كان يوم اليمامة
في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال
ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم
ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه
قال له اني لما قتلت امس مر بي رجل من المسلمين فانتزع مني درعي فذهب به وهو في ناحية من العسكر عند فرس يستن
في طيله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد فليأخذ درعي حتى يبعث في درعي وأت ابا بكر خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضى عني وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل
خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصف فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر
وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن
عباس لما نزلت هذه الاية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وقال
ابن الزبير لما نزلت هذه الاية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم
كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اي يخفضون اصواتهم عند رسول الله
اي اجلالا له وتعظيما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب
بالنار فيخرج خالصه لهم مغفرة واجر عظيم قوله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال
ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما
علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا
في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابائهم يبكون وكان لكل امراة من نساء رسول الله صلى الله عليه
وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه
من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم
قال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي نصفهم
وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى
الاية اكثرهم اي من رجع منهم عن ذلك ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الاكثر ولو انهم اشار تم
صبروا حتى تخرج اليهم فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاءوا به من سوء الادب وطلب العجلة
في الخروج لكان خيرا لهم اي الصبر والله غفور رحيم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء
وقيل لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله خيرا لهم وقيل نزلت هذه الاية في ناس من اعراب بني تميم
وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب وروي عن جابر
قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا

وخطيبنا

وخطيبنا خطيبنا الشاعر لهم ونفاخرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ابن ثابت أجبهم فقام
فقام الأقرع بن حابس فقال إن محمدا المؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا
فكان شاعرهم أحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول
الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم
وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الأهتم لحداثة سنه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما
أعطاهم فأزرى به بعضهم وارتفعت أصواتهم وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم
يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية إلى قوله والله غفور رحيم أي لمن تاب منهم
وقال زيد بن أرقم جاء ناس من العرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا
إلى هذا الرجل فإن يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وإن يكن ملكا نعش في جناحه فجاءوا فجعلوا
ينادونه يا محمد يا محمد فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ
فتبينوا الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق
بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما
لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
أن يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله إنا سمعنا
برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا أنه إنما
رده من الطريق كتاب منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال
وقال انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل
في الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم وسمع منهم أذان المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا
الطاعة والخير فانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
إن جاءكم فاسق يعني الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول
الفاسق وهو أولى من حمل الآية على رجل بعينه يعني محله لأن الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك
إلا أنه ظن وتوهم فأخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية إن جاءكم فاسق بنبإ أي بخبر فتبينوا وفي قراءة
فتثبتوا أي فتوقفوا واطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق أن تصيبوا
أي كي لا تصيبوا بالقتل والسبي قوما بجهالة أي جاهلين حالهم وحقيقة أمرهم فتصبحوا على ما فعلتم
أي من إصابتكم بالخطأ نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله أي فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوا
فإن الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا لو يطيعكم أي الرسول في كثير من الأمر أي مما تخبرونه به فيحكم
برأيكم لعنتم أي لأثمتم وهلكتم عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم
في كثير من الأمر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى إليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا

فكيف بكم اليوم أي جاء النبي مني وقال حريث عن حسن جيء عن بيب ولكن الله حبب اليكم الايمان اي جعله
احب الاديان اليكم وزينه اي حسنه وقربه منكم وادخله في قلوبكم حتى اخترتموه لان من احب
شيئا اذا طال عليه فقد يسأم منه والايمان في كل يوم يزداد في القلب حسنا وثباتا ولذلك تطيعون
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق قال ابن عباس يريد الكذب والعصيان جميع
معاصي الله وفي هذه الطبيعة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة اشياء في مقابلة الايمان الكامل
المزين في القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان
وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر في مقابلة وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق
بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المومن الكذب وهو المجوز
وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لا اله الا الله . والعصيان جعله في مقابلة العمل
بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى اولئك هم الراشدون
اشارة الى ان المومنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم اي اولئك هم المهتدون الى محاسن الافعال ومكارم الا
خلاق فضلا من الله اي فعل ذلك بكم فضلا منه ونعمة عليكم والله عليم اي بكم وبما في قلوبكم حكيم
في امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم فيما
ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكمة قوله عز وجل وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما ق عن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه النبي
صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي ارض سبخة فلما اتى النبي صلى الله
عليه وسلم قال اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار منهم والله لحمار رسول الله
صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد
منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان
من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض . عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب
على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية واردف اسامة ابن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني
الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي سلول وذلك قبل ان
يسلم عبد الله بن ابي واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي
المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه
ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله وقرأ عليهم
القرآن فقال عبد الله بن ابي بن سلول ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به في
مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا
في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود
حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم

دابته وذكر الحديث وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مماراة في حق بينهما

4

فقال احدهما للاخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم
فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تواقعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال
بالسيوف وقيل كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء
فرقى بها الى علية وحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال
فانزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج
فاصلحوا بينهما اي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما فان بغت احداهما على
الاخرى وابت الاجابة الى حكم الله فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله اي الى كتابه
الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته في الصلح الذي امر به فان فاءت اي رجعت الى الحق
فاصلحوا بينهما بالعدل اي الذي يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله واقسطوا اي اعدلوا ان الله
يحب المقسطين اي العادلين انما المؤمنون اخوة اي في الدين والولاية وذلك ان الايمان قد عقد بين
اهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وان بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم ام
كالاب قال بعضهم ابي الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقيس او تميم فاصلحوا بين اخويكم
اي اذا اختلفا واقتتلا واتقوا الله اي فلا تعصوه ولا تخالفوا امره لعلكم ترحمون عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة اخيه كان الله في
حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله
يوم القيامة **فصل في حكم قتال البغاة** قال العلماء في هاتين الايتين دليل
على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روي عن
علي بن ابي طالب وهو القدوة في قتال اهل البغي وقد سئل عن اهل الجمل وصفين امشركون هم فقال
لا من الشرك فروا فقيل امنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم
قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على امام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة
ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان
لم يذكروا مظلمة واصروا على البغي قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم
ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادي علي يوم الجمل الا لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسير ولا يذفف
على جريح قوله ولا يذفف بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه واتي علي يوم صفين
باسير فقال لا اقتلك صبرا اني اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطائفتين على الاخرى في حال القتال
من نفس ومال فلا ضمان عليهم قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول
واتلف فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما علمته اقتص من احد ولا
اغرم مالا اما من لم يجتمع فيه هذه الشرائط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم او لم يكن لهم تاويل او
لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق
في الحكم وروي ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق اريد
بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت

أيديكم مع أيديهما ولا تمدوا يقتتلا قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم** الآية نزلت في ثلاثة
أسباب السبب الأول من أوله إلى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه
كان في أذنه وقر فكان إذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه
فيسمع ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ
أصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد وكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلسا قام
قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا
تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح
فقال الرجل أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا
قال أنا فلان فقال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فأنزل
الله هذه الآية **وقال الضحاك** نزلت في وفد تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزئون بفقراء أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوه من رثاثة
حالهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم أي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور
عليه ذنبه بمن لم يستتر ولا ذو حسب بلئيم وأشباه ذلك مما ينتقص به ولعله عند الله خير منه
وهو قوله **عسى أن يكونوا خيرا منهم** السبب الثاني قوله تعالى **ولا نساء من نساء** أي ولا يستهزئ
نساء من نساء **عسى أن يكن خيرا منهن** روي عن أنس أنها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي
صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة إني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه
وسلم إنك لابنة نبي وعمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح غريب السبب الثالث قوله تعالى **ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب**
نزلت هذه الآية عن أبي جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الأنصاري قال فينا نزلت هذه الآية
بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فأنزلت هذه الآية
ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أخرجه أبو داود والترمذي قال كان الرجل منا
يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب
قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض والمراد
بالأنفس الإخوان هاهنا والمعنى لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم فإذا عاب عائب لا حل
بعيب فكأنه عاب نفسه **وقيل** لا يخلو أحد من عيب فإذا عاب غيره فيكون حاملا للناس على عيبه
فكأنه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي أن يعير
بما سلف من عمله **وقيل** هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر يا يهودي يا نصراني ونحو
ذلك **وقيل** هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير **قال العلماء** المراد بهذه الألقاب ما
يكرهه المنادى به أو يفيد ذما فأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج
وما أشبه ذلك فلا بأس به إذا لم يكرهه المدعو به **وأما** الألقاب تكسب حمدا أو مدحا وتكون حقا وصدقا فلا

فلا يكره

بالالقاب كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذي النورين ولعلي بن ابي طالب ولخالد سيف الله
ونحو ذلك بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الاسم ان تقولوا يا يهودي او يا نصراني بعد
ما اسلم او يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه ان فعل ما نهي عنه من السخرية والهمز والنبز فهو فاسق
وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ومن لم يتب اي من ذلك
كله فاولئك هم الظالمون اي الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل هم الظلم من الذين قالوا الهم
ذلك قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى الرجلين يخدمهما
ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض
اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئا حتى قدما فقالا له ما صنعت
شيئا فقال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واطلب لنا منه طعاما فجاء
سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة
ابن زيد وقل له ان كان عنده فضل من طعام وادام فليعطيك وكان اسامة بن زيد خازن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان لهما واخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل
فبعثا سلمان الى طايفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناه الى بير سميحة لغار
ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا الى رسول
يتجسسان
الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا
هذا لحما قال ظللتم تاكلان لحم سلمان في افواهكما قالا والله يا رسول الله واسامة فانزل الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني ان يظن باهل الخير سوءا نهى الله المومنين ان يظن
باخيه المومن شرا وقيل هو ان يسمع من اخيه المومن كلاما لا يريد به سوءا او يدخل مدخلا لا يريد به
سوءا فيراه اخاه المومن كلاما لا يريد به سوءا فيراه اخوه المومن فيظن سوءا لان بعض الفعل قد يكون
في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا او يكون الراي مخطيا
فاما اهل السوء والفسوق المجاهرين به فلنا ان نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم ان بعض الظن اثم
قال سفيان الثوري الظن ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو
ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن انواع فمنه واجب ومامور به وهو حسن الظن بالله عز وجل ومنه
مندوب اليه وهو حسن الظن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله
عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم ولا تجسسوا اي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن
المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها ق عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا
ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم المسلم اخو المسلم
لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا التقوى هاهنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان
يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى

عوراتكم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور واكثر ما يقال في الشر
ومنه الجاسوس وبالحاء الاستماع الى حديث القوم وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار قوله
ولا تنافسوا اي ولا ترغبوا فيما رغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها. والحسد تمني زوال النعمة
عن صاحبها قوله ولا تدابروا اي لا يعطي كل واحد منكم اخاه دبره وقفاه فيعرض ويهجره عن ابن عمر قال
صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان
الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله
عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما
اعظمك واعظم حرمتك والمومن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد
ابن وهب قال اتى ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس
ولكن ان يظهر لنا شيء ناخذ به اخرجه ابو داود **وله** عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من راى عورة فسترها كان كمن احيا موءودة **عن ابي هريرة** رضي الله عنه قال لا يستر
عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة قوله تعالى **ولا يغتب بعضكم بعضا** يعني لا يتناول
بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره وقيل ارايت ان كان في اخي ما
اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم عن عائشة
قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة يعني قصيرة فقال لقد
قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت
انسانا وان لي كذا وكذا اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته اي
خالطته مخالطة يتغير بها طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر
عن الغيبة قوله تعالى **ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه** قال مجاهد لما قيل
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره
بسوء غائبا قيل تاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك
وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتالم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتالم جسمه
اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحم الناس فترك اعراضهم اولى وقوله لحم
اخيه اكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه وقوله ميتا ابلغ في الزجر **عن انس**
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم
وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون
في اعراضهم اخرجه ابو داود **قال** ميمون بن سياه بينما انا نائم اذا انا بجيفة زنجي وقائل يقول
كل فقلت يا عبد الله ولم اكل قال بما اغتبت عبد فلان فقلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال
ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب عنده احدا وقوله
تعالى **واتقوا الله** في امر الغيبة واجتناب نواهيه **ان الله تواب رحيم** قوله عز وجل **يا ايها**

الناس

الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله للرجل الذي
لم يتفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه
القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت في ثابت
هذه الآية ونزلت في الذي لم يفسح له يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الآية
وقيل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة واذن
قال عتاب بن أسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي ولم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام اما وجد
محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا
اخاف ان يخبر به رب السماء فنزل جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم وسألهم عما
قالوا فاقروا فانزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء
وقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني آدم وحواء والمعنى انكم متساوون في النسب والانوا
لبعضكم على بعض لكونكم ابناء رجل واحد وامرأة واحدة وقيل يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل
واحد منكم ايها الموجودون من اب وام فان كل واحد منكم خلق كما خلق الاخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل
في النسب وجعلناكم شعوبا جمع شعب بفتح الشين وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس
والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل وقيل لتجمعهم وقبائل اي جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر
من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم
ودون العمائر البطون واحدها بطن وهم كبني غالب ولؤي من قريش ودون البطون الافخاذ واحدها
فخذ بفتح الفاء وهم كبني هاشم وبني امية من لؤي ودون الافخاذ الفصائل واحدها فصيلة بالصاد
المهملة كبني العباس من هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدها عشيرة وليس بعد العشيرة شيء يوصف
وقيل الشعوب في العجم والقبائل من العرب والاسباط من بني اسرائيل وقيل الشعوب
من العجم والقبائل من العرب والاسباط من بني اسرائيل وقيل الشعوب الذين لا يعتزون الى احد
بل ينتسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون الى آبائهم لتعارفوا اي ليعرف بعضكم
بعضا في قرب النسب وبعده لا لتتفاخروا بالانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره
ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل اكرم الكرم التقوى
والأم اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله
اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم قال فخيارهم في الجاهلية
خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا
أحكام الشرع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه
فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة
الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا ايها

الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .: المحجن عصا معقفة الراس كالصولجان
وقوله عيبة الجاهلية يعني كبرها وفخرها **ان الله عليم** بظواهركم يعلم انسابكم **خبير** اي ببواطنكم
لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل المتقي هو العالم بالله المواظب لبابه المتقرب
الى جنابه **وقيل** حد التقوى ان يجتنب العبد المناهي ويأتي بالاوامر والفضائل ولا يغتر ويامن الذي
اتقى ان يهتك منهيا لا يامن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم
يتب في الحال واتكل على الامهال وغره طول الامل فليس بمتق لان المتقي ياتي بما امر به ويترك ما نهي عنه وهو
مع ذلك خاشٍ لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى وان التفت لحصة الى نفسه واهله وماله وولده جعل
ذلك خلف ذنبه واستغفر منه ربه وجدد له توبة جعلنا الله واياكم من المتقين قوله عز وجل **قالت الاعراب**
آمنا نزلت في نفر من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام
ولم يكونوا مومنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يغدون ويروحون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال
والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون
الصدقة ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه الاية **وقيل** نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة
الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا يقولون آمنا ليامنوا على انفسهم واموالهم
فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب آمنا اي صدقنا **قل لم**
تومنوا اي لم تصدقوا بقلوبكم **ولكن قولوا اسلمنا** اي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي **ولما**
يدخل الايمان في قلوبكم اخبر ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان
لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص **و**عن سعد بن ابي وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم رهطا وانا جالس بينهم فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو اعجبهم الي فقمت فقلت ما لك
عن فلان والله اني لاراه مومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا واجابه
بمثل ذلك ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية ان يكب في النار على وجهه زاد في رواية
فقال الزهري فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدي **اعلم** ان الاسلام هو
الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله
عز وجل لابراهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين **ومنه** ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك
ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم **وقيل** الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمانينة
النفس عليه والاسلام هو الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين .:
فان قلت المومن والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول فلقت بين العام
والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب **قلت** بين العام والخاص
فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان
اخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان في
العموم متحدان في الوجود فكذلك المومن والمسلم قوله تعالى **وان تطيعوا الله ورسوله** اي ظاهرا وباطنا

سرا وعلانية

وعلانيته وقال ابن عباس تخلصوا الإيمان لا يلتكم أي لا ينقصكم من أعمالكم شيئا أي من ثواب أعمالكم إن
الله غفور رحيم ثم بين حقيقة الإيمان فقال تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا أي لم يشكوا في دينهم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك
هم الصادقون أي في إيمانهم فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحلفون بالله أنهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فأنزل الله تعالى قل أتعلمون الله بدينكم
بدينكم أي أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه والله يعلم ما في السموات وما في الأرض أي لا تخفى
عليه خافية والله بكل شيء عليم أي لا يحتاج إلى أخباركم يمنون عليك أن أسلموا أي هو
قولهم أسلمنا ولم نقاتلك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك أن إسلامهم لم يكن لله
خالصا قل لا تمنوا علي إسلامكم أي لا تعدوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان
أي لله المنة عليكم إذ أرشدكم وأمركم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم وهو
قوله تعالى إن كنتم صادقين أي إن كنتم مؤمنين إن الله يعلم غيب السموات والأرض أي أنه سبحانه
وتعالى لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم والله
بصير بما تعملون أي بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله أعلم

تفسير سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية وثلاثمائة

وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ق قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة
وقيل هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القريب والقادر والقاهر والقريب والقابض
والقدوس والقيوم وقيل معناه قضي الأمر وقضي ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالأرض من زمرد
خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الأرض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفاها وخضرة السماء
منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه إلا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه
بمسيرة سنة والقرآن المجيد أي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم
فقيل جوابه محذوف لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد
علمنا ومعنى بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن يخوفهم رجل منهم
قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته وصدقه فقال الكافرون هذا شيء عجيب أي معجب
غريب أإذا متنا وكنا ترابا أي أحين نموت ونبلى نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ذلك
رجع بعيد أي يبعد أن نبعث بعد الموت قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الأرض منهم أي ما
تأكل الأرض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شيء وعندنا أي مع علمنا بذلك
كتاب حفيظ بمعنى محفوظ من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أي حافظ لعددهم
وأسمائهم ولما تنقص الأرض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون بل كذبوا بالحق أي
القرآن لما جاءهم قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا الآن فهم هو قولهم للنبي صلى الله
صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون في القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى

فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الاية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل
ما ترك احد الحق الا مرج عليه امره ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى أفلم ينظروا الى السماء فوقهم
كيف بنيناها اي بغير عمد وزيناها اي بالكواكب وما لها من فروج اي شقوق وصدوع والارض
مددناها اي بسطناها على وجه الماء والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج
بهيج اي من كل صنف حسن كريم يبتهج به اي يسر به تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى اي تذكيرا
لكل عبد منيب اي راجع الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من اناب ونزلنا من السماء ماء مباركا
اي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شيء وهو المطر فانبتنا به اي بذلك الماء جنات اي بساتين وحب
الحصيد يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد والنخل باسقات اي طوالا وقيل مستويات
لها طلع اي ثمر وبطلع يعني يسمى طلعا قبل ان ينشق نضيد اي متراكب بعضه على بعض في اكمامه فاذا
انشق وخرج من اكمامه فليس بنضيد رزقا للعباد اي جعلناه لهم رزقا للعباد واحيينا به اي
اي بالمطر بلدة ميتا فانبتنا فيه الكلأ والعشب كذلك الخروج اي من القبور احياء بعد الموت
قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة
قيل كان لوط مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم فلذلك قال واخوان لوط وقوم تبع هو ابو كرب اسعد
تبع الحميري وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف
لقومه فلهذا اخص بالذكر دونهم كل كذب الرسل فحق وعيد اي كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق
وعيد اي وجب لهم عذابي وقيل وحق وعيدي للرسل بالنصر أفعيينا بالخلق الاول هذا جواب
لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعجز عن اعادتهم ثانيا وفيه انهم اعترفوا
بالخلق الاول وانكروا البعث بل هم في لبس اي شك من خلق جديد وهو البعث قوله عز وجل ولقد
خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بيان لكمال علمه اي نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم
ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الاية ان اجزاء الانسان وابعاضه
تحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شيئا وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ
قدرتنا فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه اذ يتلقى المتلقيان اي يتلقى الملكان الموكلان
به وبعمله كما يجري الدم في عروقه ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عن اليمين وعن الشمال يعني ان احدهما
عن يمينه والاخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات
قعيد اي قاعد ولكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل اراد بالقعيد
الملازم الذي لا يبرح ما يلفظ من قول اي ما يتكلم من كلام فيخرج من فيه الا لديه رقيب اي حافظ
عتيد اي حاضر اينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه فلا يجوز للانسان
ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبان
ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان
الا ما له فيه اجر وثواب وما عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان

الحسن

وكان الحسن البصري يبعد ان يقف عقيقته روى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي أمامة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا
واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح ويستغفر قوله تعالى وجاءت
سكرة الموت أي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق أي بحقيقة الموت وقيل بالحق من
أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه أمر الانسان من السعادة والشقاوة ذلك
ما كنت منه تحيد أي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره
ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد أي ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار أن يعذبهم
فيه وجاءت أي في ذلك اليوم كل نفس معها سائق وشهيد أي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس
السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدي والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس لقد كنت
في غفلة من هذا أي من هذا اليوم في الدنيا فكشفنا عنك غطاءك أي الذي كان على قلبك في سمعك وبصرك
في الدنيا فبصرك اليوم حديد أي قوي ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك
وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك وقال قرينه يعني الملك الموكل به هذا ما لدي
عتيد أي معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذي وكلتني به من ابن آدم قد احضرته واحضرت ديوان عمله
ألقيا في جهنم أي يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد كل كفار أي شديد الكفر
عنيد أي عاص معرض عن الحق عاند الله فيما أمر به مناع للخير أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه
في ماله معتد أي ظالم لا يقر بتوحيد الله مريب أي شاك في التوحيد الذي جعل مع الله إلها آخر
فألقياه في العذاب الشديد يعني النار قال قرينه يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر ربنا
ما أطغيته قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو أن الكافر حين يلقى في النار يقول ربي أطغاني شيطاني فيقول
الشيطان ربنا ما أطغيته أي ما أضللته وما أغويته ولكن كان في ضلال بعيد أي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه
وقال ابن عباس قرينه يعني الملك قيل يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته
أي ما زدت وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد أي طويل لا يرجع عنه الى الحق فيقول الله
تعالى قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد أي بالقرآن وأنذرتكم على ألسن رسلي وحذرتكم
عذابي في الآخرة ما يبدل القول لدي أي لا تبديل لقولي وهو قوله لأملأن جهنم وقضيت عليكم
وأنا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لأني علام
الغيوب وأعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الأولى يدل عليه أنه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل
قولي وما أنا بظلام للعبيد أي فأعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فأزيد على إساءة المسيء وأنقص من
إحسان المحسن قوله عز وجل يوم يقول لجهنم هل امتلأت بيان لما سبق لها من وعد الله إياها
أنه يملأها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره ولتحقيق وعده وتقول يعني جهنم
هل من مزيد يعني تقول قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكار وقيل هو بمعنى الاستزادة
وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها
روي عن ابن عباس أن الله تعالى سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سبق

أعد الله لها فلا يلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شيء فتقول ألست قد أقسمت لتملأني فيضع
قدمه عليها ثم يقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت فليس فيّ مزيد وعن أنس بن مالك
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب
العرش وفي رواية رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة
فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة وفي رواية نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه
أحدا. فصل هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان
أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن بأنها حق
على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق به وظاهرها غير مراد وهو والمذهب
الثاني وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا
الحديث فقيل المراد بالقدم التقدم وهو شائع في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل
العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم وقيل
المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في أنه يحتمل في المخلوقات من يسمى بهذه التسمية وخلقوا
لها قال القاضي عياض أظهر التأويلات أنهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه
عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم قوله قط قط أي
حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات إسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة ولا يظلم الله من
خلقه أحدا يعني أنه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه
وتعالى قوله تعالى وأزلفت الجنة أي قربت وأدنيت للمتقين أي الذين اتقوا الشرك غير بعيد يعني
أنها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل أن يدخلوها هذا ما توعدون أي يقال لهم هذا
الذي وعدتم به في الدنيا على ألسنة الأنبياء لكل أواب أي راجع عن المعصية إلى الطاعة قال سعيد بن المسيب
هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقيل
هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلي حفيظ وقال ابن عباس الحافظ لأمر الله
وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه
وقيل هو الحافظ لنفسه المتعهد لها بالمراقبة وقيل هو المحافظ على الطاعات والأوامر من خشي الرحمن
بالغيب أي خاف الرحمن فأطاعه ولم يره وقيل خافه في الخلوة حيث لا يراه أحد إذا أرخى الستر وأغلق
الباب وجاء بقلب منيب أي مخلص مقبل على طاعة الله ادخلوها أي يقال لأهل هذه الصفة ادخلوا
الجنة بسلام أي بسلامة من زوال النعم ذلك يوم الخلود أي في الجنة لأنه لا موت فيها لهم
ما يشاءون فيها وذلك أنهم يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيدهم الله من عنده
ما لم يسألوا مما لم يخطر على قلب بشر وهو قوله تعالى ولدينا مزيد وقيل عنده ما لم يسألوه وقيل
المزيد هو النظر إلى وجه الله الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل ليلة جمعة في دار كرامته فهذا
هو المزيد قوله عز وجل وكم أهلكنا قبلهم أي قبل كفار مكة من قرن هم أشد منهم بطشا
يعني سطوة والبطش الأخذ بصولة وعنف فنقبوا في البلاد أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل

هل من محيص أي ملجأ يجرو والهم محيصا من أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون
إلى عذاب الله وفيه تخويف لأهل مكة لأنهم على مثل سبيلهم إن في ذلك لذكرى أي فيما ذكر من إهلاك القرى
تذكرة وموعظة لمن كان له قلب قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله تعالى واع عن الله
أو ألقى السمع أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره وهو شهيد أي حاضر
القلب ليس بغافل ولا ساه قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة
أيام وما مسنا من لغوب أي إعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا
خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها الأحد وآخرها يوم الجمعة ثم استراح يوم
السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأنزل الله هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم
استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الأول حتى لا نقدر على الإعادة
ثانيا كما قال تعالى أفعيينا بالخلق الأول الآية وأما ما قالته اليهود ونقلوه من التوراة فهو أمثال
تجري منهم أولئك ليعلموا أنا ونليه وذلك لأن الأحد والاثنين أزمنة متميزة بعضها عن بعض فلو كان
خلق السموات ابتدأ يوم الأحد لكان الزمان قبل الأجسام والزمان لا ينفك عن الأجسام فيكون قبل خلق
الأجسام لأن اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع إلى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس
ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت قوله عز وجل
واصبر على ما يقولون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اصبر يا محمد على ما يقولون أي من كذبهم فإن الله لهم
بالمرصاد وهذا قبل الأمر بقتالهم وسبح بحمد ربك أي صل حمدا لله قبل طلوع الشمس يعني صلاة
الصبح وقبل الغروب يعني صلاة العصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل
يعني صلاة الليل أي وقت صلى وأدبار السجود قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهما أدبار السجود
الركعتان بعد صلاة المغرب وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهو رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا
ق عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على
ركعتي الفجر م عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة
الفجر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين
بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وقيل في قوله وأدبار السجود التسبيح باللسان في الصلوات المكتوبة خ عن ابن عباس قال
أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها يعني قوله وأدبار السجود م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر
الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر خ عنه أن
المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم
المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا
أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم

به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون وتكبرون عشرا قوله تعالى واستمع يوم
ينادي المنادي يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه انتظر صيحة القيامة
والنشور قال المفسرون المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس وينادي بالحشر فيقول
يا ايتها العظام البالية والاوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركم ان تجتمعن
لفصل القضاء وهو قوله تعالى من مكان قريب قيل ان صخرة بيت المقدس اقرب الارض الى السماء بثمانية
عشر ميلا وقيل هي وسط الارض يوم يسمعون الصيحة بالحق اي الصيحة الاخرة ذلك يوم الخروج
اي من القبور انا نحن نحيي اي في الدنيا ونميت عند انقضاء الاجل والينا المصير اي في الاخرة وقيل
تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث يوم تشقق الارض عنهم سراعا
الى المحشر وهو قوله ذلك حشر علينا يسير اي هين نحن اعلم بما يقولون يعني كفار مكة في تكذيبك
وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم
فذكر بالقرءان من يخاف وعيد اي ما اوعدت من عصاني من العذاب قال ابن عباس
قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرءان من يخاف وعيد اي عظ بالقرءان من يخاف وعيد
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والذاريات وهي مكية وهي ستون اية

وثلاثمائة وستون كلمة والف ومائتان وتسع وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والذاريات ذروا يعني الرياح التي تذرو التراب
فالحاملات وقرا يعني السحاب تحمل ثقلا من الماء فالجاريات يسرا يعني السفن تجري في الماء جريا
سهلا فالمقسمات امرا يعني الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به وقيل هم اربعة جبريل
صاحب الوحي الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح
وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة في الرياح لانها تنشئ السحاب وتثيره ثم
تحمله وتقله وتجري به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب اقسم الله بهذه الاشياء لشرف ذواتها
لما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى اقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه
تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى انما توعدون اي من الثواب والعقاب في يوم القيامة
لصادق اي لحق وان الدين لواقع اي الحساب والجزاء لواقع اي لكائن ثم ابتدأ قسما اخر فقال تعالى
والسماء ذات الحبك قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات الزينة اي حبكت بالنجوم
وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها
لا ترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله انكم يعني يا اهل مكة لفي قول مختلف يعني في القرءان
وفي محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القرءان سحر وكهانة واساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم شاعر
مجنون وقيل لفي قول مختلف اي مصدق ومكذب يؤفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان به من صرف
حتى يكذبه وهو من حرم من الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون ويصرفون
عن الايمان به قتل الخراصون اي الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا

القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليمحوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة الذين هم في غمرة اي في غفلة
وعمى وجهالة ساهون اي لاهون غافلون عن امر الآخرة والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه
يسألون أيان يوم الدين اي يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى
يوم هم اي يكون هذا الجزاء في يوم هم على النار يفتنون اي يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار
ذوقوا فتنتكم اي عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون اي في الدنيا تكذيبا به قوله تعالى
ان المتقين في جنات وعيون يعني انهم في خلال الجنات عيون جارية آخذين ما آتاهم اي ما اعطاهم
ربهم من الخير والكرامة انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا ::
ثم وصف احسانهم فقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا ينامون قليلا من الليل
ويصلون اكثره وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا اما من اولها او من وسطها
وعن انس بن مالك في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء
اخرجه ابو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلون بين المغرب والعشاء اخرجه ابو داود وقيل
كانوا لا ينامون حتى يصلون العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله
كانوا قليلا اي من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون اي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة
والعبادة وبالاسحار هم يستغفرون اي يعملون العبادة ثم الى وقت السحر ثم اخذوا في الاستغفار
وقيل يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه
من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب
له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ولمسلم قال فيقول انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضيء
الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم فصل هذا الحديث من احاديث الصفات
وفيه مذهبان معروفان احدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يؤمن بها على ما يليق به تعالى وترك
الكلام فيه وفي امثاله مع الايمان به وتنزيه الله تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثاني
وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك
فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة
واللطف وتخصيص بالثلث الاخير من الليل لأن ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة اكثر الناس عنه وعن التعرض
لنفحات رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة
والله اعلم ق عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم
لك الحمد انت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت
الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق
اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت
وما أخرت وما اسررت وما اعلنت زاد في رواية وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت
او لا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خ عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله
وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضأ وصلى
قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت قوله عز وجل وفي اموالهم
حق اي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما او يقرون به ضيفا او يحملون به كلا او يعينون محروما وليس بالزكاة
قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة للسائل اي الذي يسأل الناس ويطلب منهم والمحروم
قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء قال ابن عباس المحروم الذي
ليس له في فيء الاسلام سهم ومعناه الذي حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل
وقيل هو صاحب الجائحة الذي اصيب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في
الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب والاظهر انه المتعفف لانه قرنه بالسائل
والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن له متيقظ وفي الارض آيات اي عبر
من الجبال والبحار والاشجار والثمار وانواع النبات للموقنين اي بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه
بصنائعه وفي انفسكم اي آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة الى ان نفخ فيه الروح وقال ابن عباس يريد
اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد
ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقويم الادوات والسمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة
في ابن آدم افلا تبصرون يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث وفي السماء رزقكم قال ابن عباس
هو المطر الذي هو سبب الارزاق وما توعدون يعني من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل
الجنة والنار ثم اقسم الله سبحانه وتعالى بنفسه فقال فورب السماء والارض انه لحق اي ما ذكر
من امر الرزق وغيره مثل ما انكم تنطقون اي بلا اله الا الله وقيل شبه تحقق ما اخبر عنه بتحقق نطق
الآدمي معناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة وقال
بعض الحكماء ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق
نفسه الذي قسم له لا يقدر ان يأكل رزق غيره قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم يعني هل اتاك
يا محمد حديث الذين جاءوا الى ابراهيم بالبشرى واستمع لقصصهم عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصصهم في
سورة هود المكرمين قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف
ابراهيم وهو اكرم الخلق على الله بعد نبينا وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه السلام اكرمهم
بتعجيل قراهم وخدمتهم اياه بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس سماهم مكرمين لانهم
جاءوا غير موعوين وعن ابي شريح العدوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله مدعوين
واليوم الآخر فليكرم ضيفه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون اي غرباء لا نعرفهم
وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا عليه بغير استئذان وقيل انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض
فراغ اي عدل ومال الى اهله فجاء بعجل سمين اي حنيذ وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم
البقر فجاء بعجل فقربه اليهم هذا من ادب الضيف ان يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم الى السعي اليه فلما
لم يأكلوا قال الا تأكلون يعني انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير ان يأمرهم فأوجس

أي فأضمر منهم خيفة لأنهم لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم أي يبلغ ويعلم وقيل
عليم أي نبي فأقبلت قيل لم يكن ذلك إقبالاً من مكان إلى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القائل أقبل

امرأته

يفعل كذا إذا أخذ فيه في صرة أي في صيحة والمعنى أنها أخذت تولول وذلك من عادة النساء إذا سمعن
شيئاً فصكت وجهها قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجباً
وذلك من عادة النساء أيضاً إذا أنكرن شيئاً وقالت عجوز عقيم معناه أتلد عجوز عقيم وذلك أن
سارة لم تلد قبل ذلك قالوا كذلك قال ربك أي كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدين غلاماً إنه هو
الحكيم العليم ثم إن إبراهيم عليه السلام لما علم حالهم وأنهم من الملائكة قال فما خطبكم أي
فما شأنكم وما طلبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم
حجارة من طين قيل هو الآجر مسومة أي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة
تدل أنها ليست من حجارة الدنيا عند ربك للمسرفين قال ابن عباس يعني المشركين لأن الشرك أسرف
الذنوب وأعظمها فأخرجنا من كان فيها أي في قرى قوم لوط من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت
أي أهل بيت من المسلمين يعني لوطاً وابنتيه وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن إلا وهو
مسلم لأن الإسلام أعم من الإيمان وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه فإذا سمي المؤمن مسلماً فلا يدل على
اتحاد مفهوميهما وتركنا فيها أي في مدينة قوم لوط آية أي عبرة للذين يخافون العذاب الأليم والمعنى
تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على أن الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل وفي موسى
أي وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين أي بحجة ظاهرة فتولى

وقال ساحر او مجنون
فاخذناه وجنوده

أي أعرض عن الإيمان بركنه أي بجمعه وجنوده فنبذناهم في اليم أي فأغرقناهم في البحر وهو مليم
أي أتى بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل وفي عاد أي وفي إهلاك عاد أيضاً آية وعبرة إذ
أرسلنا عليهم الريح العقيم يعني التي لا خير فيها ولا بركة لا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً ما تذر من شيء أتت
عليه أي من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم إلا جعلته كالرميم أي كالشيء الهالك البالي وهو ما
يبس وديس من نبات الأرض كالشجر ونحوه وقيل أصله من رم العظم إذا بلي وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا
حتى حين يعني إلى وقت انقضاء آجالهم وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة أيام فعتوا
عن أمر ربهم أي تكبروا عن طاعة ربهم فأخذتهم الصاعقة يعني بعد مضي ثلاثة أيام من وقت عقر الناقة
وهي الموت في قول ابن عباس وقيل أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وهم ينظرون أي
يرون ذلك العذاب عياناً فما استطاعوا من قيام أي فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض
من تلك الصرعة وما كانوا منتصرين أي ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها
من أمر الله وقوم نوح قرئ بكسر الميم ومعناه وفي قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح من
قبل أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون إنهم كانوا قوماً فاسقين أي خارجين عن الطاعة
قوله تعالى والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وقدرة وإنا لموسعون قيل هو من السعة أي أوسعنا
السماء بحيث صارت الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة إلى سعة السماء كالحلقة الملقاة في
الفلاة وقال ابن عباس معناه لقادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون أي الرزق على خلقنا

وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما
صدع قلبه حين سمعته ولم يكن اسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن انى
اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين انه متى يقع فقال تعالى يوم تمور السماء مورا
اي تدور كدور الرحا وتتكفا باهلها تكفي السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاوها بعضها
في بعض وتضطرب وتسير الجبال سيرا اي تزول عن اماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة في مور
السماء وسير الجبال الايذان والاعلام بان لا رجوع الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما
من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني ادم بذلك فلما لم يبق لهم
عود اليها ازال الله تعالى ذلك وذلك لخراب الدنيا وعمارة الاخرة فويل اي فشدة عذاب يومئذ
للمكذبين اي يوم القيامة الذين هم في خوض اي يخوضون في الباطل يلعبون يعني غافلين
لاهين عما يراد بهم يوم يدعون اي يدفعون الى نار جهنم دعا يعني دفعا بعنف وجفوة وذلك
ان خزنة جهنم يغلون ايدي الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا
على وجوههم وزخا في اقفيتهم حتى يردوا النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم
بها تكذبون اي في الدنيا افسحر هذا وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر
والى تغطية الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها اي قاسوا شدتها
فاصبروا اي على العذاب او لا تصبروا عليه سواء عليكم اي الصبر والجزع انما تجزون ما كنتم تعملون
اي من الكفر والتكذيب في الدنيا قوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين اي معجبين بذلك
ناعمين بما آتاهم ربهم اي من الخير والكرامة ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا ربع
هنيئا اي مامون العاقبة من التخمة والسقم بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الايمان والطاعة
متكئين على سرر مصفوفة اي موضوعة بعضها الى بعض وزوجناهم بحور عين والذين امنوا
واتبعناهم ذرياتهم بايمان يعني اولادهم الصغار والكبار بايمان الكبار بايمانهم انفسهم والصغار بايمان
اباءهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد ابويه الحقنا بهم ذرياتهم يعني المومنين في الجنة
بدرجات اباءهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات اباءهم تكرمة لاباءهم لتقر بذلك اعينهم هذه رواية عن
ابن عباس وفي رواية اخرى عنه ان معنى الاية والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم يعني البالغين بايمانهم
الحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان اباءهم اخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المومن ذريته
في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم الله الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيه من
غير ان ينقص الاباء من اعمالهم شيئا عن ابن عباس وذلك قوله تعالى وما التناهم من عملهم من شيء
يعني وما انقصنا من اعمالهم شيئا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع
ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان
الحقنا بهم ذرياتهم الى اخر الاية عن علي قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في
الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما راى الكراهة في وجهها قال لو رايت مكانهما
لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرأ رسول

الله

نفرد اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت
رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت
ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك
عبدي فلان فلم تسقه اما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي اخرجه مسلم ثم بين ان الرازق هو لا غيره
فقال تعالى ان الله هو الرزاق يعني لجميع خلقه ذو القوة المتين يعني هو القوي الشديد المقتدر
البليغ القوة والقدرة الذي لا يلحقه في افعاله مشقة فان للذين ظلموا اي من اهل مكة ذنوبا اي نصيبا
من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اي مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود فلا
يستعجلون اي بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل فويل للذين كفروا من
يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله اعلم

تفسير سورة الطور وهي مكية وهي تسع واربعون آية

وثلاثمائة واثنتا عشرة كلمة والف وخمسمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والطور اراد به الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام بالارض المقدسة وقيل
بمدين وكتاب مسطور اي مكتوب في رق يعني الاديم الذي يكتب فيه المصحف منشور اي مبسوط
واختلفوا في الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم
وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ
بيمينه وآخذ بشماله وقيل هو القرآن والبيت المعمور يعني بكثرة الغاشية والاهل
وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة
الكعبة في الارض وصح في حديث المعراج من افراد مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور
في السماء السابعة قال واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وفي رواية اخرى
قال فلما انتهيت الى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخلون فيه كل يوم سبعون الف ملك
يقدسون الله ويسبحونه لا يعودون فيه وفي افراد البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك والسقف المرفوع اي السماء والبحر المسجور
اي الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روي ان الله تعالى يجعل البحار كلها
يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل
المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح
وروي عن علي انه قال في البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين
فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا فينبتون في قبورهم
اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله ان عذاب ربك لواقع
يعني انه حق وكائن ونازل بالمشركين في الآخرة ما له من دافع اي مانع قال جبير بن مطعم
قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعته اليه وهو يصلي باصحابه المغرب

عن انس رضي الله عنه ان رسول الله ص

قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون
لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجد بلا خالق ام هم الخالقون
اي لانفسهم وذلك في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم
بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل معنى الآية اخلقوا باطلا لا يحاسبون
ولا يؤمرون ولا ينهون ام هم الخالقون اي لانفسهم فلا يجب عليهم لله أمر ام خلقوا السماوات والارض
أي ليس الامر كذلك بل لا يوقنون اي بالحق وهو توحيد الله وقدرته على البعث وان الله خالقهم
وخالق السماوات والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم ام عندهم خزائن ربك يعني النبوة
ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا وقيل خزائن المطر والرزق ام هم المسيطرون اي
المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت امر ولا نهي يفعلون ما يشاءون ام
لهم سلم يعني مرقى ومصعد الى السماء يستمعون فيه اي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون
ان ما هم عليه حق فهم به مستمسكون فليأت مستمعهم اي ان ادعوا ذلك بسلطان مبين اي
بحجة بينة ام له البنات ولكم البنون هذا انكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم ام
تسألهم اجرا اي جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين فهم من مغرم مثقلون يعني
اثقلهم ذلك المغرم الذي تسألهم فمنعهم عن الاسلام ام عندهم الغيب اي علم الغيب وهو ما غاب
عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول من امر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب
المنون والمعنى اعلموا ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون اي يحكمون وقال ابن عباس معناه ام عندهم
اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به ام يريدون كيدا ام مكرا بك ليهلكوك فالذين
كفروا هم المكيدون اي المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو
انهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر ام لهم اله غير الله يعني يرزقهم وينصرهم سبحان
الله عما يشركون المعنى انه نزه نفسه عما يقولون قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء اي قطعة من
السماء ساقطا هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة
من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ويقولوا لمعاندتهم هذا سحاب مركوم اي بعضه على بعض يسقينا
فذرهم حتى يلاقوا اي يعاينوا يومهم الذي فيه يصعقون اي يموتون ويهلكون يوم لا يغني عنهم
كيدهم شيئا ولا هم ينصرون اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع وان
للذين ظلموا اي كفروا عذابا دون ذلك اي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل
يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان
العذاب نازل بهم قوله عز وجل واصبر لحكم ربك اي الى ان يقع بهم العذاب حكمنا عليهم به فانك باعيننا اي بمرأى
منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه وسبح بحمد ربك
حين تقوم اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت به احسانا وان
كان غير ذلك كان كفارة له عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في
مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك

الا كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم أخرج هذا الحديث
البغوي بإسناد الثعلبي كل امرئ بما كسب أي كل إنسان بما عمل من الشر رهين أي مرتهن بعمله في النار والمؤمن
لا يكون مرتهنا بعمله لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير
والنعمة فقال تعالى وأمددناهم بفاكهة يعني زيادة على ما كان لهم ولحم مما يشتهون من أنواع اللحمان
يتنازعون أي يتعاطون ويتناولون فيها أي في الجنة كأسا لا لغو فيها أي لا باطل فيها ولا رفث ولا
تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ولا تأثيم أي لا يكون منهم ما يؤثمهم ولا يجري بينهم
ما فيه لغو وإثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا يأثمون في شربها ويطوف عليهم أي بالخدمة غلمان
لهم كأنهم أي في الحسن والبياض والصفاء لؤلؤ مكنون أي مخزون مصون لم تمسه الأيدي قال عبد الله
ابن عمر ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه .:.
وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب .:. قوله تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون يعني يسأل
بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا قالوا إنا
كنا قبل في أهلنا أي في الدنيا مشفقين أي خائفين من العذاب فمن الله علينا أي بالمغفرة
ووقانا عذاب السموم يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم إنا كنا من قبل أي
في الدنيا وقيل هو اسم من أسماء جهنم ندعوه أي نخلص له الدعاء والعبادة إنه هو البر قال ابن عباس
اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن إليهم الذي عم بره جميع
خلقه الرحيم قوله عز وجل فذكر يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة فما أنت بنعمة ربك يعني
برحمته وعصمته وقيل بإنعامه عليك بالنبوءة بكاهن ولا مجنون وهو الذي يوهم أنه يعلم الغيب
ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى إنك لست كما يقول كفار مكة إنه كاهن ومجنون إنما تنطق بالوحي
نزلت في الذين اقتسموا عقاب مكة أنه كاهن ومجنون إنما تنطق بالوحي يرمون رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون أم يقولون يعني هؤلاء المقتسمين شاعر أي هو شاعر
نتربص به أي ننتظر به ريب المنون يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله
من الشعراء ويتفرق عنه أصحابه وإن أباه مات وهو شاب ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون
اسم للموت وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لأنهما يقطعان الأجل قل تربصوا أي انتظروا بي الموت
فإني معكم من المتربصين أي من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي
أم تأمرهم أحلامهم أي عقولهم بهذا وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول
فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل أم هم قوم طاغون أي يتجاوزون الحد في الطغيان
والكفر أم يقولون تقوله أي اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل إلا في الكذب
والمعنى ليس من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل إلا في الكذب والمعنى ليس كما زعموا بل
لا يؤمنون أي بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى فليأتوا بحديث مثله أي مثل القرآن
في نظمه وحسنه وبيانه إن كانوا صادقين يعني أن محمدا تقوله من قبل نفسه أم خلقوا من غير شيء

دنا على عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل انه قام في صورته التي خلقه
الله عليها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه السلام كان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين
كما كان ياتي الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فاراه
نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما التي في الارض ففي الافق الاعلى والمراد بالاعلى جانب المشرق
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر
رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح
الغبار عن وجهه وهو يقول ثم دنى فتدلى واما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من
الانبياء على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى اختلف العلماء في معنى هذه الاية فروي عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعائشة
فاين قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قالت ذلك جبريل كان ياتيه في صورته فسد الافق اخرجه
في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله فكان قاب قوسين او ادنى وفي قوله ما كذب الفؤاد ما راى
وفي قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال راى جبريل عليه السلام له
ستمائة جناح زاد في رواية راى جبريل في صورته اخرجه مسلم والبخاري في قوله تعالى فكان قاب
قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فعلى هذا يكون معنى الاية ثم دنى جبريل بعد استوائه بالافق
الاعلى من الارض فنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين او ادنى وبه قال ابن عباس والحسن
وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتاخير تقديره ثم تدلى فدنى لان التدلي سبب الدنو وقال اخرون ثم دنى الرب
عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم فتدلى اي فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وقد ورد
في الصحيحين في حديث المعراج من رواية شريك بن ابي نمر عبد الله عن انس ودنى الجبار رب العزة فتدلى
حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذه رواية ابي سلمة عن ابن عباس والتدلي هو النزول الى النبي صلى الله عليه
وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة
مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسرى جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب
وثابت البناني وقتادة يعني عن انس فلم ياتي احد منهم بما اتى به شريك في روايته يعني شريك في الحديث وقال
الخطابي دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى اي فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى والقاب
القدر والقوس هو الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس والمعنى انه
كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذا اشارة الى تاكيد القرب واصله ان الحليفين
من العرب كانا اذا ارادا عقد الصفا والعهد بينهما خرجا بقوسيهما والصقا بينهما يريدان بذلك انهما
متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين او ادنى بل
اقرب فاوحى الى عبده اوحى الله الى عبده محمد ما اوحى وعن ابن عباس في رواية عنه قال اوحى جبريل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه ربه عز وجل قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما
فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى
الامم حتى تدخلها امتك قوله عز وجل ما كذب الفؤاد قرئ بالتشديد اي ما كذب قلب محمد صلى الله عليه

وسلم

// كان ركعتان لما بينهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه الركعتان تدخل
في الصلاة عن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح قيام الليل
فقالت سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك كان إذا قام كبر عشرا وحمد عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا
واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة
أخرجه أبو داود والنسائي وقيل إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن
عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم
وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك أخرجه الترمذي وأبو داود وقال قد تكلم في أحد رواته
وقوله تعالى ومن الليل فسبحه أي فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء وإدبار النجوم أي تغيب
بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إدبار
النجوم الركعتان قبل الفجر وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وقيل إدبار النجوم يعني فريضة صلاة الصبح ق عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرأ في المغرب بالطور والله أعلم

تفسير سورة النجم وهي مكية وهي ثنتان وستون آية

وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والنجم إذا هوى قال ابن عباس يعني الثريا إذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا
نجما ومنه قولهم إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه
مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الأرض من العاهة شيء إلا رفع أراد بالنجم الثريا وقيل هو نجوم السماء وهويها
غروبها وجعل هذا اللفظ واحدا ومعناه الجمع وقيل روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه الرجوم من
النجوم وهو ما يرمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم إذا انتثرت يوم القيامة
وقيل أراد بالنجم القرآن سمي نجما لأنه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا
وقيل النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه إذا يبس على الأرض وقيل النجم هو محمد
صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى ما ضل صاحبكم يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى أي ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغي أن الضلال
والغي أن الضلال هو أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا والغواية أن لا يكون له طريق إلى مقصد
مستقيم وقيل إن الضلال أكثر استعمالا من الغواية وما ينطق عن الهوى أي بالهوى والمعنى
لا يتكلم بالباطل وذلك أنهم قالوا إن محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه إن هو أي ما هو يعني القرآن وقيل
نطقه في الدين إلا وحي من الله يوحى إليه علمه شديد القوى يعني جبريل وكونه شديد القوى
أنه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا
جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الأنبياء أسرع من رجعة الطرف ذو مرة أي ذو قوة وشدة وقال
ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن فاستوى يعني جبريل عليه السلام
وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بالأفق

النجوم

الأعلى عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو بالنهاية من جبريل أي انتصب قائما في صورته التي خلقه
الله فيها وهو بالأفق الأعلى وذلك أن جبريل عليه السلام كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين
كما كان يأتي الأنبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه
نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء فأما التي في الأرض فبالأفق الأعلى والمراد بالأفق الأعلى جانب المشرق
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من ناحية المشرق فسد الأفق إلى المغرب فخر
رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح
الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنى فتدلى وأما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من
الأنبياء على تلك الصورة التي خلق عليها إلا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **ثم دنى فتدلى فكان قاب
قوسين أو أدنى** اختلف العلماء في معنى هذه الآية فروي عن مسروق بن الأجدع قال قلت لعائشة
فأين قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورته فسد الأفق أخرجه
في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله فكان قاب قوسين أو أدنى وفي قوله ما كذب الفؤاد ما رأى
وفي قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها إن ابن مسعود قال رأى جبريل عليه السلام له
ستمائة جناح زاد في رواية رأى جبريل في صورته أخرجه مسلم والبخاري في قوله تعالى فكان قاب
قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنى جبريل بعد استوائه بالأفق
الأعلى من الأرض فتدلى إلى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى وبه قال ابن عباس والحسن
وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنى لأن التدلي سبب الدنو وقال آخرون ثم دنى الرب
عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى أي فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى **وقد ورد
في الصحيحين** في حديث المعراج من رواية شريك بن أبي نمر عبد الله عن أنس ودنى الجبار رب العزة فتدلى
حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس والتدلي هو النزول إلى النبي صلى الله عليه
وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكره حديث أنس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة
مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة **وقد روى حديث** الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب
وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى في صحيحهم في رواية شريك في الحديث وقال
الخطابي دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى أي فأهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب
القدر والقوس هو الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس **وقيل معناه** حيث الوتر من القوس والمعنى أنه
كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهو إشارة إلى تأكيد القرب وأصله أن الحليفين
من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد بينهما خرجا بقوسيهما وألصقا بينهما يريدان بذلك أنهما
متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين أو أدنى بل
أقرب فأوحى إلى عبده أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى وعن ابن عباس في رواية عنه قال أوحى جبريل إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه عز وجل قال سعيد بن جبير أوحى إليه ألم يجدك يتيما
فآوى إلى قوله ورفعنا لك ذكرك **وقيل** أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلى
الأمم حتى تدخلها أمتك قوله عز وجل **ما كذب الفؤاد** قرئ بالتشديد أي ما كذب قلب محمد صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم ما رأى أي بعينه تلك الليلة ببصره وحققه وقرئ بالتخفيف أي ما كذب فؤاد محمد
الذي رآه ببصره والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى بل اختلفوا في الذي رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن
مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقيل جعل بصره في فؤاده وهو
ابن عباس عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب
جماعة إلى أنه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عز وجل
وروى عكرمة عن ابن عباس قال إن الله عز وجل اصطفى إبراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام ۝
واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب إن الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى
مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذي بأطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلى
الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا أمتاه هل رأى محمد ربه
قالت لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد
كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه
الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس
بأي أرض تموت ماذا تكسب غدا ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ
ما أنزل إليك من ربك ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين أخرجاه في الصحيحين م عن أبي ذر قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أنى أراه قوله عز وجل أفتمارونه على ما يرى يعني
أفتجادلونه على ما يرى وذلك أنهم جادلوه حين أسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن
عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه ۝
وعلمه ولقد رآه نزلة أخرى يعني رأى جبريل في صورته مرتين مرة في الأرض ومرة عند سدرة ۝
المنتهى م عن أبي هريرة رضي الله عنه ولقد رآه نزلة أخرى يعني رأى جبريل في صورته وعلى
قول ابن عباس معنى نزلة أخرى هو أنه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسألة
التخفيف من أعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز وجل في بعضها وروي عن ابن عباس
أنه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه أنه رآه بعينه عند سدرة المنتهى عن ابن مسعود رضي
الله عنه قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة
وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها
قال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية للترمذي إليها ينتهي علم ۝
الخلائق لا علم لهم بما فوق ذلك متفق في الصحيحين ثم صعد بي إلى السماء السابعة
ثم قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة
المنتهى وفي رواية مسلم من حديث أنس قال ثم عرج بنا إلى السماء السابعة وذكر الحديث إلى أن قال
فيه ثم ذهب بي إلى السدرة وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله
عز وجل ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وقال هلال بن
يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب إنها سدرة في أصل العرش

على رؤوس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل وعن اسماء بنت
ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى قال يسير الراكب في ظل الفنن منها
مائة سنة وقال يستظل بظلها مائة راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال اخرجه الترمذي وقال
مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان ولو ان ورقة وضعت منها في الارض لاضاءت لاهل
الارض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد عندها جنة المأوى قال ابن عباس جنة
المأوى يأوي اليها جبريل والملائكة وقيل تأوي اليها ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى قال
ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة امثال الغربان وقيل امثال الطيور وقيل غشيها
نور الخلائق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى امثال الغربان يقعن عليها وقيل نور رب العزة
فاستنارت وروي في الحديث قال رأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله عز وجل ما زاغ البصر
وما طغى اي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا ولا شمالا
وما جاوز ما رأى وقيل ما امر به وهذا وصف ادبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت الى
شيء سوى ما امر به وقيل ما طغى في معنى الاية ان قلنا الذي يغشى السدرة هو فراش من ذهب انه لم يلتفت
اليه ولم يشتغل به وفيه بيان ادبه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقطع نظره عن المقصود وان قلنا الذي يغشى السدرة
هو نور رب العزة ففيه وجهان احدهما انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولم يشتغل
بغير ذلك النور الوجه الثاني ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما اخبر عن موسى بقوله وخر موسى
صعقا وذلك انه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل وانه قطع نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله
عليه وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزول فيه الافهام وتميل فيه الابصار فوصف
الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وقوله
تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى يعني رأى صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل اراد ما
ارى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه رأى من آيات ربه الكبرى م عن عبد الله بن مسعود
قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح خ عنه قال لقد رأى
من آيات ربه قال رأى رفرفا اخضر سد افق السماء فصل في كلام الشيخ محيي الدين
النووي في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة
الاسرى قال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسرى
فانكرته عائشة كما وقع في صحيح مسلم وجاء مثله عن ابي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن
مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن عباس انه رآه بعينه ومثله
عن ابي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وابي هريرة واحمد بن حنبل
وحكى اصحاب المقالات عن ابي الحسن الاشعري وجماعة من اصحابه انه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا
وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة وسؤال موسى اياها
دليل على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز او يمتنع على ربه واختلفوا في نبينا صلى الله عليه وسلم هل
كلم ربه عز وجل ليلة الاسرى بغير واسطة ام لا فحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعن بعضهم

هذا القول

هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنى فتدلى فالاكثرون على ان
هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم او مختص باحدهما من الآخر او من سدرة المنتهى
وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم
الى ربه او من الله تعالى وعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متاولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد
الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم
منزلته لديه واشراق انوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه واسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه
عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك له وعظيم فضله وبره العظيم لديه ويكون قوله تعالى فكان قاب قوسين
او ادنى على هذا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم
ومن الله تعالى اجابة الرغبة وانالة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين
واما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج في المسئلة وان كانت كثيرة ولكنا لا
نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى
والرؤية لمحمد صلى الله عليهم وسلم اجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه
قال نعم وقد روي باسناد لا باس به عن شعبة عن قتادة عن انس قال راى محمد ربه وكان الحسن يحلف
لقد راى محمد ربه والاصل في المسئلة حديث ابن عباس حبر الامة والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن
عمر في المسئلة وراسله هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فاخبره انه راه ولا يقدح في هذا هذه
الحديث عائشة لان عائشة لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم ار ربي وانما ذكرت ما ذكرت
متاولة لقوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا ولقوله
لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا صحت الروايات
عن ابن عباس في اثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها فانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما
تتلقى بالسمع ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد
قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا باعلم من ابن عباس
ثم ان ابن عباس اثبت شيئا نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير قال الشيخ
محيي الدين فالحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بعيني راسه
ليلة الاسرى لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا ياخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي ان يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها
اما احتجاج عائشة بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحا ط
به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع
اختصاره واما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الآية فالجواب عنه من
اوجه احدها انه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الثاني
انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الثالث ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحي الكلام من غير

واسطة وهذا الكلام وان كان محتملا فالذي عليه الجمهور على ان المراد بالوحي هنا الالهام والرؤية في المنام وكلاهما
يسمى وحيا **واما** قوله تعالى او من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل
يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد
المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في اول الحديث لقد قف شعري
معناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال تقول العرب عند انكار الشيء قف شعري واقشعر
جلدي واشمأزت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر نورٌ أنّى أراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة
في أنّى المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف اراه قال المازري الضمير في اراه عائد على الله تعالى ومعناه ان النور
يمنعني من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حالت بين الرائي والمرئي وفي
رواية رأيت نورا معناه رأيت النور فحسب ولم ار غيره **وفي رواية** نورانيٌّ أراه معناه هو خالق النور
المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل ان يكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام
والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب ائمة جميع المسلمين والله اعلم قوله عز وجل **افرأيتم اللات والعزى**
هذه اسماء اصنام اتخذوها آلهة يعبدونها اشتقوا لها اسماء من اسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن
العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز والمعنى اخبرونا عن هذه الالهة التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة
والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء وقيل كانت اللات بالطائف وقيل ببيت بنخلة كانت قريش تعبده
وقرئ اللاتّ بالتشديد **خ عن ابن عباس** قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات
عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان في راس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها
ثم يتخذ منه حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف
يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتاتيه العرب فيلت به اسوقتهم فلما مات الرجل
حولتها ثقيف الى منازلها فعبدتها فمرة الطايف على موضع اللات واما العزى فقيل هي شجرة لغطفان كانوا
يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول
يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها
واضعة يدها على راسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال وقد قطعتها كذا فقال وقد قطعتها فقال
ما رأيته قال ما رأيت شيئا فقال ما قطعت فعاد ومعه المعول فقطعها واجتث اصلها فخرجت منها
امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقيل هي صنم
لغطفان وذلك انه قدم مكة ورأى الصفا والمروة ورأى اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه
ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال انا اصنع لكم كذلك
فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذي اخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذي
اخذ من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار فاسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون
بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاثة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة
وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها **وقيل** هي بيت بالطايف كانت تعبده ثقيف
وقوله **ومناة** قيل هو لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة في الانصار كانوا يهلون لمناة

موضع

وضعه لهم يسعون كالم
الغطفاني ح

وكانت

وكانت من فهر وقيل بيت بالمشلل تعبده بنو كعب وقيل مناة أصنام من حجارة كانت في جوف
الكعبة يعبدونها الثالثة الأخرى الثالثة نعت لمناة إذ الثالثة للصنمين في الذكر وأما الأخرى فإن
العرب لا تقول الثالثة أخرى وإنما الأخرى هاهنا نعت للثالثة قال الخليل فالله أعلم وقيل في الفردوس الأعلى كقوله
مآرب أخرى ولم يقل أخر وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة
الثالثة وقيل صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الرذيلة فعلى هذا فالأصنام رتبت في الرتبة
وذلك لأن اللات كان وثنا على صورة آدمي والعزى شجرة بعض نبات ومناة صخرة فهي جماد فهي في أخريات
المراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الأصنام حق الرؤية فإن رأيتموها علمتم أنها لا تصلح للعبادة لأنها لا
تضر ولا تنفع وقيل أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله الأنثى
وقيل كان المشركون بمكة يقولون للأصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم إذا بشر بالأنثى كره
ذلك فقال تعالى منكرا عليهم ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى قال ابن عباس أي قسمة
جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة إن هي أي ما هي هذه
الأصنام إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم والمعنى إنكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا
معبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة ما أنزل الله
بها من سلطان أي حجة بما تقولون إنها آلهة إن يتبعون إلا الظن أي في قولهم إنها آلهة وما
تهوى الأنفس يعني هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الأصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى
شهواتهم والذي ينبغي أن تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة أهوائهم هوى النفس ولقد جاءهم
من ربهم الهدى أي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل أن الأصنام ليست بآلهة وأن العبادة لا تصلح إلا
لله الواحد القهار قوله تعالى أم للإنسان ما تمنى معناه أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة
الأصنام أي ليس الأمر كما يظن ويتمنى فلله الآخرة والأولى أي لا يملك فيهما أحد شيئا إلا بإذنه وقيل
معناه أن الإنسان إذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الآخرة والأولى يعاقبه على فعله
ذلك إن شاء في الدنيا والآخرة وإن شاء أمهله إلى الآخرة وكم من ملك في السموات أي ممن يعبدهم هؤلاء
ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيئا يعني أن الملائكة مع علو منزلتهم لا تغني شفاعتهم
عنهم شيئا فكيف تشفع الأصنام مع حقارتها ثم أخبر أن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه فقال تعالى إلا من
بعد أن يأذن الله أي في الشفاعة لمن يشاء ويرضى أي من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع
الملائكة إلا لمن رضي عنه وقيل إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة التقديم
له إن الذين لا يؤمنون بالآخرة يعني الكفار الذين أنكروا البعث ليسمون الملائكة تسمية
الأنثى أي بتسمية الأنثى حيث قالوا إنهم بنات الله فإن قلت كيف قال تسمية الأنثى
ولم يقل تسمية الإناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمناسبة ر
ؤوس الآي وقيل إن كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الأنثى وذلك لأنهم إذا قالوا الملائكة بنات الله
فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن أي بالله فيشركون
به ويجعلون له ولدا وقيل بما يسمونه فيقولون إن الملائكة إناث وإن الظن لا يغني من الحق شيئا أي لا يقوم

الظن مقام العلم الذي هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم
وقيل الحق هو الله والمعنى ان الاوثان الالهية لا تستحق بالظنون فأعرض عمن تولى عن ذكرنا
يعني القرآن وقيل عن الايمان ولم يرد الا الحياة الدنيا يعني انهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها
وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى ذلك مبلغهم من العلم اي ذلك نهاية علمهم
وقلة عقولهم ان آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات
الله وانهم شفعاء لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القرآن والايمان ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اي هو عالم بالفريقين فيجازيهم باعمالهم ولله ما في السموات
وما في الارض وهذا اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الاولى وبين قوله تعالى ليجزي
الذين اساءوا بما عملوا والمعنى انه اذا كان اعلم بهم جازى كلا بما يستحقه فيجزي الذين اساءوا اي
اشركوا بما عملوا اي من الشرك ويجزي الذين احسنوا اي وحدوا ربهم بالحسنى يعني الجنة وانما يقدر
على مجازاة المحسن والمسيء اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما في السموات وما في الارض
ثم وصف المحسنين فقال عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم قيل الاثم الذنب الذي يستحق
به صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل ما لا يحل وقيل الاثم
جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متفاوتة في كل ذنب يعظم عقوبته في
وجمع كبائر والفواحش جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هي
ما يفحش من الكبائر الا اللمم اي الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هو مقاربة المعصية من قولك الممت
بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا في معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر
والفواحش ومعنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب او يقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي
هريرة ومجاهد والحسن وفي رواية عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك
وقال ابو صالح سألت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت
ذلك لابن عباس فقال لقد اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس في قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا ألما
والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا اقامة وقيل هو استثناء
منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف
في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به في الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون
معنا فانزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغائر الذنوب
كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنى وهو قول ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي
والرواية الاخرى عن ابن عباس ق عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنى ادرك ذلك لا محالة فزنا
العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم
كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع

واللسان

واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل اللمم على وجهين أحدهما أنه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك يكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب أي خطر وقيل اللمم النظر من غير عمد فهو مغفور فإن عاد النظر فليس بلمم بل هو ذنب

فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة

قال العلماء أكبر الكبائر الشرك بالله وهذا ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق وأما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام يعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الأحوال والمفاسد المترتبة عليها وعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من أكبر الكبائر بالنسبة إلى ما دونها وقد جاء عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر أسبع هي فقال هي إلى السبعين أقرب وفي رواية إلى السبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بأن كل مخالفة فهي بالنسبة إلى جلال الله تعالى كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى كبائر وصغائر وقد تظاهرت على ذلك وأبانته دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر فقد اختلفوا في ضبطها فروي عن ابن عباس أنه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ونحو هذا عن الحسن وقيل هو ما أوعد الله عليه بنار في الآخرة أو حد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة أن كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف أو إحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمتجرئ عليها اعتيادا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون في ارتكابه فهو كبيرة وما يحمل على فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد إذا أردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة في كتابه القواعد إذا أردت معرفة الفرق فاعرض مفسدة الذنب على مفسدة الكبائر المنصوص عليها فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهي من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها أو أمسك مسلما لمن يقتله فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من أكل درهم من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستأصلون بتلك الدلالة فإن نسبته إلى هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذا لو كذب على إنسان كذبا يعلم أنه يقتل بسببه ولو كذب على إنسان كذبا يعلم أنه يؤخذ منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الإطلاق فهذا حد الكبيرة ولها أمارات منها الحد ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة ومنها وصف فاعلها بالفسق أو يطلق عليه اللعن كلعن الله من غير منار الأرض ونحو ذلك والله أعلم قوله تعالى إن ربك واسع المغفرة ۝

قال ابن عباس من جعل في الاثم ثم تاب وانابه. روى عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة مع
استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار
عليها وقيل في حد الاصرار هو ان يتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على
قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى هو اعلم بكم اي قبل ان يخلقكم وهو قوله اذ انشأكم
من الارض اي خلق اباكم آدم من التراب واذ انتم اجنة جمع جنين في بطون امهاتكم سمي جنينا
لاستتاره في بطن امه فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس
ما هو صانعة والى ما هي صائرة فلا تزكوا انفسكم فلا تبرئوها من الاثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال
وقيل في معنى الاية هو اعلم بكم ايها المؤمنون علم حالكم من اول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا انفسكم
رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك وانا ازكى منك او اتقى منك فان العلم عند الله وفيه
اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى هو اعلم بمن
اتقى اي بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل في معنى الاية فلا تزكوا انفسكم اي لا تنسبوها الى زكاة
العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها
واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم آدم وقيل ان تخرجوا من
بطون امهاتكم قيل نزلت في ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل
الله فيهم هذه الاية قوله عز وجل افرأيت الذي تولى نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه
وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له اتركت دين الاشياخ وضللتهم قال اني خشيت عذاب الله فضمن
الوليد الى الشرك واعطى للذي عيره بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله تعالى افرأيت الذي تولى
ادبر واعرض عن الايمان واعطى اي لصاحبه قليلا واكدى اي بخل بالباقي وقيل اعطى الوليد قليلا
من الخير بلسانه واكدى اي قطعه وامسك ولم يقم بالعطية وقيل نزلت في العاصي بن وايل السهمي وذلك
انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما
يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى اي لم يومن به ومعنى اكدى اي قطع واصله
من الكدية وهي حجر تظهر في البير تمنع من الحفر اعنده علم الغيب فهو يرى اي ما غاب عنه ويعلم
ان صاحبه يتحمل عنه عذابه ام لم ينبا اي يخبر بما في صحف موسى يعني اسفار التوراة وابراهيم
اي ويخبر بما في صحف ابراهيم الذي وفى اي كمل وتمم ما امر به وقيل عمل بما امر به وبلغ رسالة ربه الى
خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى سهام
الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى شان
المناسك روى البغوي بسنده عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى قال
اربع ركعات اول النهار عن ابي الدرداء وابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه
قال ابن آدم اركع لي اربع ركعات من اول النهار اكفك آخره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين
ما في صحفهما فقال تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى والمعنى لا تؤخذ
نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم

يأخذون

يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان إبراهيم عليه السلام
فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ألا تزر وازرة وزر أخرى **وأن ليس للانسان الا ما سعى** أي عمل وهذا
في صحف إبراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى ألحقنا بهم
ذريتهم فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء **وقيل** كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى فأما هذه الأمة فلهم
ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي عن ابن عباس أن امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله ألهذا
حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم **وعنه** أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبي توفي أينفعه
إن تصدقت عنه قال نعم **وفي رواية** أن سعد بن عبادة أخا بني ساعدة وذكر نحوه أخرجه البخاري **وعن
عائشة** أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت
فهل لها أجر إن تصدقت عنها قال نعم أخرجاه في الصحيحين في حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي
ومالك وأحمد وجماهير العلماء أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وإن كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل
يقع تطوعا **وقال** أبو حنيفة لا يصح حجه وإنما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الآخرين
دليل على أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو إجماع العلماء وكذا أجمعوا على وصول الدعاء
وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو أوصى بحج تطوع على
الأصح عند الشافعي واختلف العلماء في الصوم إذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للأحاديث
الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من أصحابه يصله
ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلاة وسائر التطوعات فلا تصله عند الشافعي والجمهور وقال أحمد
يصله ثواب الجميع والله أعلم وقيل المراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير إلا ما عمل هو فيثاب
عليه في الدنيا بأن يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير **روي أن عبد
الله** بن أبي سلول كان أعطى العباس قميصا ألبسه إياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه
ليكفن فيه فلم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها **وقيل** ليس للانسان إلا ما سعى هو من
باب العدل فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه **وأن سعيه سوف يرى** أي
يرى في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك أن الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن
الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غما ثم يجزاه أي السعي **الجزاء الأوفى** أي الأتم الأكمل والمعنى أن الانسان
يجزى جزاء سعيه بالجزاء الأوفى قوله عز وجل **وأن إلى ربك المنتهى** أي منتهى الخلق ومصيرهم إليه
في الآخرة وهو مجازيهم بأعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان أحدهما أنه عام تقديره وأن إلى ربك أيها
السامع أو العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن
إساءته ويزداد المحسن في إحسانه **الوجه** الثاني أن المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فإن إلى ربك المنتهى **وقيل** في معنى الآية
منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال **روى البغوي** بإسناد الثعلبي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله وأن إلى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعا تفكروا في
الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة ومعنى لا فكرة في الرب أي انتهاء الأمر إليه لأنه إذا انتهى

الوسايل الموجودات الممكنة علمت انه لا بد لها من موجد واذا علمت ان موجدها هو الله تعلى فقد انتهى
الامر اليه فهو انتهاية الى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعلى **وانه هو اضحك وابكى** اي هو القادر
على ايجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكا وفيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان فبقضاء الله وقدره
وخلقه حتى الضحك والبكا قيل اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار **وقيل** اضحك الارض
الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر **وقيل** افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكا
عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون
الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه الترمذي **وقال**
حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي
صلى الله عليه وسلم **وسيل** ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان
في قلوبهم اعظم من الجبل **ق** عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها
قط قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم
لهم خنين هو بالخاء المعجمة اي بكا مع صوت يخرج من الانف **وانه هو امات واحيا** اي امات
في الدنيا واحيا للبعث وقيل امات الاباء واحيا الابنا **وقيل** امات الكافر بالنكرة واحيا المومن
بالمعرفة **وانه خلق الزوجين الذكر والانثى** اي من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التي تتوارد
على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شي لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة
الله تعلى وخلقه لا بفعل الطبيعة **من نطفة اذا تمنى** اي تصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه
على كمال قدرته لان النطفة شي واحد يخلق الله منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة ويخلق منها الذكر
والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يوكد بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع احد ايجاد
نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر احد ان يدعي خلق السموات والارض **وان عليه النشاة
الاخرى** اي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة **وانه هو اغنى واقنى** اي اغنى الناس بالاموال
واعطى القنية وهي اصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية **وقيل** اغنى بالذهب والفضة
وصنوف الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اي اخدم **وقال** ابن عباس اغنى واقنى
اعطى فارضى وقيل اغنى بعوضه وفي حاجته ولم يتركه محتاجا الى شي لان الغنى ضد الفقر واقنى اي زاد فوق
الغنى **وانه هو رب الشعرى** اي انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك
رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطع السماء
طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف
العرب في الدين سموه ابن ابي كبشة تشبيها له به لخلافه اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرا
وهو كوكب مضيء خلف الجوزا وتسمى كلب الجبار ايضا وهما شعريان يمانية وشامية يقال لاحداهما
العبور وللاخرى الغميصا سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما واراد هاهنا الشعرى
العبور **وانه اهلك عادا الاولى** وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا
الاخرى **وقيل** الاخرى ارم وقيل الاولى يعني اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح **وثمود** هم قوم صالح

أهلكهم الله بالصيحة فما أبقى يعني منهم أحداً وقوم نوح من قبل يعني أهلك قوم نوح من قبل عاد
وثمود إنهم كانوا هم أظلم وأطغى يعني لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية
والتكذيب والمؤتفكة يعني قرى قوم لوط أهوى أي أسقط وذلك أن جبريل رفعها إلى السماء ثم أهواها
فغشاها أي ألبسها الله ما غشى يعني الحجارة المنضودة المسومة فبأي آلاء ربك يعني نعم
ربك تتمارى أي تشك أيها الإنسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى أي تكذب هذا
نذير يعني محمداً صلى الله عليه وسلم من النذر الأولى أي رسول من الرسل المتقدمة أرسل إليكم كما أرسلت الرسل
إلى قومهم وقيل أنذر محمد كما أنذر الرسل من قبله أزفت الآزفة أي دنت القيامة واقتربت الساعة
ليس لها من دون الله كاشفة أي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة
على كشفها إذا وقعت إلا الله غير أنه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى
لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعني إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها
لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد قوله تعالى أفمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون تنكرون
وتضحكون أي استهزاء ولا تبكون أي مما فيه من الوعيد وأنتم سامدون أي لاهون غافلون
قاله ابن عباس وعنه أن السمود هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا
ولعبوا وأصل السمود في اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير في سيره إذا رفع رأسه وجد في سيره
والسامد اللاهي والمغني وقيل معناه أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون فقيل
له ما البرطمة قال الإعراض فاسجدوا لله يعني أيها المؤمنون شكراً على الهداية وقيل هذا محمول على
سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة واعبدوا أي اعبدوا الله وإنما قال واعبدوا إما لكونه
معلوماً وإما لأن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله تعالى (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن شيخاً من قريش أخذ كفاً من حصى
وتراب فرفعه إلى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافراً زاد البخاري وهو
أمية بن خلف (خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون
والمشركون والجن والإنس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد
فيها وفي هذا الحديث دليل على أن سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي وأحمد وقال
عمر بن الخطاب إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء وذهب قوم إلى وجوبها على القارئ والمستمع وهو
قول سفيان وأصحاب الرأي والله أعلم

تفسير سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية وثلاثمائة واثنان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقتربت الساعة أي دنت القيامة وانشق
القمر قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول
الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ما روي عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فيه فنزلت

اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية
أخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقة
دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في
زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد
وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت
قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان محمد سحرنا فما يستطيع ان يسحر الناس كلهم أي جوده
التي من في زاده غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم فقدروا ويكذبونهم قال مقاتل انشق
القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسألوا السفار فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل الله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة
القرآن المجيد بذلك فانه ادل دليل واقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مومن وقد اخبر عنه الصادق ف
فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم قال
الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة وذلك لما اعمى الله قلبه ولا انكار للعقل
فيه لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر امره واما قول بعض الملا
حدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في رويته ومعرفته ولم يختص بها
اهل مكة فأجاب العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون
والابواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء او ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما
هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من العجائب والانوار الطوالع
والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا الآحاد الناس ولا علم عند غيرهم لما ذكرناه من غفلة
الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحو
بتها فلم يتاهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنا
زل التي تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم كما يجد الكسوف اهل
بلد دون بلد والله أعلم وقيل في معنى الآية سينشق القمر يوم القيامة وهذا قول
باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على
المستقبل يفتقر الى قرينة تنقله او دليل يدل عليه وفي قوله تعالى فإن يروا آية يعرضوا
دليل على وجود هذه الآية العظيمة وان ذلك كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله
تعالى وان يروا آية اي متى راوا حجة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا
عن التصديق بها ويقولوا سحر مستمر اي دائم مطرد وكل شيء دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما
رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر اي ذاهب سوف يبطل

ويذهب

ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا وكذبوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما
عاينوا من قدرة الله واتبعوا اهواءهم اي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه
سحر القمر وكل امر مستقر اي لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف
وقيل كل امر مستقر فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل
يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل معناه لكل
حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر
يعني ليس امره بذاهب كما زعمتم بل كل امر من اموره مستقر وان امر محمد صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية
يتبين انه حق ولقد جاءهم يعني اهل مكة من الانباء اي من اخبار الامم المكذبة في القرآن ما
فيه مزدجر اي متناهى وموعظة حكمة بالغة يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية فما
تغن النذر يعني اي غناء تغني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم فتول عنهم اي اعرض عنهم نسختها
آية القتال يوم يدع الداع اي اذكر يا محمد يوم يدعو الداعي وهو اسرافيل ينفخ في الصور قائما
على صخرة بيت المقدس الى شيء نكر اي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما خاشعا
وقرئ خشعا ابصارهم اي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب يخرجون من الاجداث اي من
القبور كانهم جراد منتشر مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين مهطعين
اي مسرعين مادين اعناقهم مقبلين الى الداع اي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين
اليه لا يقلعون بابصارهم يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفيه اشارة الى ان ذلك اليوم يوم
شديد على الكافرين لا على المؤمنين قوله تعالى كذبت قبلهم اي قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا
يعني نوحا وقالوا مجنون وازدجر اي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم
لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين فدعا يعني نوحا ربه وقال اني مغلوب اي مقهور
فانتصر اي فانتقم لي منهم ففتحنا ابواب السماء قيل هو على ظاهره وللسماء ابواب وتغلق
ولا يستبعد فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب بماء منهمر اي منصب انصبابا شديدا لم ينقطع
اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا اي وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل بالماء فالتقى الماء يعني
ماء السماء وماء الارض على امر قد قدر اي قضي عليهم في ام الكتاب وقيل قدر الله ان يكون
الماءان سواء فكان على ما قدر وحملناه يعني نوحا على ذات الواح اي سفينة ذات الواح واراد
بالالواح خشب السفينة العريضة ودسر اي مسامير التي تشد بها الالواح وقيل الدسر صدر السفينة
وقيل هي عوارض السفينة واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر اصلها وطرفاها
تجري يعني السفينة باعيننا اي بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا جزاء لمن كان كفر
يعني فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانهم كفروا به وجحدوا امره وقيل
من بمعنى ما اي جزاء لما كان كفر من ايادي الله ونعمه عند الذين اغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح واصحابه
ولقد تركناها آية يعني الفعلة التي فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل اراد السفينة قال قتادة
ابقاها الله بباقردى من ارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اي متذكر معتبر

ومعنا بالنوحه

متعظ خائف فيتعظ بما فيه فعن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل من مدكر فقال
فهل من مدكر أي سمعته يقول فهل من مدكر دالا وفي رواية فكيف كان عذابي ونذر أي انذاري ولقد
يسرنا القرآن للذكر أي سهلنا القرآن للذكر أي ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة
وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا الا القرآن فهل من مدكر أي متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن
والاشتغال به لانه قد سهله الله ويسره على عباده بحيث يسهل حفظه على الصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم
قوله عز وجل كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر أي انذاري لهم بالعذاب انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
أي شديدة الهبوب في يوم نحس أي في يوم شؤم مستمر أي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسته فلم يبق
منهم احد الا هلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في آخر الشهر تنزع الناس أي الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على
رؤوسهم فتدق رقابهم وقيل كانت تنزعهم من قبورهم كأنهم اعجاز نخل قال ابن عباس اصول نخل منقعر أي
منقطع من مكانه ساقط على الارض وقيل كانت الريح تبين رؤوسهم من اجسادهم فتبقى اجسادهم بلا رؤوس
كعجز النخلة الملقاة فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله تعالى
كذبت ثمود بالنذر أي بالانذار الذي جاءهم به صالح فقالوا أبشرا منا واحدا يعني آدميا واحدا
نتبعه ونحن جماعة كثيرة انا اذا لفي ضلال أي خطأ وذهاب عن الصواب وسعر قال ابن عباس عذاب وقيل
شدة عذاب وقيل انا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق
أألقي الذكر عليه يعني أأنزل عليه الوحي من بيننا بل هو كذاب أشر أي بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا
بادعائه النبوة سيعلمون غدا أي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وانما ذكر الغد
للتقريب من الكذاب الاشر أي أصالح ام من كذبه انا مرسلوا الناقة أي باعثوها ومخرجوها من الهضبة
التي سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه ان يخرج لهم من الصخرة ناقة حمراء عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا
الناقة فتنة أي محنة واختبارا لهم فارتقبهم أي فانتظر ما هم صانعون واصطبر أي على اذاهم ونبئهم
أي اخبرهم ان الماء قسمة بينهم أي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء
كل شرب أي نصيب من الماء محتضر أي يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان
يومهم حضروا شربهم وقيل يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن فنادوا صاحبهم
يعني قدار بن سالف فتعاطى أي فتناول الناقة بسيفه فعقر يعني الناقة فكيف كان عذابي ونذر
ثم بين عذابهم فقال تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يعني صيحة جبريل فكانوا كهشيم
المحتظر قال ابن عباس وهو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك
فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي يهشم حين تذروه الريح والمعنى انهم صاروا كيبس
الشجر اذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر قوله عز وجل كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا يعني الحصباء
وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي فعلى هذا يكون المعنى انا ارسلنا عليهم عذابا
يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى الا آل لوط يعني لوطا وابنتيه نجيناهم يعني
من العذاب بسحر نعمة من عندنا أي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم كذلك نجزي أي كما انعمنا

فقالوا

عه

على آل لوط كذلك نجزي من شكر يعني أن من وحد الله لم يعذبه مع المشركين ولقد أنذرهم أي لوط
بطشتنا يعني أخذنا إياهم بالعقوبة فتماروا بالنذر أي شكوا بالإنذار وكذبوا ولم يصدقوا
ولقد راودوه عن ضيفه أي طلبوا منه أن يسلم إليهم أضيافه فطمسنا أعينهم وذلك أنهم لما
قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فإنا رسل
ربك لن يصلوا إليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا بإذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون
إلى الباب فأخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم يعني صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها
شق ثم وقيل طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا قد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا فلم يروهم
فذوقوا عذابي ونذر يعني ما أنذركم به لوط من العذاب ولقد صبحهم بكرة أي جاءهم وقت الصبح
عذاب مستقر أي استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة فذوقوا عذابي ونذر ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله تعالى ولقد جاء آل فرعون النذر يعني موسى وهارون
عليهما السلام وقيل النذر هي الآيات التي أنذرهم بها موسى كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات
التسع فأخذناهم بالعذاب أخذ عزيز مقتدر أي غالب في انتقامه قادر على إهلاكهم لا يعجزه
ما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى أكفاركم خير من أولئكم يعني أقوى وأشد من الذين أحلت بهم نقمتي
مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون هذا استفهام إنكار ليسوا بأقوى منهم أم لكم
براءة أي من العذاب في الزبر أي الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية أم يقولون يعني كفار مكة
نحن جميع منتصر ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي وقيل معناه كل واحد منا منتصر
كما يقول جاءتكم علماء أي كل واحد منهم عالم قال الله تعالى سيهزم الجمع يعني كفار مكة ويولون الدبر
أي الأدبار فوحد لأجل رؤوس الآي وقيل في الإفراد إشارة إلى أنهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا
يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد خ عن ابن عباس قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد
اليوم فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع وهو يقول سيهزم
الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر
قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر علمت
تأويلها بل الساعة موعدهم يعني جميعا والساعة أدهى وأمر أي أعظم داهية وأشد مرارة من الأسر
والقتل يوم بدر قوله عز وجل إن المجرمين يعني المشركين في ضلال وسعر أي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال
في الدنيا ونار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال أي بعد عن طريق الجنة وعذاب في الآخرة ثم بين عذابهم فقال
يوم يسحبون أي يجرون في النار على وجوههم ويقال لهم أيضا ذوقوا مس سقر أي ذوقوا أيها المكذبون
بمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر أي مقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ
وقيل معناه قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شيء بقدر
حتى وضعك يدك على خدك فصل في سبب نزول الآية وما ورد في القدر وما قيل
فيه م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءت مشركو قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر

نزلت هذه الآية ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر م وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين
الف سنة قال وعرشه على الماء م عن عبد الله بن عمرو بن العاص طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله
حتى العجز والكيس او الكيس والعجز عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن عبد مؤمن حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث
بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذي ولهم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد
حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث
حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبريل المتفق
عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره فصل في ذم القدرية عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا
تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابو داود ولهم عن ابي هريرة
رضي الله عنه مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم في الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهم في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وروى ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
جمع الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا ينادي نداء يسمعه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم
القدرية فيامر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال ابن الجوزي
وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون في انه لا يجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها روي عن الحسن
قال والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى ذبح بين الركن والمقام لكبه
الله على وجهه في سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال الشيخ محي الدين
النووي رحمه الله ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه
وتعالى انها ستقع في اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها
الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستانفة العلم
اي انما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت
هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال اصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية
القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه وصارت القدرية في هذا الزمان المتأخرة
تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى
ابو محمد بن قتيبة في كتاب غريب الحديث وابو المعالي امام الحرمين في كتابه الارشاد في اصول الدين ان بعض القدرية
قال لسنا بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين وهذا تمويه من هؤلاء
الجهلة ومباهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى
وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى انفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده

لغيره

لغيره وينفيه عن نفسه **قال الإمام** الحديث وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس
هذه الأمة تشبيها لهم بهم لتفصيلهم الخير والشر في حكم الإرادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير إلى يزدان
والشر إلى أهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الأمة رواه أبو
حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود في سننه والحاكم أبو عبد الله في المستدرك
على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر وقال الخطابي إنما جعلهم صلى الله
عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من
فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره وأهل السنة
يضيفون الجميع إلى الله سبحانه وتعالى خلقا وإيجادا وإلى العباد عليهما من ميعاده فعلا واكتسابا قال
الخطابي وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه
وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكتساب العباد وصدورها
عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشيء
وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد **و**القضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سماوات
أي خلقهن وقد تظاهرت دلائله القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف
والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى **و**قد قرر ذلك أئمة المتكلمين أحسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية
والعقلية والله أعلم **وأما معاني الأحاديث** المتقدمة فقوله جاء مشركوا قريش إلى قوله إنا
كل شيء خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله تعالى وقضاه وسبق به علمه وإراد ته
فكل ذلك مقدر في الأزل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات
بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل القدر فإن
ذلك أزلي لا أول له وقوله وعرشه على الماء أي قبل أن يخلق السموات والأرض وقوله كل شيء بقدر حتى
العجز والكيس أو قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة **وقيل** هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به
وتأخيره عن وقته **و**قيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في أمر الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز
وهو النشاط والحذق بالأمور ومعنى الحديث أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه قوله تعالى
وما أمرنا إلا واحدة أي وما أمرنا إلا مرة واحدة **وقيل** معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا
تكوينه إلا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا إذا أراد الله شيئا قال له كن فيكون ومن أثبت
الإرادة والقول قال الإرادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان أنه لا حاجة إلى تكرير القول بل هو إشار ة
إلى نفاذ الأمر **كلمح البصر** قال ابن عباس يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر **و**عن ابن عباس أيضا معناه
وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر ولقد **أهلكنا أشياعكم** أي أشباهكم ونظراءكم في الكفر
من الأمم السالفة **فهل من مدكر** أي متعظ أن ذلك حق فيخاف ويعتبر **وكل شيء فعلوه** يعني الأشياع من
خير أو شر **في الزبر** في كتاب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ **وكل صغير وكبير** أي من الخلق وأعمالهم وآجالهم
مستطر أي مكتوب قوله تعالى **إن المتقين في جنات** أي بساتين **ونهر** أي أنهار وإنما وحد
لموافقة رؤوس الآي وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه في ضياء وسعة ومنه النهار

واللغو لا ينال عندهم في مقعد صدق اي في مجلس حسن وقيل في مقعد لا كذب فيه لان الله تعالى اهل الصدق فمن
وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق عند مليك قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى
المكان مقتدر اي قادر لا يعجزه شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع
للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا
يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم

تفسير سورة الرحمن عز وجل مكية وذكر ابن الجوزي

انها مدنية في قول من اخرى قولين عن ابن عباس وهي ثمان وسبعون اية وثلاثمائة واحدى
وخمسون كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الرحمن علم القرآن قيل لما نزل اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف
الرحمن فانزل الله الرحمن يعني الذي انكرتموه هو الذي علم القرآن وقيل هو جواب لاهل مكة حين قالوا انما
يعلمه بشر فقال الله تعالى الرحمن علم القرآن يعني علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى
وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لانه اعظم
وحي الله الى انبيائه واشرفه منزلة عند اوليائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه في ابواب الدين اثرا
وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على افضل البرية خلق الانسان يعني آدم عليه السلام قاله ابن عباس
علمه البيان يعني اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة
افضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان اي النطق
الذي يتميز به عن سائر الحيوان وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل
علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان
ما يكون وما كان لانه كان صلى الله عليه وسلم يبين عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل
علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام الشمس والقمر بحسبان قال ابن عباس
يجريان بحسبان قال ابن عباس ومنازل لا تعدوانها وقيل بهما يحسب الاوقات والآجال ولولا
الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها
بحسبان الرحا وهو ما يدور الحجر بدورانه والنجم والشجر يسجدان قيل النجم ما ليس له ساق
من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يعني الاشجار وسجودهما سجود ظلهما وقيل النجم
هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما
ارضيان في مقابلة سماويين والسماء رفعها فوق الارض ووضع الميزان قيل اراد بالميزان العدل لانه
آلة العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله الا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا العدل وقيل
اراد به الآلة التي يوزن بها ليتوصل بها الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير الا تطغوا في
الميزان اي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان واقيموا الوزن بالقسط اي بالعدل
وقيل اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اي
لا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء

وزيادة

وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان لتشديد التوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه **والأرض وضعها** أي خفضها مدحوة على الماء **للأنام** أي للخلق الذي بثهم فيها وهو كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للإنس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها **فيها** أي في الأرض **فاكهة** أي من أنواع الفواكه وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى **والنخل ذات الأكمام** يعني الأوعية التي يكون فيها الثمر لأن ثمر النخل يكون في غلاف وهو الطلع ما لم ينشق وكل شيء ستر شيئا فهو كم **وقيل** أكمامها ليفها وأفرد النخل بالذكر من بين سائر الشجر لأنه أعظمها وأكثرها بركة **والحب** يعني جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وإنما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء إلى الأعلى لأن الحب أنفع من النخل وأعم وجودا في الأماكن **ذو العصف** قال ابن عباس يعني التبن **وعنه** أنه ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويبس وقيل هو ورق الزرع **وقيل** العصف ورق كل شيء يخرج منه الحب يبدو أولا ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث في الأكمام الحب **والريحان** يعني الرزق **قال** ابن عباس كل ريحان في القرآن فهو رزق **وقيل** هو الريحان الذي يشم **وقيل** العصف التبن والريحان ثمرته ثم ذكر قوت الناس والأنعام ثم خاطب الإنس والجن فقال تعالى **فبأي آلاء ربكما تكذبان** يعني أيها الثقلان يريد من هذه الأشياء المذكورة وكررت هذه الآية في هذه السورة في أحد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها عددا على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليه ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تك خاملا فعززتك أفتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب حسن تقريرا وذلك أن الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والأرض إلى غير ذلك مما أنعم به على خلقه خاطب الإنس والجن فقال فبأي آلاء ربكما تكذبان من الأشياء المذكورة لأنها كلها منعم بها عليكم **عن جابر قال خرج** رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب **وفي رواية** غيره كانوا أحسن منكم ردا وفيه ولا بشيء قوله تعالى **خلق الإنسان من صلصال** يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت إذا نقر **كالفخار** يعني الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف **فإن قلت** قد اختلفت العبارات في صفة خلق الإنسان الذي هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمأ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار **قلت** ليس في هذه العبارة اختلاف بل المعنى متفق وذلك أن الله تعالى خلقه أولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الأسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار **وخلق الجان** وهو أبو الجن وقيل هو إبليس ~~صار صلصالا~~ **من مارج من نار** يعني الطرف من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو

النار اذا اوقدت فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس
ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس ورب المغربين يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء
وقيل معنى مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر فبأي آلاء ربكما تكذبان
مرج البحرين يعني ارسل البحر العذب والملح متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين لان من شانهما الاختلاط
وهو قوله يلتقيان لكن الله منعهما عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله بينهما برزخ اي حاجز
من قدرة الله لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل
لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما
وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان يعني كل عام
فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله
وجعل القمر فيهن نورا وقيل اراد يخرج من احدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا
كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه
وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا امطرت السماء فتحت الاصداف افواهها فحيث
وقعت قطرة كانت لؤلؤة على قدر القطرة وقوله اللؤلؤ قيل هو ما عظم من الدر والمرجان
صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار
المنشآت يعني السفن الكبار المنشآت اي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض
وقيل هي ما رفع قلعه من السفن اما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشآت وقيل معنى المنشآت
المحدثات المخلوقات المسخرات في البحر كالاعلام اي كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن
في البحر بالجبال في البر فبأي آلاء ربكما تكذبان قوله عز وجل كل من عليها اي على الارض من حيوان
فان وذكر بلفظة من تغليبا للعقلاء قيل ان ابها الالا زجود الانسان في الدنيا غرض فهو غني بل فوق ما
ليس بها فهو فان وفيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة ويبقى وجه ربك يعني ذاته
والوجه يعبر به عن الجملة وفي المخاطب وجهان احدهما انه مع كل احد والمعنى ويبقى وجه ربك ايها
الانسان السامع والوجه الثاني انه يحتمل ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ذو الجلال
والاكرام اي المكرم لانبيائه واوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته
فبأي آلاء ربكما تكذبان عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظوا بياذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذي قال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا الزموا
هذه الدعوة واكثروا منها قوله تعالى يسأله من في السموات والارض يعني من ملك وانس وجن
ولا يستغني عن فضله اهل السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسألونه المغفرة واهل
الارض يسألونه الرزق والمغفرة وقيل كل احد يسأله الرحمة وما يحتاج اليه في دينه او دنياه وفيه
وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه
مفتقر الى الله تعالى كل يوم هو في شان نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت
شيئا قال المفسرون من شانه انه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويمرض صحيحا

ويدل علي

ويعز ذليلا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من افعاله واحداثه
في خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس ان مما خلق
الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم
ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله كل يوم هو
في شان قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والآخر يوم
القيامة والشان الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة
والاعطاء والمنع وشان يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو
سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كائن فاذا
جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده في ذلك الوقت وقال ابو سليمان الداراني في هذه
الآية له في كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل شانه تعالى انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا
من اصلاب الآباء الى الارحام وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرحلون
جميعا الى الله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايها الثقلان قيل هو وعيد من الله تعالى
للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغ من شغل لان الله تعالى لا يشغله شان عن شان فهو كقول القائل لمن
يريد تهديده لاتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشان
وقيل معناه ان الله وعد اهل التقوى واوعد اهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم
وننجز لكم ما وعدناكم فيتم ذلك ويفرغ منه فهو على المثل واراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين
لانهما ثقلا على الارض احياء وامواتا وقيل كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما
وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب فباي آلاء ربكما
تكذبان يا معشر الانس والجن ان استطعتم ان تنفذوا اي تخرجوا من اقطار السموات
والارض اي من جوانبهما واطرافهما فانفذوا اي فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان تهربوا من الموت والخروج
من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها فحيث ما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا
يوم القيامة والمعنى ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم
فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكي وسمائي وارضي
فافعلوا وقدم الجن على الانس في هذه الآية لانهم اقدر على النفوذ والهرب من الانس واقوى على ذلك ثم قال
تعالى لا تنفذون الا بسلطان يعني لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك لانكم حيثما
توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات
والارض فاعلموا ولن تعلموا الا بسلطان اي ببينة من الله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان وفي الخبر يحاط على
الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض الآية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار قال اكثر المفسرين هو اللهب
الذي لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار ونحاس قيل هو الدخان وهو رواية

وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وهذه الرواية الثانية عن ابن عباس رضه

عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهم هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز ان يرسلا
معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر فلا تنتصران اي لا تمتنعان من الله ولا يكون لكما ناصر منه فبأي
آلاء ربكما تكذبان فإذا انشقت السماء اي انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملائكة وقيل المراد
منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى اهل الارض ذكر في هذه الآية بيان زوال سكان
السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للأمر وفيه اشارة الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على الانس
والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى فكانت وردة كالدهان جمع دهن شبه تلون
السماء بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ الوانا كتلون
الفرس الورد يكون في الربيع اصفر وفي اول الشتاء احمر فاذا اشتد البرد صار اغبر فشبه السماء في تلونها
عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه وقيل كالدهان اي كدهن عصير الزيت وقيل لانه يتلون في الساعة
الوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقيل كالدهان اي كالاديم
الاحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان قيل لا يسألون
عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبت الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس وعنه
لا تسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده عن ابن عباس ايضا في الجمع بين هذه الآية
وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك منهم ولكنه
يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها وعن ابن عباس
ايضا قال لا يسألون سؤال شفقة ورحمة انما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لا يسأل غير المجرم عن ذنب
المجرم فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم يعني بسواد وجوههم وزرقة عيونهم
فيؤخذ بالنواصي والاقدام قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف ظهورهم وقيل تجعل
رؤوسهم على ركبهم ونواصيهم في اطراف ارجلهم من بطونهم وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم بالاقدام
ثم يلقون في النار فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم اي يقال لهم اذا دنوا منها هذه جهنم التي يكذب
بها المجرمون يعني المشركين يطوفون بينها وبين حميم آن يعني قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون
بين الجحيم وبين الحميم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الذي صار كالمهل وقال كعب
آن واد من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى
تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله يطوفون بينها
وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان فان قلت هذه الامور المذكورة في هذه الآيات من
قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف قال في هذه الآيات فبأي آلاء ربكما تكذبان قلت
المذكور في هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصي فصارت
نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما اعد لمن اتقاه وخافه من عباده
المؤمنين فقال عز وجل ولمن خاف مقام ربه يعني مقامه بين يدي ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية
وقيل قيام ربه عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيقلع عنها
من مخافة الله وقيل لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه فما عرض له من محرم تركه من خشية الله

وما عمل من خير

وما عملوا من خير اخلاصا لله ولا يحب ان يطلع عليه أحد وقيل ان المومنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع
الاخلاص ودابوا الليل والنهار **جنتان** يعني جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه
شهوته **عن ابي هريرة** رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج
بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذي قوله ادلج الادلاج بالتخفيف السير
اول الليل وبالتثقيل السير اخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد في اول الامر فان من سار في اول الليل
كان جديرا ببلوغ المنزل **وروى البغوي** بسنده عن ابي الدرداء انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان **قلت** وان زنى وان سرق يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى
وان سرق يا رسول الله قال وان رغم انف ابي الدرداء **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ثم وصف الجنتين فقال
تعالى ذواتا افنان اي اغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو
ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا الوان يعني الوان الفاكهة وجمع عطاء القولين فقال
في كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما **فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما**
عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احداهما
التسنيم والاخرى من خمر لذة للشاربين **فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان**
اي صنفان ونوعان وقيل ان معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في
الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو **فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين**
على فرش جمع فراش **بطائنها** جمع بطانة وهي التي تلي الارض من تحت الظهارة **من استبرق** وهو ما
غلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو هريرة البطائن فما ظنك بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير
البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين **وعنه**
ايضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه
ليس في الارض احد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل
على نهاية شرف هذه الفروش لانه ذكر بطائنها من الاستبرق ولابد ان يكون الظواهر خيرا من البواطن فهو
مما لا يعلمه البشر **وجنى الجنتين** دان يعني ان ثمارهما قريب يناله القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف
ثمر الدنيا فانه لا تناله الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما
وان شاء قاعدا **وقيل** لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك **فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن**
فان قلت الضمير الى ماذا يعود **قلت** الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن
وقصور ومجالس **قاصرات الطرف** اي غاضات الاعين قصرت طرفهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم
ولا يردن سواهم قيل تقول الى زوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله
الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك **لم يطمثهن** اي لم يجامعهن ولم يفتضهن بالجماع **وقيل** معناه
لم يمسسهن ومنه قول الفرزدق خرجن الي لم يطمثن قبل وهن اصح من بيض النعام اي لم يمسسن

والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن إنس قبلهم ولا جان قيل إنه نفى الجن لأن لهم أزواجا في الجنة منهم
وفي الآية دليل على أن الجني يغشى كما يغشى الإنسي وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال
نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الإنسيات للإنس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الآية إذا جامع
ولم يسم انطوى الجني على إحليله فجامع معه واختلف في هؤلاء اللواتي لم يطمثهن فقيل هن الحور لأنهن
خلقن في الجنة فلم يمسسهن أحد قبل أزواجهن وقيل هن من نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر أبكارا
كما وصفهن لم يمسسهن منذ أنشئن خلقا آخر أحد وقيل هن الآدميات اللاتي متن أبكارا ومعنى
الآية المبالغة في نفي الطمث عنهن لأن ذلك أقر لعين أزواجهن إذا لم يغشهن أحد غيره فبأي آلاء
ربكما تكذبان: كأنهن الياقوت والمرجان أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ
وأشد بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لأن أحسن الألوان البياض المشرب
حمرة والأصح أنه شبههن بالياقوت لصفائه فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك
من ظاهره لصفائه قال عمرو بن ميمون إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها
من وراء الحلل كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك
بأن الله يقول كأنهن الياقوت والمرجان وأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته
لرأيته من ورائه أخرجه الترمذي قال وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر
في رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون
آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان
يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا
وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الألوة يعني بخورهم
العود فبأي آلاء ربكما تكذبان: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان أي ما جزاء من أحسن في الدنيا
إلا أن يحسن إليه في الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم إلا الجنة روى البغوي بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله
أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن
عمر وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي
وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الآية هل جزاء من أتى بالفعل الحسن إلا أن يؤتى في مقابلته
بفعل حسن وفي الآية إشارة إلى رفع التكليف في الآخرة لأن الله وعد عبده المؤمن بالإحسان وهو الجنة
فلو بقي التكليف في الآخرة وترك العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ينافي الإحسان إليه
فلا تكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان: ومن دونهما جنتان أي من دون الجنتين الأوليين جنتان
أخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال أبو موسى الأشعري جنتان

من ذهب

ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن اربع جنات جنتان للمقربين السابقين
فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان عن ابي موسى الا
شعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما
وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما
يعني امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت
وزبرجد وهما افضل من الاوليين فباي آلاء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال تعالى مدهامتان
اي ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد فباي آلاء ربكما
تكذبان فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس ينضخان بالخير والبركة على
اهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على اولياء الله وقال انس بن مالك ينضخان بالمسك
والعنبر والكافور على اولياء الله وقال انس ابن مالك ينضخان بالمسك في دور اهل الجنة كطش المطر
فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان يعني فيهما من انواع الفواكه كلها وانما فصل النخل
والرمان بالواو وان كان من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه وعلى عامة هذا
القول عامة المفسرين واهل اللغة قالوا انما فصلها بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فعطفهما وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال
بعضهم ليس النخل والرمان من الفاكهة لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه
ولهذا قال ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه
وهذا القول خلاف اهل اللغة ولا حجة له في ذلك روى الثعلبي بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل
الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال
او الدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم وروي ان الرمانة من رمان اهل الجنة
كجلد البعير المقتب وقيل ان نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت عادت كانها اخرى العنقود
منه اثنا عشر ذراعا فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان روي عن ام سلمة قالت قلت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه فباي
آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات اي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم لو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها
على راسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن طرفهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا في الخيام
قيل هي البيوت قال ابن هلاع في الجنة لا تكون الا من اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة
اذا ابتناها من جريد النخل وخيم به اذا اقام به وتظلل فيها وقيل هي خيام من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف
تضاف الى القصور في الجنة عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة
لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف
عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن قبلهم ولا جان تقدم تفسيره
انس
فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة وروي

هذا عن ابن عباس وقيل الرفرف البسط وعن ابن ... الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل
هو مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل الزرابي وقيل كل ثوب موشى عند العرب
عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم ار عبقريا يفري فريه والاظهر فيما قيل انه نسب الى عبقر
وهو ارض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شيء رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد
في الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل امر عجيب ولما كان عبقر معروفا بسكنى الجن نسبوا اليه
كل شيء عجيب **فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام** قيل لما
ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقي هو الله تعالى
وان الدنيا فانية ختم نعم الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيده م **عن ثوبان قال**
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام
ومنك السلام تباركت ذا الجلال والاكرام **عن عائشة** رضي الله عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت
ذا الجلال والاكرام اخرجه ابو داود والنسائي غير قوله لم يقعد الا مقدار ما يقول والله اعلم

تفسير سورة الواقعة مكية وهي تسع وتسعون آية وثلاثمائة

وثمان وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف **روى البغوي** بسنده عن ابي ظبية عن عبد الله
ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه
فاقة ابدا وكان ابو ظبية لا يدعها ابدا واخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **اذا وقعت الواقعة** اي اذا قامت القيامة كائنة
ليس لوقعتها اي لمجيئها **كاذبة** اي ليس لها كذب والمعنى انها تقع صدقا وحقا وقيل معناه ليس
لوقعتها قضية كاذبة اي كل ما اخبر الله عنها وقص من خبرها قضية صادقة غير كاذبة وقيل معناه
ليس لوقعتها نفس كاذبة اي ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس اخبرت عن وقتها
خافضة رافعة اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض اقواما
كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع اقواما كانوا في الدنيا متضعين وقيل تخفض اقواما بالمعصية
وترفع اقواما بالطاعة **اذا رجت الارض رجا** اي حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا
اوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء
عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى **وبست الجبال بسا** اي فتتت حتى
صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل
معناه قلعت من اصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهبت **فكانت هباء منثورا** اي غبارا منبثا
متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء **وكنتم ازواجا** اي اصنافا **ثلاثة**
ثم بين الازواج فقال **فاصحاب الميمنة** يعني اصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين
يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين اخرجت الذرية من

صلبه

طلبه وقال تعالى هولاء الى الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين
ميامين اي مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله تعالى وهم التابعون باحسان
ما اصحاب الميمنة تعجب من حالهم في السعادة والمعنى أي شيء هم واصحاب المشامة ما اصحاب
المشامة يعني اصحاب الشمال وهم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم كانوا
على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هولاء الى النار ولا ابالي وقيل هم الذين يوتون بشمائلهم
وقيل هم المشائيم على انفسهم وكانت اعمالهم في المعاصي لان العرب تسمي اليد اليسرى الشومى والسا
بقون السابقون قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة هم السابقون في الاخرة الى الجنة وقيل
صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد
وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعى الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القرءان المتوجون
يوم القيامة فان قلت لم اخر ذكر السابقين وكانوا اولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت
فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر في اول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا للعباد
فاما محسن فيزداد رغبة في الثواب واما مسيء فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب ولذلك قدم اصحاب
اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم
الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين فقال تعالى اولئك
المقربون اي من الله في جواره وفي ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله في جنات النعيم قوله تعالى
ثلة اي جماعة غير محصورة العدد من الاولين اي من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا
صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء
وصدقوهم من الامم الماضية اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين
هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني التابعين لهم باحسان وقيل
ان الاولين سابقو المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين اي ممن جاء بعدهم من الصحابة على سرر موضونة يعني
موصولة متكئين عليها اي على السرر متقابلين يعني لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن
العشرة في المجالسة وقيل لانهم صاروا ارواحا نورانية صافية ليس لهم ادبار وظهور يطوف عليهم
اي للخدمة ولدان اي غلمان مخلدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة
وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق في الاذن واختلفوا في هولاء الولدان
فقيل هم اولاد المومنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله اخبر انه يلحقهم ذرياتهم ولان
من المومنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان فيه منقصة بابي الخادم وقيل هم صغار الكفار
الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول فيه من الاول لانه قد اختلف في اولاد المشركين على ثلاثة
مذاهب فقال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح
الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال
ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يقول بان
قف الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان شاء الله انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة

اهل الجنة كالحور وهم وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا
ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت **باكواب واباريق** جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرى فيسمى
ابريقا لبريق لونه من الصفاء وقيل لانه يرى باطنه كما يرى ظاهرها **وكاس من معين** اي من خمر جارية
لا يصدعون عنها اي لا تصدع رؤوسهم من شربها عنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها
ولا ينزفون اي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم **وفا**
كهة مما يتخيرون اي ياخذون خيارها **ولحم طير مما يشتهون** قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم
الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فياكل منه ما يشتهي ثم يطير
فان قلت هل في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة **قلت** نعم وكيف لا وفي
كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل
نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشتهي والشبعان غير
مشتهي بل هو مختار واهل الجنة انما ياكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها
ولهذا ذكرها في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل
نفسه اليه ادنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اكل اللحم والله اعلم **وحور عين** اي ويطوف عليهم ○
وقيل ولهم حور عين وجاء في تفسير حور اي بيض عين اي ضخام العيون **كامثال اللؤلؤ المكنون**
اي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في نهاية الصفاء
روي انه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا فقيل ضوء ثغر حوراء ضحكت وروي ان الحوراء اذا مشت
يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك في نحرها
وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح **جزاء بما كانوا يعملون** في الدنيا
بطاعتنا **لا يسمعون فيها** اي الجنة **لغوا** قيل اللغو ما يلغى عنه من الكلام ويستحق ان يلغى
وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع **ولا تاثيما** قيل ان بعضهم لا يقول لبعض
اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به اهل الدنيا **وقيل** معناه لا ياتون تاثيما اي ما هو
سبب التاثيم من قول او فعل قبيح **الا قيلا** معناه لكن يقولون قيلا او يسمعون قيلا **سلاما**
سلاما يعني يسلم بعضهم على بعض **وقيل** تسلم الملائكة عليهم او يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل
معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من شانهم فقال تعالى **واصحاب اليمين ما**
اصحاب اليمين لما بين حال السابقين شرع في بيان اصحاب اليمين فقال تعالى **في سدر مخضود** اي لا
شوك فيه كانه خضد شوكه اي قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا وقيل ثمره
اعظم من القلال وهو النبق **قيل** لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فاعجبهم سدره
وقالوا يا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الآية **وطلح** قيل هو الموز عند اكثر المفسرين وقيل هو
شجر له ظل بارد طيب **وقيل** هو شجر ام غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بمثل
ما يحبون ويعرفون الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل الجنة على الدنيا **منضود** اي متراكم قد نضد بالحمل
من اوله الى آخره فليست له سوق بارزة بل من عروقه الى اغصانه ثمر وليس شيء من ثمر الجنة في غلف كثمر الدنيا

البر فلا والجوز ونحوهما بل كله ماكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه وظل ممدود اي دائم لا تنسخه الشمس
كظل اهل الدنيا وذلك ان الجنة كلها لا شمس فيها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرءوا ان شئتم وظل ممدود
وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون
في اصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليهم ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل
لهو في الدنيا وماء مسكوب اي مصبوب يجري دائما في غير اخدود لا ينقطع وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من احد اراد اخذها وقيل لا مقطوعة
بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر
عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله عز وجل
مكانها ضعفين وفرش مرفوعة قال علي مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة
عالية عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء
والارض فيقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض
وقيل اراد بالفرش النساء والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى
مرفوعة اي رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا ويدل على هذا التاويل قوله في عقبه انا انشاناهن
انشاء اي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني نساء الادميات العجز الشمط يقول
خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا اخر فجعلناهن ابكارا يعني عذارى عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا انشاناهن انشاء قال ان من المنشآت اللائي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وضعف بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن قال اتت عجوز فقالت يا رسول
الله ادع لي الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها
انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا اخرجه الترمذي مرسلا
وروي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا انشاناهن انشاء قال
عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلهن ابكارا قال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا انشاهن الله
خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن
في الدنيا وقيل هن الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين انشاهن الله لم يقع
عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى وليس هناك وجع عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها
قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه انها الملقة وقيل انها الغنجة وعن اسامة ابن زيد عن ابيه
عربا قال حسان الكلام اترابا يعني امثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد
بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين
ابناء ثلاثين او قال ثلاث وثلاثين سنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لاصحاب اليمين يعني
انشاناهن لاصحاب اليمين وقيل هو متعلق بقوله اترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين يعني من المومنين
الذين هم قبل هذه الامة يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما انزل

الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يا نبي الله آمنا برسول
الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من آدم إلينا ثلة ومنا إلى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل
ممن قال لا إله إلا الله **وعن ابن عباس** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الأمم فرأيت النبي
ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم
أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر
فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم
نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون
ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم ثم قام
رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال
أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهط تصغير رهط وهم
دون العشرة وقيل إلى الأربعين **وعن عبد الله بن مسعود** قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قبة نحوا من أربعين فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم فقال أترضون أن تكونوا ثلث
أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة
لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وكالشعرة
السوداء في جلد الثور الأحمر **وعن بريدة** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف
ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة إلى أن الثلتين
جميعا من هذه الأمة وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلة من الأولين من
سابقي هذه الأمة وثلة من الآخرين من هذه الأمة أيضا في آخر الزمان يدل عليه ما روى البغوي بإسناد
الثعلبي عن ابن عباس في هذه الآية ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما
جميعا من أمتي **وهذا** القول اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به
وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه **فإن قلت** كيف قال في الآية الأولى وقليل من
الآخرين وقال في هذه الآية وثلة من الآخرين **قلت** الآية الأولى في السابقين الأولين وقليل من بعدهم
من الآخرين وحكي عن بعضهم أن هذه ناسخة للأولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ
ضعيف لأن الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ قوله تعالى **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال**
قد تقدم أنه بمعنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من
العذاب فقال تعالى **في سموم** أي في حر النار وقيل في ريح شديدة الحرارة **وحميم** أي ماء حار يغلي **وظل**
من يحموم يعني في ظل من دخان شديد السواد قيل إن النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود

وقيل اليحموم

وقيل اليحموم اسم من اسماء النار لا بارد ولا كريم يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فايدة
الظل في جمع الامرين احدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل اهل النار بخلاف
هذا لانهم في ظل من دخان اسود حار ثم بين بما استحقوا ذلك فقال تعالى انهم كانوا قبل ذلك
يعني في الدنيا مترفين يعني متنعمين وكانوا يصرون على الحنث العظيم يعني على الذنب الكبير
وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك
يدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى وكانوا يقولون اذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعو
ثون او اباونا الاولون فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ان الاولين والاخرين يعني الاباء والابناء
لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يعني انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب ثم انكم ايها الضالون
عن الهدى المكذبون اي بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب لاكلون من
شجر من زقوم تقدم تفسيره فمالون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشار
بون شرب الهيم يعني الابل العطاش قيل ان الهيم داء يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال
تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التي لا تروى بالماء فيلقى على اهل النار العطش فيشر
بون من الحميم شرب الهيم فلا يروون هذا نزلهم يعني ما ذكر من الزقوم والحميم اي رزقهم وغذاوهم وما اعد
لهم يوم الدين يعني يوم يجازون باعمالهم ثم احتج عليهم في البعث بقوله تعالى نحن خلقناكم يعني ولم
يكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك فلولا اي فهلا تصدقون يعني بالبعث بعد الموت قوله عز وجل
افرايتم ما تمنون يعني ما تصبون في الارحام من النطف انتم تخلقونه اي انتم تخلقون ما تمنون
بشرا ام نحن الخالقون اي انه خلق النطفة وصورها واحياها فلم لا تصدقون واحد قادر على ان يعيدكم
كما انشاكم احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق نحن قدرنا بينكم الموت يعني فمن الاجال فمنكم
من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صغيرا وشابا وغير ذلك من الاجال القريبة والبعيدة وقيل
معناه انه جعل اهل السماء واهل الارض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى
قدرنا قضينا وما نحن بمسبوقين يعني لا يفوتني شيء اريده ولا يمتنع مني احد وقيل معناه وما
نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى على ان نبدل امثالكم اي بان نخلق
مثلكم بدلا منكم في اسرع حين وننشئكم اي نخلقكم فيما لا تعلمون اي من الصور والمعنى نغير خلقتكم
الى ما هو اسمج منها من اي خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان
قبلكم ان اردنا ان نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون من حواصل
طير سود كانها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على التهديد
وعلى انه لو شاء ان يبدلهم بامثالهم من بني ادم قدر لو شاء ان يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض
اهل المعاني هذا يدل على النشاة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته
كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على ان
ننشئكم في وقت لا يعلمون يعني وقت البعث والقيمة وفيه فايدة وهو الحث على العمل الصالح
لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا في زمان لا يعلمه احد فينبغي ان لا

ينكل الانسان على طول المدة ولا يفعل عن اعداد العدة ولقد علمتم النشأة الاولى اي الخلقة الاولى
ولم تكونوا شيئا وفيه تقريع للنشأة الثانية يوم القيامة فلولا تذكرون اي ذلك باني قادر على اعادتكم
كما قدرت على بدايتكم اول مرة قوله تعالى افرايتم ما تحرثون لما ذكر الله ابتداء الخلق وما فيه من
دلايل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقا وذكر امورا ثلاثة المأكول والمشروب وما فيه اصلاح المأكول
ورتبه ترتيبا حسنا بذكر المأكول لانه هو الغذا واتبعه المشروب لان به الاستمراء ثم النار التي بها
الاصلاح وذكر من انواع المأكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه ايضا هو الاصل وذكر من المصلح
النار لان بها اصلاح اكثر الاغذية وقوله افرايتم ما تحرثون اي تثيرون من الارض وتلقون فيه البذر ءانتم تزرعونه
اي تنبتونه وتنشئونه حتى يشتد ويقوم على سوقه ام نحن الزارعون معناه انتم ذلكم ام الله واشتد
فان في ايجاد الحب في السنبل ليس بفعل احد غير الله وان كان القاء البذر من فعل الناس لو نشاء لجعلناه
يعني ما تحرثون وتلقون فيه البذر حطاما اي تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل
هو جواب لمعاني يقول لنحن نحيي ذ وهو ينشئه ينبغي ان لا يفعلنا ولا يفعل غيرنا فنبه الله على هذه المعاني
بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما هل تقدرون انتم على حفظه وهو يرجع عن نفسه تلك الافات التي تصيبه
ولا يشغله احد في ان دفع الافات ليس الا باذن الله وحفظه فظلتم تفكهون اي تتعجبون بما نزل بكم في
زرعكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل
تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات انا لمغرمون ويقولون انا لمغرمون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب
المال بغير عوض وقيل معناه لمولع بنا وقال ابن عباس لمعذبون يعني انهم عذبوا بذهاب
اموالهم بغير فايدة والمعنى انا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض بل نحن محرومون اي ممنوعون
والمعنى حرمنا الذي كنا نطلبه من الريع في الزرع افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من
المزن ام نحن المنزلون ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذي لا يقدر عليه الا الله عز وجل لو
نشاء جعلناه اجاجا قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه فلولا تشكرون
يعني نعمه عليكم افرايتم النار التي تورون يعني تقدحون من الزناد ءانتم انشاتم شجرتها
يعني التي يقدح منها النار وهي المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح منهما النار وهما رطبان وقيل اراد
جميع الشجر الذي يوقد به النار ام نحن المنشئون نحن جعلناها يعني نار الدنيا تذكرة اي للنار
الكبرى اذا راى الراي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ
بها المومن عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون جزء
من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة
وستين جزءا كلها مثل حرها ومتاعا اي بلغة ومنفعة للمقوين يعني للمسافرين والمقوي النازل
في ارض القواء وهي القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادي والاسفار
فان منفعتهم اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي بها الضال الى غير ذلك من المنافع
هذا قول اكثر المفسرين وقيل للمقوين المستمتعين بها في الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها
في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل للمقوين لاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال

يعني

للغني مقو لقوته على ما يريد والمقوين متاعا ومنفعة للفقراء والأغنياء جميعا لا غنى لأحد عنه ۝
فسبح باسم ربك العظيم لما ذكر ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق
خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم
أي برئ الله ونزهه عما يقول المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم
قوله عز وجل فلا أقسم قال أكثر المفسرين معناه فأقسم ولا صلة مؤكدة وقيل على ظاهرها وفي
معناها وجهان أحدهما أنها ترجع الى ما تقدم ومعناه النهي وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته
من النعم والحجج الوجه الثاني أن لا رد لما قاله الكفار في القرآن من أنه شعر وسحر وكهانة والمعنى
ليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال أقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل
لا هنا معناها النفي وهي كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الأمر لا النهي عن السؤال
بمواقع النجوم قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فإنه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا
وقيل أراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل أراد منازلها وقيل انكدارها وانتثارها يوم
القيامة وقيل مواقعها في انقضاض الشياطين عند الرجم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ۝
قيل هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى وإن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو
تعلمون عظمته وقيل إنه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فأقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن
كريم أي إن الكتاب الذي على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم أي عزيز مكرم لأنه كلام الله ووحيه الى
نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير وسمي القرآن كريما لأنه يفيد الدلائل التي
تؤدي الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان
والعلم والحكم والفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والأديب يستفيد منه
ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل سمي كريما لأن كل أحد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكي
وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل إن الكلام إذا كرر مرارا سئمه السامعون ويهون في الأعين
وتمله الآذان والقرآن كريم عزيز لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون
ولا يثقل على الألسنة بل هو غض طري يبقى أبد الدهر كذلك في كتاب مكنون أي مصون مستور
عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشيطان من أن يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف
ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الأول أصح لا يمسه أي ذلك الكتاب المكنون
إلا المطهرون وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والأحداث يروى هذا القول عن
ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام
البررة وعلى القول الثاني بأن المراد بالكتاب المصحف فقيل معناه لا يمسه إلا المطهرون أي من الشرك وكان
ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به
وقيل معناه لا يقرؤه إلا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات
وظاهر الآية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولا مسه
وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأكثر الفقهاء بقول

بن عمرو بن حزم

عليه ما روي مالك في الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر أخرجه مالك مرسلا
وقد جاء موصولا عن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن بهذا
والصحيح فيه الإرسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس
القرآن إلا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روي أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو وأراد به المصحف وسئل **فإن قلت** إذا كان الصحيح أن المراد من الكتاب
هو اللوح المحفوظ وأن النفي في لا يمسه إلا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه
إلا المطهرون من التطهير فكيف يصح قول الشافعي لا يجوز للمحدث مس المصحف قلت من قال إن الشافعي أخذه
من صريح الآية حمله على التفسير الثاني وهو القول بأن المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال إنه أخذه
من طريق الاستنباط قال إذا كان المس يقتضي طهرا حقيقة دالة على التعظيم والمس يقتضي طهر نوع استهانة وهذا
لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح أنه أخذه من السنة والدليل ما تقدم من الأحاديث والله أعلم
قوله **تنزيل من رب العالمين** صفة للقرآن أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع
اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال بأن القرآن شعر أو سحر أو كهانة فقال الله
تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين قوله عز وجل **أفبهذا الحديث** يعني القرآن **أنتم** يا أهل مكة
مدهنون قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق وهو الذي يلين
جانبه ليخفي خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وإن صرح بالتكذيب والكفر **وتجعلون**
رزقكم أي حظكم ونصيبكم من القرآن **أنكم تكذبون** قال الحسن في هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب
الله إلا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي بنعمة الله عليكم وهذا
في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا إذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله
عليهم فقيل لهم أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الإنزال إلى النجم فقد كذب برزق الله ونعمه
وكذب بما جاء القرآن والمعنى أتجعلون بدل الشكر التكذيب **عن زيد بن خالد الجهني** قال صلى بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال
هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مومن بي وكافر فأما المومن
فقال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك
كافر بي مومن بالكوكب ورواه مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فنزلت هذه الآية
فلا أقسم بمواقع النجوم إلى قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون **عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله
الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا **وفي رواية** بكوكب كذا وكذا عن علي بن أبي طالب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم
كذا وكذا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله على أثر سماء أي أثر مطر والنوء الكوكب يقال
ناء النجم ينوء إذا سقط وغرب وقيل إذا نهض وطلع واختلف العلماء في معنى الحديث وكفر من قال
مطرنا بنوء كذا على قولين أحدهما أنه كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الإيمان مخرج عن ملة الإسلام

ولا ينبغي فإن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما ان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد في هذا فلا
شك في كفره وهذا القول الذي ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا
بنوء كذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له وعلامة فكأنه قال مطرنا في وقت طلوع
نجم كذا ولم يقصد الا فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نوء الثريا فقال
ان العلماء بها يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما
اراد عمر كم بقي من الوقت الذي جرت العادة انه اذا تم اتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا في كراهية
هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيه ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره
فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثاني في تأويل اصل الحديث
ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكوكب وهذا فيمن لا يعتقد
تدبير الكوكب ويشهد لهذا التأويل حديث ابي هريرة ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق بها كافرين
وقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم قوله تعالى فلولا اي فهلا اذا بلغت الحلقوم اي
النفس او الروح الى الحلقوم عند الموت وانتم يعني يا اهل الميت حينئذ تنظرون يعني الى الميت متى
تخرج نفسه وقيل تنظرون الى امري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا ونحن اقرب اليه منكم اي بالعلم
والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم ولكن لا تبصرون اي الذين حضروه
يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون اي لا تعلمون ذلك فلولا
ان كنتم غير مدينين اي مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين ترجعونها ان كنتم صادقين اي تردون
نفس هذا الميت الى جسده بعدما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وفلولا
ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث
ولا حساب ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا
ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال
تعالى فأما ان كان من المقربين يعني السابقين فروح روح وهو الراحة وقيل فرح وقيل
رحمة وريحان اي وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذي يشم قال ابو العالية لا
يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه وجنة نعيم
اي وله جنة نعيم يفضي اليها في الآخرة قال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار
القرار وأما ان كان يعني المتوفى من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام لك
يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله او انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل
هو انه يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك انهم من اصحاب اليمين وقيل فسلام
عليك من اصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين اي بالبعث الضالين اي عن الهدى وهم اصحاب
الشمال فنزل من حميم اي الذي يعد لهم حميم جهنم وتصلية جحيم اي وادخال نار عظيمة ان هذا
يعني ما ذكر من قصة المحتضرين لهو حق اليقين اي لا شك فيه وقيل ان هذا الذي قصصنا عليك في
هذه السورة من الاقاصيص وما اعد الله لاوليائه من النعيم وما اعد الله لاعدائه من العذاب الاليم

وهذا ذكر ما يدل على وحدانيته فينبغي لا شك فيه فسبح باسم ربك العظيم اي فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبامره عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود وعن حذيفة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما اتى على اية رحمة الا وقف وسال وما اتى على اية عذاب الا وقف وتعوذ اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة م عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث اخر حديث في صحيح البخاري والله اعلم

تفسير سورة الحديد مدنية وهي تسع وعشرون اية وخمسماية

واربع واربعون كلمة والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات والارض يعني كل ذي عقل وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عن كل سوء وكل ما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجامد واختلفوا فيه فقيل دلالته على صانعه فكانه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم والحق ان التسبيح هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان احدهما انها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور في الاية على القول كان المراد بقوله ما في السموات من في السموات وهم الملائكة ومسبحون الارض هم المومنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع اجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارض وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال الله منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحة لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة ابدا في المستقبل وهو العزيز اي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شيء الحكيم اي الذي جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب له ملك السموات والارض اي الغني عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه يحيي ويميت اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا وهو على كل شيء قدير قوله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن يعني هو الاول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجودا والاخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء تفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء والباطن العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول ليس قبله شيء والاخر ليس بعده شيء وقيل هو الاول بوجوده في الازل وقبل الابتداء والاخر بوجوده في الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالادلة بل

الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول أن تكيفه وقيل هو الأول سبق وجوده كل
موجود والآخر الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الإمام أبو بكر الباقلاني معناه أنه تعالى الباقي بصفاته
من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الأزل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم
وحواسهم وتفرق أجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فناء الأجسام
وذهابها بالكلية قالوا ومعناه أن الباقي بعد فناء خلقه ومذهب أهل الحق يعني أهل السنة بخلاف ذلك وأن
المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقي من بني فلان في حيوته ولا يراد فناء أجسام
موتاهم وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلاني وقيل هو الأول السابق للأشياء والآخر الباقي
بعد فنائها والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي
احتجب عن أبصار الخلق فلا يستولي عليه التكييف وقيل هو الأول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم
والباطن العليم وقيل هو الأول بالكرم والآخر بالحكم والظاهر بالحكم بره أي عن وجه توحيده والآخر بجوده
أي عن وجه طريق التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه أي وفقك للسجود له والباطن بستره إذا عصيت
يستر عليك وقال الجنيد هو الأول بشرح القلب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن
بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها أن علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه
بالباطن وهو بكل شيء عليم وعن سهيل بن أبي صالح قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام
أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول اللهم رب السماوات ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء أنت آخذ بناصيته
وفي رواية من كل شيء دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك
شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر وكان
يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم
جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله
أعلم قال هذا العنان هذه روايا الأرض يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم
قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها
قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم
قال سماءان بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سماوات ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض ثم
قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين
ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنها الأرض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك
قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين
مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفسي بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السابعة السفلى لهبط على الله ثم
قرأ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال
الترمذي قال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث إنما أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو
وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه. العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الأرض الحوامل والرقيع اسم للسماء
وقيل هو اسم لسماء الدنيا قوله عز وجل هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى

على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها تقدم تفسيره وهو معكم
أين ما كنتم أي بالعلم والقدرة فليس ينفك أحد من تعلق علم الله وقدرته أين ما كان من أرض وسماء في بر أو بحر وقيل
وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله والله بما تعملون بصير يدل على صحة القول الأول له ملك السموات والأرض
وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور تقدم
تفسيره قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع
يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالإيمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والإعراض عنها والنفقة في جميع
وجوه البر وهو قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يعني المال الذي كان بأيدي غيركم
فأهلكهم الله وأعطاكم إياه فكنتم في ذلك المال خلفاء عمن مضى فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم
أجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم يعني وأي عذر لكم في ترك الإيمان
بالله والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقد أخذ
ميثاقكم أي أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله ربكم لا إله لكم سواه وقيل
أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة والبراهين والحجج التي تدعوا إلى متابعة الرسول
صلى الله عليه وسلم إن كنتم مؤمنين أي يوما ما فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والأعلام ببعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن وهو قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
آيات بينات يعني القرآن ليخرجكم يعني الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة من الظلمات إلى
النور أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان وإن الله بكم لرءوف رحيم قوله تعالى وما لكم ألا تنفقوا في
سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض يقول أي شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرب من الله تعالى
وأنتم ميتون تاركون أموالكم لغيركم كرها ولو أن تنفقوها أنتم فيما يقربكم إلى الله تعالى وتستحقون به الثواب
ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح
وقاتل يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوي في الفضل من أنفق
ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفتح فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل العدو بعد
الفتح أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا قال الكلبي إن هذه الآية نزلت
في أبي بكر الصديق لأنه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر إسلامه سبعة منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى
البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة
قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال أنفق ماله
علي قبل الفتح قال فإن الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت في فقرك هذا أم
ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربي إني على ربي راض إني على ربي راض وكلا وعد الله الحسنى يعني
الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها والله بما تعملون خبير
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا أي طيبا فيحتسبها بالصدقة طيبة به نفسه وسيأتي هذا

الانفاق

لانه قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع
اوصافا عشرة وهو ان يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان يتصدق به وانت محتاج اليه وان
تضع صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها بالمن وان تقصد بها وجه الله
ولا ترائي بها الناس وان تستحقر ما تعطي وتتصدق به وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لا
ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا
فيضاعفه له يعني يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا وله اجر كريم يعني وذلك الاجر كريم في نفسه
قوله عز وجل يوم ترى المومنين والمومنات يعني على الصراط يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
يعني عن ايمانهم وقيل الا جميع الجوانب فعبر عن البعض بالكل وذلك لدليلهم الى الجنة وقال قتادة
ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من المومنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء ودون
ذلك حتى ان من المومنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله ابن مسعود يوتون نورهم على قدر
اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من يوتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهامه
فيطفى مرة ويتقد مرة وقيل في معنى الاية يسعى نورهم بين ايديهم ويعطون كتبهم بايمانهم وتقول
لهم الملائكة بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم
يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل يغشى الناس — اي انتظرونا
ظلمة شديدة يوم القيامة يومئذ فيعطي الله المومنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي
المنافقين ايضا خديعة لهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأت نور المنافقين فذلك قوله
يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المومنين ولا يعطون
النور فاذا سبقهم المومنون بقوا في الظلمة وقالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم
قال ابن عباس يقول لهم المومنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم اي من حيث جئتم
وقيل ارجعوا الى الدنيا الى العمل فاعملوا اعمالا يجعل الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا
فارجعوا وراءكم فالتمسوا اي اطلبوا لانفسكم هناك نورا اي لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون
في طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المومنين وهو قوله تعالى فضرب
بينهم اي المومنين والمنافقين بسور وهو حائط بين الجنة والنار له اي لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة — فيه
اي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة وظاهره من قبله العذاب اي من قبل ذلك الظاهر العذاب
وهو النار روي عن عبد الله بن عمر وقال ان السور الذي ذكر الله في القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي
باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب
الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الاية ينادونهم
يعني ينادي المنافقون المومنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة الم نكن معكم
اي في الدنيا نصلي ونصوم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق والكفر والشهوة
واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة وتربصتم اي بالايمان والتوبة وقيل تربصتم

محمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وارتبتم اي شككتم في نبوته وفيما
اوعدكم به وغرتكم الاماني اي الباطل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمومنين حتى
جاء امر الله يعني الموت وقيل هو القاوهم في النار وهو قوله تعالى وغركم بالله الغرور يعني
الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار فاليوم لا يوخذ
منكم فدية اي عوض وبدل بان تفدوا انفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم ايمان ولا توبة
ولا من الذين كفروا يعني ولا من المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافقون كفارا في
الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق ماواكم النار اي
مصيركم هي مولاكم اي وليكم وقيل هي اولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هي التي تلي عليكم
لانها ملكت امركم واسلمتم اليها فهي اولى بكم من كل شيء وقيل معنى الاية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت
النار ماواه فلا مولى له وبيس المصير قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا
عن التوراة فان فيها العجائب فنزلت نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القران احسن من غيره
فكفوا عن سوال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسالوا عن مثل ذلك فنزلت هذه الاية الله نزل احسن الحديث
كتابا فكفوا عن سواله ما شاء الله ثم عادوا فسالوه فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول يكون تاويل
قوله الم يان للذين امنوا يعني في العلانية باللسان ولم يومنوا بالقلب وقيل نزلت في المومنين وذلك
لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل في ذلك
الم يان الاية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الا اربع سنين
اخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله استبطا قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من
نزول القران فقال الم يان يعني اما حان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم اي ترق وتلين وتخضع قلوبهم
لذكر الله اي لوعظ الله وما نزل من الحق يعني القران ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب
من قبل يعني اليهود والنصارى فطال عليهم الامد اي الزمان الذي بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم
قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القران والمعنى ان الله ينهى المومنين ان يكونوا في
صحبة القران كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روي عن ابي موسى الاشعري
انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قراوا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراوهم
فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وكثير منهم فاسقون يعني
الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل اعلموا ان الله يحيي الارض اي بالمطر
بعد موتها اي يخرج منها النبات بعد يبسها وكذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد
قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة
قد بينا لكم الايات اي الدلالة على وحدانيتنا وقدرتنا لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا اي بالنفقة والصدقة في سبيل الله يضاعف لهم اي ذلك القرض
ولهم اجر كريم اي ثواب حسن وهو الجنة والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون اي

أي الكثير الصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذه الآية عامة
في كل من آمن بالله ورسوله وقيل الآية خاصة في ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم
إلى الإسلام وهم أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله
بهم لما عرف من صدق نيته والشهداء عند ربهم قيل أراد بالشهداء المومنين المخلصين قال مجاهد كل مومن
صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند
قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الأنبياء الذين استشهدوا في سبيل الله لهم أجرهم
أي بما عملوا من العمل الصالح ونورهم أي على الصراط والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
الجحيم لما ذكر حال المومنين أتبعه بحال الكافرين فقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا أي مدة الحياة
في هذه الدار الدنيا وإنما أراد من صرف حياته في غير طاعة الله لأن من صرف حياته في طاعة الله فحياته
خير كلها ثم وصفها بقوله لعب أي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ولهو أي فرح ساعة ثم ينقضي
عن قريب وزينة أي منظر يتزينون به وتفاخر بينكم يعني أنكم تشتغلون في حياتكم بما يفتخر به
بعضكم على بعض وتكاثر في الأموال والأولاد أي مباهاة بكثرة الأموال والأولاد وقيل
يجمع مالا من حلال فيتطاول به وحرمه ولده على أولياء الله وأهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا
فقال تعالى كمثل غيث أعجب الكفار أي الزراع وسمي الزارع كافرا لستره البذر في الأرض نباته
أي ما نبت بذلك الغيث ثم يهيج أي ييبس فتراه مصفرا أي بعد خضرته ثم يكون حطاما أي يتحطم
ويتكسر بعد يبسه ويفنى وفي الآخرة عذاب شديد أي لمن كانت حياته بهذه الصفة قال أهل المعاني زهد
الله بهذه الآية في العمل للدنيا وهي صفة حياة الكافر وحياة من يشتغل باللعب ورغب في العمل للآخرة
بقوله ومغفرة من الله ورضوان أي لأوليائه وأهل طاعته وقيل عذاب شديد لأعداء الله ومغفرة من
الله ورضوان لأوليائه لأن الآخرة إما عذاب وإما جنة وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور أي لمن
عمل لها ولم يعمل للآخرة وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيه بطلب الآخرة ومن اشتغل في الدنيا بطلب
الآخرة فهي له بلاغ إلى ما هو خير منه قوله عز وجل سابقوا إلى مغفرة من ربكم معناه ليكن
سباقكم ومكاثرتكم في غير ما أنتم عليه بل احرصوا على أن تكونوا سابقين في طلب الآخرة والمعنى
سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار إلى مغفرة أي إلى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب
وقيل سابقوا إلى ما كلفتم به من الأعمال فيدخل فيه التوبة وغيرها وجنة عرضها كعرض
السماء والأرض قيل إن السماوات والأرضين السبع لو جعلت صفائح وألزق بعضها ببعض لكان عرض
الجنة في قدرها جميعا وقال ابن عباس يريد أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل
إن الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السماوات والأرض ولا شك أن الطول يكون أزيد من العرض فذكر العرض
تنبيها على أن طولها أضعاف ذلك وقيل هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم مقدار السماوات
والأرض فشبه عرض الجنة بعرض السماوات والأرض على ما يعرفه الناس أعدت للذين آمنوا بالله
ورسله فيه أعظم رجاء وأقوى أمل لأنه ذكر أن الجنة أعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الإيمان
شيئا آخر يدل عليه قوله في سياق الآية ذلك فضل الله يوتيه من يشاء فبين أنه لا يدخل أحد الجنة

لا بفضل الله لا بعمله **والله ذو الفضل العظيم** ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
لن يدخل احدا منكم الجنة عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل
ورحمة فقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في
تفسير سورة النحل قوله تعالى **ما اصاب من مصيبة في الارض** يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص
الثمار **ولا في انفسكم** يعني الامراض وفقد الاولاد **الا في كتاب** يعني اللوح المحفوظ **من قبل ان نبراها**
اي من قبل ان نخلق الارض ولا الانفس **وقال ابن عباس** من قبل ان نبرأ المصيبة **ان ذلك على الله يسير**
اي اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل **لكيلا تاسوا** اي تحزنوا **على ما فاتكم** من الدنيا **ولا تفرحوا**
اي لا تبطروا **بما اتاكم** اي اعطاكم **قال عكرمة** ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا
والحزن صبرا وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن ادم ما لك تاسف على مفقود لا يرده اليك الفوت وما لك تفرح بموجود
لا يتركه في يديك الموت **والله لا يحب كل مختال فخور** اي متكبر بما اوتي من الدنيا **فخور** اي يفخر به على
على الناس **الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل** قيل هو في اليهود لا اية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب
الذين يبخلون يعني اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه في سبيل
الله ووجوه الخير ولا يكفيهم انهم بخلوا به حتى يامرون الناس بالبخل وقيل ان الاية كلام مستانف لا تعلق
له بما قبله انها في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته **ومن يتول**
قال ابن عباس عن الايمان **فان الله هو الغني** اي عن عباده **ومن يتول** قال ابن عباس عن الايمان **فان**
الله الحميد الى اوليائه قوله عز وجل **لقد ارسلنا رسلنا بالبينات** اي بالايات والحجج **وانزلنا معهم الكتاب**
اي المتضمن للاحكام وشرائع الدين **والميزان** يعني العدل اي وامرنا بالعدل **وقيل** اراد به الميزان الذي هو الالة التي
يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله **ليقوم الناس بالقسط** اي ليتعاملوا بينهم بالعدل
وانزلنا الحديد قيل ان الله تعالى انزل مع ادم عليه السلام من الجنة الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين
وروي عن ابن عمر رفعه ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح **وقيل** انزل
هنا بمعنى انشانا واحدثنا الحديد لان الله تعالى اخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه
والهامه **فيه باس شديد** اي قوة شديدة لانه جنة وهو الة الدفع ومنه سلاح وهو الة الضرب **ومنافع**
للناس اي ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفاس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد الة لكل صنعة
ولا غناء لاحد عنه **وليعلم الله** اي وارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل
وليرى الله **من ينصره** اي ينصر دينه **ورسله** اي وينصر رسله **بالغيب** اي الذين لم يروا الله ولا الاخرة وانما يحمد
ويثاب من اطاع بالغيب وقيل ينصرونه **ان الله قوي** اي في امره **عزيز** اي في ملكه **ولقد ارسلنا نوحا وابرا**
هيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب معناه ان الله تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل
في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما **فمنهم** اي من الذرية **مهتد وكثير منهم**
فاسقون ثم قفينا اي اتبعنا **على اثارهم برسلنا** والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت
الرسالة الى عيسى ابن مريم وهو قوله **وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين**
اتبعوه اي على دينه **رافة ورحمة** يعني انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض **ورهبانية ابتدعوها**

ليس

ليس هذا عطف على ما قبله والمعنى انهم جاءوا من قبل انفسهم وهي ترهبهم في الجبال والصوامع والغيران والبرية
فالتزموا من العنت وحملوا انفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب
والملبس مع التقلل من ذلك **ما كتبناها** اي ما فرضناها **عليهم الا ابتغاء رضوان الله** اي ولكنهم
ابتدعوها ابتغاء رضوان الله **فما رعوها حق رعايتها** يعني انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها
بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفر وامر بني عيسى ودخلوا في دين ملوكهم واقام منهم اناس على
دين عيسى حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فامنوا به فذلك قوله **فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم** وهم
الذين ثبتوا على الدين الصحيح **وكثير منهم فاسقون** وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى
عليه السلام **روى البغوي** باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاثة وهلك سائرهن فرقة
آزت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا
بين ظهرانيهم يدعوهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل
ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني
فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون **وعنه** قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه
وسلم على حمار فقال يا ابن ام عبد هل تدري من اين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت
عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم
الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء افنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا نتفرق في الارض الى ان يبعث الله النبي
الذي وعدنا عيسى به يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه
ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبانية ابتدعوها فآتينا الذين آمنوا منهم يعني من ثبتوا عليها اجرهم
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال
الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع **وروي عن انس** عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال
كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والانجيل ويدعون نهم
الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم
ملكهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك
دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا ثم اعطونا شيئا نرفع به
طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان
قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث البقول
ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبائل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج
عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد
كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا
بهم فذلك قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني

الذين جاءوا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله
وكثير منهم فاسقون هم الذين جاءوا من بعدهم فلما بعث محمد النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم إلا قليل انحط
رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته أي نصيبين بإيمانهم بعيسى وبالتوراة والإنجيل وبإيمانهم بمحمد
صلى الله عليه وسلم وتصديقهم وقال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لئلا يعلم
أهل الكتاب الذين يتشبهون بكم أن لا يقدرون على شيء من فضل الله الآية أخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس
وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا
الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية
عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون الذين غيروا
وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله إلا ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناها عليهم
إلا ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به دون التي هي بدعة لأنه لم يأمر به قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الخطاب لأهل الكتابين اليهود والنصارى يعني يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى
اتقوا الله في محمد وآمنوا به وهو قوله وآمنوا برسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين من
رحمته يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى والإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ق عن أبي موسى
الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد
والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها
وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران ويجعل لكم نورا تمشون به يعني على الصراط وقال
ابن عباس النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به
ويغفر لكم أي ما سلف من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله غفور رحيم لئلا يعلم
أهل قيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين أما من آمن بكتابكم
فله أجره مرتين لإيمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يؤمن فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم
أي ليعلم ولا صلة أهل الكتاب يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين
أن لا يقدرون على شيء من فضل الله يعني أنهم لا يقدرون والمعنى جعلنا الأجرين لمن آمن بمحمد صلى الله
عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم ولا نصيب في فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي أهل الكتاب أولئك
يؤتون أجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم أهل الكتاب
يعني المؤمنين منهم أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يعني الذي خصكم به فإنه فضلكم
على جميع الخلائق وقيل يحتمل أن يكون الأجر الواحد أكثر من الأجرين وقيل قالت اليهود يوشك
أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل فلما خرج من العرب كفروا به فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا يكون
فضل الله النبوة يؤتيه من يشاء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وإن الفضل بيد الله أي في ملكه
وتصرفه يؤتيه من يشاء لأنه قادر مختار والله ذو الفضل العظيم خ عن عبد الله بن عمر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما

بين صلاة العصر الى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا
قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القرآن
فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اي ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين
قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم من شيء قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه
من اشاء **وفي رواية** انما اجلكم في اجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس
وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط
قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر
على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا وانتم
الذين يعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضب اليهود والنصارى وقالوا
نحن اكثر عملا واقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلي اعطيه
من شئت **خ عن ابي موسى الاشعري** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل
استاجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطت
لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر قوما
اخرين بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر
قالوا لك ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فان ما بقي من النهار شيء يسير
فابوا فاستاجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا
اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله اعلم

تفسير سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون اية

واربع مائة وثلاث وستون كلمة والف وسبعمائة واثنان وستون حرفا **بسم الله الرحمن
الرحيم** قوله عز وجل **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها** نزلت في خولة بنت ثعلبة
وقيل اسمها جميلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هي
حسنة الجسم فارادها فابت عليه فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلا
من طلاق اهل الجاهلية فقال ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق واتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني
وانا شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبرت سني ظاهر مني
وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه تنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت
يا رسول الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي ونفضت له
بطني فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشيء فجعلت
تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت
اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي

جاء عوا وجعلت تمد رأسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول الظهار
في الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الآخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يا نبي
الله فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه اخذه
مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية
عن عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما اسمع ما تقول فانزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
وتشتكي الى الله اي شدة حالها وفاقتها ووجدها والله يسمع تحاوركما اي مراجعتكما الكلام ان
الله سميع اي لمن يناجيه ويتضرع اليه بصير اي بصير بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى الذين
يظهرون منكم من نسائهم يعني يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ما هن امهاتهم اي امهاتهم ما اللواتي
تجعلونهن من زوجاتكم كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا اللائي
ولدنهم وانهم يعني المظاهرين ليقولون منكرا من القول يعني لا يعرف في شرع وزورا يعني كذبا وقيل
انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا
فلا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور عفى الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم

فصل في احكام الظهار

وفيه مسائل المسألة الاولى في معناه لغة قيل انه مشتق
من الظهر وقيل مشتق من الظهر العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر باولى من سائر الاعضاء التي هي موا
ضع التلذذ والمباضعة فثبت انه مأخوذ من الظهر الذي هو العلو لان امرأة الرجل مركب له وظهر ويدل عليه
قول العرب في الطلاق نزلت عن امرأتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك
علي اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما علو امي وملكها علي حرام المسألة الثانية كان الظهار من اشد
طلاق اهل الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الآية ناسخة
له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل في الشرائع لا في احكام الجاهلية وعاداتهم المسألة الثالثة
في الالفاظ المستعملة لهذا المعنى في الشرع يعتبر عند الفقهاء الاصل في هذا قوله انت علي كظهر امي ولو انت مني او معي او
عندي كظهر امي وكذا لو قال انت علي كبطن امي او كرأس امي او كيد امي او قال بطنك او رأسك او يدك علي
كظهر امي او شبه عضوا منها بعضو من اعضاء امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه
او بفرجها او بفخذها يكون ظهارا وان شبهها ببعض هذه الاعضاء لا يكون ظهارا ولو قال انت علي كامي واراد به الاعزاز
والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ولو شبهها بجدته فقال انت علي كظهر جدتي يكون ظهارا وكذا
لو شبهها بامرأة محرمة بالرضاع يكون ظهارا على الاصح المسألة الرابعة فيمن يصح ظهاره قال
الشافعي الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال ابو حنيفة لا يصح
احتج الشافعي بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب للمؤمنين فيدل
على ان الظهار مخصوص بالمؤمنين واجيب عنه بان هذا خطاب يتناول لجميع الحاضرين فلم قلتم انه
مختص بالمؤمنين قوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم يعني يفعلون بهذا اللفظ من جاهلية ثم
يعودون لما قالوا اختلف العلماء في معنى العود في قوله ثم يعودون ولا بد اولا من بيان اقوال الفقهاء

فنقول

فنقول قال الفراء لا فرق في اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا او قال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان كقوله واوحي الى نوح وان ربك اوحى لها واما القائلون بان المراد من قوله لما قالوا فيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الثاني المراد لما قالوا اي المقول فيه وهو الذي حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا اي يعودون الى شيء وذلك الشيء هو الذي قالوا فيه ذلك القول ثم اختلف هذا اللفظ بالوجه الاول يحتمل ان يكون المعنى عاد لما فعل اي فعله مرة اخرى وعلى الوجه الثاني يجوز ان يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل وذلك لان من فعل شيئا ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيئا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالنقض فيه فقد ظهر بما تقرر ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه اذا ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على انه ندم على ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال ينتدمون فيرجعون الى الالفة **الوجه** الثاني في تفسير العود وهو قول ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي **الوجه** الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا انه طالب للجماع او للعزم عليه او لاستباحته لان الذي قاله الشافعي هو اقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعلق الحكم عليه لانه هو الذي به يتحقق مسمى العود واما الباقي فزيادة لا دليل عليه **واما الاحتمال** الاول في قوله **ثم يعودون** اي يفعلون مثل ما فعلوا وعلى هذا الاحتمال في الآية وجوه ايضا الاول قال مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام وتجب الكفارة بنفس الظهار والمراد من العود هو الاتيان بالعود الى ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الاسلام فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا ○ **الوجه الثاني** قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وان لم يكرر لم يكن عودا وهو قول اهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوا وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه قوله تعالى **فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا** المراد بالتماس الجماعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر منها ما لم يكفر **ذلكم توعظون به** يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه **والله بما تعملون خبير** اي من التكفير وتركه ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى **فمن لم يجد** اي الرقبة **فصيام شهرين** اي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين **متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع** اي الصيام فكفارته **فاطعام ستين مسكينا ذلك** اي الفرض الذي وصفنا **لتؤمنوا بالله ورسوله** اي لتصدقوا الله فيما امر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم

على وطيها وهو قريب من قول ابي حنيفة الوجه الرابع

فيما اخبر به عن الله وتلك حدود الله يعني ما وصف من الكفارة في الظهار وللكافرين اي لمن جحد هذا وكذب به عذاب اليم اي في نار جهنم يوم القيامة

فصل في احكام الكفارة وما يتعلق بالظهار وفيه مسائل المسألة الاولى اختلفوا فيما يحرم من الظهار فللشافعي قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة المسألة الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار للتأكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امرأته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة المسألة الثالثة الاية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سواء اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالاطعام وعند مالك اذا اراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الاطعام من قبل ان يتماسا فجعل على ذلك وعند الاخرين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابي حنيفة والشافعي واحمد وسفيان وقال بعضهم اذا واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي المسألة الرابعة كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزئ سواء كانت مؤمنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب حجة الشافعي انا اجمعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى المسألة الخامسة الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين فلو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند ابي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين المسألة السادسة فان عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به اهل البلد من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر ونحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من تمر او صاعا من شعير فلو اطعم مسكينا واحدا ستين مرة لا يجزئ عند الشافعي وقال ابو حنيفة يجزئ حجة الشافعي ظاهر الاية وهو ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الاية وحجة ابي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل والجواب عنه بان ادخال السرور على قلب ستين مسكينا اولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد المسألة السابعة ان كانت له رقبة الا انه محتاج الى الخدمة وله ثمن رقبة للكفارة يحتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة او لثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة للكفارة يحتاج اليه فله ان يصوم المسألة الثامنة قال اصحاب الشافعي الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر في الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ما روي عن سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرأ اصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امرأتي شيئا يتتابع بي حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ

شهر رمضان

شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذ تكشف لي منها شيء فما لبثت ان نزوت عليها فلما اصبحت
خرجت الى قومي فاخبرتهم الخبر فقال فقلت امشوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذاك يا سلمة قلت انا بذاك يا رسول الله مرتين وانا صابر
لامر الله فاحكم في ما اراك الله قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة
رقبتي قال فصم شهرين متتابعين قال وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم ستين مسكينا
قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشين ما املك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بني زريق
فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي
فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأي
وقد امر لي بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بني زريق اخرجه ابو داود قوله نزوت عليها اي وثبت عليها
واراد به الجماع وقوله تتابع في التتابع الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعا وقوله
وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام واوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة
قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله
قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الى الفرض فقال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم
شهرين متتابعين قلت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت
ما عنده شيء يتصدق به قال فاني ساعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله واني اعينه بعرق آخر قال
قد احسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابو داود وفي رواية
قالت ان اوسا تظاهر مني وذكرت ان به لمما وقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك الا رحمة له ان له مني منافع
وذكرت نحوه العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا
وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابي ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به
ذلك ثم ظاهر في تلك الحال لم يلزمه شيء بل معنى اللمم هنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والتوقان والله اعلم
قوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادون الله ورسوله ويشاقون وقيل يخالفون امرهما
كبتوا اي اذلوا واخزوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم اي كما اخزي من كان قبلهم من اهل الشرك
وقد انزلنا آيات بينات يعني فرائض واحكاما وللكافرين اي الذين لم يعملوا بها وجحدوها عذاب
مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله اي حفظ الله اعمالهم ونسوه اي
نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا والله على كل شيء شهيد قوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض يعني انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السموات
ثم اكد ذلك بقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة اي من سرار ثلاثة وهي المسارة والمشاورة والمعنى
ما من شيء يناجي الرجل به صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا الا هو رابعهم
اي بالعلم يعني يعلم نجواهم كانه حاضر معهم ولا خمسة الا هو سادسهم فان قلت لم خص
الثلاثة والخمسة قلت اقل ما يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتشاورين

في النجوى الا اثنان والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فتحصل تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع
يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما بينهما مقبول القول وقيل ان العدد الفرد اشرف من الزوج
فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر يعني ولا اقل من ثلاثة
وخمسة ولا اكثر من العدد الا هو معهم اينما كانوا اي بالعلم والقدرة ثم ينبئهم بما عملوا يوم
القيامة ان الله بكل شيء عليم قوله عز وجل الم تر الى الذين نهوا عن النجوى نزلت في اليهود
والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المومنين وينظرون الى المومنين ويتغامزون باعينهم
ويوهمون المومنين انهم يتناجون بما يسوؤهم فيحزن المومنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد
بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المومنين
وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم الا يتناجوا دون المومنين فلم ينتهوا فانزل
الله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اي المناجاة فيما بينهم ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون
الى المناجاة التي نهوا عنها ويتناجون بالاثم والعدوان يعني ذلك السر الذي كان بينهم لانه اثم
مكر وكيد بالمسلمين او شيء يسوؤهم وكلاهما اثم وعدوان ومعصية الرسول وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصي بعضهم
بعضا بمعصيته واذا جاءوك يعني اليهود حيوك بما لم يحيك به الله وذلك ان اليهود كانوا يدخلون
على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه انهم يسلمون عليه
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم ويقولون في انفسهم يعني اذا خرجوا من عنده
قالوا لولا يعذبنا الله بما نقول في انفسهم يعني اذا خرجوا من عنده قالوا يريدون
لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف قال الله حسبهم جهنم يصلونها فبئس
المصير المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة
تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم ق عن عائشة قالت دخل رهط من اليهود
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام
واللعنة والخزي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت
يا رسول الله لم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت وعليكم وللبخاري ان اليهود
اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم السام فقالت عائشة السام عليكم
ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف
والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا
يستجاب لهم في السام الموت قال الخطابي عامة المحدثين يعني اذا سلم عليكم اهل الكتاب اهل
الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا عليكم الحديث يثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن
عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه مردودا عليهم
بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق و[illegible]
والفحش الردي من القول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا

كانوا ح

لعله شكواهم

بالاثم

بالإثم ومعصية الرسول وفي المخاطبين بهذه الآية قولان أحدهما أنه خطاب للمومنين وذلك
أنه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول أتبعه بأن نهى المومنين
أن يسلكوا مسلكهم فقال لا تتناجوا بالإثم وهو ما يقبح من القول والعدوان
وهو ما يودي إلى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثاني وهو الأصح أنه خطاب
للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كأنه قال لهم لا تتناجوا بالإثم
والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى أي بالطاعة وترك المعصية واتقوا الله الذي إليه
تحشرون إنما النجوى من الشيطان يعني تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الإثم والعدوان ومعصية
الرسول صلى الله عليه وسلم قال إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود في رواية
فإن ذلك يحزنه من هذه الزيادة [illegible] وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله أي إلا ما أراد الله تعالى
وقيل إلا بإذن الله في الضر وعلى الله فليتوكل المومنون أي فليكل المومنون أمرهم إلى الله ويستعيذون
به من الشيطان فإن من توكل على الله لا يخيب أمله ولا يبطل سعيه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا
قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا الآية قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي
صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على
القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لمن حوله قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق
ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية وقيل
نزلت في ثابت ابن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم فأمرهم الله أن يفسح
بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والأظهر أن المراد مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم لأنهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع
كلامه فأمر الله المومنين بالتواضع وأن يفسحوا في المجلس لمن أراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى
الناس في الأخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لأن لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل في مجلسه فا
فسحوا أي فأوسعوا في المجالس أي وإن قيل توسعوا في المجالس لغيرهم يفسح الله لكم أي يوسع
الله لكم الجنة والمجالس فيها وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه
ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم وعن جابر بن عبد الله قال لا يقيمن أحدكم
أخاه يوم الجمعة ثم يخالف إلى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا أخرجه الحميدي في أفراد مسلم موقوفا
على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل في معنى الآية أن هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي
القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فأمروا أن
يوسعوا لإخوانهم لأن الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الأول والحاجة داعية إلى تقدمه
فلا يرون التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقراءة والحديث والذكر ونحو ذلك

ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا

لكل من وسع على عباد الله انواع الخير والراحة وسع الله عليه خيري الدنيا والاخرة **واذا قيل انشزوا فانشزوا** اي اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا **و**قيل
كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة اذا نودي لها فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اذا نودي للصلاة
فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فقوموا اليه ولا تقصروا عنه
يرفع الله الذين ءامنوا منكم اي بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال اوامره وقيامهم من مجالسهم وتوسعهم لاخوانهم **والذين اوتوا العلم** اي ويرفع الذين اوتوا العلم من المومنين بفضل علمهم
وسابقتهم **درجات** اي على من سواهم في الجنة وقيل يقال للمومن الذي ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة
ادخل ويقال للعالم قف واشفع للناس فاخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان
اولئك المومنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من اهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام **والله بما
تعملون خبير** قال الحسن قرا ابن مسعود هذه الاية وقال ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم في العلم
فان الله يقول يرفع المومن العالم فوق الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة
ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم في اقواله وافعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على ابي الدرداء
وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخي قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما جيت
لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت في تجارة قال لا قال ما جيت الا في طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة
لتضع اجنحتها رضى لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء
وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ان العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا
درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذي **ولابي داود نحوه وعن
معاوية بن ابي سفيان** قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه
في الدين **وعن ابن عباس** مثله اخرجه الترمذي **وروى البغوي** بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاصي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده احد المجلسين يدعون الله ويرغبون اليه والاخر
يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هولاء فيدعون
الله ويرغبون اليه واما هولاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهم افضل وانما بعثت معلما
ثم جلس قوله تعالى **يا ايها الذين ءامنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة** يعني اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا امام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام
مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشيء بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة
استحقره وينتفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة **قال** ابن عباس ان الناس سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شقوا عليه فاراد الله تعالى ان يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم
ويقطعهم عن ذلك فامرهم ان يقدموا صدقة على المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقيل** نزلت
في الاغنياء وذلك انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على
المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة عن مناجاته

شق على الفقراء

فلما الفقراء واهل العسرة لم يجدوا شيئا واما الاغنياء والميسرة فضنوا واشتد ذلك على اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة قال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي
ابن ابي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول اية في كتاب الله لم يعمل بها
احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وهي اية المناجاة وعن علي ابن ابي طالب رضي الله
عنه لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ترى في دينار قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت
شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الاية قال فبي
خفف الله عن هذه الامة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة اي وزن شعيرة
من ذهب وقوله انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت في هذه الاية منقبة
عظيمة لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها احد غيره قلت هو كما قلت وليس فيها
طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الاية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا
عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما
يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذ لا يجدوا ما يتصدقون عند منا
جاته ووجه ءاخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من المباحات ولا من الطاعات
المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة اولى
بان تترك فلم يعملوا بها وليس فيها طعن على احد منهم قوله ذلك خير لكم يعني تقديم الصدقة على المنا
جاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله واطهر لذنوبكم فان لم تجدوا يعني الفقراء الذين لا يجدون
ما يتصدقون به فان الله غفور رحيم يعني انه تعالى عفى عنهم ذلك ءاشفقتم قال ابن عباس ءا
بخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات
فاذ لم تفعلوا اي ما امرتم به وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل
ابن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار ثم نسخ فاقيموا
الصلاة اي المفروضة واتوا الزكاة اي الواجبة واطيعوا الله ورسوله اي فيما امر ونهى والله
خبير بما تعملون اي انه محيط باعمالكم ونياتكم قوله تعالى عز وجل الم تر الى الذين تولوا قوما غضب
الله عليهم نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا اسرار المومنين اليهم ⊙
واراد بقوله غضب الله عليهم اليهود ما هم يعني المنافقين منكم اي من المومنين في الدين والولاية
ولا منهم يعني ولا من اليهود ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اي انهم كذبة نزلت في عبد الله
ابن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل
عبد الله ابن نبتل وكان ازرق العين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف
بالله ما فعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الايات اعد الله لهم عذابا
شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم يعني الكاذبة جنة يعني يستجنون

بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله يعني انهم صدوا المومنين عن
جهادهم بالقتل واخذ اموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو الاسلام
فلهم عذاب مهين اي ذو اهانة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم يعني يوم القيامة من
الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له يعني
كاذبين انهم ما كانوا مشركين كما يحلفون لكم اي في الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم في الدنيا
فظنوا انه تنفع في الاخرة ايضا ويحسبون انهم على شيء يعني من ايمانهم الكاذبة الا انهم هم
الكاذبون يعني في اقوالهم وايمانهم استحوذ عليهم الشيطان اي غلب واستولى عليهم وملكهم
فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين
يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين اي في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والاخرة لان ذل احد
الخصمين على حسب عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من يحاده غير
متناهية كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قضى الله ذلك قضاء ثابتا وقيل غلبة الرسل على نوعين
فمنهم من بعث بالحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يومر بالحرب فهو غالب بالحجة ان الله قوي اي على نصر
رسوله واوليائه عزيز اي غالب على اعدائه قوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله اخبر الله تعالى ان ايمان المومنين يفسد بموادة الكافرين وان من كان مومنا لا يوالي
من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب عدوه فان قلت قد اجمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم
ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم
وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم واما ما سوى ذلك فلا حرج فيه ثم انه تعالى بالغ في الزجر
عن مودتهم فقوله تعالى ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم يعني ان
الميل الى هولاء من اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هولاء والمودة لهم لسبب
الدين قيل نزلت هذه الاية في حاطب ابن بلتعة حين كتب الى اهل مكة وستاتي قصته في سورة
الممتحنة وروي عن عبد الله بن مسعود في هذه الاية قال ولو كانوا اباءهم يعني ابا عبيدة
بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد او ابناءهم يعني ابا بكر الصديق دعا ابنه
يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني اكون في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر او اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد او
عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي ابن ابي طالب وحمزة
وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد ابن عتبة يوم بدر اولئك كتب في قلوبهم
الايمان اي اثبت التصديق في قلوبهم فهي مومنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر
القلوب لانها موضعه وايدهم بروح منه اي قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا
لان به يحيى امرهم وقيل بالايمان وقيل بالقران وقيل بجبريل وقيل برحمة منه ويدخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه انما ذكر رضوانه عليهم بعد
دخولهم الجنة لانه اعظم النعم واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب زوال المودة

لا عزاكم الله فقال أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون والله أعلم

تفسير سورة الحشر قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر

فقال قل سورة النضير وهي مدنية وهي أربع وعشرون آية وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة
والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما
في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم
قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما دخل المدينة صالحوا بنو النضير على أن لا يقاتلوه معه ولا عليه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله إنه النبي الذي نجد نعته في التوراة
لا ترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الأشرف في أربعين
راكبا من اليهود إلى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه
وسلم ودخل أبو سفيان في أربعين من قريش وكعب بن الأشرف في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم
على بعض الميثاق ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان
وأمر بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي صلى
الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية
الضمري في منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم وأخبره بذلك
وقد تقدمت القصة في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر
المسلمين إلى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون
على كعب فقالوا يا محمد واعية على إثر واعية وباكية على إثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر
أمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب
وآذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه إليهم أن لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم
ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها ثم إنهم أجمعوا الغدر برسول
الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا إليه أن اخرج في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان
نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين
كلهم يحب الموت قبله ولكن أرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك ثلاثة
من علمائنا فيسمعون منك فإن آمنوا بك آمنا بك ففعل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه
وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير
إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل
أخوها سريعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل أن يصل إليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم
فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فقذف الله في
قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة

على ما اباه هم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان
يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر اموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاءوا من متاعهم و
للنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا ووسقا ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى اذرعات
واريحا من الشام الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك
قوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت
بالمدينة قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعه
من الاحزاب وبينهما سنتان لاول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب
عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا وقال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا
حشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه السلام اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة
الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلى آخرهم عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى
اذرعات واريحا من ارض الشام في ايام عمر وقيل كان هذا اول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة
من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ما ظننتم يعني ايها المؤمنون
ان يخرجوا من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون وعقار ونخل كثير وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله اي وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله فاتاهم الله اي اتاهم
امر الله وعذابه من حيث لم يحتسبوا وهو ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم و
واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقذف في قلوبهم الرعب اي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب
ابن الاشرف يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه
منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف
وينقبون الجدران ليلا لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم
من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها
ليتسع لهم المقاتل وجعل اعداء الله ينقبون دورهم في ادبارها فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون
فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاعتبروا اي فاتعظوا
وانظروا وما نزل بهم يا اولي الابصار اي يا ذوي العقول والبصائر ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء
يعني الخروج من الوطن لعذبهم في الدنيا يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب
النار ذلك اي الذي لحقهم ونزل بهم بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد
العقاب قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله الآية وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك
وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل
عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في

ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فإنما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله هذه الآية
بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم وأن ذلك كان بإذن الله وعن ابن عمر قال حرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة ففيه نزل ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة
على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم موضع لبني ~~صلى الله عليه وسلم~~ النضير وفي ذلك
يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه: وهان على سراة بني لؤي: حريق بالبويرة مستطير قال
ابن عباس النخل كلها لينة ما عدا العجوة من التمر وقيل النخل كلها إلا العجوة والبرنية وقيل
اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه هي لون من النخل وقيل
كرام النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب
فيه الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمن وصيف وأحب إليهم من
وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين إنكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون
دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليها فأخبر الله أن قطعها كان بإذنه وليخزي الفاسقين يعني
اليهود والمعنى ولأجل إخزاء اليهود أذن الله في قطعها واحتج العلماء بهذه الآية على أن حصون الكفار وديارهم
لا بأس أن تهدم وتحرق وترمى بالمنجنيق وكذلك قطع أشجارهم ونحوها قوله عز وجل وما أفاء الله
على رسوله أي ما رد الله على رسوله منهم أي من يهود بني النضير فما أوجفتم عليه يعني أوضعتم
وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب يعني الإبل التي تحمل القوم وذلك أن بني النضير لم يتركوا إربا
عنهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين
الله تعالى في هذه الآية أنها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا
مشقة ولم يلقوا حربا وإنما كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشيا ولم يركب إلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء أي من أعدائه
والله على كل شيء قدير فهي له خاصة تضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين
ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل
ابن حنيف والحارث ابن الصمة وعن مالك بن أوس بن الحدثان النصري أن عمر دعاه إذ جاءه حاجبه يرفا
فقال هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فأدخلهم
فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك في عباس وعلي يستأذنان قال نعم وأذن لهما فلما دخلا قال العباس
يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر
قال مالك ابن أوس يخيل إلي أنهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتئدوا أنشدكم بالله الذي بإذنه
تقوم السماوات والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك
نفسه قالوا نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلي فقال أنشدكما بالله الذي تقوم السماء والأرض أتعلمان أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر إن الله كان خص رسوله
صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه
من خيل ولا ركاب الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا

المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك قالوا نعم
قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل ما نشد القوم أتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتما حينئذ وأقبل على علي وعباس تذكران أن أبا
بكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم أنه فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فقبضته سنتين من إمارتي أعمل فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو
بكر والله يعلم أني فيه صادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع
فقلت لكما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا لي أن
أدفعه إليكما فقلت إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت وإلا فلا تكلماني فقلتما ادفعه إلينا بذلك فدفعته إليكما أفتلتمسان
مني قضاء غير ذلك فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فإن
عجزتما عنه فادفعاه إلي فإني أكفيكماه قوله تعالى **وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى** يعني من أموال
كفار أهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة **فلله ولذي القربى** وهم بنو هاشم وللرسول
وبنو عبد المطلب **واليتامى والمساكين وابن السبيل** قد تقدم في سورة الأنفال حكم الغنيمة وقسمتها
وأما حكم الفيء فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم
ويجعل ما بقي مجعل مال الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلماء في مصرف الفيء بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للأئمة بعده وللشافعي فيه قولان أحدهما هو للمقاتلة والثاني هو لمصالح
المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهم فالأهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب قوم إلى أنه يخمس
فخمسه لأهل خمس وأربعة للمقاتلة أو للمصالح وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع
المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين إلى
قوله والذين جاءوا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الأرض مسلم إلا
وله في هذا الفيء حق إلا ما ملكت أيمانكم **كي لا يكون دولة** يعني كيلا يكون الفيء دولة والدولة
اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم **بين الأغنياء منكم** يعني بين الرؤساء والأقوياء فيغلبوا عليه
الفقراء والضعفاء وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع
ثم يصطفي منها بعد المرباع منه ما شاء فجعله الله لرسوله يقسمه فيما أمر به **وما آتاكم الرسول فخذوه**
يعني من مال الفيء والغنيمة وما نهاكم عنه أي من الغلول وغيره فانتهوا وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل
ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه من قول أو عمل من واجب أو مندوب أو مستحب أو نهي عن
محرم فيدخل فيه الفيء وغيره **ق** عن عبد الله بن مسعود أنه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات
والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب
وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغني عنك أنك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد
الله وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت المرأة لقد قرأت

لوجدت المصحف فما وجدته فقال إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الإنسان بالإبرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة
هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج
ما بين ثناياها بصناعة وقيل هي التي تتفلج في مشيتها وكان ذلك منهيا عنه عن عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه
فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد عن أبي رافع عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن الأريكة كل ما
اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة ونحو ذلك واتقوا الله أي في أمر الفيء إن الله شديد العقاب
أي على ترككم ما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه ثم بين من له الحق في الفيء فقال عز وجل
للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يعني أخرجهم كفار مكة أي أحوجوهم يبتغون
فضلا من الله أي رزقا من الله وقيل ثوابا من الله ورضوانا أي خرجوا من ديارهم طلبا لرضى
الله عز وجل وينصرون الله ورسوله أي بأنفسهم وأموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه وإعلاء كلمته
أولئك هم الصادقون أي في إيمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال
والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الإسلام على ما كان فيه من شدة حتى ذكر لنا أن الرجل
كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار
غيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن فقراء المهاجرين
يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أبشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة يدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف
يوم وذلك خمسمائة سنة أخرجه أبو داود وقوله عز وجل والذين تبوءوا الدار والإيمان يعني الأنصار
توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها سكنا من قبلهم يعني أنهم أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان
وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين
وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأ يحبون من هاجر إليهم وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم
وأشركوهم في أموالهم ولا يجدون في صدورهم حاجة أي حزازة وغيظا وحسدا مما أوتوا أي أعطي
المهاجرون من الفيء دونهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط
الأنصار منها شيئا فطابت أنفس الأنصار بذلك ويؤثرون على أنفسهم أي يؤثرون المهاجرين بأموالهم
ومنازلهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة أي فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون به عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه
فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فقال
أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا إلا قوت صبياني قال فعلليهم

شيء ونوميهم فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي
تطفئيه فأطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة زاد في رواية
وأنزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة خ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالت
الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا أتكفونا المؤنة ونشرككم
في الثمر قالوا سمعنا وأطعنا خ عن أنس بن مالك قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار
إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها فقال أما لا فاصبروا حتى تلقوني
فإنه سيصيبكم أثرة بعدي وفي رواية ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض
الأثرة بفتح الهمزة والثاء والأول وضبطه بعضهم بضم الهمزة وإسكان الثاء والأول أشهر ومعناه الاستئثار
وهو أن يستأثر عليكم بأمور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم في الأمر نصيب وقيل معنى أثرة أي
أعطيات أنه يستأثر عليكم غيركم ويفضل نصيبه من الغنيمة والاستئثار الانفراد بالشيء وقيل ذات أثرة الشدة
وطول الطمع وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار إن شئتم
قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم
ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا
نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وفرق بعض العلماء بين الشح والبخل فقال البخل
نفس المنع والبخل هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم
قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون أي الفائزون بما أرادوا وروي أن رجلا
قال لعبد الله بن مسعود إني أخاف أن أكون قد هلكت قال وما ذاك قال أسمع الله يقول ومن يوق شح
نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي
ذكر الله في القرآن ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن البخل ذلك وبئس الشيء البخل وقال
ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمح عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص
الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع
شيئا أمره الله بإعطائه فقد وقاه الله شح نفسه م عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم
حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع أخرجه أبو داود الهلع أشد الجزع والمراد
منه أن الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شيء يفوته أو يخرج عن يده والخالع الذي خلع فؤاده
لشدة خوفه من عدوه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل
الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا أخرجه النسائي قوله
تعالى والذين جاءوا من بعدهم يعني من بعد المهاجرين والأنصار وهم التابعون لهم إلى يوم القيامة

يقولون

يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان أخبر أنهم يدعون لأنفسهم بالمغفرة ولإخوانهم
الذين سبقوهم بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا أي غشا وحسدا وبغضا للذين آمنوا ربنا إنك
رؤوف رحيم فكل من كان في قلبه غل وبغض لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على
جميعهم فإنه ليس ممن عنى الله بهذه الآية لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل المهاجرين ثم من بعدهم
الأنصار ثم من بعدهم التابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام
المؤمنين وليس له في فيء المسلمين نصيب وقال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء
المهاجرون والذين تبوءوا الدار والإيمان والذين جاءوا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه الثلاث
منازل ق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي
فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه م عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن
أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن
أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله
فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي قال مالك بن أنس من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان في قلبه غل عليهم فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا هذه الآية ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى إلى
والذين جاءوا من بعدهم إلى رؤوف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى
على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم قالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير
أهل ملتكم قالوا حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم قالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا
أن يستغفروا لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا
تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم أعاذنا الله وإياكم
من الأهواء المضلة وروي عن جابر قال قيل لعائشة إن ناسا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى أبا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر وروي
أن ابن عباس سمع رجلا ينال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أمن المهاجرين الأولين أنت قال
لا قال فمن الأنصار أنت قال لا قال فأنا أشهد بأنك لست من التابعين لهم بإحسان قوله تعالى ألم تر إلى الذين
نافقوا يعني أظهروا خلاف ما أضمروا وهو عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه يقولون لإخوانهم الذين
كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود من بني قريظة والنضير وإنما جعل المنافقين إخوانهم لأنهم كفار
مثلهم لئن أخرجتم أي من المدينة لنخرجن معكم أي منها ولا نطيع فيكم أحدا أبدا يعني سألنا
أحد خلافكم وخذلانكم فلا نطيع فيكم وإن قوتلتم لننصرنكم أي لنعيننكم ولنقاتلن معكم والله
يشهد إنهم يعني المنافقين لكاذبون أي فيما قالوا ووعدوا ثم أخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى
لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الأمر كذلك فإنهم أخرجوا ولم يخرج المنا
فقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار يعني ولو قدر وجود نصرهم أو لو قصدوا
نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين ثم لا ينصرون يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصرهم
لأنتم يعني يا معشر المسلمين أشد رهبة في صدورهم من الله أي الهيبة والرهبة الخوف الشديد

مع حذر واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافونكم اشد من رهبتهم من الله ذلك اي الخوف منكم بانهم قوم لا يفقهون يعني عظمة الله لا يقاتلونكم يعني اليهود جميعا الا في قرى محصنة اي لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم في متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى او من وراء جدار وقرئ جدر باسهم بينهم شديد اي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم لبعض شديدة وقيل باسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اي متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة اعمالهم مختلفة شهادتهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين وآراءهم تخالف دين اليهود وآراءهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا يعني مشركي مكة ذاقوا وبال امرهم يعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ولهم عذاب اليم اي في الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وذلك ما روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه الى اقصى ارض الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة ايام ولا يفطر الا في كل عشرة ايام فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة في اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فراى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله ندم في نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتني وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتي اني احببت ان اكون معك فاتادب بادبك واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وادعو لك فقال برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت مومنا فان الله سيجعل لك فيما ادعو للمومنين نصيبا ان استجاب لي ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعدها راه قائما يصلي فلما راى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك قال ان تاذن لي فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فاقام حولا يتعبد لا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة ولا ينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت وكان يبلغنا عنك غير الذي رايت فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته لما راى من شدة اجتهاده فلما ودعه الابيض قال له ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير مما انت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا اني اكره هذه المنزلة لان لي في نفسي

شغلا

شغلا وإني أخاف أن علم الناس لتشغلوني عن العبادة فلم يزل به دنابيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى
إبليس فقال قد أهلكت والله الرجل قال فانطلق دنابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل
متطبب فقال لأهله إن بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يفق فقال لهم إني لا أقوى على
جنيته ولكني سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافيه فانطلقوا إلى برصيصا فإن عنده الاسم الذي إذا دعا
به أجيب قال فانطلقوا إليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان وكان دنابيض يفعل
ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا فيدعو الله فيعافون فانطلق دنابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني
إسرائيل لها ثلاثة إخوة وكان أبوهم هو الملك فلما مات استخلف أخاه وكان عم تلك الجارية ملك
بني إسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء إليهم كما كان يأتي الناس في صورة متطبب فقال لهم أعالجها قالوا نعم ف
فقال إن الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم إلى من تثقون به تدعونها عنده فإذا جاء شيطانها
دعا لها فإذا علمتم أنها قد عوفيت ردوها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا بأن
يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك قال فانطلقوا فابتنوا صومعة إلى جانب صومعته والتكن
لي بجنب صومعته حتى تشرف عليه فإن قبلها وإلا فضعوها في صومعتها وقولوا هذه أمانة عندك فاحتسب
أمانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ثم انطلقوا فوضعوا
الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل
برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاء الشيطان ن
فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم أقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان
فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان فقال له ويحك واقعها فلن تجد مثلها
وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الأمر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها
فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب فإن سألوك فقل ذهب بها الشيطان نها
فلم أقو عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فأخذ بطرف إزارها
فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا إلى صومعته وأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا
يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها
فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إلى أكبرهم في منامه فقال له
ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وأنه دفنها في موضع كذا فقال حلم وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك
فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق إلى الأخ الأوسط بمثل ذلك فقال الأوسط مثل ما قال الأكبر ولم
يخبر به أحدا فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك فقال الأصغر لأخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الأوسط وأنا
والله قد رأيت مثله فانطلقوا إلى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها
فكأنكم اتهمتموني فقالوا لا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم إنها لمدفونة
في موضع كذا وإن طرف إزارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوه في النوم فمشوا في مواليهم
وغلمانهم معهم الفؤوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به إلى الملك
فأقر على نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فوسوس فقال له تقتلها ثم تكابر فيجتمع عليك أمران قتل ومكابرة

:. لعله صورة

اعرف فلما اعترف امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا اتعرفني قال لا قال
انا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستجيب لك ويحك اما اتقيت الله في امانة خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد
بني اسرائيل اما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال في آخر ذلك الم يكفك ما صنعت حتى اقررت على نفسك
وفضحت نفسك وفضحت اشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح احد من نظرائك قال فكيف اصنع قال
تطيعني في خصلة واحدة حتى اخلصك مما انت فيه فآخذ باعينهم واخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد
لي قال افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذي اردت منك صارت عاقبة امرك الى ان كفرت بربك
فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين. قال الله تعالى فكان عاقبتهما يعني
الشيطان وذلك الانسان انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين قال ابن عباس
ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء
بني النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم فان قاتلكم فانا معكم وان اخرجكم خرجنا
معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله
عليه وسلم فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم فخذلوهم وتبرؤوا منهم
كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون
في بني اسرائيل الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسق والفجور في الاخيار ورموهم بالبهتان والقبيح
حتى كان من امر جريج الراهب ما كان فلما برأه الله مما رموه به انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس
وكانت قصة جريج على ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة
عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلي
فقالت يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته وانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت يا جريج
فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت يا جريج فقال اي رب امي
وصلاتي فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا
وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم
يلتفت اليها فاتت راعيا كان ياوي الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت
قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم قالوا زنيت
بهذه البغي فولدت منك فقال اين الصبي فجاؤوا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف اتى الصبي فطعن
باصبعه وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا
نبني لك صومعتك من ذهب قال لا اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع امه فمر رجل راكب على دابة
فارهة ذو شارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي واقبل عليه فنظر اليه فقال
اللهم لا تجعلني مثله ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي
ارتضاعه باصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت
وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال
اللهم اجعلني مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله

وقلت اللهم اجعل ابني مثله فقال اللهم لا تجعلني مثله ومر بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت
وسرقت وقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت
اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون لها زنيت وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها اخرجه
مسلم بتمامه وهذا اللفظ واخرجه البخاري منجما فحديث جريج تعليقا وحديث المراة وابنها خاصة
المومسات الزواني جمع مومسة وهي المراة الفاجرة والبغي الزانية ايضا وقوله يتمثل بحسنها اي
يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذو شارة حسنة اي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب ونحو
ذلك. والجبار العاتي المتكبر القاهر للناس قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس
ما قدمت لغد اي لينظر احدكم اي شيء قدم لنفسه من الاعمال اعملا صالحا ينجيه ام سيئا يوبقه والغد
يوم القيامة وقربه على الناس كان يوم القيامة ياتي غدا وكل ما هو آت فهو قريب واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون قيل كرر الامر بالتقوى تاكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله في اداء الواجبات
ومعنى الثاني اتقوا الله فلا تاتوا المنهيات ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي تركوا امر الله فانساهم
انفسهم اي انساهم حظوظ انفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده اولئك هم الفاسقون
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون لما ارشد المومنين لما يصلحهم
بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين
الفريقين بقوله لا يستوي اصحاب النار يعني الذين هم في العذاب الدائم واصحاب الجنة يعني الذين هم
في النعيم المقيم ثم بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز
فوزا عظيما قوله تعالى لو انزلنا هذا القرءان على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله قيل معناه لو جعل في الجبل تمييز وعقل كما جعل فيكم وانزل عليه القرءان لخشع اي لطأطأ وخضع
وتشقق وتصدع من خشية الله وحذرا من ان يودي حق الله تعالى في تعظيم القرءان والكافر مستخف
بحقه معرض عما تضمنه القرءان من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا
يجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه اوجب الخشوع والخشية وهذا تمثيل
لان الجبل لا يتصور فيه الخشوع والخشية الا ان يجعل الله له تمييزا وعقلا يدل على انه تمثيل قوله وتلك
الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اي الغرض من هذا التمثيل التنبيه على قساوة قلوب
هولاء الكفار وقساوتهم وغلظ طباعهم ولما وصف القرءان بالعظيم اتبعه بوصف عظمته فقال
تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى علم ما غاب عن العباد مما
لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وعلموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود
والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والاخرة هو الرحمن الرحيم اسمان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان
لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه قيل الرحمن اشد
مبالغة من الرحيم ولذا قيل هو رحمان الدنيا ورحيم الاخرة لانه تعالى احسانه في الدنيا يعم المومن والكافر
وفي الاخرة يختص انعامه بالمومن هو الله الذي لا اله الا هو الملك اي المتصرف بالامر والنهي في جميع
خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته القدوس اي الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به

وقيل هو الذي كثرت بركته السلام اي الذي سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فإن قلت
في هذا التقسيم لا يبقى فرق بين القدوس والسلام فيكون الكلام كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن
قلت الفرق بينهما ان كونه قدوسا هو اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص في الماضي
والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شيء من العيوب والنقائص في المستقبل فان الذي يطرأ
عليه شيء من العيوب والنقائص في المستقبل فان الذي يطرأ عليه شيء من ذلك فانه يزول سلامه و
يبقى سليما وقيل السلام اي سلم خلقه من ظلمه المؤمن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق رسله
باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب المهيمن قال
ابن عباس اي الشهيد على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القائم على خلقه برزقه
وانشد في معناه، الا ان خير الناس بعد نبيه، مهيمنه التاليه في العرف والنكر، اي القائم على الناس
بعده، وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو بمعنى الامين
والمؤتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في ابيات منها
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق، وقيل المهيمن اسم من اسماء الله
تعالى هو اعلم بتاويله وانشد جل المهيمن عن صفات عباده، هو لفظ تعالى عن عقول اولي النهى
واموا لهم صفات مليكهم، والوصف يجري عن مليكه لا يجري، العزيز اي الذي لا يوجد له نظير وقيل
هو الغالب القاهر الجبار قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو وصف
ذات وقيل هو من الجبر بمعنى الذي يغني الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة وهو سبحانه وتعالى كذلك
يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يقهر الخلق ويجبرهم على ما اراد وسئل
بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا اراد امرا لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال
ولا يداني والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذلك المتكبر لان المتكبر هو الذي
يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان
كذابا في فعله فكان مذموما في حق الناس واما المتكبر في صفة الله فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو
والعظمة ولهذا قال في آخر الآية سبحان الله عما يشركون كانه قيل ان بعض الخلق فمن يتكبر فيكون
ذلك نقصا في حقه اما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان اظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال
حق قال ابن عباس المتكبر الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل هو الذي تكبر عن كل سوء
وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجلاله وجماله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر
والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون اي من اثبات
الكبرياء لا لنفسهم هو الله الخالق اي المقدر ومعناه انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع
الى الارادة وقيل المقدر لما يوجد وقيل المقدر المقلب للشيء بالتدبير الى غيره البارئ اي المخترع
الشيء للاعيان من العدم الى الوجود المصور اي الذي يخلق صورة الخلق على ما يريد وقيل معناه الممثل
للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبتدئ للخلق المخترع له على غير
مثال سبق البارئ اي المنشئ للاعيان بخلقه فيخرجه من العدم الى الوجود المصور اي لما خلقه وانشأه

صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فما وايكون خلقا
ثم يكون كأنه تصويرا وانما قدم لفظ الخالق على البارئ لان ترجيح الارادة مقدم على تاثير القدرة وقدم
البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات له الاسماء الحسنى يسبح له ما في
السموات والارض وهو العزيز الحكيم عن معقل بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث ايات
من اخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات في ذلك
مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة اليوم وكذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
والله اعلم

تفسير سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة اية وثلاثمائة

وثمان واربعون كلمة والف وخمسمائة وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الاية عن علي
ابن ابي طالب قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا
روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى اتينا
الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب
او لنلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن
ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت
امرأ ملصقا في قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها اموالهم
واهليهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته
كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم
فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق انه قد صدق فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل
الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل روضة خاخ
موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح والظعينة
المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون
نزلت هذه الاية في حاطب بن ابي بلتعة كما في الحديث وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن
هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت
كنتم الاهل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم
لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها واين انت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة
قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها بني عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوة
وحملوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها

واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب ابن
بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه
السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة
والمقداد بن الاسود وابا مرثد وكانوا فرسانا فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب
من حاطب ابن ابي بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها فان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها
فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت
بالله ما معها من كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي
والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل السيف وقال اخرجي الكتاب والا جردتك ولاضربن عنقك فلما رات
الجد اخرجته من ذوابتها وكانت قد خباته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا
بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل
تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك
ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان
اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل بهم باسه وان كتابي
لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني
اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر
فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله في شان حاطب يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء يعني اصدقاء وانصارا **تلقون اليهم بالمودة** اي باسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم
اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم **وقد كفروا** اي والحال انهم كفروا **بما جاءكم
من الحق** يعني القران **يخرجون الرسول واياكم** يعني من مكة **ان تومنوا** اي لان تومنوا انتم كانه قال
تفعلون ذلك لا لشيء الا لايمانكم **بالله ربكم ان كنتم خرجتم** هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا
في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله **تسرون اليهم بالمودة**
اي بالنصيحة **وانا اعلم بما اخفيتم** من المودة للكفار **وما اعلنتم** اي اظهرتم بالسنتكم منها
ومن يفعله منكم اي الاسرار والقاء المودة اليهم **فقد ضل سواء السبيل** اي اخطا طريق الهدى
ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى **ان يثقفوكم** اي يظفروا بكم ويروكم **يكونوا لكم اعداء ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء** اي بالضرب والقتل والشتم والسب **وودوا** اي تمنوا **لو تكفرون**
اي ترجعون كما كفروا والمعنى ان اعداء الله لا يخلصون المودة لاولياء الله لما بينهم من الخلاف
فلا تناصحوهم انتم ولا توادوهم **لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم** اي لا يدعونكم اي ولا يحملنكم
ذووا ارحامكم وقراباتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وترك
مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة اعدائهم فانه لا ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم
يوم القيامة يفصل بينكم اي فيدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار **والله بما تعملون بصير**
قوله تعالى **قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم** يخاطب حاطبا والمومنين ويامرهم بالاقتداء

بابراهيم

بإبراهيم عليه السلام والذين معه أي من أهل الإيمان إذ قالوا لقومهم يعني المشركين إنا برآء منكم
جمع بريء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أي جحدناكم وأنكرنا دينكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده والمعنى أن إبراهيم عليه السلام وأصحابه تبرؤوا من قومهم
وعادوهم لكفرهم فأمر حاطبا والمؤمنين أن يتأسوا بهم إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك
يعني لكم أن تتأسوا بإبراهيم في جميع أموره إلا في استغفاره لأبيه المشرك فلا تتأسوا به فإن إبراهيم كان
قد قال لأبيه لأستغفرن لك فلما تبين له أنه مات على الكفر تبرأ منه وما أملك لك من الله من شيء هذا
من قول إبراهيم لأبيه يعني ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به وإنما وعده بالاستغفار
رجاء إسلامه وكان من دعاء إبراهيم ومن معه من المؤمنين ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق وقيل معناه لا
تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك واغفر لنا ربنا إنك أنت
العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أي في إبراهيم ومن معه أسوة حسنة أي اقتداء حسن لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة ومن يتول أي يعرض عن الإيمان
ويوالي الكفار فإن الله هو الغني عن خلقه الحميد أي إلى أهل طاعته وأوليائه فلما أمر الله المؤمنين
بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك أنزل الله تعالى
عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم أي من كفار مكة مودة وفعل الله ذلك تعالى ذلك
بأن أسلم كثير منهم وصاروا لهم أولياء وإخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ولان لهم أبو سفيان والله قدير أي على جعل المودة والله غفور
رحيم أي لمن تاب منهم وأسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال الله تعالى
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم أي لا ينهاكم
الله عن بر الذين لم يقاتلوكم وتقسطوا إليهم وتعدلوا فيهم بالإحسان إليهم والبر بهم إن الله يحب
المقسطين أي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك أنهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في أمه أسماء بنت
أبي بكر وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرظا وسمنا وهي مشركة
فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتي حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته
فأنزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها
وتحسن إليها ق عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت
علي وهي مشركة راغبة أفأصلها قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فأنزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم
يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم
في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم وهم مشركو مكة أن تولوهم ومن
يتولهم فأولئك هم الظالمون قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات

فامتحنوهن روايته عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يوميذ وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه
وسلم انه لا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المومنون ذلك وابى سهيل الا ذلك
فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يوميذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال
الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المومنات مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط
ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ وهي عاتق فجاء اهلها يسالون النبي صلى الله عليه
وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها لما انزل الله فيهن اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم
اعلم بايمانهن الى قوله ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن
بهذه الاية يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن
اقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها به ما مست يده يد
امراة قط في المبايعة ما بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى
اذا كان بالحديبية صالحوا مشركو مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من اصحابه
لم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتابا واجتمعوا عليه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة
بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر
وقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف
فانزل الله يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن
قال ابن عباس امتحانهن ان تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا
لحدث احدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم
فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت على ذلك فلم يردها
واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون والمراد بقوله
يا ايها الذين امنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه فكان يمنع من جاءه
من النساء بعد الامتحان ويعطي ازواجهن مهورهن ويرد من جاءه من الرجال واختلف العلماء هل دخل
رد النساء في عقد الهدنة لفظا او عموما فقيل قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله
تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن لفظا صريحا وانما
اطلق العقد فكان ظاهر العموم لاشتماله على النساء مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق
بينهن وبين الرجال في الحكم الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بهن فان علمتموهن مومنات
فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن يعني اذا اقررن بذلك فلا تردوهن
الى الكفار لان الله لم يبح مومنة لكافر وآتوهم يعني ازواجهن الكفار ما انفقوا اي عليهن من
المهر الذي دفعوا اليهن ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن اباح
الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج كفار في دار الحرب لان
الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار ووقعت الفرقة بانقضاء عدتهن فان اسلم الزوج قبل انقضاء

بايمانهن

فان اسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال مالك والاوزاعي والليث وابن سعد ومالك والشافعي
واحمد وقال ابو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** جمع عصمة
وهي ما اعتصم به من العقد والنسب نهى الله تعالى المومنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وان
كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري فلما نزلت هذه
الآية طلق عمر بن الخطاب امراتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابي
سفيان وهما على شركهما والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي ام ابنه عبيد الله فتزوجها ابو
جهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما وكانت اروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة
ابن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده في الاسلام خالد
ابن سعيد بن العاص بن امية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع
فاسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة واسلم فردها
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم **واسألوا** ايها المومنون **ما انفقتم** يعني اذا لحقت امراة منكم بالمشر
كين مرتدة فاطلبوا ما انفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم **وليسألوا** يعني المشركين الذين
لحقت ازواجهم بكم **ما انفقوا** اي من المهر ممن تزوجها منكم **ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم**
قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية لامسك النساء ولم
يرد الصداق وكذلك كان يصنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية اقر المومنون بحكم الله
تعالى وادوا ما امروا به من اداء نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امر من اداء
نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل **وان فاتكم** ايها المومنون **شيء من ازواجكم الى الكفار** اي فلحقن
بهم مرتدات **فعاقبتم** معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم
وكانت العاقبة لكم **فآتوا الذين ذهبت ازواجهم** منكم الى الكفار مرتدات **مثل ما انفقوا** عليهن من الغنائم التي صارت
في ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المومنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم
بنت ابي سفيان تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر
ابن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت
عبد العزيز بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص
ابن وائل وام كلثوم بنت جرول وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول في ان رد مهر من اسلمت من النساء الى ازواجهن
هل كان واجبا او مندوبا واصل هذه المسالة ان الصلح هل كان وقع على رد النساء اولا فيه قولان احدهما
انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روي انه لا ياتيك منا احد الا رددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا
بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح لم يقع على رد النساء
لانه روي عن علي انه قال لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة
في الرد ما يخشى على المراة من اصابة المشرك اياها وانه لا يومن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليه لضعف
قلبها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار الايمان وطمانينة القلب عليه وا

لعله يعنيهم
مثل ما انفقوا وانفقوا
الله الذي انتم به مومنون

يختشى في الاعلى الرجل المعونة وهدايته فعلى هذا كان الامر منسوخا واختلفوا في انه هل يجب العمل به اليوم في
المال ام اشترط في معاقدة الكبار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الاية منسوخة وهو قول عطاء ومجاهد
وقتادة وقال قوم الاية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا قوله تعالى **يا ايها النبي اذا جاءك المومنات**
يبايعنك الاية **قال المفسرون** لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على
الصفا اتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب اسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان
متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك
اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن
فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت
من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت
عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفى الله عنك فقال ولا تزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن
اولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة ابن
ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا ياتين ببهتان**
يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت هند ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق
فقال **ولا يعصينك في معروف** قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء فاقر النسوة
بما اخذ عليهن من البيعة **قال ابن الجوزي** وجملة من احصي من المبايعات اربعمائة وسبع وخمسون
امراة ولم يصافح في البيعة امراة وانما بايعهن بالكلام **وعن عائشة** قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الاية لا يشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم يد امراة لا يملكها واما تفسير الاية فقوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اراد به واد البنات الذي كان
يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
يعني لا تلحق المراة بزوجها غير ولده وذلك ان المراة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك
فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين ايديهن
وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف اي في كل ما تامرهن
به وتنهاهن عنه **وقيل** في كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه رشد **وقيل** هو النهي عن
النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المراة الرجال الاجانب
ولا تخلوا برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو
شرط شرطه على النساء اخرجه البخاري **وعن ام عطية** قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقرا علينا ان لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امراة منا يدها فقالت فلانة
اسعدتني فانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ثم رجعت فبايعها
وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا
بدعوى الجاهلية **عن اسيد بن اسيد** عن امراة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول

على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين

الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نعصيه فيه أن لا نخمش
وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا أخرجه أبو داود عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخذ على النساء حين بايعهن أن لا ينحن فقلن يا رسول الله إن نساء أسعدننا في الجاهلية فنسعدهن
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إسعاد في الإسلام أخرجه النسائي م عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من
جرب عن أبي سعيد الخدري قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة أخرجه أبو داود
وقوله فبايعهن يعني إذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن **واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم**
عن أميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن فقلت
الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا فقلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى **يا أيها**
الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود وذلك أن ناسا من فقراء المسلمين
كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين يتوصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك **قد يئسوا**
من الآخرة يعني اليهود وذلك أنهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وصفته وأنه رسول الله فكذبوه فيئسوا
أن يكون لهم ثواب أو خير في الآخرة **كما يئس الكفار من أصحاب القبور** يعني كما يئس الذين ماتوا على
الكفر وصاروا في القبور من أن يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك أن الكفار إذا دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله
وقيل معناه كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم والمعنى أن اليهود الذين عاينوا النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من الثواب في الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا
إليهم والله أعلم

تفسير سورة الصف وفيه قولان أحدهما أنها مدنية وهو قول ابن

عباس والجمهور والثاني أنها مكية وهي أربعة عشر آية ومائتان وإحدى وعشرون كلمة وتسع
مائة حرف **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **سبح لله ما في السموات وما في**
الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قيل في سبب نزولها ما روي
عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الأعمال
أحب إلى الله لعملناه فأنزل الله سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي
قال المفسرون إن المؤمنين قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا
فأنزل الله عز وجل إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وأنزل هل أدلكم على تجارة تنجيكم الآية
فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين وكرهوا الموت وأحبوا الحياة فأنزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون
وقيل لما أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن
فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية **وقيل** نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت
ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في المنافقين وذلك أنهم كانوا

يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون كبر مقتا عند الله أي أعظم بغضا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون
معناه معناه أن تعدوا من أنفسكم شيئا ثم لم تفوا به إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم كأنهم بنيان مرصوص أي قد رص بعضه
ببعض وألزق بعضه إلى بعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف والمعنى أن الله تعالى
يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص قوله تعالى وإذ قال موسى
لقومه أي واذكر يا محمد لقومك إذ قال موسى لقومه بني إسرائيل يا قوم لم تؤذونني وقيل إنهم كانوا
يؤذونه بأنواع من الأذى والتعنت منه قولهم أرنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها أنهم رموه
بالأدرة وقد تعلمون أني رسول الله إليكم يعني تؤذونني وأنتم عالمين علما قطعيا أني رسول الله إليكم
والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى فلما زاغوا أي عدلوا ومالوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم أي
أمالها عن الحق الذي جزاء والله لا يهدي القوم الفاسقين أي لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق خارج
عن طاعته وهذا تنبيه على عظم إيذاء الرسول حتى أن إيذاءهم يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى
وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم أي إني رسول أرسلت إليكم بالوصف
الذي وصفت به في التوراة مصدقا لما بين يدي من التوراة أي إني مقر ومعترف بأحكام التوراة
وبكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم ومبشرا برسول يأتي من بعدي أي يصدق بالتوراة على
مثل تصديقي فكأنه قيل له ما اسمه فقال اسمه أحمد عن أبي موسى قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم أصحابه أن يأتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول أشهد أن محمدا رسول الله وأنه
الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل نعليه أخرجه أبو داود
عن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه فقال أبو داود
المدني قد بقي في البيت موضع قبر أخرجه الترمذي عن كعب الأحبار أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل
بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق
ويرضى الله منهم باليسير من العمل ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي خمسة
أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب
الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤوفا رحيما وأحمد يحتمل معنيين أحدهما أنه مبالغة من الفاعل
ومعناه أن الأنبياء حامدون لله عز وجل وهو أكثر حمدا لله من غيره والثاني أنه مبالغة من المفعول ومعناه
أن الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن والأخلاق
التي يحمد بها من غيره فلما جاءهم بالبينات قيل هو عيسى عليه السلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا هذا سحر مبين أي ظاهر ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب أي ومن أقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه
أي يكذب على الله وذلك أنهم جعلوا الثانا الواضح نعمة من الله ثم كفروا به وهو يدعى إلى الإسلام معنى الآية
أي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين
فجعل مكان إجابته افتراء الكذب على الله بقولهم هذا سحر مبين والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يوفقهم للهداية
لما علم من حالهم عقوبة لهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم يعني أرادوا ثم إبطال الإسلام بقولهم

في القرآن

في القرآن سمي **والله متم نوره** اي متم الحق ومظهره ومبلغه غايته **وقال ابن عباس** مظهر دينه
ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أي
ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام
ولو كره المشركون قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم** نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله عز وجل لعملناه وانما سماه تجارة لانهم

لعله لو نعلم

يربحون فيه رضى الله ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى **تومنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم** اي الذي امرتكم به من الايمان
والجهاد في سبيله **ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم** هذا جواب قوله تومنون بالله ورسوله
وتجاهدون لان معناه معنى الامر المعنى آمنوا بالله وجاهدوا في سبيله اي اذا فعلتم ذلك يغفر لكم
ذنوبكم **ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن
ذلك الفوز العظيم** يعني هذا الجزاء الذي ذكر هو الفوز العظيم **واخرى تحبونها** اي ولكم تجارة أخرى
وقيل لكم خصلة اخرى تحبونها في العاجل من ثواب الآخرة وتلك الخصلة **نصر من الله وفتح قريب**
قيل هو النصر على قريش وفتح مكة **وقيل** فتح فارس والروم **وبشر المومنين** اي يا محمد بالنصر
في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى **يا ايها الذين آمنوا
كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله** اي مع الله
والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من انصاري الى الله **قال الحواريون
نحن انصار الله** وكانوا اثني عشر رجلا أول من آمن بعيسى عليه السلام وحواري الرجل صفيه وخاصته
ومنه قوله عليه السلام حواري الزبير **فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة** قال
ابن عباس في زمن عيسى عليه السلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فقالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا
كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المومنون واتبع كل فرقة منهم طائفة
من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المومنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت
الفرقة المومنة على الكافرة فذلك قوله **فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين**
اي غالبين وقيل معناه فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح
الله وكلمته والله أعلم

تفسير سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية ومائة وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **يسبح لله ما في السماوات وما في
الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين** يعني العرب وكانت العرب
امة امية لا تكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم نبي الله **وقيل** الامي هو الذي هو على ما خلق عليه
كانه منسوب الى امه **رسولا منهم** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم **وقيل**
اميا مثلهم وانما كان اميا لان نعته في كتب الانبياء النبي الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم
الاستعانة بالكتابة على ما اتى به من الوحي والحكمة وليكون حاله مشاكلة لحال الامة الذين بعث فيهم

وذلك أنه في الصحف فيهم يتلوا عليهم آياته أي التي تبين رسالته وقيل آياته النبي يميز بها الحلال والحرام والحق
من الباطل ويزكيهم أي يطهرهم من دنس الشرك ويعلمهم الكتاب يعني القرآن وقيل الفرائض والحكمة
قيل هي السنة وإن كانوا من قبل أي من قبل إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم لفي ضلال مبين وآخرين
منهم أي من المؤمنين الذين يدينوا بدينهم لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم فإن المسلمين كلهم أمة واحدة وقيل إنهم
لاحقين من العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير رواية عن مجاهد ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال كنا
جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال
له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسي فينا فوضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء أخرجاه
في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى
يوم القيامة لما يلحقوا بهم أي لم يدركوهم ولكنهم جاءوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في الفضل والسابقة
لأن التابعين لا يدركون شأن الصحابة وهو العزيز أي الغالب الذي قهر الجبابرة الحكيم أي الذي يجعل كل مخلوق
يشهد بوحدانيته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني الإسلام وقيل النبوة خص بها محمدا
صلى الله عليه وسلم والله ذو الفضل العظيم أي على خلقه حيث أرسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم و
قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة يعني اليهود كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ثم لم يحملوها كمثل
الحمار يحمل أسفارا جمع سفر وهي الكتب العظام سمي سفرا لأنه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه
الله تعالى لليهود الذين أعرضوا عن العمل بالتوراة وبالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبه اليهود إذ لم ينتفعوا بما
في التوراة الدالة على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك
اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم
يعمل بما فيه وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل
أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى بئس مثل القوم أي بئس
مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما أتى به من آيات القرآن
وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لأنهم كذبوا بها حين تركوا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله
لا يهدي القوم الظالمين أي لا يهدي من سبق في علمه أنه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا أنفسهم
بتكذيب آيات الله وأنبيائه قل يا محمد يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس س
أي من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فتمنوا الموت أي ادعوا على أنفسكم بالموت إن كنتم صادقين أي فيما
زعمتم أنكم أولياء الله وأحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه لأن الآخرة خير لأولياء الله من الدنيا ولا
يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم أي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب والله عليم بالظالمين قل إن
الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم أي لا ينفعكم الفرار منه ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة ءء
فينبئكم بما كنتم تعملون فيه ويجزيكم قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة
أي لوقت الصلاة من يوم الجمعة أي في يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة
لأنه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان إذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر أذن بلال

خ عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء زاد في رواية فثبت الامر على ذلك ولابي داود قال كان يؤذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد ونحوه :: الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمى هذا الاسم اليوم جمعة كعب بن لؤي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لؤي وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة :: عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم مثل ذلك فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم انزل الله في ذلك بعد وعن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا ابت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون قال اربعون اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه على ما ذكره اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين اشتد الضحى فاقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله فاسعوا الى ذكر الله أي فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعي الاسراع في المشي انما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان ياتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة في هذه الاية فاسعوا الى ذكر الله قال السعي ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعي يقول فلما مشى معه ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي رواية اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها تسعون واتوها تمشون عليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو في الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام وذروا البيع يعني البيع والشراء لان اسم البيع يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء ذلكم أي الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع خير لكم أي من المبايعة في ذلك الوقت ان كنتم تعلمون أي مصالح انفسكم

فصل

في فضل الجمعة واحكامها واثم تاركها وفيه مسائل المسألة الاولى في فضلها

م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق
ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها زاد في رواية ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة ق وعنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسال الله شيئا الا اعطاه
اياه واشار بيده يقللها ق وعنه صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما
قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا
اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا
خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وفي رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد
ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر قوله من
اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة م وعنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة
ومن مس الحصا فقد لغى معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فيجعله كاللاغي خ
عن عباية قال ادركني ابو عبس وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار عن ابي هريرة قال خرجت الى الطور فلقيت
كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيما
حدثته ان قلت له قال رسول الله خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه اهبط
وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس
شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسال الله شيئا الا
اعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرا كعب التوراة فقال صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة لقد لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب
الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة قال عبد الله بن سلام قد علمت اي ساعة هي قال ابو هريرة فقلت اخبرني
بها ولا تضن علي وفي نسخة ولا تظن علي فقال هي اخر ساعة في يوم الجمعة قال ابو هريرة فقلت
وكيف تكون اخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم
وهو يصلي وتلك ساعة لا يصلى فيها قال عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا
ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك اخرجه مالك في الموطا والنسائي
خ عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع
من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت
اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى عن اوس ابن اوس الثقفي قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام
ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة اجر عمل سنة صيامها وقيامها اخرجه ابو داود والنسائي قال ابو داود
سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل راسه وجسده المسالة الثالثة في اثم
تاركها م عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفيه تيب عليه

يقول على

يقول على منبره لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين عن ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه أخرجه ابو داود والنسائي والترمذي نحوه **عن ابن مسعود** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت ان آمر رجلا ان يصلي بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم **المسألة الثالثة** في تاكيد وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فيجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد اما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل على ذلك ما روي عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا على اربعة عبد مملوك او امراة او صبي او مريض اخرجه ابو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا **عن عبد الله** ابن عمرو بن العاصي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء اخرجه ابو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم

الى اهله اخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن احمد في العبيد روايتان **وتجب الجمعة** على اهل القرى والبوادي اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحاق والشرط ان يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون في موضع الجمعة في القرب على هذا القدر تجب على اهلها حضور الجمعة **وقال** سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال **وقال** ابو حنيفة لا جمعة على اهل السواد سواء كانت القرية قريبة او بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين **و**لابي داود نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى البحرين **المسألة الرابعة** في تركها للعذر وكل من له عذر من مرض او تعهد مريض او خوف جاز له ترك الجمعة وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس انه خطب في يوم ذي ردغ فامر المؤذن لما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كانهم انكروا فقال كانكم انكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة واني كرهت ان احرجكم وفي رواية فتمشون في الطين والدحض والزلل اخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر كمل به العدد **المسألة الخامسة** في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة **اختلف اهل العلم في العدد** الذي تنعقد بهم الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بان يكونوا احرارا عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم والي والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن ابي طالب لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول اصحاب الرأي ثم عند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط عنده وقال الاوزاعي

وابو حنيفة تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم والٍ وقال الحسين تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة
تنعقد باثني عشر بانفسهم رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة وكالعبيد والمسافرين والمرأة والصبي
ولا تنعقد الا في موضع واحد من البلد وبه قال مالك والشافعي وابو يوسف وقال احمد تصح في موضعين
اذا كثر الناس وضاق الجامع المسئلة السفر لا يجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال
اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره
الا ان يكون سفره سفر طاعة ونحو ذهب لحج او غزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما
فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ما روي عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله
ابن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان
اصلي معك ثم الحقهم فقال لو انفقت ما في الارض ما ادركت فضل غدوتهم انتهى التنبيه وروي
ان عمر رأى رجلا عليه اهبة السفر سمعه يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج
فان الجمعة لا تحبس عن سفر وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر
كفاية والله اعلم قوله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض اي فاذا فرغ من صلاة
الجمعة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوائجكم وابتغوا من فضل الله يعني الرزق وهذا
امر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل
فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل
وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك ابن مالك كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب
المسجد وقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت
خير الرازقين واذكروا الله كثيرا اي اذا رجعتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا
الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة وقيل لا يكون من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكره قائما
وقاعدا ومضطجعا لعلكم تفلحون قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك
قائما ق عن جابر قال بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا
اليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها وتركوك قائما وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشام وذكر
نحوه وفيه صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فيهم ابو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا انا فيهم وذكره وفي
هذا الحديث حجة لمن يرى صحة الجمعة باثني عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان انه ابتدأ
الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس في رواية عنه لم يبق
في المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن
خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما راوه بالبقيع قاموا
اليه خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه

الاية

هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم احد لسال بكم الوادي
نارا وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة
الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم يبق عاتق بالمدينة الا اتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من
دقيق وبر وغيره وينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس
بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم في ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه
قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لقد سومت لوهم
لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الاية واراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة
استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اليها اي تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير في اليها
راجع الى التجارة لانها اهم اليهم وتركوك قائما اتفقوا على ان هذا القيام كان في خطبة الجمعة ق
قال علقمة سئل ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما او قاعدا فقال اما تقرأ
وتركوك قائما قال العلماء الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة
ويجب ان يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابو حنيفة واحمد لا يشترط
القيام ولا القعود ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في احد قوليه واقل ما يقع عليه اسم
الخطبة ان يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاثة فرض في الخطبتين
جميعا ويجب ان يقرأ في الاولى اية من القران ويدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه
الخمس لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي وذهب ابو حنيفة الى انه لو اتى بتسبيحة
او تحميدة او تكبيرة اجزاه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مامور بالخطبة والسنة
للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا لابي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام
في حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء ولا خلاف انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلي تحية
المسجد والامام يخطب خلافا لابي حنيفة ومالك ذكر الاحاديث الواردة في هذه
الاحكام ق عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية اخرى
كان يخطب يوم الجمعة قائما ثم يجلس ثم يقوم قال كما يفعلون الان م عن جابر بن سمرة قال كانت للنبي
صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القران ويذكر الناس زاد في رواية من حدثك انه كان يخطب جالسا
فقد كذب م عن كعب بن عجرة انه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا الى هذا
الخبيث يخطب قاعدا وقال الله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما م عن جابر
ابن سمرة قال كنت اصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا
زاد ابو داود يقرأ ايات من القران ويذكر الناس م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء اخرجه ابو داود والترمذي ولابي داود عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كل امر لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اجذم عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهده الله

فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد أن لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فلا هادي
ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا
يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا وفي رواية ان يونس سال ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسال ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله
ويجتنب سخطه انما نحن به وله اخرجه ابو داود م عن جابر رضي الله عنه قال كانت خطبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول على اثر ذلك وقد رفع
صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة
كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير
الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مومن من نفسه من ترك مالا فلاهله
ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي عن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى
على المنبر استقبلناه بوجوهنا اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت عن نافع ان ابن عمر راى رجلين
يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما ان اصمتا اخرجه مالك في الموطا قال ابن شهاب خروج
الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فاما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما الامام بالقراءة
ولجواز الجمعة خمس شرائط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد
والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه الشرائط يجب ان يصلوا ظهرا ولا يجوز للامام أن
يبتدئ الخطبة قبل اجتماع العدد وهو عدد اربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم
انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انفض واحد من العدد لا يجوز ان يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر
ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فللشافعي فيه اقوال اصحها ان بقاء الاربعين شرط الى اخر الصلاة
كما ان بقاء الوقت شرط الى اخر الصلاة فلو انفض واحد قبل ان يسلم الامام يجب على الباقين ان يصلوا
ظهرا وفيه قول اخر وهو ان بقي معه اثنان انها جمعة وقيل ان بقي معه واحد انها جمعة
وعن المزني ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة انها جمعة وان بقي وحده وان كان في الركعة الاولى
يتمها اربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة للكل في العدد الذي يشترط فيما المسبوق
اذا ادرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام اتمها جمعة وان ادرك اقل من ركعة اتمها اربعا
خ عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس م عن عبيد الله
ابن رافع قال استخلف مروان ابا هريرة على المدينة وخرج الى مكة وصلى لنا ابو هريرة الجمعة فقرا بعد
الجمعة سورة الجمعة في الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية قال فادركت ابا هريرة حين انصرف
فقلت له انك قرات بسورتين كان علي بن ابي طالب يقرا بهما في الكوفة فقال ابو هريرة سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا بهما م عن النعمان ابن بشير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا
في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة
في يوم واحد يقرا بهما في الصلاتين عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الجمعة

بسبح اسم

بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية اخرجه ابو داود والنسائي قوله تعالى قل ما عند الله
خير من اللهو ومن التجارة اي ما عند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله
عليه وسلم خير من اللهو والتجارة اي التي جاء بها دحية والله خير الرازقين يعني ان الله تعالى موجد
الارزاق واطلبوا منه فاياه فاسالوا ومنه فاطلبوا والله اعلم

تفسير سورة المنافقين مدنية وهي احد عشر آية وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون يعني عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه قالوا نشهد انك لرسول
الله وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى والله يعلم انك لرسوله اي هو الذي ارسلك فهو
عالم بك والله يشهد ان المنافقين لكاذبون يعني في قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم اضمروا
خلاف ما اظهروا وذلك ان حقيقة الايمان ان يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن اخبر عن شيء
واعتقد خلافه او اضمر خلاف ما اظهر فهو كاذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد
انك لرسول الله وسماهم كذابين لان قولهم خلاف اعتقادهم اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة
يستترون بها من القتل ومعنى ايمانهم ما اخبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك
لرسول الله فصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل
منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم انهم ساء ما كانوا يعملون يعني حيث
آثروا الكفر على الايمان ذلك بانهم آمنوا اي في الظاهر وذلك اذا راوا المومنين اقروا بالايمان ثم كفروا
في السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تاكيد لقوله والله يشهد انهم لكاذبون فطبع على قلوبهم اي
بالكفر فهم لا يفقهون اي الايمان وقيل لا يتدبرون القرآن واذا رايتهم يعني المنافقين مثل
عبد الله بن ابي بن سلول تعجبك اجسامهم يعني ان لهم اجساما ومناظر حسنة وان يقولوا تسمع
لقولهم اي فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي جسيما فصيحا ذلق
اللسان فاذا قال سمع النبي قوله صلى الله عليه وسلم قوله كانهم خشب مسندة اي اشباح بلا ارواح
واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة الى الجدار وليست بالاشجار المثمرة ينتفع بها
يحسبون كل صيحة عليهم يعني انهم لا يسمعون صوتا في العسكر بان ينادي مناد او انفلتت
دابة او انشدت ضالة الا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد اتوا لما في قلوبهم
من الرعب وقيل لانهم على وجل وخوف من ان ينزل فيهم امر يهتك استارهم ويبيح دماءهم
وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى هم العدو فاحذرهم فيعني انهم وان كانوا معك
ويظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم اي لا تامنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار وينقلون
اليهم من اسرارك قاتلهم الله اي لعنهم الله انى يوفكون اي يصرفون عن الحق قوله تعالى واذا قيل
لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم اي اما لوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن
الاستغفار ورايتهم يصدون اي يعرضون عما دعوا اليه وهم مستكبرون عن استغفار رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم سواء عليهم استغفرت لهم اي يا محمد ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم

إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ذكر القصة في سبب نزول هذه الآية قال محمد بن إسحاق
وغيره من أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون له وقائدهم الحارث
ابن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحف الناس
واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وأمكن منهم وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم
ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليه فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب
أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبرة الجهني
حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري يا معشر
المهاجرين وأعان جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن أبي لجعال إنك لهناك
فقال جعال وما يمنعني أن أفعل ذلك فغضب عبد الله بن أبي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم وهو
غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبي أفعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا
ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها
الأذل ثم أقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم
أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا إلى غير بلادكم
فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك
ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبي اسكت فإنما
كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر
وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل
أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس
وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذي
بلغني فقال عبد الله والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب وكان عبد الله في
قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد وهم في حديثه
ولم يحفظ ما قال فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد في الأنصار وكذبوه وقال له عمه
وكان زيد معه ما أردت إلا أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير
النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيى بعد ذلك أن يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله
لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما بلغك ما قال
صاحبكم عبد الله بن أبي فقال أسيد وما قال قال زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل فقال
أسيد أنت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد
جاءك الله به وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه يرى أنك قد سلبته ملكا وبلغ
عبد الله بن عبد الله بن أبي [illegible] عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتل أبيه فجاء إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال بلغني انك تريد قتل عبد الله بن ابي فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك
راسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني واني اخشى ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني
نفسي انظر الى قاتل عبد الله ابن ابي يمشي على الارض فاقتله فاقتل مسلما بكافر فادخل النار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله
صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى امسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس
فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن
ابي الذي كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعاء فهاجت
ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة قيل من هو قال
رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته
الا يخبره الذي ياتيه بالوحي فأتاه جبريل عليه السلام فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فاخبر بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله اخبرني بقول
المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا
هي كما قال فجاءوا بها وآمن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد
ابن التابوت قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن ارقم جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فانزل الله عز وجل
سورة المنافقين في تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبد الله بن ابي فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم باذن زيد فقال يا زيد ان الله قد صدقك واوفى باذنك ق عن زيد بن ارقم قال خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابي لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله ابن ابي فساله فاجتهد يمينه
ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى انزل
تصديقي اذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤوسهم
وقوله كانهم خشب مسندة قالوا كانوا رجالا أجمل شيء ق عن جابر قال غزونا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع
انصاريا فغضب الانصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصاري يا للانصار وقال المهاجري يا ل
المهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما شانهم فاخبر بكسعة
المهاجري الانصاري فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبد الله بن ابي بن سلول قد تداعوا علينا
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فقال عمر الا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية وفيه فقال لا باس ولينصر
الرجل اخاه ظالما كان او مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد

الترمذي فيه وقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل ورسول الله العزيز ففعل قال
أصحاب السير وكان عبد الله بن أبي بفم المدينة فلما أراد أن يدخله جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله حتى أناخ
على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك قال ما لك ويلك قال لا والله لا تدخله
أبدا إلا أن يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الأعز من الأذل فشكى عبد الله بن أبي إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه عبد الله فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خل عنه يدخل فقال عبد
الله أما إذا جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل فلم يلبث إلا أياما قلائل حتى نزلت هذه السورة وبان كذب عبد الله
ابن أبي قيل يا أبا حباب قد نزل فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه
وقال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فأنزل الله تعالى
وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم الآية ونزل هم الذين يقولون لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا أي يتفرقوا عنه ولله خزائن السماوات والأرض أي بيده مفاتيح الرزق
فلا يعطي أحد شيئا أحدا إلا بإذنه ولا يمنعه إلا بمشيئته ولكن المنافقين لا يفقهون يعني أن أمره إذا
أراد شيئا أن يقول له كن فيكون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة يعني من غزوة بني المصطلق ليخرجن الأعز
منها الأذل فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من
دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم إظهار دينه على الأديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم
ولكن المنافقين لا يعلمون أي ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال أصحاب السير فلما نزلت هذه
الآيات في عبد الله بن أبي فلم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه قوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا لا تلهكم أي لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله يعني عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم
أموالكم ولا أولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله ومن يفعل ذلك أي ومن شغله ماله وولده عن ذكر
الله فأولئك هم الخاسرون أي في تجارتهم حيث آثروا الفاني على الباقي وأنفقوا مما رزقناكم قال
ابن عباس يريد زكاة الأموال من قبل أن يأتي أحدكم الموت أي دليل الموت ومقدماته وعلاماته
فيسأل الرجعة فيقول رب لولا أخرتني أي هلا أمهلتني وقيل لو أخرت أجلي إلى أجل قريب
فأصدق أي فأزكي مالي وأكن وقوي وأكون من الصالحين أي المؤمنين وقيل هذه الآية نزلت
في المنافقين ويدل على هذا أن المؤمن لا يسأل الرجعة وقيل الآية نزلت في المؤمنين والمراد هنا الحج
قال ابن عباس ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤد زكاته وأطاق الحج ولم يحج إلا سأل الرجعة
عند الموت وقرأ هذه الآية قال وأكن من الصالحين أي أحج وأزكي ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها
يعني أنه تعالى لا يؤخر من حضر أجله وانقضت مدته والله خبير بما تعملون أي إنه لو رد إلى الدنيا ما حج
إلى ما سأل ما حج ولا زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من الخير أو شر والله أعلم

تفسير سورة التغابن مدنية في قول الأكثرين وقيل هي مكية
قيل إلا ثلاث آيات من قوله يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم إلى آخر
الثلاث آيات وهي ثمانية عشر آية ومائتان وأحد وأربعون كلمة وألف
وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما

السموات

[illegible] وجه التعلق بما قبلها [illegible] ... ثم إن [illegible] السورة [illegible] للمنافقين ... [illegible] السورة مشتملة على ... [illegible] ... وهذه السورة ... [illegible] ... الله عليم ... [illegible] ... السموات ... [illegible]

السموات وما في الارض له الملك وله الحمد يعني انه تعالى منفرد في ملكه كيف يشاء وتصرف اختصاص لا شريك
له فيه وله الحمد لان اصول النعم كلها منه وهو المحمود على كل حال فلا محمود في جميع الاحوال الا هو
وهو على كل شيء قدير يعني انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع هو الذي
خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بني آدم مومنا وكافرا ثم يعيدهم
يوم القيامة كما خلقهم مومنا وكافرا م عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق
للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب آبائهم ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله
بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقه قال
يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال جماعة
في معنى الآية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر
حياته مومن في العاقبة ومنكم مومن حياته كافر في العاقبة وقال عطاء بن ابي رباح فمنكم كافر بالله
مومن بالكوكب ومنكم مومن بالله كافر بالكوكب وقيل فمنكم كافر بان الله خلقه وهم
الدهرية واصحاب الطبائع ومنكم مومن بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر
وكفره فعلا له وكسبا وخلق المومن وايمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب
واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمومن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله
اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله قدر ذلك عليه وعلمه
منه وهذا طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبر والقدر والله بما
تعملون بصير اي انه عالم بكفر الكافر وايمان المومن هو الذي خلق السموات والارض بالحق
وصوركم فاحسن صوركم اي انه تعالى احكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن
القامة والمناسبة في الاعضاء وذلك علم ان صورة الانسان احسن صورة واكملها واليه المصير اي المرجع
في القيامة يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات
الصدور ومعناه انه لا يخفى عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ۞
قوله تعالى الم ياتكم يخاطب كفار مكة نبا الذين كفروا من قبل يعني خبر الامم الخالية فذاقوا
وبال امرهم اي جزاء اعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ولهم عذاب اليم اي في الآخرة ذلك
اي الذي نزل بهم من العذاب بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا معناه
انهم انكروا ان يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم
حجرا فكفروا اي جحدوا وانكروا وتولوا اي اعرضوا واستغنى الله اي عن ايمانهم وعبادتهم
والله غني اي عن خلقه حميد اي في افعاله ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل اي قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن اي يوم القيامة ثم لتنبؤن
اي لتخبرن بما عملتم وذلك على الله يسير اي امر البعث والحساب يوم القيامة فآمنوا بالله
ورسوله لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم يوم القيامة من العذاب قال فآمنوا انتم بالله ورسوله
لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة والنور الذي انزلنا يعني القرآن سماه نورا لانه يهتدى به في ظلمات

الضلالة كما يهتدي بالنور في الظلمة والله بما تعملون خبير يعني انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه قوله تعالى عز وجل يوم يجمعكم ليوم الجمع يعني يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السموات واهل الارض ذلك يوم التغابن من الغبن وهو فوت الحظ والمراد في المجاوزة والتجارة وذلك اذا اخذ الشيء بدون قيمته فقد غبن فالمغبون من غبن في اهله ومنازله في الجنة وذلك لان كل كافر له اهل ومنزل في الجنة لو اسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مومن بتقصيره في الاحسان وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الاخرة غابنا الظالم واصل الغبن في البيع والشرا وقد ذكر الله في حق الكافرين انهم خسروا وغبنوا اشتراوهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المومنين هل ادلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المومنين ومن يومن بالله اي على ما جاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار ويعمل صالحا اي في ايمانه الى ان يموت على ذلك يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اي الدالة على البعث اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبيس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بقضاء الله وقدره وارادته ومن يومن بالله اي يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت او مرض او ذهاب مال ونحوه الا بقضاء الله وقدره وارادته يهد قلبه اي يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله وقدره وقيل يهدي قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والله بكل شيء عليم واطيعوا الله اي فيما امر الله واطيعوا الرسول اي فيما جاء به عن الله وما امركم به فان توليتم اي عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو اي لا معبود ولا مقصود الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم عن ابن عباس قال هولاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا نصبر على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله فاحذروهم ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فراى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فامرهم الله بالعفو عنهم والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم ويقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم ان تقبلوا منهم . وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا

اي بو حرابمنة الله وقدرته

اي فلا تعاقبوهم

أي فلا تعاقبوهم على خلافكم فإن الله غفور رحيم إنما أموالكم وأولادكم فتنة أي بلاء واختبار
وشغل عن الآخرة وقد يقع الإنسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو
ذلك والله عنده أجر عظيم يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب الأولاد ولا تؤثروهم
على ما عند الله من الأجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل من للتبعيض فقال إن من
أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لأن كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر من في قوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة لأنهم
لا يخلون عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن أحدكم اللهم
إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس منكم أحد يرجع إلى أهل ومال وولد إلا مشتمل على فتنة ولكن ليقل
اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا
فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين
يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وقوله فاتقوا الله ما استطعتم أي ما أطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته
واسمعوا وأطيعوا أي لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه وأنفقوا أي من أموالكم في حق الله
الذي أوجبه عليكم خيرا لأنفسكم أي ما أنفقتم في طاعة الله ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون
تقدم تفسيره إن تقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيب نفس
أي إن تنفقوا في طاعة الله متقربين إلى الله بالإنفاق يضاعفه لكم أي يجزكم بالضعف إلى سبعمائة
أي ما شاء من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يعني يحب المتقربين إليه حليم أي لا يعجل بالعقوبة
أي مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم والله أعلم

تفسير سورة الطلاق مدنية وهي ثنتا عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا أيها النبي إذا طلقتم النساء نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لأنه المقدم عليهم فإذا
خوطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا أيها النبي قل لأمتك فأضمر القول
إذا طلقتم النساء أي إذا أردتم تطليقهن فطلقوهن لعدتهن أي لزمان عدتهن وهو الطهر لأنها تعتد
بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر
يقرآن فطلقوهن في قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لأن غير المدخول بها لا عدة عليها قيل نزلت
هذه الآية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته في حال الحيض ق عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر
ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها
ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي
أمر الله أن يطلق لها النساء وزاد في رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها
عبد الله كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا ولمسلم من حديث أبي الزبير أنه سمع عبد

عبد الرحمن بن ايمن مولى عروة يسال ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف ترى في رجل طلق امراته حائضا فقال طلق ابن عمر امراته حائضا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك
قال ابن عمر وقرا النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن في قبل عدتهن

فصل

اعلم ان الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى
الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل ان يمس والطلاق السني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة
تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض او طلق الصغيرة التي لم تحض او الايسة
بعد ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها او في حال رؤية الدم لا يكون بدعيا لان النبي صلى الله عليه
وسلم ولا سنة ولا بدعة في طلاق هولاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا او حاملا
والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس
في مخالعة زوجته من غير ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لاشبه ان يتعرف الحال ولو طلق
امراته في حال الحيض او في طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لم يامره بالمراجعة وان راجعها
في حال الحيض يجوز ان يطلقها في الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس رواه يونس بن جبير وانس
ابن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض
ثم تطهر فامر استحباب استحب تاخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا يكون مراجعته اياها للطلاق كما
يكره النكاح للطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض اهل العلم حتى لو طلق امراته في حال
الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعي واحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب
الراي قوله تعالى **واحصوا العدة** اي عدد اقرائها فاحفظوها قيل امر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على
الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى ۞
واتقوا الله ربكم اي واخشوا الله ولا تعصوه فيما امركم به **لا تخرجوهن من بيوتهن** يعني اذا كان لها
المسكن الذي طلقها فيه الى الزوج للزوج بملك او كراء وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج ان يكتري لها
منزلا غيره ولا يجوز للزوج ان يخرج المراة من المسكن الذي طلقها فيه **ولا يخرجن** يعني لا يجوز للمراة ان تخرج
ما لم تنقض عدتها بحق الله تعالى فاذا خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما او
غرقا جاز لها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل او شراء قطن جاز لها الخروج نهارا
ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا فاذن لهن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تاوي كل امراة الى بيتها واذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر طلقها زوجها ان تخرج لجداد نخلها واذا لزمتها في السفر تعتد ذاهبة وراجعة
والبدوية تتبوى حيث يتبوى اهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم قوله
تعالى **الا ان ياتين بفاحشة مبينة** قال ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذو على اهل زوجها
فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل اراد بالفاحشة ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك
عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز
وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة **وتلك حدود الله** اي فيطلق لغير السنة او يجاوزها

//الاحكام

فاحكام وقد ظلم نفسه اي ضر نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي يوقع في قلب
الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب ان يفرق الطلاق ولا يوقع الثلاث
دفعة واحدة حتى اذا ندم امكنه المراجعة عن محارب ابن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما
احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق من غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي ◎
قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي اذا قربن من انقضاء عدتهن فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف
او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيبن منكم واشهدوا ذوي عدل منكم اي على
الرجعة والفراق امر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق عن عمران ابن حصين انه سئل عن رجل يطلق
امراته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة ورجعت لغير سنة
اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد اخرجه ابو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة
كما في قوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة
هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احد الزوجين فيدعي الاخر
ثبوت الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة المراجعة فتنقضي العدة
وتنكح زوجا اخر واقيموا الشهادة يعني ايها الشهود لله اي طلبا لمرضات الله وقياما بوصيته
والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على الصحة ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ومن
يتق الله يجعل له مخرجا قيل معناه ومن يطلق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة قال
اكثر المفسرين نزلت في عوف ابن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى مالكا فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اسر العدو ابني وشكى اليه فاقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر
واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه
العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء
بها الى ابيه وهي اربعة الاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا اي في ابنه ويرزقه من حيث
لا يحتسب يعني ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبي صلى الله
عليه وسلم واخبره الخبر وساله أيحل له ان ياكل ما اتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت
الاية وقال ابن عباس ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه
وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه
الله عنه ومن يتوكل على الله فهو حسبه يعني ومن يثق بالله فيما نابه كفاه ما اهمه وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
ان الله بالغ امره اي منفذ امره ممض في خلقه ما قضاه قد جعل الله لكل شيء قدرا اي جعل لكل شيء من
شدة او رخاء اجلا ينتهي اليه وقال مسروق في هذه الاية ان الله بالغ امره توكل عليه ام لم يتوكل
عليه غير ان المتوكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قوله عز وجل واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد ابن النعمان بن قيس الانصاري

قال ابغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا رسول الله بما عدة من لم يحض والتي لم تحض وعدة الحبلى فانزل الله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
يعني القواعد اللاتي قعدن عن الحيض فلا يرجون ان يحضن وهن العجائز اللاتي يئسن من الحيض ان ارتبتم اي شككتم
في حكمهن فلم تدروا ما عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن يعني الصغار اللاتي لم يحضن بعد
فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب
اكثر اهل العلم ان عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة
اشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي
واصحاب الرأي وحكي عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض تعتد بثلاثة اشهر وهو قول مالك
وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض تعتد بثلاثة اشهر وهذا كله في عدة الطلاق واما المتوفى عنها
زوجها فعدتها اربعة اشهر وهذا كله في عدة الطلاق سواء كانت ممن تحيض او لا تحيض واما الحامل
فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها او مات عنها وهو قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن
شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها
تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي اراك متجملة للخطاب ترجين
النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت
علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتاني باني قد حللت حين
وضعت حملي وامرني بالتزويج ان بدا لي لفظ البخاري ومسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج
حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى تطهر ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا
اي يسهل عليه امر الدنيا والاخرة ذلك الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم اي لتعملوا به
ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قوله تعالى اسكنوهن يعني مطلقات نسائكم
من حيث سكنتم من وجدكم اي من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة
وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة ولا تضاروهن اي لا تؤذوهن لتضيقوا عليهن يعني مساكنهن فيخرجن
وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن اي فيخرجن من عدتهن

فصل

في حكم الاية اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني
بالسكنى مؤونة السكنى فان كانت الدار التي طلقها فيها الزوج ملكا للزوج يجب عليه ان يخرج منها ويترك
الدار لها مدة عدتها وان كانت باجرة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكتري لها
دارا تسكنها واما المعتدة البائنة بالخلع وبالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا
كانت او غير حامل عند اكثر اهل العلم وروي عن ابن عباس انه قال لا سكنى لها الا ان تكون حاملا وهو
قول الحسن والشعبي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم الى انه لا نفقة لها الا ان تكون حاملا روي ذلك عن ابن
عباس وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي واحمد ومنهم من اوجبها بكل حال روي ذلك عن
ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري واصحاب الرأي وظاهر القرآن يدل على انها لا تستحق
الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن واما الدليل على ذلك من السنة فما روي

عن فاطمة

ثيا لحم

عن فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته
فقال والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ليس لك عليه
نفقة فامرها ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها اصحابي اعتدي عند ابن ام مكتوم
فانه رجل اعمى تضعين ثيابك فاذا حللت فآذنيني قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن ابي سفيان
وابا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما
معاوية فصعلوك لا مال له انكحي اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي اسامة بن زيد فنكحته فجعل
الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم **ولحجة بهذا الحديث** من لم يجعل لها سكنى
وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد في بيت عمرو بن ام مكتوم ولا حجة لهم فيه لما روي عن
عائشة انها قالت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما
نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها ذرابة **واما المعتدة عن وطئ**
الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا واما
المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر العلم وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا
من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي
فيه قولان احدهما ان لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه
قال عطاء والحسن وهو قول ابي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن
مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري واحمد واسحاق **واحتج** من اوجب
لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم تسأله ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له ابقوا حتى
اذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي في بني خدرة
فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت
حتى اذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم او امر بي فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه
القصة التي ذكرت له من شان زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة
اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسألني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به اخرجه ابو داود والترمذي
فمن قال بهذا القول قال اذنه للفريعة اولا بالرجوع صار منسوخا بقوله آخرا امكثي في بيتك حتى يبلغ
الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى وقال امرها بالمكث في بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا قوله عز وجل
فان ارضعن لكم يعني اولادكم **فآتوهن اجورهن** يعني اجر رضاعهن وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد
خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها ان تأخذ عليه اجرا **وفيه** دليل على ان حق الرضاع والنفقة
على الازواج في حق الاولاد **وأتمروا بينكم بمعروف** اي ليقبل بعضكم من بعض اذا امره بالمعروف
وقيل تشاوروا ويعزم على امر واحد فيه والخطاب للزوجين جميعا يأمرهم ان يأتوا بالمعروف وما هو الاحسن
ولا يقصد الضرار **وقيل** المعروف هنا ان لا يقصر الرجل في حق المرأة ونفقتها ولا المرأة في حق الولد ورضاعه
وان تعاسرتم اي في حق الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي المرأة رضاها وابت هي ان ترضعه فليس

له اذا اجتمعا على ارضاعه بل يستاجر للصبي مرضعا غير امه وذلك قوله **فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته**
اي على قدر غناه **ومن قدر عليه** اي ضيق **رزقه** فكان بمقدار القوت **فلينفق مما آتاه الله** اي على قدر ما
آتاه الله من المال **لا يكلف الله نفسا** اي في النفقة **الا ما آتاها** اي من المال والمعنى لا يكلف الفقير
مثل ما يكلف الغني في النفقة **سيجعل الله بعد عسر يسرا** اي بعد ضيق وشدة غنى وسعة قوله
تعالى **وكاين من قرية عتت** اي عصت وطغت والمراد اهل القرية **عن امر ربها ورسله** اي وامر
رسله **فحاسبناها حسابا شديدا** اي بالمناقشة ولا استقصاء وقيل حاسبناها بعملها
في الدنيا فجازيناها النار وهو قوله **وعذبناها عذابا نكرا** اي منكرا فظيعا **وقيل** في الآية
تقديم وتاخير مجازها فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر انواع البلاء وحاسبناها
في الآخرة حسابا شديدا **فذاقت وبال امرها** اي شدة امرها وجزاء كفرها **وكان عاقبة امرها**
خسرا اي خسرانا في الدنيا والآخرة **اعد الله لهم عذابا شديدا** يخوف كفار مكة ان ينزل بهم مثل
ما نزل بالامم الماضية **فاتقوا الله يا اولي الالباب** اي يا ذوي العقول ثم نعتهم فقال **الذين آمنوا**
قد انزل الله اليكم ذكرا يعني القرآن **رسولا** اي وارسل اليكم رسولا **يتلو عليكم آيات**
الله مبينات وقرئ مبينات بالخفض اي تبين الحلال من الحرام والامر والنهي وقرئ بالنصب ومعناه
انها واضحات **ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور** من ظلمة الكفر الى نور الايمان
ومن ظلمة الجهل الى نور العلم **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار**
خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها **وقيل** في رزقه الله
طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة **الله الذي خلق سبع سماوات** يعني بعضها فوق بعض **ومن**
الارض مثلهن اي في العدد **يتنزل الامر بينهن** اي الوحي الى خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى
وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار وبالصيف
والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاته وينقله من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض
وسلامة هذا وهلاك هذا **وقيل** في كل سماء من سمائه وارض من ارضه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء
من قضائه **لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما** يعني انه سبحانه
وتعالى عالم بكل شيء لا يخفى عليه خافية وانه قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جارية
تحت قدرته داخلة في علمه والله اعلم

تفسير سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية ومائتان
وسبع واربعون كلمة والف ومائة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم**
ذكر سبب نزولها عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل
والحلواء وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس
عندها اكثر مما يحتبس فغرت فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة من عسل فسقت
النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا

خل عليها

دخل عليها فإنه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فإنه سيقول لا فقولي ما هذه الريح التي أجد
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة
عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة
قالت تقول سودة والله الذي لا إله إلا هو لقد كدت أبادئه بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب فرقا منك
فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك
قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له ذلك ودخل على
صفية فقالت له يا رسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لي به قال تقول سودة سبحان الله لقد
حرمناه منه قالت قلت لها اسكتي **وعن عائشة** رضي الله عنها كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب
عندها عسلا قالت فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل إني
أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على إحداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش
ولن أعود له فنزل لم تحرم ما أحل الله لك إلى قوله إن تتوبا إلى الله لعائشة وحفصة وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه
حديثا لقوله بل شربت عسلا وفي رواية ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا زاد في رواية يبتغي بذلك مرضات
أزواجه **شرح الألفاظ الغريبة وما يتعلق بها** قوله كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل الحلواء بالمد وهو كل شيء حلو وذكر العسل بعدها وإن كان داخلا في
جملة الحلواء تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب الخاص بعد العام قوله في الحديث الثاني فتواطيت
أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية وأصله فتواطأت بالهمز أي اتفقت أنا وحفصة **قوله** إني أجد
منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال
له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون بالحجاز **وقيل** العرفط نبات له ورق عريض يفرش بالأرض له
شوكة وثمرة يشبه الرز خبيث الرائحة **وقال** أهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل
رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط
هو بالجيم والراء وبالسين المهملتين ومعناه أكلت نحله العرفط فصار منه العسل **قوله** في الحديث
الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث الأول أن الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن
الخطاب وأن عائشة وسودة وصفية هن اللواتي تظاهرن عليه **قال القاضي عياض** والصحيح
الأول قال النسائي إسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الأصيلي حديث حجاج أصح
وهو أولى بظاهر كتاب الله وأكمل فائدة يريد قوله تعالى وإن تظاهرا عليه فهما ثنتان لا ثلاثة وأنهما عائشة
وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسياق الحديث قال وقد انقلبت الأسماء على الراوي في
الرواية الأخرى يعني الحديث الأول في أن الشرب كان عند حفصة **قال القاضي عياض**
والصواب أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره محيي الدين النووي في شرح مسلم وكذا ذكره
القرطبي أيضا **وقال المفسرون** في نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه
فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جاريته مارية القبطية وأدخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة

وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا
وحفصة تبكي فقال ما يبكيك فقالت إنما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها
في يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي هي علي حرام ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا
امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت
ألا أبشرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة
بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة
فلم تزل بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقربها عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل الله يا أيها النبي لم تحرم ما
أحل الله لك إلى آخر الآية أخرجه النسائي **قال العلماء** الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة
العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي
إسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية **وأما التفسير** فقوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم
ما أحل الله لك أي من العسل أو مارية على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن
الانتفاع بها أو بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما أحله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع
عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده أن ذلك حلال له **تبتغي مرضات أزواجك** أي تطلب رضاهن بترك ما
أحل الله لك **والله غفور رحيم** أي غفر لك ذلك التحريم **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم** أي بين
وأوجب الله لكم تحليل أيمانكم بالكفارة وهي ما ذكر في سورة المائدة فأمر الله أن يكفر عن يمينه
ويراجع أمته فأعتق رقبة **والله مولاكم** أي وليكم وناصركم **وهو العليم الحكيم** أي بما يرضى
من حكمه **فصل** اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فإن قال لزوجته
أنت علي حرام أو قال حرمتك فإن نوى به طلاقا فهو طلاق وإن نوى ظهارا فهو ظهار وإن نوى تحريم
ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وإن قال ذلك لجاريته فإن نوى عتقا عتقت
وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين وإن قال ذلك لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه
وهذا قول أبي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة والتابعين وإليه ذهب الشافعي وإن لم ينو فيه شيئا ففيه
قولان للشافعي أصحهما أنه يلزمه كفارة يمين والثاني لا شيء عليه وأنه لغو فلا يترتب عليه شيء
من الأحكام **وذهب جماعة** إلى أنه يمين فإن قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه
الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف أنه لا يطؤها وإن حرم طعاما فهو كما لو حلف أن لا يأكله فلا كفارة
عليه ما لم يأكله وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا حرم الرجل
امرأته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لفظ الحميدي قوله تعالى وإذ
أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا يعني ما أسر إلى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك
ذلك وهو قوله لا تخبري بذلك أحدا وقال ابن عباس أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة **وقال**
الكلبي أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي وقيل لما رأى الغيرة في وجه حفصة

ارادا ان يترضاها اسرّ اليها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها عمر **فلما نبات**
به اي اخبرت بذلك حفصة عايشة **واظهره الله عليه** اي اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة
لعايشة **عرف بعضه** في تخفيف الراء اي جازى ببعض الذنب فعلته حفصة فغضب من افشائها سره وجازاها
عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاءه جبريل عليه السلام وامره ان يراجعها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هم بطلاقها
فجاءه جبريل وقال له لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وقري بعرّف بالتشديد
ومعناه عرّف حفصة بعض ذلك الحديث واخبرها ببعض ما كان منها **واعرض عن بعض** اي لم يعرفه
اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرّف بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عايشة وهو تحريم مارية ولم يخبرها بذكر الخلافة لانه
صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس **فلما نباها به** اي حفصة بما اظهره الله عليه **قالت**
يعني حفصة **من انباك هذا** اي من اخبرك باني افشيت السر **قال نباني العليم** اي بما تكنه الضماير
الخبير بخفيات الامور قوله عز وجل **ان تتوبا الى الله** يخاطب عايشة وحفصة اي من التعاون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالايذاء **فقد صغت قلوبكما** اي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما
ان تتوبا وذلك بانهما سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية **ق** **عن ابن عباس**
رضي الله عنهما قال لم ازل حريصا على ان اسأل عمر بن الخطاب عن المراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين
قال الله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل
عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتاني فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا امير المومنين من المراتين من
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس
قال الزهري كره والله ما ساله عنه ولم يكتمه قال هما عايشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر
قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسايهم
قال وكان منزلي في بني امية بن زيد بالعوالي فغضبت يوما على امراتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان
تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت
فدخلت على حفصة فقلت اتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احداكن
اليوم الى الليل قالت نعم قلت خاب من فعل ذلك منكن وخسر افتامن احداكن ان يغضب الله عليها
لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تساليه
شيئا واساليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك
يريد عايشة وكان لي جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما
فياتيني بخبر الوحي وغيره واتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل ليغزونا فنزل صاحبي
الانصاري يوم نوبته ثم اتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم فقلت ماذا
جاءت غسان قال لا بل اعظم من ذلك واهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد خابت
حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت

أخبرهم

فقد صغت قلوبكما خطاب لعايشة وحفصة ... ان تتوبا الى الله فقد ... على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما والتوبيخ من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يسوءه فقد صغت قلوبكما اي عدلت ومالت عن الحق ... صلى الله عليه وسلم وذلك حق له على الزوجات ... وهو حق عظيم وجرم يوجب استحقاق العذاب ... لان ... كان جمع القلوب والمراد قلبان ... الجمع في قوله قلوبكما التثنية ... للعلم به ... اختار الجمع على التثنية في ... على ذلك ... الجواز ... التي ... عليه ... فلما جرى ... والعينين ... البيد ... الواحد ... الامر ... انتهى من ... وفي ...

فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أدري ها هو ذا معتزل
في هذه المشربة فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك له فصمت
فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت
الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد فأتيت
الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فإذا الغلام يدعوني فقال
ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه
فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك فرفع رأسه إلي وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا
معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم
فتغضبت على امرأتي يوما فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر
أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم
وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستأنس يا رسول الله قال نعم فجلست
فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر إلا أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله
أن يوسع على أمتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفي شك أنت
يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان أقسم
لا يدخل عليهن شهرا من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة من شدة موجدته عليهن وكان
أقسم لا يدخل عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضى تسع وعشرون
دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت
من تسع وعشرين أعدهن فقال إن الشهر تسع وعشرون وزاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة
ثم قال يا عائشة إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك ثم قرأ يا أيها النبي قل لأزواجك
إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ إلى قوله عظيما قالت عائشة قد علم والله أن أبوي لم يكونا
ليأمراني بفراقه فقلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. وفي رواية أن
عائشة قالت لا تخبر نساءك أني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم إن الله أرسلني مبلغا ولم
يرسلني متعنتا ولمسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر بنحوه وفيه قد دخلت عليه فقلت
يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل
وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول ونزلت
هذه الآية عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل
وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس
أنه لم يطلق نساءه فأذن له وأنه قام على باب المسجد فنادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم نساءه. **شرح بعض ألفاظه** قوله فعدلت معه بالإداوة أي ملت معه بالركوة ۞

فتبرز

فتبرز أي أتى البراز وهو الفضاء من الأرض لقضاء الحاجة والعوالي جمع عالية وهو أماكن بأعلى أراضي
المدينة قوله ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وهي عائشة أو سم منك أي أكثر حسنا وجمالا
منك قوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو أن يفعله هذا مرة ويفعله هذا أخرى قوله المشربة
بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فإذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير إذا ضفرته ونسجته
والمراد به أنه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله ما رأيت فيه ما يرد البصر إلا أهبة ثلاثة
الأهبة والأهب جمع إهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب قوله تعالى وإن
تظاهرا عليه أي تتعاونا على أذى النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله هو مولاه أي وليه وناصره
وجبريل أي وليه وناصره أيضا وإنما أفرده بالذكر وإن كان داخلا في جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها
على علو منزلته ومكانته وصالح المؤمنين روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب وصالح المؤمنين
أبو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الأنبياء والملائكة بعد
ذلك ظهير أي بعد نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير أي أعوان للنبي صلى الله عليه وسلم عسى ربه
أي واجب من الله إن طلقكن يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبدله أزواجا خيرا منكن ثم وصف
الأزواج اللواتي كان يبدله بهن فقال مسلمات أي خاضعات لله بالطاعة مؤمنات أي مصدقات
بتوحيد الله تعالى قانتات أي كثيرات العبادة سائحات أي صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن تائبات عابدات
معه حيث ساح ثيبات جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه وأبكارا أي جمع بكر
وهو من باب الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال إن طلقكن وقد علم أنه لا يطلقهن وأخبر عن قدرته أنه إن
طلقهن أبدله خيرا منهن تخويفا لهن قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم قال ابن عباس
أي بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بالطاعة وأهليكم يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم
وأدبوهم تقوهم بذلك نارا وقودها الناس والحجارة يعني الكبريت لأنها أشد الأشياء حرا وأسرع
إيقادا عليها ملائكة يعني خزنة النار وهم الزبانية غلاظ أي فظاظ على أهل النار شداد يعني
أقوياء يدفع الواحد منهم سبعين ألفا في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم لا يعصون الله ما أمرهم أي
لا يخالفون الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه ويفعلون ما يؤمرون أي لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أمر
الله والانتقام من أعداء الله يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم أي يقال لهم لا تعتذروا اليوم
وذلك حين يعاينون النار وشدتها لأنه قد تقدم إليهم في الدنيا فلا ينفعهم الاعتذار لأنه غير مقبول بعد
دخول النار إنما تجزون ما كنتم تعملون يعني أن أعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب قوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا أي ذات نصح ينصح صاحبها بترك العود إلى الذنب
الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما
لا يعود اللبن إلى الضرع وقال الحسن هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه
قال الكلبي التوبة أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب
معناه توبة تنصحون بها أنفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء الاستغفار
باللسان والإقلاع عن الأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الإخوان

فصل

قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة
وإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط أحدها أن يقلع
عن المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا فإذا اجتمعت هذه
الشروط في التوبة كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة والرابع أن يبرأ من
حق صاحبه فإن كانت المعصية مالا ونحوه رده إلى صاحبه وإن كان حد قذف ونحوه مكنه من نفسه وطلب
عفوه وإن كانت غيبة استحله منها ويجب أن يتوب العبد من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها
صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب
والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة م عن الأغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة خ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ق عن
أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم
سقط على بعيره قد أضله في أرض فلاة م عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس
من مغربها عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله يبسط يده
بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها يقبل
توبة العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم
هذا الطماع من الله لعبده في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه أي لا يعذبهم بدخول النار نورهم
يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يعني على الصراط يقولون يعني إذا طفئ نور المنافقين ربنا أتمم
لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير تقدم تفسيره قوله تعالى ضرب الله مثلا أي بين شبه
حال للذين كفروا امرأة نوح اسمها واعلة وامرأة لوط واسمها واهلة وقيل اسمها والعة
ووالهة كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين وهما نوح ولوط عليهما السلام وقوله من عبادنا
إضافة تشريف وتعظيم فخانتاهما قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتهما أنهما
كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة
من قومه وأما امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت نارا وإذا
نزل بالنهار دخنت ليعلم قومها أنه قد نزل به ضيف وقيل إنهما أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا أي لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله وقيل
ادخلا النار مع الداخلين وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحات من النساء وأنه لا ينفع العاصي طاعة
غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وإن كانت القرابة متصلة بينهم وأن القريب كالأجنبي بل أبعد
وإن كان القريب الذي يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما بل أبعد وإن

كان

كان الغيب الذي يتصل به الكافر ونبيا كافرا امرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان
عن امرأتيهما شيئا وقطع بهذه الآية طمع من يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره وفي هذا المثل تعريض
بأمي المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده ثم ضرب مثلا آخر
يتضمن أن معصية الغير لا تضره إذا كان هو مطيعا وإن كان وصلة المسلم بالكافر لا تضر فقال تعالى
وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون يعني آسية بنت مزاحم قال المفسرون
لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة
أوتاد وألقاها في الشمس فكانت تعذب في الشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة إذ قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكشف الله لها عن بيتها في الجنة وقيل إن فرعون أمر
بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة من درة بيضاء من
درة بيضاء وانتزع روحها وألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما وقيل رفع الله
امرأة فرعون إلى الجنة فهي تأكل وتشرب فيها ونجني من فرعون وعمله يعني وشركه وقال ابن عباس
عمله يعني جماعه ونجني من القوم الظالمين يعني الكافرين ومريم ابنت عمران التي أحصنت
فرجها أي عن الفواحش والمحصنة العفيفة فنفخنا فيه أي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية
من روحنا إضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله وصدقت بكلمات ربها يعني الشرائع
التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على أنبيائه وكتبه يعني الكتب المنزلة على إبراهيم
وموسى وداود وعيسى عليهم السلام وكانت من القانتين يعني كانت من القوم القانتين
أي المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لأنهم كانوا أهل بيت صلاح وطاعة لله عن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت امرأة فرعون أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله أعلم

تفسير سورة تبارك الذي بيده الملك وهي مكية وهي ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفا

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من القرآن
سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده
الملك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولأبي داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا
هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت
خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هي المانعة المنجية تنجيه من عذاب القبر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب

وفي بعض نسخ تفسير الرجى وترى في التوراة المانعة وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي من عذاب القبر وعن ابن عباس أنه كان يسميها المجادلة لأنها تجادل عن صاحبها في القبر والله أعلم

حزب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

تبارك الذي بيده الملك أي له الأمر والنهي والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء
قدير أي من الممكنات الذي خلق الموت والحياة قيل أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا جعل

العدم الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه اقرب الى القهر للانسان
وقيل قدمه لانه اقدم وذلك ان الاشياء كانت في الابتداء في حكم الموت كالتراب والنطفة والعلقة
ونحو ذلك ثم اعترضت عليها الحياة **وقال ابن عباس** خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر
بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهي كان جبريل والانبياء يركبونها
لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي وهي التي اخذ السامري قبضة من اثرها فالقاها في العجل فخار وحيي
وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل ان الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية
وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهي القوة الحساسة لانه الفاصل بين حال التكليف
في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم احد في الدنيا ولم
يصل اليه الثواب في الآخرة **ليبلوكم** اي ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت **ايكم احسن عملا**
روي عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل حتى يكون
خالصا اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد في الدنيا **وهو العزيز** اي الغالب
المنتقم **الغفور** اي لمن تاب اليه ورجع عن اساءته قوله تعالى **الذي خلق سبع سموات طباقا**
يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض
قال كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد
والرابعة صفر او قيل نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وبين
السماء الى الحجب السبعة صحاري من نور **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت** اي ما ترى يا ابن آدم فيما
الرحمن اعوجاج واختلاف وتناقض بل خلقهن مستقيمة مستوية **فارجع البصر** اي كرر النظر **هل
ترى من فطور** اي من شقوق وصدوع **ثم ارجع البصر كرتين** قال ابن عباس مرة بعد مرة **ينقلب** اي
ينصرف **اليك** يرجع **البصر خاسئا** اي صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى **وهو حسير** اي كليل
منقطع لم يدرك ما طلب **ولقد زينا السماء الدنيا** اي الاولى من الارض وهي التي يراها الناس
بمصابيح اي بكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهو اعلام الكواكب **وقال** ابن عباس بنجوم لها
نور **وقيل** خلق الله النجوم لثلاث زينة السماء وهي علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوم
للشياطين وهو قوله **وجعلناها رجوما للشياطين** قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون
السمع فان قلت جعل الكواكب زينة السماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي
زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين **قلت** قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب
بل يجوز ان ينفصل من الكوكب شعلة نور يرمى بها الشيطان بتلك الشعلة وهي الشهب ومثله
كمثل قبس يوخذ منه النار وهي على حالها **واعتدنا لهم عذاب السعير** اي واعتدنا للشيا
طين بعد الاحراق في الدنيا عذاب السعير اي في الآخرة وهي النار الموقدة **وللذين كفروا بربهم**
اي ليس العذاب مختص بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس او جن **عذاب جهنم وبئس
المصير** ثم وصف جهنم فقال تعالى **اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا** وهو صوت نهيق الحمار

وذلك افظع الاصوات

وذلك اقبح الاصوات وهي تفور اي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور كما يفور الماء الكثير بالحب القليل
تكاد تميز اي تتقطع من الغيظ اي من تغيظها كلما ألقي فيها فوج اي جماعة سألهم خزنتها
يعني سؤال توبيخ وتقريع الم ياتكم نذير اي رسول ينذركم قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا يعني
للرسول ما نزل الله من شيء وهذا اعتراف منهم بان الله جل ذكره ازاح عللهم ببعثه الرسل ولكنهم كذبوا
وقالوا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير فيه وجهان احدهما وهو الاظهر ان من جملة قول الكفار
للرسل والثاني يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير وقالوا لو كنا
نسمع اي من الرسل ما جاءوا به او نعقل اي نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل به
ما كنا في اصحاب السعير وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعي أو نعقل عقل من يميز وينظر ويتفكر
ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم هو في معنى الجمع اي بتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شيء ۝
فسحقا اي فبعدا لاصحاب السعير قوله عز وجل ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون ربهم
ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه لهم مغفرة اي لذنوبهم واجر كبير يعني جزاء اعمالهم الصالحة واسروا
قولكم او اجهروا به قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم لا يسمع اله محمد فاخبر الله انه لا يخفى عليه خافية
فقال تعالى انه عليم بذات الصدور ثم اكد ذلك بقوله تعالى الا يعلم من خلق يعني الا يعلم من خلق خلقه
وقيل الا يعلم من خلق والمعنى الا يعلم الله ما في صدور من خلق وهو اللطيف باستخراج ما في الصدور
الخبير بما فيها من السر والوسوسة قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الذلول المنقاد من كل شيء
والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها لحزونتها وغلظتها فامشوا في مناكبها امر اباحة وكذا
قوله وكلوا من رزقه ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال
ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو ابلغ في التذليل وكلوا من رزقه اي مما
خلقه الله لكم في الارض واليه النشور اي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى ءامنتم
من في السماء قال ابن عباس اي عقاب من في السماء ان عصيتموه ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور
اي تتحرك باهلها وقيل تهوي بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يلقيهم الى اسفل وتعلو
الارض عليهم وتمور فوقهم اي تجيء وتذهب يعني ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط فستعلمون كيف
نذير اي انذاري اي اذا عاينتم العذاب ولقد كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة وهم الامم الماضية
فكيف كان نكير اي انكاري عليهم اليس وجدوا العذاب حقا قوله عز وجل اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن اي يضممن اجنحتهن اذا ضربن بها
جنوبهن بعد البسط ما يمسكهن اي في حال القبض والبسط الا الرحمن والمعنى ان الطير مع ثقلها ۝
وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها في الجو الا بامساك الله اياها وحفظه لها انه بكل شيء بصير يعني
انه تعالى لا يخفى عليه خافية امن هذا الذي هو جند لكم استفهام انكار اي لا جند لكم ينصركم
اي يمنعكم من دون الرحمن اي من عذاب الله قال ابن عباس اي ينصركم مني ان اردت عذابكم ان الكافرون
الا في غرور اي من الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه

بعني من ذا الذي يرزقكم المطر ان امسكه الله عنكم بل لجوا اي تمادوا في عتو اي تمرد وتكبر ونفور اي تباعد
عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمومن فقال تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اي راكبا راسه في الضلا
لة والجهالة اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر راكبا على الكفر والمعاصي في الدنيا يحشره
الله على وجهه يوم القيامة اهدى اي هو اهدى امن يمشي سويا اي قائما معتدلا يبصر الطريق
على صراط مستقيم اي وهو على صراط مستقيم يعني المومن يمشي يوم القيامة سويا قل هو
الذي انشاكم اي خلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني انه تعالى ركب فيكم هذه القوى
لكنكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها في غير ما خلقت له فلهذا قال قليلا ما تشكرون وذلك لان
شكر نعم الله صرفها في وجه مرضاته فلما صرفتموها في غير مرضاته فكانكم ما شكرتم رب هذه النعم
الواهب لها قل هو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وبثكم في الارض واليه تحشرون اي يوم القيامة
والمعنى ان القادر على الابتداء قادر على الاعادة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
هذا السؤال يحتمل وجهين احدهما انه سوال عن نزول العذاب بهم والثاني انه سوال عن يوم القيامة
فاجاب الله عن ذلك بقوله قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين باضافة العلم الى الله تعالى
وتبليغ ما اوحي اليه فلما راوه يعني العذاب في الاخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعني العذاب ببدر
زلفة اي قريبا سيئت وجوه الذين كفروا اي اسودت وعلاها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم
بالسواد وقيل اي وقالت لهم الخزنة هذا العذاب الذي كنتم به تدعون من الدعاء اي تتمنون
وتطلبون ان يعجله لكم وقيل من الدعوى اي تدعون انه باطل قل يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك
ارايتم ان اهلكني الله ومن معي اي من المومنين او رحمنا اي فغفر لنا فنحن مع ذلك الاخلاق نخاف ان يهلكنا
بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم او يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس قل اي قل لهم
في انكار عليهم وتوبيخا لهم هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا اي نحن امنا به وعبدنا وانتم كفرتم به
فستعلمون اي عند معاينة العذاب من هو في ضلال مبين اي نحن او انتم وهذا التهديد لهم ثم ذكرهم
ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا قيل بل زمزم
وقيل غيرها من المياه غورا اي غائرا اذاهبا في الارض لا تناله الايدي ولا الدلا فمن ياتيكم بماء معين
اي ظاهر تراه العيون وتناله الايدي والدلاء وقال ابن عباس معين اي جار والمقصود من هذه ان يجعلهم مقرين
ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعاصي اخبروني ان صار ماؤكم ذاهبا في الارض فمن ياتيكم
بماء معين فلا بد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شيء اصلا
شريكا في العبودية وهذا محال والله اعلم

تفسير سورة والقلم مكية وهي اثنان وخمسون اية وثلاثمائة كلمة

والف وماتان وستة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ن قال
ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وعنه انه اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة
ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على
الارض ثم قرا ابن عباس ن والقلم وما يسطرون وقيل اسم النون بهموت وقيل ليوثا وقيل لوثيا

فبعزتنا وأوجب في آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم
يريد انكم واقع بكم لا محالة وقيل في معنى ذلك قل ارايتم
ان اهلكني الله اي عذبني ومن معي او رحمنا ع

ومن يجير

وعن علي قال يلهموث قال اصحاب التفسير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع ارضين بعث من
تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار
فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدمي الملك
على سنامه فلم تستقر قدماه فاحدر الله ياقوتة خضراء من اعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة
فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض
ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور
قرار فخلق الله صخرة كغلظ سبع سماوات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي
قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة
على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة تقل الدنيا بما عليها
حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض
فقال له اتدري ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم
لوثيا ان يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها
فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار والذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك
عادت كما كانت وعن ابن عباس ايضا ان نونا هو الدواة ومنه قول الشاعر: اذا ما الشوق برح بي
اليهم: ألقت النون بالدمع السجام: اراد بالنون الدواة وعن ابن عباس ايضا ان نون حرف
من حروف الرحمن اذا جمعت الر وحم ونون وقيل هو مفتاح اسمه نصير وقيل هو قسم للسورة والقلم
هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض ويقال اول ما
خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ
بذلك وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه وما يسطرون اي ما تكتب الحفظة من اعمال بني ادم وقيل
ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد بقوله وما يسطرون اي بدء في اللوح المحفوظ
ويكون الجمع وما يسطرون للتعظيم لا للجمع ما انت يا محمد بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم اقسم
الله بنون والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر
انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوءة والحكمة فنفى الجنون عنه وقيل
معناه ما انت بمجنون والنعمة لله وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت
ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب
والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافي حصول الجنون فنبه الله
تعالى بهذه الاية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون وان لك لاجرا غير ممنون اي غير منقوص ولا
منقطع ومنه قول لبيد: غبس كواسب ما يمن طعامها: اي ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل
في معنى الاية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمال الطعن وصبرك
على هذا القول القبيح واذايهم عليك اجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوءة وتبليغ
الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم اجرا عظيما فلا يمنعك نسبتهم اياك

الى المجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى وانك لعلى خلق
عظيم وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة
عليه ومن كان كذلك لم يجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة و
افعاله الجميلة وافرة وصفه الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف
بها الاتيان بالافعال الحميدة والاداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق
التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول
والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور
والتسمح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه
وادامة البشر فهذه الخصال تجمع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال وقد كان ذلك اجمع في رسول الله صلى الله
معناه عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله انك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس على دين عظيم لا دين
احب الي ولا ارضى عندي منه وهو الاسلام وقال الحسن هو اداب القرءان سئلت عايشة عن خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرءان وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من اوامر
الله وينتهي عما نهى الله عنه والمعنى وانك لعلى الخلق الذي امرك الله به في القرءان وقيل سمى الله خلقه
عظيما لانه امتثل تاديب الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين

فصل

في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك روى جابر رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال م عن النواس بن سمعان
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق
والاثم ما حاك في الصدر وكرهت ان يطلع عليه الناس عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان المومن ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم اخرجه ابو داود وعنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن عن ابي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اثقل
في ميزان ابن ادم يوم القيامة من خلق حسن وان الله يبغض الفاحش البذي اخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح وله عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الي واقربكم مني
مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا ق عن البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس
واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا ق عن انس قال خدمت
النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا
زاد الترمذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا
شيئا كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم خ عنه قال ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق
به حيث شاءت زاد في رواية ويجيبه اذا دعي وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله

الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم يُرَ
مقدما ركبتيه بين يدي جليس له أخرجه الترمذي وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها ما ضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وعن انس رضي الله عنه
قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه اعرابي
فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من
شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك
وأمر له بعطاء وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابا
عمير وهو فطيم كان اذا جاءنا قال يا ابا عمير ما فعل النغير لنغر كان يلعب به النغير طائر صغير يشبه العصفور
الا انه احمر المنقار وعن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته
قالت كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة المهنة الخدمة وعن عبد الله بن الحارث
ابن جزء قال ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قوله تعالى
فستبصر اي يا محمد ويبصرون يعني اهل مكة اذا نزل بهم العذاب بأيكم المفتون قال ابن عباس
معناه بأيكم المجنون وقيل الباء بمعنى في مجازه فستبصر ويبصرون في اي الفريقين المجنون في فريقك او فريقهم
وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم
بالفريقين الضال والمهتدي والمجنون والعاقل فلا تطع المكذبين يعني مشركي مكة وذلك انهم دعوه
الى دين آبائه فنهاه الله تعالى ان يطيعهم ودوا لو تدهن فيدهنون اصل الادهان اللين والمصانعة
والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في امره اذا خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى
الآية انهم تمنوا لو تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما
لا يرضيه فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد آلهتهم مدة
ويعبدون الله مدة ولا تطع كل حلاف اي كثير الحلف بالباطل مهين اي ضعيف اي حقير وقيل هو
المهانة وهو قلة الرأي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة
نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق همّاز
اي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة وقيل هو الذي يغمز اخيه في المجلس مشاء بنميم اي قتات
يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس مناع للخير اي يمنع ولده وعشيرته من الاسلام يقول لئن دخل واحد
منكم في دين محمد لا انفعه بشيء ابدا معتد اي ظلوم يتعدى الحق اثيم اي فاجر يتعاطى الاثم عتل اي غليظ
جاف وقيل هو الفاحش الخلق السيء الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد
في كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوي الشديد لا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعين
الفا في النار دفعة واحدة بعد ذلك زنيم اي معه ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو

الدعي الملصق في القوم وليس منهم وقال ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم وقيل انما
ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في
هذه الاية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وعنه ايضا قال يعرف
بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا يعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما
ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الاخرة ان كان ذا مال وبنين
قرئ على الخبر ومعناه ولا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين اي لا تطعه لماله وبنيه وقرئ اان كان ذا
مال وبنين اذا تتلى عليه قال اساطير الاولين اي جعل مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين
الكفر باياتنا وقيل لان كان ذا مال وبنين تطعه ثم اوعده فقال تعالى سنسمه على الخرطوم اي على
الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به في الاخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه
وقال ابن عباس سنخطمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه
اي سنسمه ميسم سوء يريد سنلصق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا تنمحي ولا يعفى اثرها وقد الحق
الله به ما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة على الخرطوم الزنيم لا يخفى قط وقيل معناه
سنكويه على وجهه قوله عز وجل انا بلوناهم اي اختبرنا اهل مكة بالقحط والجوع كما بلونا اصحاب
الجنة روي عن ابن عباس في قوله تعالى انا بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء
بفرسخين يطاه اهل الطريق وكان لقوم من اهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له وكان يكون
للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم يجزه واذا طرح من فوق النخل الى البساط فكل شيء يخرج
عن البساط فهو ايضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين واذا
داسوه كان لهم كل شيء ينتثر ايضا فلما مات الاب ورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة فقالوا والله ان المال
قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال
فانا لا نستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك
قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين اي ليقطعن ثمرها اذا اصبحوا قبل ان يخرج اليهم المسا
كين وقبل ان يعلم بهم المساكين ولا يستثنون اي ولم يقولوا ان شاء الله وقيل ولا يستثنون شيئا
(ربع) للمساكين من ثمر جنتهم فطاف عليها طائف من ربك اي عذاب من ربك ولا يكون الطائف الا بالليل
وهو قوله وهم نائمون وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فاحرقتها وهو قوله تعالى فاصبحت
اي الجنة كالصريم اي كالليل المسود وهو بلغة خزيمة فتنادوا اي فنادى بعضهم بعضا مصبحين
يعني لما اصبحوا ان اغدوا على حرثكم يعني الثمار والزرع والاعناب ان كنتم صارمين اي قاطعين
ثماركم فانطلقوا اي مشوا اليها وهم يتخافتون اي يتساررون يقول بعضهم لبعض سرا ان لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد اي قصد ومنع وغضب وقيل معناه على جد وجهد وقيل
على امر مجتمع قد استوسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة قادرين
اي عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينه احد فلما راوها اي راوا الجنة محترقة قالوا
انا لضالون اي لمخطئون الطريق اضللنا مكان جنتنا وليس هذه بجنتنا بل نحن محرومون اي قال

بعضهم

في منا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء قال أوسطهم أي أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم ألم أقل لكم
لولا تسبحون أي هلا تستثنون أنكر عليهم ترك الاستثناء في قوله ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون سماه
تسبيحا لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته وعلى التفسير الثاني في أن الاستثناء
يعني لا تتركون شيئا للمساكين من ثمر جنتكم يكون معنى لولا تسبحون أي تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم
وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه
على ما أعطاكم من نعمه قالوا سبحان ربنا معناه أنهم نزهوه عن الظلم فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم
فقالوا إنا كنا ظالمين أي بمنعنا المساكين حقوقهم فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون أي يلوم
بعضهم على بعض قالوا يا ويلنا دعوا على أنفسهم بالويل إنا كنا طاغين أي بمنعنا حق الفقراء والمسا
كين وقيل معناه طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا إلى أنفسهم
فقالوا عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون قال ابن مسعود بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله
منهم الصدق فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى كذلك العذاب
أي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولعذاب الآخرة
أكبر لو كانوا يعلمون ثم أخبر بما أعد الله للمتقين فقال تعالى إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم أي
عند ربهم في الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون إنا نعطى في الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تعالى
تكذيبا للمشركين أفنجعل المسلمين كالمجرمين يعني أن التسوية بين المسلم والمجرم غير جائز فكيف
يكون أفضل أو يعطى أفضل منه ولما قال الله تعالى ذلك على سبيل الإنكار والاستبعاد قال لهم على طريق الالتفات
ما لكم كيف تحكمون يعني هذا الحكم المعوج أم لكم كتاب أي نزل من عند الله فيه أي في ذلك الكتاب تدر
سون أي تقرؤون إن لكم فيه لما تخيرون أي تختارون وتشتهون أم لكم أيمان علينا بالغة
معناه ألكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا إلى يوم القيامة أي لا تنقطع تلك الأيمان
والعهود إلى يوم القيامة إن لكم أي في ذلك العهد لما تحكمون أي لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله ثم قال
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم سلهم أيهم بذلك زعيم أي أيهم كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين أم
لهم شركاء أي ألهم شركاء يعني ما كانوا يجعلون لله شركاء وإنما أضاف الشركاء إليهم لأنهم هم جعلوها
لله شركاء وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين
أي في دعواهم يوم أي فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم يكشف عن ساق أي عن أمر فظيع
شديد قال ابن عباس هو أشد ساعة في القيامة تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجد ومقا
ساة الشدة شمر عن ساقه إذا قام في ذلك الأمر يقال إذا اشتد الأمر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل
ابن عباس عن هذه الآية فقال إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب أما
سمعتم قول الشاعر: سن لنا قومك ضرب الأعناق * وقامت الحرب بنا على ساق حتى بها وبيع فلا انساء ومنه
قول جرير: بدارت سما هي الطرف من آل مازن * إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا * وقد كثر مثل هذا في
كلام العرب حتى صار كالمثل للأمر العظيم الشديد وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
أن ناسا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة
البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة الا كما تضا
رون في رؤية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد
كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان
يعبد الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا
نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا
فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتسا
قطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه
قال فما تنتظرون يتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا
اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين او ثلاثا حتى
ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول لهم هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف
عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد
اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم
وقد تحول في صورته التي راوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على
على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول الله وما الجسر قال دحض
مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شوكة يقال لها السعدان فيمر
المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش
مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم
باشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المومنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار
يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم
على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي
فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا
ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث
فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا
عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق
الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا
حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل
الا ترون انها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر او اخيضر وما يكون الى الظل

يكون ابيض

ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين
ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون
ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء أفضل
من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا اللفظ لمسلم وللبخاري نحوه بمعناه. **فصل**
في شرح غريب الفاظ الحديث وما يتعلق به اما الرؤيا وما يتعلق بها فسياتي الكلام عليها في موضعه
ان شاء الله تعالى قوله حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة راوه
فيها وفي رواية ابي هريرة فياتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ
بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فياتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول
انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله ونفعنا به اعلم ان هذا الحديث
من اكبر احاديث الصفات واعظمها وللعلماء فيه وفي امثاله قولان هو مذهب معظم السلف أو كلهم
انه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع
اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شيء وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن
سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم
وهو أسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهره ولم يكشفوا
عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب
والقول الثاني وهو مذهب المتكلمين انها تتأول على ما يليق على حسب مواقعها وانما يسوغ تاويلها لمن
كان من اهله وعلى هذا المذهب يقال في قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم
اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازا وقيل
الاتيان فعل من افعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل ياتيهم أي بعض ملائكته قال القاضي عياض
وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم في الصورة التي انكروها من
سمات الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه ياتيهم الله في صورة اي بصورة ويظهر
لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين
فاذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة انا ربكم راوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه ويعلمون
بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله في صورته التي
يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة التي يعلمونها
ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفاته وان لم يكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لانهم يرونه لا
يشبه شيئا من مخلوقاته وقد علموا انه لا يشبه شيئا من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت
ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياه ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة قوله
في حديث ابي سعيد اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه فيها اي علموها وهي صفته المعلومة للمؤمنين
وهي انه لا يشبهه شيء وقولهم نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا انما استعاذوا منه لما قدمناه
من كونهم راوا سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفي رواية البخاري فيكشف ربنا عن ساقه ذكر

هذه الرواية البيهقي في كتاب الاسما والصفات قال ابو سليمان الخطابي فيحتمل ان يكون معنى قوله
يكشف ربنا عن ساقه اي عن قدرته التي تكشف عن الشدة، وضبط يكشف بفتح اليا وضمها وفيه
تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بكشف الساق في هذا الحديث نور عظيم وورد في ذلك
حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روي عن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به
روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامي ياتي باحاديث منكرة لا يتابع عليها ومولى
عمر بن عبد العزيز كثيرون وفي اسناده مجهول ايضا وقال ابن فورك ومعناه لا هو ما يتجدد
للمومنين عند روية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضي عياض وقد يكون ساقا مخلوقا
جعله الله علامة للمومنين خارجة عن السوق المعتادة، وقيل معناه كشف الخوف وازالة
الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم
فيخرون سجدا قال الخطابي هذه الروية في هذا المقام يوم القيامة غير التي هي في الجنة
لكرامة اولياء الله وانما هذه الروية امتحان لعباده، وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من
تلقاء نفسه الا اذن الله له في السجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره
طبقة واحدة، هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده، ومعنى طبقة واحدة اي فقارة واحدة
كالصفيحة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون روسهم وقد تحول في صورته التي راوه فيها
اول مرة ثم يرفعون روسهم وقد زال المانع لهم من رويته وتجلى لهم فيقولون انت ربنا وقوله
ثم يضرب الجسر على جهنم بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل
بضمها تحل ومعناه وتقع الشفاعة ويوذن فيها قوله دحض مزلة اي تزلق فيه الاقدام ولا تثبت
قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشي وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي تعلق
بها اللحم والحسكة التي يقال لها السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش
مرسل ومكدوس في نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا يناله شي اصلا وقسم يخدش ثم يرسل
فيخلص وقسم يكردس ويلقى ويسقط في نار جهنم وفي هذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل
السنة واهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو ادق من الشعر واحد من السيف يمر عليه الناس
كلهم والمومنون ينجون على حسب منازلهم واعمالهم والاخرون يسقطون في جهنم اعاذنا الله منها ومعنى
مناشدة المومنين يوم القيامة في الشفاعة لاخوانهم الذين في النار وقوله من وجدتم في قلبه مثقال
دينار من خير ومثقال نصف دينار ومثقال ذرة قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين قال
والصحيح ان معناه شي زايد على مجرد الايمان لان الايمان الذي هو التصديق لا يتجزى وانما يكون هذا التجزي لشي
زايد عليه من عمل صالح وذكر خفي وعمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين او خوف من الله او نية
صادقة ومثقال الذرة مثل في الخير لانه اقل المقادير وقول المومنين لم نذر فيها خيرا اي صاحب
خير وقوله شفعت الملايكة وهو بفتح الفا وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم
الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هولاء هم الذين معهم مجرد الايمان

فقط ولم

فقط ولم يعملوا خيراً قط ويبقى الله تعالى يعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده إلا حبة من الإيمان ومعنى
قبض قبضة أي جمع جماعة قوله فحماً أي صاروا فحماً الجحيم فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة جمع فوهة
وهي أول النهر فيخرجون كاللؤلؤ في الصفاء في رقابهم الخواتيم قيل معناه أنه يعلق في رقابهم أشياء من ذهب
أو غيره ليعرفون بها والله أعلم قوله تعالى **ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون** يعني الكفار
والمنافقين تصير أصلابهم كصياصي البقر أو كصفيحة نحاس فلا يستطيعون **خاشعة أبصارهم** وذلك
أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضاً من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود
وجوه الكفار والمنافقين **ترهقهم ذلة** يغشاهم ذل وحسرة وندامة **وقد كانوا يدعون إلى السجود**
يعني في الدنيا كانوا يدعون إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة وذلك أنهم كانوا يسمعون حي على
الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون **وهم سالمون** يعني أنهم كانوا يدعون إلى الصلاة وهم أصحاء فلا يأتونها
قال كعب الأحبار والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعة قوله عز وجل **فذرني**
ومن يكذب بهذا الحديث أي دعني والمكذبين بالقرآن وخل بيني وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم
إلي فإني أكفيك إياهم **سنستدرجهم** أي سنأخذهم بالعذاب **من حيث لا يعلمون** فعذبوا يوم بدر
بالقتل والأسر وقيل في معنى الآية كلما أذنبوا ذنباً جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار والتوبة
وهذا هو الاستدراج لأنهم يحسبونه تفضيلاً لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب إهلاكهم فعلى العبد
المسلم إذا تجددت عنده نعمة أن يقابلها بالشكر وإذا أذنب ذنباً أن يعاجله بالاستغفار والتوبة **وأملي**
لهم إن كيدي متين أي عذابي شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون معنى الاستدراج الموصل
إلى العذاب **أم تسألهم أجراً** أي على تبليغ الرسالة **فهم من مغرم مثقلون** المغرم الغرامة والمعنى أتطلب
منهم أجراً فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان **أم عندهم الغيب فهم يكتبون**
أي عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهذا استفهام على سبيل الإنكار **فاصبر**
لحكم ربك أي اصبر على أذاهم لقضاء ربك قيل إنه منسوخ بآية السيف **ولا تكن** في الضجر والعجلة
كصاحب الحوت يعني يونس بن متى **إذ نادى** في بطن الحوت **وهو مكظوم** أي مملوء غماً **لولا أن تداركه**
نعمة من ربه أي حين رحمه وتاب عليه **لنبذ بالعراء** أي لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الأرض **وهو**
مذموم أي يذم ويلام بالذنب وقيل في الآية لولا نعمة ربه لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة ثم نبذ بعراء
القيامة أي بأرضها وفضائها فإن قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه فاعلاً للذنب قلت
الجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها أن كلمة لولا دلت على أنه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني
لعل المراد منه ترك الأفضل فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة
يدل عليه قوله **فاجتباه ربه** والفاء للتعقيب أي اصطفاه وأورد عليه الوحي وشفعه في قومه **فجعله**
من الصالحين أي النبيين قوله تعالى **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم** وذلك أن الكفار أرادوا
أن يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظر إليه قريش وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت
العين في بني أسد حتى إن كانت الناقة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدرهم
فأتنا بلحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين ثم يرفع جانب خبائه

فيمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها عدة فيسال الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين او يفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرات القران نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يسقطني ويكاد ياكلني يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القران وهو قوله لما سمعوا الذكر لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهية فيحدون النظر اليه بالبغضاء لما سمعوا الذكر لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهية يحدون اليه النظر بالبغضاء ويقولون انه لمجنون اي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرا القران قال الله تعالى ردا عليهم وما هو يعني القران الا ذكر للعالمين قال ابن عباس موعظة للمومنين قال الحسن دواء من اصابة العين ان يقرا الانسان هذه الاية ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم م عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته واذا استغسلتم فاغسلوا عن عبيد بن رفاعة الزرقي ان اسما بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي لهم قال نعم فلو كان شيء سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي قوله العين حق اخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يودي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العائن لشخص اخر فيموت فيه بقدرة الله وفعله وقوله ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشياء كلها بقدر الله تعالى ولا تقع الا على حسب ما قدر الله تعالى وسبق به علمه ولا يقع ضرر العين ولا غيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة امر العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله اعلم

تفسير سورة الحاقة مكية وهي اثنتان وخمسون اية ومايتان وست وخمسون كلمة والف واربع وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحاقة يعني القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحق الامور وتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال اي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم ان تقع بهم ما الحاقة استفهام ومعناه التفخيم لشانها وتهويل لها والمعنى اي شيء هي الحاقة وما ادراك ما الحاقة اي انك لا تعلمها اذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة اي لا يبلغه دراية احد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهي اعظم من ذلك كذبت ثمود وعاد بالقارعة قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي اوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد في القوة وقيل

الطاغية

الطاغية الذي عقر الناقة فأهلكت ثمود بسببهم وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي شديدة الصوت
في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصر الذي هو البرد وكأنها تحرق بشدة بردها عاتية أي عتت على
خزانها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا كم خرج منها وقيل عتت على
عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة سخرها عليهم أي أرسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من
قال إن ذلك كان بسبب اتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرناها عليهم فبين الله أن ذلك كان بقضائه
وقدرته ومشيئته لا باتصال الكواكب سبع ليال وثمانية أيام قال وهب وهي الأيام التي تسميها
العرب أيام العجوز لأنها أيام ذات برد ورياح شديدة فسميت عجوزا لأنها تأتي في عجز الشتاء وقيل لأن عجوزا
من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح حتى قتلتها حسوما أي متتابعة دائمة ليس لها فتور
وذلك أن الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الأيام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى أهلكتهم وقيل
حسوما شؤما وقيل لهذه الأيام حسوما لأنها تحسم الخير عن أهلها وقيل الحسم القطع والمعنى
أنها حسمتهم بعذاب الاستيصال فلم تبق منهم أحدا فترى القوم فيها أي في تلك الليالي والأيام صرعى
أي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت كأنهم أعجاز نخل خاوية أي ساقطة وقيل خاوية ذات جوف شبههم
بجذوع نخل خاوية ساقطة لا رءوس لها فهل ترى لهم من باقية أي من نفس باقية وقيل إنهم لما أصبحوا
موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله أعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فألقتهم في البحر ولم تبق منهم أحدا قوله
تعالى وجاء فرعون ومن قبله قرئ بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه وقرئ بفتح
القاف وسكون الباء ومن قبله من الأمم الكافرة والمؤتفكات بالخاطئة أي بالخطيئة والمعصية وهي
الشرك فعصوا رسول ربهم قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا والأولى أن يقال إن المراد بالرسول كلاهما
لتقدم الخبر عن ذكر الأمتين جميعا فأخذهم أخذة رابية يعني نامية وقال ابن عباس شديدة
وقيل زائدة على عذاب الأمم إنا لما طغى الماء أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه
وذلك في زمن نوح عليه السلام وهو الطوفان حملناكم في الجارية يعني حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم فهو
خطاب الحاضرين والجارية أي السفينة التي تجري في الماء لنجعلها لكم أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا
من إغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه لكم تذكرة أي عبرة وموعظة وتعيها أي تحفظها أذن واعية
أي حافظة لما جاء من عند الله وقيل أذن سمعت وعقلت ما سمعت وأوعت وقيل لتحفظها كل أذن
فيكون عبرة وعظة لمن يأتي بعد والمراد صاحب الأذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة قوله عز وجل فإذا نفخ
في الصور نفخة واحدة يعني النفخة الأولى وحملت الأرض والجبال أي رفعت من أماكنها فدكتا دكة
واحدة أي كسرتا وفتتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائد إلى الأرض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين
فيومئذ وقعت الواقعة أي قامت القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية أي ضعيفة
لتشققها والملك يعني الملائكة على أرجائها يعني نواحيها وأقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال
الضحاك تكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها ويحمل عرش ربك
فوقهم أي فوق رءوسهم يعني الحملة يومئذ أي يوم القيامة ثمانية يعني ثمانية أملاك جاء في الحديث
أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة أخرى فكانوا ثمانية والأوعال بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين

سماء الى سماء هذا وعلى تيس الجبل وروى الشريف عن ابي مالك قال ان الصخرة التي تحت هذه الارض السابعة ومنتهى
علم الخلق على ارجائها اربعة من الملائكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور
ووجه نسر فهم قيام عليها قد احاطوا بالسموات والارض ورؤوسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال
حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور
ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم
اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة
عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح غريب عن العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم
قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظر اليها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذا السحاب فقال والمزن قالوا والمزن قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد
ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال بعد ما بينهما اما واحدة واما اثنتان واما ثلاث وسبعون
سنة والسماء التي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر اعلاه واسفله كما
بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش
ما بين اسفله واعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود وزاد في رواية
ليس يخفى عليه في اعمال بني آدم شيء عن ابن مسعود رضي الله عنه ما بين السماء والارض مسيرة
خمسمائة عام وبين كل سماء وارض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة
عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من اعمالكم
اخرجه ابو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر
العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف مسير الدواب وعن ابن عباس قال حملة
العرش ما بين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة خمسمائة
عام ومن ركبته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال الذين يحملون
العرش ما بين موق احدهم الى مؤخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش
ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروي عن ابن عباس في قوله فوقهم يومئذ
ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل يومئذ تعرضون اي على الله تعالى
للحساب لا تخفى منكم خافية اي فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم باحوالكم لا يخفى عليه شيء منها وان عرضكم
يوم القيامة عليه فيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا
فانه تظهر احوال الخلائق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان
فجدال ومعاذير وعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال لا يصح
هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه

قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اي تعالوا اقرءوا كتابيه والمعنى انه لما بلغ الغاية
من السرور وعلم انه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل
يقول ذلك لاهله واقاربه اني ظننت اي علمت وايقنت وانما اجري الظن مجرى العلم في العادات والاحكام
اني ملاق حسابيه اي في الاخرة والمعنى اني كنت في الدنيا اي استيقن ان احاسب في الاخرة فهو في عيشة
راضية اي في حالة من العيش مرضية وذلك انه لقي الثواب وامن من العقاب قائما وقاعدا ومضطجعا
يقطعونها كيف شاءوا كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم اي بما قدمتم لانفسكم من
الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي في الايام الماضية يعني ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله قيل
تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه
بها فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه وذلك لما نظر في كتابه وراى فيه قبائح اعماله منبتة عليه تمنى انه لم يوت
كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح ولم ادر ما حسابيه اي لم ادر اي شيء حسابي لانه لا طائل ولا
حاصل له وانما كله عليه لا له يا ليتها كانت القاضية تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت
الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها والقاطعة للحياة اي فما احيى بعدها قال
قتادة تمنى الموت ولم يكن شيء عنده اكره اليه من الموت في الدنيا لانه راى تلك الحالة اشنع وامر مما ذاقه
من الموت ما اغنى عني ماليه اي لم يدفع عني عذاب ربي ومالي من العذاب شيئا هلك عني سلطانيه
اي ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وقيل ضلت عني حجتي حين شهدت علي الجوارح بالشرك
وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا خذوه اي فيقول الله تعالى
لخزنة جهنم خذوه فغلوه اي اجمعوا يديه الى عنقه ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه معظم النار لانه
كان يتعاظم في الدنيا ثم في سلسلة وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ذرعها اي مقدارها
والذرع المعتبر بالذراع من اليد او غيرها سبعون ذراعا قال ابن عباس بذراع الملك وقال
نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد ما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة
وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم اي ذراع هو عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل
الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت
في راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن الرصاصة الحصاة الصغار وقوله مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة الجمجمة قدح من خشب
وجمعه جماجم والجمجمة الراس وهو اشبه [illegible] وقال كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن
حلقة منها وقوله تعالى فاسلكوه اي ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل في دبره وتخرج من فيه
وقيل تدخل في فيه وتخرج من دبره انه كان لا يؤمن بالله العظيم اي لا يصدق بوحدانيته وعظمته
ولا يحض على طعام المسكين اي ولا يحث نفسه على اطعام المسكين ولا يامر اهله بذلك وفيه
دليل لتعظيم الجرم في حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن
في هذه الاية ادركت اقواما يعزمون على اهليهم ان لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يامر امراته

بتكثير المرق لأجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع النصف الثاني بالإطعام
فليس له اليوم هاهنا حميم أي ليس له في الآخرة قريب ينفعه ويشفع له ولا طعام إلا من غسلين
يعني صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله أهل
النار لا يأكله إلا الخاطئون أي الكافرون قوله عز وجل فلا أقسم قيل إن لا صلة والمعنى أقسم وقيل
لا رد لكلام المشركين كأنه قال ليس الأمر كما يقول المشركون ثم قال تعالى أقسم وقيل لا هاهنا نافية
للقسم على معنى أنه لا يحتاج إليه لوضوح الحق فيه كأنه قال لا أقسم على أن القرآن قول رسول كريم
فكأنه لوضوحه استغنى عن القسم وقوله بما تبصرون وما لا تبصرون يعني بما ترون وتشاهدون
وما لا ترون ولا تشاهدون أقسم بالأشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات وقيل أقسم بالدنيا والآخرة وقيل
بما تبصرون يعني على وجه الأرض وما لا تبصرون يعني ما في بطنها وقيل ما تبصرون يعني الأجسام وما لا
تبصرون يعني الأرواح وقيل ما تبصرون يعني الإنس وقيل ما لا تبصرون يعني الملائكة والجن وقيل
ما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون النعم الباطنة وقيل ما تبصرون هو ما أظهر الله من مكنون
غيبه لملائكته واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا
من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى إنه يعني القرآن لقول رسول كريم يعني تلاوة رسول كريم وهو
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام وعلى هذا يكون المعنى أنه لرسالة رسول كريم
والقول الأول أصح لأنهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وإنما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فإن قلت
توجه ههنا سؤال وهو أن جمهور الأمة وهم أهل السنة مجمعون على أن القرآن كلام الله فكيف تصح إضافته
إلى الرسول قلت أما إضافته إلى الله فلأنه هو المتكلم به وأما إضافته إلى الرسول فلأنه هو المبلغ عن الله
تعالى ما أوحي إليه ولهذا أكده بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الإشكال قال ابن قتيبة
لم يرد أنه قول الرسول وإنما أراد أنه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وفي الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به من أن يقول
عن الله تعالى وقوله عز وجل وما هو بقول شاعر يعني أن هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب
الشعر ولا من تركيبه قليلا ما تؤمنون أراد بالقليل نفي إيمانهم أصلا والمعنى أنكم لا تصدقون بأن القرآن
من عند الله تعالى ولا بقول كاهن أي ليس بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة قليلا
ما تذكرون يعني لا تتذكرون البتة تنزيل أي هو تنزيل يعني القرآن من رب العالمين وذلك أنه
لما قال إنه لقول رسول كريم أتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الإشكال قوله تعالى ولو
تقول علينا أي اختلق علينا محمد بعض الأقاويل يعني وأتى بشيء من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه
إليه لأخذنا منه باليمين يعني لأخذناه بالقوة والقدرة وقال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن إذا ما
راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين أي بالقوة وعبر عن القوة باليمين لأن قوة كل شيء في ميامنه
والمعنى لأخذنا منه اليمين أي سلبناه القوة وعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لأذللناه
وأهناه كفعل السلاطين بمن يريدون إهانته يقول لبعض أعوانه خذ بيده فأقمه وإنما خص اليمين بالذكر
لأنه أشد في العقوبة ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل
هو حبل القلب وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه وقيل

هو عرق

هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لامتناه فكان
كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة
عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا للدعوى واما ان نسلب عنه قوة التكلم
بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته فما منكم من احد عنه حاجزين
اي مانعين نحجزه ونمنع عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلف الكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلفه لعاقبناه
فيناه ولا يقدر احد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو بفعل واحد ردا على معناه
وانه يعني القرآن وذلك لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين
ما هو فقال تعالى لتذكرة اي لعظة للمتقين لمن اتقى عذاب الله وانا لنعلم ان منكم مكذبين
فيه وعيد لمن كذب بالقرآن وانه يعني القرآن لحسرة على الكافرين يعني يوم القيامة والمعنى انهم
يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من آمن به وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين لا بطلان فيه
ويقين لا شك ولا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم اي نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك
أهلا لايجابه والله اعلم

تفسير سورة سأل سائل وتسمى المعارج مكية وهي ثلاث وعشرون آية ومائة واربعة وعشرون كلمة وسبعمائة وتسعة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سأل سائل قرئ بغير همز وفيه وجهان الاول انه لغة
في السؤال والثاني انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب قيل الباء بمعنى عن اي عن عذاب
واقع اي نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السائل للكافرين وذلك
ان اهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا
عنه محمدا فسألوه فانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين اي هو للكافرين وقيل الباء صلة
والمعنى دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين اي على الكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحارث
حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ما سأل فقتل يوم
بدر صبرا وهذا قول ابن عباس ليس له دافع اي ان العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه او لم يطلبوه اما
في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بالنار لان العذاب في الآخرة لا يرفع عنهم دافع من الله اي بعذاب من الله
والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يرده عنهم ذي المعارج قال ابن عباس
ذي السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذي الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملا ذكه
فيها وقيل ذي الفواضل والنعم وذلك لان لله فضائل وانعاما مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب
مختلفة تعرج الملائكة والروح يعني جبريل عليه السلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة
لعظمه وشرف منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة في معرض التهويل والتخويف افرد الروح بالذكر
وهذا يقتضي ان الروح اعظم الملائكة اليه اي الى الله عز وجل في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
اي من سني الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بني آدم لما صعد من منتهى امر الله من اسفل الارض السا
بعة الى منتهى امر الله من فوق السماء السابعة لما صعد في اقل من خمسين الف سنة والملك يقطع

ذلك في ساعة واحدة وافل من ذلك لاكثر وان مقدار ما بين الارض السابعة والسفلى الى منتهى
العرش مسافة خمسين الف سنة وقيل ان هذا اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة واراد
ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وليس معناه ان مقدار
ذلك اليوم خمسين الف سنة دون غيره من سائر الايام لان يوم القيامة له اول وليس له اخر لانه يوم ممدود ولا اخر له
ولو كان له اخر لكان منقطعا وهذا الطول في حق الكافر دون المومن قال ابن عباس يوم القيامة
يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة روى البغوي باسناده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة في الدنيا
وقال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين الف
سنة وقال عطا ويفرغ الله عز وجل في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقال الكلبي يقول الله
تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملايكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين الف سنة
وانا افرغ منه في ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة
وعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وفيه تقديم وتاخير فاصبر
اي يا محمد على تكذيبهم اياك صبرا جميلا يعني لا جزع فيه وهذا قبل ان يومر بالقتال ثم نسخ باية السيف انهم
يرونه يعني العذاب بعيدا اي غير كاين ونراه قريبا اي كاينا لا محالة لان كل ما هو ات قريب وقيل الضمير
في يرونه بعيدا يعود الى يوم القيامة كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار ولا حالة
ونحن نراه قريبا في قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه يوم تكون السما كالمهل اي كعكر الزيت
وقيل كالفضة المذابة وتكون الجبال كالعهن اي الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالصوف المصبوغ
لانها ذات الوان احمر وابيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته
الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما يتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا
منفوشا ثم تصير هباء منثورا ولا يسال حميم حميما اي لا يسال قريب قريبه لشغله بشان نفسه والمعنى
لا يسال الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يساله الشفاعة ولا يساله
الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يساله في الدنيا في الشدة الامر وهول يوم القيامة يبصرونهم اي يرونهم
وليس في يوم القيامة مخلوق من جن او انس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته فلا
يساله ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار
ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يساله عن حاله لشغله بنفسه وقيل
يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يساله عن حاله فيبصرونهم اي يعرفونهم اما المومن فيعرف ببياض وجهه واما
الكافر فيعرف بسواد وجهه يود المجرم اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يوميذ اي من عذاب
يوم القيامة ببنيه وصاحبته اي زوجته واخيه وفصيلته اي عشيرته وقيل قبيلته
وقيل الذي يا بي دائما في بني التي توويه اي تضمه ويأوي اليها ومن في الارض جميعا يعني يتمنى انه لو ملك
هولا وكانوا تحت يده ثم يفتدي بهم جميعا ثم ينجيه اي ذلك الفداء من عذاب الله كلا اي لا ينجيه من عذاب

الله بنجي

الله بشيء ثم ابتدأ فقال تعالى كلا إنها لظى يعني النار ولظى اسم من أسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى
لأنها تتلظى أي تتلهب نزاعة للشوى يعني الأطراف كاليدين والرجلين وما أشبه ذلك والمعنى أن النار
تنزع الأطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام
وقيل إنها تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبها وقيل المكارم خلقه ومحاسن وجهه وأطرافه
تدعوا يعني النار إلى نفسها من أدبر أي عن الإيمان وتولى أي عن الحق فتقول إلي يا مشرك إلي يا منافق قال
ابن عباس تدعوا الكافر والمنافق بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعوا
أي تعذب قال أعرابي لآخر دعاك الله أي عذبك الله وجمع فأوعى يعني وتدعوا من جمع المال في الوعاء
ولم يؤد حق الله منه إن الإنسان خلق هلوعا قال ابن عباس الهلوع الحريص على المال وقيل شحيحا
بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال
ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا يعني إذا
أصابه الفقر لم يصبر وإذا أصابه المال لم ينفق قال ابن كيسان خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده
بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكره وقيل المراد بالإنسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله تعالى فقال
عز وجل إلا المصلين هذا استثناء الجمع من الواحد لأن الإنسان واحد وفيه معنى الجمع الذين هم على صلاتهم دائمون
يعني يقيمونها في أوقاتها وهي الفرائض فإن قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعد على صلاتهم يحافظون
قلت معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها وأن لا يتركوها في شيء من الأوقات وأن لا يشتغلوا
عنها بغيرها إن دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها وهو أن يأتي بها العبد على أكمل الوجوه
وهذا إنما يحصل بأمور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارتياد المكان
الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها ونفي يقع عن الوساوس والالتفات إلى ما سوى الله
تعالى وأما الأمور المقارنة للصلاة فهو أن لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب في جميعها
بالخشوع والخوف وإتمام ركوعها وسجودها وأما الأمور الخارجة عن الصلاة فهو أن يجتنب الرياء والسمعة
وخوف أن لا يقبل منه مع الابتهال والتضرع إلى الله تعالى في سؤال قبولها وطلب الثواب والمداومة على الصلاة
ترجع إلى أحوالها وهيئاتها روى البغوي بسنده عن أبي الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل
الذين هم على صلاتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه
والذين في أموالهم حق معلوم يعني الزكاة المفروضة لأنها مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع
وذلك بأن يوظف الرجل على نفسه شيئا من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في أوقات معلومة للسائل يعني
الذي يسأل الناس والمحروم يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم
الدين أي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
أي خائفون ثم أكد لهم الخوف فقال تعالى إن عذاب ربهم غير مأمون يعني أن الإنسان لا يمكنه القطع بأنه
أدى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل يجوز أن يكون قد وقع منه تقصير من الجانبين
فلا جرم ينبغي أن يكون العبد الخوف والرجا قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم لعله سقط لفظ بين
أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم

لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم تفسيره في سورة المؤمنين والذين هم بشهاداتهم قائمون أي يقومون فيها
عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان
بها تحيى الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل اراد بالشهادة الشهادة بان الله تعالى واحد لا شريك
له والذين هم على صلاتهم يحافظون ثم ذكر ما أعد لهم فقال تعالى أولئك يعني من هذه صفته
في جنات مكرمون قوله تعالى فمال الذين كفروا أي فما بال الذين كفروا قبلك مهطعين أي مسرعين مقبلين اليك مادي
أعناقهم ومديمي النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم
يستمعون كلامه ويستهزؤون به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون
بما يستمعون منك عن اليمين وعن الشمال عزين يعني انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا
والعزين جماعات في تفرقة أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم قال ابن عباس أيطمع كل رجل منهم
أن يدخل جنتي فينعم فيها كما يدخلها المسلمون ويتنعمون فيها وقد كذب نبيي كلا أي لا يدخلها ثم ابتدأ فقال
انا خلقناهم مما يعلمون أي من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على
انهم خلقوا من أصل واحد وشيء واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى
البغوي باسناد الثعلبي عن بشر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع
عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت
بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وأخرجه
ابن الجوزي في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الاية انا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب
والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم من يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل فلا أقسم ربع
يعني فأقسم وقد تقدم بيانه برب المشارق والمغارب يعني مشرق كل يوم ومغربه وقيل يعني مشرق كل نجم
انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم معناه انا لقادرون على اهلاكهم وعلى أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله
وما نحن بمسبوقين أي بمغلوبين عاجزين على اهلاكهم وابدال من هو خير منكم فذرهم يخوضوا أي في باطلهم
ويلعبوا أي في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون نسختها آية القتال ثم فسر ذلك اليوم
فقال تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا يعني القبور الى اجابة الداعي كأنهم الى نصب
يعني الى شيء منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ نُصُب بضم النون والصاد وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها
يوفضون أي يسرعون ومعنى الاية انهم يخرجون يسرعون الى الداعي مستبقين اليه كما يستبقون الى
نصبهم ليستلموها خاشعة أبصارهم أي ذليلة خاشعة ترهقهم ذلة أي يغشاهم هوان
ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون به في الدنيا والله أعلم

تفسير سورة نوح عليه السلام وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك
أي بأن خوف قومك وحذرهم من قبل أن يأتيهم عذاب أليم يعني الغرق بالطوفان والمعنى انا أرسلناه
لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا قال يا قوم اني لكم نذير مبين أي انذركم وأبين لكم أن اعبدوا الله

ط
قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك في قوله ان انذر وجهان احدهما اصله
بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل والمعنى
ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه
بالامر بالانذار الثاني قال الزجاج يجوز
ان يكون ان مفسرة والتقدير انا ارسلنا
نوحا الى قومه اي انذر قومك وفي الخ
مسعود انذر بغير ان ارادة القول
هـ من البحر الراز

أي وحذرهم

اي وحدوه ولا تشركوا به شيئا **واتقوه** اي وخافوه بأن تخلطوا انفسكم مما يوبقكم **واطيعون** أي فيما
امركم به من عبادته وتقواه **يغفر لكم من ذنوبكم** اي يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة **وقيل** يغفر لكم
ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب **ويؤخركم الى اجل مسمى** اي الى منتهى اجالكم
فلا يعاقبكم **ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون** معناه يقول امنوا قبل الموت
تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر عنكم ولا يمكنكم الايمان **قال** يعني نوحا
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءي الا فرارا اي نفارا وادبارا عن الايمان **واني
كلما دعوتهم لتغفر لهم** اي ليؤمنوا بك فتغفر لهم **جعلوا اصابعهم في اذانهم** لئلا يسمعوا صوتي
واستغشوا ثيابهم اي غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يروني **واصروا** اي على كفرهم **واستكبروا** اي
عن الايمان بي **استكبارا** اي تكبرا عظيما **ثم اني دعوتهم جهارا** اي معلنا **قال ابن عباس**
باعلى صوتي **ثم اني اعلنت لهم** اي كررت لهم الدعاء معلنا **واسررت لهم اسرارا** **قال ابن عباس**
يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بيني وبينه ادعوه الى عبادتك وتوحيدك **فقلت استغفروا ربكم
انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا** وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله
عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اي من
الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة سببا لاتساع
الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه في الدنيا
وروى الشعبي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع
فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر ثم قرأ
استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية قوله بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر واحدها مجدح وهو نجم
من النجوم قيل هو الدبران **وقيل** هو ثلاثة كواكب كالاثافي تشبيها بالمجدح الذي له شعب وهو
عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفونه
وكانوا يزعمون ان من شانها المطر لا انه يقول بالانواء **وعن بكر بن عبد الله** ان اكثر الناس ذنوبا
اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا **وعن الحسن** ان رجلا شكى الجدب فقال استغفروا
الله وشكى اليه اخر الفقر وقلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع
ابن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الاية **وقوله يرسل السماء عليكم**
اي يرسل ماء السماء وذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل اراد
بالسماء السحاب **وقيل** اراد بالسماء المطر من قول الشاعر : اذا نزل السماء بارض قوم * تحلواتيه
ما نزل السماء يعني المطر مدرارا اي كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال **وقيل مدرارا**
اي متتابعا **ويمددكم باموال وبنين** اي يكثر اموالكم واولادكم **ويجعل لكم جنات** يعني بساتين
ويجعل لكم انهارا وهذا كله مما يميل طبع البشر اليه **ما لكم لا ترجون لله وقارا** **قال ابن
عباس** اي لا ترجون لله عظمة معناه لا تخافون عظمة الله فالرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير
وهو التعظيم **وقيل** معناه ما لكم لا ترجون لله حقا ولا تشكرون له نعمة **وقيل** معناه ما لكم

لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه جنة **وقد خلقكم اطوارا** اي تارات حالا بعد حال نطفة ثم علقة
ثم مضغة الى تمام الخلق **وقيل** معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضهم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية
الله تعالى وسعة قدرته **الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا** اي بعضها فوق بعض **وجعل
القمر فيهن نورا** يعني في السماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بني تميم وانما اتيت رجلا منهم **وجعل
الشمس سراجا** يعني مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمر ان الشمس والقمر وجوههما الى السماء واقفية
الشمس والقمر فيهن جميعا واقفيتهما الى الارض وروي هذا عن ابن عباس ايضا **والله انبتكم من الارض نباتا**
يعني انه اراد به خلق آدم واصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل في موضع
المصدر اي انباتا **وقيل** تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهو انه لو قال انبتكم انباتا
كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا **وهذا**
الثاني اولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا فلا نعرف ان ذلك الانبات انبات
عجيب كامل الا بواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان
هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول الى هذا كان لهذا السر اللطيف **ثم يعيدكم**
في الارض بعد الموت **ويخرجكم** اي منها يوم البعث **اخراجا** يعني اخراجا حقا لا محالة **والله جعل لكم
الارض بساطا** اي فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب احدكم على بساطه **لتسلكوا منها
سبلا فجاجا** اي طرقا واسعة قوله **قال نوح رب انهم عصوني** اي لم يجيبوا دعوتي **واتبعوا
من لم يزده ماله وولده الا خسارا** يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم يزدهم كثرة
المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة **ومكروا مكرا كبارا** يعني كبيرا عظيما يقال كبير وكبار
بالتخفيف ثم بالتشديد في المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه
السلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو
قولهم لا تذرن آلهتكم وتعبدوا اله نوح **وقال ابن عباس** مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل
افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله **وقالوا** يعني القادة للاتباع **لا تذرن آلهتكم** اي لا تتركن عبادتها
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه اسماء آلهتهم وانما افردها بالذكر
وان كانت داخلة في جملة قوله لا تذرن آلهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة وهي
اعظمها عندهم **قال محمد بن كعب** هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا وكانوا
اتباع هؤلاء يقتدون بهم ويأخذون بعدهم باخذهم في العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم
كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم
كانوا يعبدونهم فابتدأ عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على
صور اولئك القوم الصالحين من المسلمين **خ عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال صارت الاوثان التي كانت
تعبد قوم نوح في العرب **اما ود** فكانت لكلب بدومة **واما سواع** فكانت لهذيل **واما يغوث** فكانت
لمراد ثم صارت لغطيف بالجرف عند سبا **واما يعوق** فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع اسماء
رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون

انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم عبدت روى عن ابن عباس
ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت
للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى كانت لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد
واساف ونايلة وهبل لاهل مكة ولذلك سمت العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك
من هذه الاسماء وقد اضلوا كثيرا اي ضل بسبب هذه الاصنام كثير من الناس وقيل اضل كبراء قوم نوح كثيرا
من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا يعني ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعاء
عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلا قلبه غضبا وغيظا عليهم فان قلت كيف يليق
بمنصب النبوة ان يدعوا بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله
انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انما اراد بالضلال في الدنيا وما
يتعلق بها لا في امر الدين مما خطيئاتهم اغرقوا اي بالطوفان فادخلوا نارا اي في حالة واحدة
وذلك في الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الاية على اثبات عذاب
القبر وذلك لان الفاء تقتضي التعقيب في قوله اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل الدخول
النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الاخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون
نارا في الاخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصدق الوعد في ذلك والاول اصح فلم يجدوا لهم من دون
الله انصارا يعني يمنعونهم ويمنعونهم من عذاب الله الذي نزل بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا يعني احدا يدور في الارض فيذهب ويجيء من الدوران وقيل اصله من الدار اي نازل دار انك
ان تذرهم يضلوا عبادك قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر
هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا انما
قال نوح هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم ارحام النساء وايبس
اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله تعالى انهم لا يؤمنون ولا
يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبي وقت العذاب
لان الله تعالى اعقمهم قبل العذاب رب اغفر لي وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك
الافضل وقيل يحتمل انه حين دعا على الكفار انما دعا عليهم بسبب تاذيه فكان ذلك الدعاء عليهم لا انتقاما منهم
فاستغفر لذلك لما فيه من طلب حظ النفس او انه ترك الاحتمال ولوالدي وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ
واسم امه سمحى بنت انوش بنت متوشلخ وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليه السلام من آبائه
كافر وكان بينهما عشرة آباء ولمن دخل بيتي مؤمنا اي داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي وللمؤمنين
والمؤمنات وهذا عام في كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسول وانما بدأ بنفسه لانه اولى بالتخصيص والتقديم
ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك ابلغ في الدعاء ولا
تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم الله جميعا والله تعالى اعلم

تفسير سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله

عز وجل قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم
الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح
الفلكية الا انهم اضعف وأما جمهور ارباب الملل وهو اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن
اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي متشكل مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام
ولا اعراض وهذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية بعضها خيرة كريمة محبة للخير وبعضها دنية خسيسة
شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدد انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن
يجمعهم صفة واحدة وهي كونها حاصلة في الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف
وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر انواع الاجسام في الما
هية وان يكون لها علما مخصوصا وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة اوشاقة يعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون
بالاشكال المختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست
البنية شرط للحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وشذ اوائل المعتزلة من هذه الامة فانكروا
وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لابد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا
قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة **فصل**
واختلفت الرواية هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه
وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن عباس
فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء
وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا وما ذاك الا من شيء قد حدث فاضربوا مشارق الارض
ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها
فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو
يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء
فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا
احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن وفي رواية وانما اوحي
اليه قول الجن اخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه انه لم
يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم وانما اعلمه الله
عز وجل بما اوحى اليه من قوله قل اوحي الي وأما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن آخرون والحاصل
من الكتاب والسنة العلم القطعي بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذي
يليق بخلقتهم وحالهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الانس والجن فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين ومعهم
في الدنيا والآخرة والجنة ومن كذبه فهو الشيطان المبعد من المؤمنين فيهما والنار مستقره وهذا الحديث
يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وآخرون الى انه كان لكن زاد بهذا

المبعث

المبعث وهذا القول يقع التعارض بين الحديثين هذا كلام القرطبي والله اعلم ٭ عكاظ سوق معروف بنواحي
مكة كان العرب يحضرونها كل سنة مرة في الجاهلية واول الاسلام وتهامة ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز
سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معروفة ونخلة واد من اودية مكة في بيت عنها واما
التفسير فقوله تعالى قل اوحي الي اي امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الى
للانس بعث ايضا مبعوثا الى الجن وتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القران عجبوا الحجارة فامنوا
به انه استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة ۝
سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اي لما رجعوا الى قومهم انا سمعنا قرءانا عجبا قال ابن عباس
بليغا اي ذا عجب اي يعجب منه لبلاغته وفصاحته يهدي الى الرشد اي يدعوا الى الصواب يعني التوحيد
والايمان فآمنا به اي بالقرءان ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل
وفيه دليل على ان اولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل نصارى وقيل مجوسا ومشركين
وانه تعالى جد ربنا اي جلال ربنا وعظمته ومنه قول انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا
اي عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى غناه ۝
وقال ابن عباس قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل فعله وقيل الاؤه ونعمه على خلقه
وقيل ملك ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستيناس
به والله تعالى منزه عن كل نقص وانه كان يقول سفيهنا يعني جاهلنا وقيل هو ابليس على الله ۝
شططا اي كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط هو مجاوزة الحد في كل شيء وانا
ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي كنا نظن ان الانس صادقين في قولهم ان لله صاحبة
وولدا وانهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما سمعنا القرءان علمنا انهم قد كذبوا على الله قوله تعالى وانه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فامسى في ارض
قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوي
باسناد الثعلبي عن كردم بن ابي السائب الانصاري قال خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم
فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل
الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن فزادوهم رهقا وذكر ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الاية زاد الانس الجن باستعاذتهم
بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل
عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظماء الجن سدنا الجن والانس
والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم وانهم ظنوا يعني الجن كما ظننتم اي يا معشر الكفار من
الانس ان لن يبعث الله احدا يعني بعد الموت وانا يعني تقول الجن وانا لمسنا اي طلبنا بلوغ السماء
الدنيا واستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت حرسا شديدا من الملائكة وشهبا من النجوم
وانا كنا نقعد منها اي من السماء مقاعد للسمع يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس

والشهب والآن قد ملئت مقاعدكم فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي أرصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فأما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فيه فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين أراه قال بمكة فأخبروه فقال هذا الحدث في الأرض فبعث جنوده أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة إن الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الأحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب وطلب السبب إنما هو لكثرة الرجم ومنعهم من الاستراق بالكلية وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أي برمي الشهب أم أراد بهم ربهم رشدا ومعنى الآية لا ندري هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر أريد بأهل الأرض أم أريد بهم صلاح وخير وأنا منا الصالحون أي المؤمنون المخلصون ومنا دون ذلك أي دون الصالحين في رتبة قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصرون فيدخل فيهم الكافر وغيره كنا طرائق قددا أي جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل أهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كأهواء الناس وذلك أن الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الأهواء فعلى هذا التقسيم يكون معنى طرائق قددا أصنافا على طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة وأنا ظننا الظن هنا بمعنى العلم واليقين أي علمنا وأيقنا أن لن نعجز الله في الأرض أي لن نفوته إن أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا أي إن طلبنا فلن نعجزه أين ما كنا وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به أي لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا أي نقصا من عمله وثوابه ولا رهقا يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه وأنا منا المسلمون وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنا القاسطون أي الجائرون العادلون عن الحق قال قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله أندادا فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا أي قصدوا طريق الحق وتوخوه وأما القاسطون يعني الذين كفروا فكانوا لجهنم حطبا يعني وقودا للنار يوم القيامة فإن قلت قد يتمسك بظاهر هذه الآية من لا يرى للمؤمنين من الجن ثوابا وذلك لأن الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس في هذا تمسك له وكفى بقوله فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله أعدل وأكرم من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فإن قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وإن خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر على أن يعذب النار بالنار قوله عز وجل وأن لو استقاموا على الطريقة يعني كفار مكة على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا اختلفوا في الضمير فيمن يرجع فقيل هو راجع إلى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى لأنعمنا عليهم ولما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين استمعوا القرآن على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع

القران ولم يسلموا لو سعنا الرزق عليهم لنفتنهم فيه وقيل الضمير راجع الى الانس وثم الجن عن الجن ثم رجع الى
خطاب الانس فقال تعالى وان لو استقاموا يعني كفار مكة على الطريقة يعني على طريقة الحق والهدى فكانوا
مومنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو امنوا لوسعنا
عليهم الدنيا ولاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله اصله
من المطر وقوله لنفتنهم اي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الاية لو استقاموا اي ثبتوا
على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم
حتى يفتتنوا بها فيعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهي طريقة الهدى والقول بان
الاية في الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر ومن يعرض عن ذكر ربه اي عن عبادة ربه
وقيل عن مواعظه نسلكه اي ندخله عذابا صعدا قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا
راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة قوله تعالى وان المساجد لله يعني المواضع التي بنيت
للصلاة والعبادة وذكر الله فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى
فلا تدعوا مع الله احدا قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم
اشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المومنين ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل
اراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون
المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم
كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك فنزلت وان المساجد لله وروي عنه ايضا
ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان يسجد
والمعنى ان هذه التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره م عن العباس
ابن عبد المطلب رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه
سبعة اراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه والاراب الاعضاء ق عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعضاء وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة
واليدين والركبتين والقدمين وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة
اعظم على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين والقدمين ولا نكف الثياب ولا الشعر كف
الشعر عقصه وغرزه في اعلى الضفيرة وفيه نهي عن ذلك قوله وانه لما قام عبد الله يعني النبي صلى
الله عليه وسلم يدعوه يعني يعبد الله ويقرا القران وذلك حين كان يصلي ببطن نخلة كادوا يعني
الجن يكونون عليه لبدا يعني يركب بعضهم بعضا ويزدحمون عليه حرصا على استماع القران قاله ابن عباس
وعنه ايضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الاية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا
عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره
على من ناواه وعاداه واصل اللبد الجماعة بعضها فوق بعض قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي قراءة
قال انما ادعوا ربي وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم فارجع عنه

فنحن نجيره فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ولا اشرك به احدا قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا اى لا اقدر ان ادفع
عنكم ضرا ولا اسوق اليكم رشدا انما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى قل انى لن يجيرني من الله
احد اى لن يمنعني منه احد ان عصيته ولن اجد من دونه ملتحدا اى لن يمنع منه احد ان عصيته ولن اجد من
دونه ملتحدا اى ملجأ الجأ اليه وقيل حرزا احترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه
الا بلاغا من الله ورسالاته اى ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه لا انى يجيرني من عذاب الله يعني
التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم
ضرا ولا رشدا لكن ابلغ بلاغا من الله تعالى فانما انا مرسل لا املك الا ما ملكني ومن يعص الله ورسوله
يعني ولم يؤمن فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون يعني العذاب يوم القيامة
فسيعلمون عند نزول العذاب من اضعف ناصرا واقل عددا اهم ام المؤمنون قل ان ادري اى ما ادري
اقريب ما توعدون يعني العذاب وقيل يوم القيامة ام يجعل له ربي امدا اى اجلا وغاية تطول مدته
والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل عالم الغيب اى هو عالم ما غاب عن العباد فلا
يظهر اى لا يطلع على غيبه اى الغيب الذي يعلمه وانفرد به احدا اى من الناس ثم استثنى فقال تعالى
الا من ارتضى من رسول يعني الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب حتى يستدل
على نبوته بما يخبر عن المغيبات فيكون ذلك معجزة له واية دالة على نبوته قال الزمخشري وفي هذا ابطال
الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين
بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال على من ادعى ان النجوم تدل على ما يكون من حياة او موت وغير ذلك وقد ذكر
بما في القرآن قال الزمخشري فانكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافقه الواحدي
وغيره من المفسرين في ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام فخر الدين ونسبة الاية الى الصورتين
واحدة وان جعل الاية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغي ان تكون دالة على المنع من الكرامات قال وعندي
ان الاية لا دلالة على المنع فيها على شيء مما ذكر والذي يدل عليه ان قوله ولا يظهر على غيبه احدا ليس فيه عموم فيكفي
العمل بمقتضاه ان لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد
من وقوع الاية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى في الاية دلالة على انه لا يظهر احدا شيئا من الغيوب لاحد
ثم ذكر انه يجوز ان يطلع على شيء من المغيبات غير الرسل كالكهان وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي
ينبغي ان مذهب اهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله بعض
اوليائه وقوع بعض الوقائع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اولياءه على ذلك لما روي عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا
انبياء وان يكن في امتي فانه عمر اخرجه البخاري قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون زاد في رواية يكونوا انبياء ولا
ملهمون ولمسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الامم
قبلكم كرامات للاولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم عن غيره وانسد
الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم
المعارضة مقترن بالتحدي ولا يجوز للولي ان يدعي خرق العادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي لكفر وسلبت عنه فبان

الغيوب

العرو بين المعجزة والكرامة وقد يطلق على يد الولي أي خارق للعادة من غير دعوى وهو ايضا يدل على ثبوت نبوة النبي
لان الكرامة انما تظهر على يد متابعه واما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة ببعثة نبينا
صلى الله عليه وسلم فلم يجز لاحد منهم اطلاعا على غيب فقد كفي بالجابة القرءان وكذلك حكم المنجم والله اعلم وقوله
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا اي من بين يدي الرسول ومن خلفه وهي البعض دال على جميع الجهات
رصدا اي حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان ان يسترق السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن ان
يسمعوا الوحي فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه
ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان
عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذروه واذا جاءه ملك قالوا هذا رسول ربك
ليعلم اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل قبله ان قد ابلغوا رسالات ربهم وان الله قد حفظهم ودفع
عنهم وقيل معناه ليعلم الله ان الرسل قد بلغوا فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيجب فيه الثواب
واحاط بما لديهم اي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء من امورهم واحصى كل شيء عددا قال
ابن عباس احصى ما خلق وعرف ما خلق فلم يفته شيء حتى مثاقيل الذر والخردل والله أعلم

تفسير سورة المزمل مكية وقيل غير ايتين منها وهما قوله واصبر

على ما يقولون وقيل غير اية وهو ان ربك يعلم انك تقوم وهي عشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة
وثمانماية وثمانية وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا ايها المزمل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصل المزمل المتزمل وهو الذي يتزمل في ثيابه اي تلفف قال المفسرون
كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه أول ما جاءه الوحي جبريل فرقا منه فكان يقول زملوني زملوني
حتى انس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل وقيل معناه قد تحمل
النبوة اي حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب النبي صلى الله
عليه وسلم قد نام وهو متزمل في ثوبه فنودي يا ايها المزمل قم الليل اي للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة
واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة في ابتداء الاسلام الا قليلا اي صل الليل الا قليلا تنام
فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى نصفه اي نصف الليل أو انقص منه قليلا اي الى الثلث أو زد عليه
اي على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان
الرجل منهم لا يدري متى ثلث الليل أو متى نصفه او متى ثلثاه فكان يقوم الليل حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر
الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله فاقرءوا ما تيسر
منه قيل ليس في القرءان سورة نسخ اخرها اولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها ونزول اخرها سنة
وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك في حق الامة بالصلوات الخمس وثبت فرضيته
على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك م عن سعد بن هشام قال انطلقت
الى عائشة فقلت يا ام المومنين انبئيني عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرأ القرءان قلت بلى
قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرءان قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام المومنين
قالت الست تقرأ المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام في اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا في السماء ثم انزل الله التخفيف في آخر هذه
السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد ان كان فريضة قوله **ورتل القرآن ترتيلا** قال ابن عباس بينه بيانا
وعنه ايضا اقرأه على هينتك ثلاث آيات او اربعا او خمسا وقيل الترتيل التوقف والترسل والتمهل والافهام
وتبيين القراءة حرفا حرفا اثر حرف يعني بالمد والاشباع والتحقيق والترتيل وترتيلا تاكيدا في ايجاب الامر به
وانه لا بد للقارئ منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام الليل اتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلي من حضور
القلب والتامل والتفكر في حقائق الآيات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة
المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار
فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع في القراءة لا يحصل فيه ذلك فظهر بذلك ان المقصود من
الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة **فصل خ** عن قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم
عن ام سلمة وقد سالها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم
نعتت قراءته فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائي وللترمذي قالت كان رسول الله صلى
عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين وفي
رواية ابي داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية **ق عن عبد الله بن مغفل** قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح يرجع في قراءته **ق عن ابي وايل** شقيق بن سلمة قال جاء رجل
الى ابن مسعود فقال اني اقرأ المفصل في ركعة فقال هذا كهذ الشعر ان اقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن
اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع ان افضل الصلاة الركوع والسجود اني لاعرف النظائر التي كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرن بينهن سورتين في كل ركعة **وفي رواية** فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة
القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقي جمع ترقوة وهو
العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظيرة وهي الشبيه والمثل **عن
عايشة رضي الله عنها** قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة اخرجه الترمذي وللنسائي
عن ابي ذر نحوه وزاد والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم **عن سهل ابن
سعد** قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر
وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرءوه قبل ان يقرأه اقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل اجره ولا يتاجله اخرجه
ابو داود وفي رواية لا يجاوز تراقيهم **عن جابر** رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الاعرابي والعجمي فقال اقرءوا فكل حسن وسيجيء اقوام يقيمونه
كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتاجلونه اخرجه ابو داود **وعن ابن مسعود رضي الله عنه**
قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم
آخر السورة قوله تعالى **انا سنلقي عليك قولا ثقيلا** قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعني كلاما
عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فيه

زاجع

نفسه

نفسا مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل لشدته وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الأوامر والنواهي فإن
فيه مشقة وكلفة على الأنفس وقيل ثقيل لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والأحكام
وقيل ثقيل على المنافقين لأنه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان في
التلاوة وثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا أي ليس بالخفيف ولا السفساف
لأنه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه أنه قول مبين في حكمته وبيانه ونفعه كما تقول هذا
كلام رصين وهذا قول له وزن إذا استجدته وعلمت أنه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا
لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا في الوحي وذلك أنه كان صلى الله عليه
وسلم إذا نزل عليه القرآن والوحي يجد له مشقة ق وعن عائشة رضي الله عنها أن الحارث
ابن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا
يتمثل الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد
فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا م عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا
نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له وجهه وفي رواية كان إذا نزل عليه الوحي عرفنا ذلك فيه وغمض
عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الأشياء
الصلبة كالجرس ونحوه وقوله فيفصم عني أي ينفصل عني ويفارقني وقد وعيت أي حفظت ما قال
وقوله ليتفصد عرقا أي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد قوله تربد وجهه الربدة في الألوان غبرة
مع سواد قوله عز وجل إن ناشئة الليل أي ساعاته كلها منه ناشئة لأنها تنشأ عن التي قبلها
وقال ابن أبي مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهو عبارة
عن الأمور التي تحدث وتنشأ في الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل
هي قيام آخر الليل وقيل أوله وقيل أي ساعة قام الإنسان من الليل فقد نشأ وروي
عن زين العابدين علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل
كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل وقيل ناشئة الليل قيامه هي أشد وطئا
قرئ بكسر الواو ومع المد بمعنى المواطأة والموافقة وذلك لأن مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر يكون
بالليل أكثر مما يكون بالنهار وقرئ وطئا بفتح الواو وسكون الطاء أي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار
لأن الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس أشد وأثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول
الليل هي أشد وطئا يقول هي أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى
يستيقظ وقيل أثبت في الخير وأحفظ للقراءة من النهار وقيل هي أوطأ للقيام وأسهل على المصلي
من ساعات النهار لأنه خلق للتصرف والمعاش والليل خلق للعبادة لأن الليل فرغ للقلب من النهار
ولا يعرض له في الليل حوائج وموانع مثل النهار وأمنع من الشيطان وأبعد من الرياء وهو قوله تعالى أقوم قيلا
أي أصوب قراءة وأصح قولا من النهار لهدأة الناس وسكون الأصوات وقيل معناه أبين قولا بالقرآن
والحاصل أن عبادة الليل أشد نشاطا وأتم إخلاصا وأبعد عن الرياء وأكثر بركة وأبلغ في الثواب

واذ خل في القبول ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حوائجك واشتغالك
وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل واذكر اسم ربك اي بالتوحيد والتعظيم
والتقديس والتسبيح وتبتل اليه تبتيلا قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته
وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك واقطعها عن كل شيء سواه وقيل التبتل رفض الدنيا
وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه توكل عليه توكلا واجتهد في العبادة وقيل يقال للعابد
اذا ترك كل شيء واقبل على العبادة وقد تبتل اي انقطع عن كل شيء الا من عبادة الله وطاعته فان
قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على تبتل بعكس اليه
تبتيلا فوقع المصدر موقع ما قاربه في المعنى ويكون التقدير وتبتل فتبتيلا نفسك اليه تبتيلا
وهو كقوله انبتكم من الارض نباتا وقيل معنى تبتيلا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجيء به
على معنى مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل في تبتل تبتيلا فتبتيلا محمول على معنى بتل اليه تبتيلا
وقيل انما عدل الى هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهي ان المقصود انما هو التبتل واما التبتل فهو التصدي
والتشاغل بالنفس فلا يكون متبتلا الى الله لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا اليه الا انه لا بد من التبتل
حتى يحصل التبتل فذكر اولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لا بد منه رب المشرق
والمغرب يعني ان التبتل والانقطاع لا يليق الا لله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب لا اله الا هو
فاتخذه وكيلا اي فوض امرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذه يا محمد كفيلا بما وعدك من النصر على
اعداءك واصبر على ما يقولون اي من التكذيب والاذى واهجرهم هجرا جميلا اي واعتزلهم اعتزالا حسنا
لا جزع فيه وهذه الاية منسوخة باية القتال وذرني والمكذبين اي دعني ومن كذبك لا تهتم به فاني
اكفيكه هو اولي النعمة اي اهل التنعم والترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت
في المطعمين ببدر ومهلهم قليلا يعني الى يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل اراد
بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى ان لدينا اي عندنا في الاخرة انكالا يعني قيودا
عظاما ثقالا لا تنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد وجحيما وطعاما ذا غصة اي غير سائغ في الحلق
لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع وعذابا اليما اي وجيعا يوم ترجف الارض والجبال
اي تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة وكانت الجبال كثيبا مهيلا يعني رملا سائلا وهو الذي
اذا اخذت منه شيئا تبعك ما بعده انا ارسلنا اليكم يعني يا اهل مكة رسولا يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم شاهدا عليكم اي بالتبليغ وايمان من امن منكم وكفر من كفر كما ارسلنا الى فرعون رسولا
يعني موسى بن عمران عليه السلام وقيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسل لان محمدا
صلى الله عليه وسلم اذوه واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى واذاه لانه رباه فعصى
فرعون الرسول فاخذناه يعني فرعون اخذا وبيلا اي شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة
تخوف بذلك كفار مكة ثم خوف كفار مكة بيوم القيامة فقال تعالى فكيف تتقون ان كفرتم اي كيف
لكم بالتقوى يوم القيامة اذ كفرتم في الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل
معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة باي شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان

كيف تتقون في الدنيا

كفرتم في الدنيا يوما يجعل الولدان شيبا يعني شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال
لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية
والخير في يديك فينادى بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال
من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما
هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فيشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله أيّنا ذلك
الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد
ثم قال انتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود
وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة
فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا أما ما يتعلق بغريب الحديث فقوله تخرج من ذريتك بعثا الى
النار يعني ميز اهل الجنة من اهل النار وأما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف فهي الاثر في باطن عضد الحمار
وقوله اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة وثلث اهل الجنة وشطر اهل الجنة ففيه البشارة
العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع اهل الجنة اولا ثم الثلث ثم الشطر فلفائدة حسنة وهي ان ذلك اوقع
في نفوسهم وابلغ في اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد اخرى دليل على الاعتناء به ودوام الملاحظة وفيه تكرير
البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم
لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها وأما ما يتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث في قوله تعالى
فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان
الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على الظاهر الثاني انه في القيامة فعلى هذا
يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل في شدة الامر وهوله يقال في اليوم
الشديد يوم تشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع
فيه الشيب قال المتنبي : والهم يخترم الجسيم نحافة : ويشيب ناصية الصبي ويهرم : فلما كان
الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم
يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الصغير لا تمييز له وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان
الاطفال يبلغون سن الشيخوخة والشيب السماء منفطر به وصف اليوم بالشدة ايضا وان السماء مع
عظمها تنفطر وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل به اي بذلك
المكان وقيل انه يرجع الى الرب سبحانه وتعالى اي بامره وهيبته كان وعده مفعولا اي كائنا لا محالة
فيه ولا خلف ان هذه اي آيات القرآن تذكرة اي موعظة يتذكر بها فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
بالايمان والطاعة قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل من ثلثي الليل ونصفه
وثلثه اي وتقوم نصفه وثلثه وطائفة من الذين معك يعني المومنين فكانوا يقومون معه الليل
والله يقدر الليل والنهار يعني العالم بمقادير الليل والنهار واجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لا
يفوته علم ما تفعلون فيعلم القدر الذي تقومون من الليل والذي تنامون فيه علم ان لن تحصوه يعني

لن تطيقوه فامر فيه على التخفيف قيل فقاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل علم ان لن تحصوه يعني لن تطيقوه وقيل
كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من القيام فقال تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة
ذلك فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم
فاقرءوا ما تيسر من القرآن فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة في الصلاة وذلك لان القراءة احد
اجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن يعني في صلاة المغرب
والعشاء قال قيس بن ابي حازم صليت خلف ابن عباس في البصرة فقرأ في اول ركعة بالحمد واول آية من البقرة ثم
قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا فقال ان الله تعالى يقول
فاقرءوا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفي بما تيسر ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس
وذلك في حق الامة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك
القول الثاني ان المراد بقوله فاقرءوا ما تيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وان لا يتعرض لنسيان
وقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل قدر السورة القصيرة كافية روى البغوي باسناده عن انس رضي
الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم وليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة
آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من
من الاجر وذكر الشيخ محيي الدين في كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال في رواية من قرأ اربعين آية بدل خمسين
وفي رواية عشرين وفي رواية عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من
الغافلين وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اخبر انك
تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلت بلى يا نبي الله ولم ارد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان اعبد الناس
واقرأ القرآن في كل شهر قال قلت يا نبي الله اني اطيق افضل من ذلك قال فاقرأه في عشر قال قلت يا نبي الله
اني اطيق افضل من ذلك قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله تعالى حكمة النسخ والتخفيف فقال
علم ان سيكون منكم مرضى يعني ان المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه وآخرون
يضربون في الارض يعني المسافرين للتجارة يبتغون من فضل الله اي يطلبون من رزق الله وهو الربح للتجارة
وآخرون يقاتلون في سبيل الله يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لان المسافر والمجاهد يشتغل في النهار
بالاعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه اسباب المشقة فخفف عليهم لاجل ذلك روي عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان
عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون
في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه اي من القرآن وانما اعاده للتوكيد واقيموا الصلاة يعني
المفروضة وآتوا الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بان تخرجها
على احسن وجه من كسب طيب ومن اكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضات
الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله اي ثوابه
واجره هو خيرا واعظم اجرا يعني ان الذي قدمتم لانفسكم خير من الذي اخرتموه ولم تقدموه روى البغوي
بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله

ما منا من احد

ما منكم من أحد إلا مال الوارث أحب إليه من ماله قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل
إلا مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر **واستغفروا
الله** أي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل **إن الله غفور رحيم** لجميع الذنوب والله أعلم

تفسير سورة المزمل مكية قيل غير آيتين آخرها وهي تسعة عشر وخمسون

آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف **بسم الله الرحمن الرحيم** **ق** عن يحيى
ابن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم
ربك قال أبو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت
عن شمالي ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا
علي ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل أن تفرض الصلاة
وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه وفيه الوادي فإذا هو قاعد على
عرش في الهواء يعني جبريل قال فأخذتني رجفة شديدة **ق** عن جابر رضي الله عنه من رواية الزهري عن أبي سلمة
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينا أنا أمشي سمعت
صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعبا
فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر إلى والرجز فاهجر **وفي رواية** فجئثت منه
حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلي وذكره **وفيه** قال أبو سلمة والرجز الأوثان قال ثم حمي الوحي وتتا بع
فإن قلت دل هذا الحديث على أن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن وهو يعارض حديث عائشة رضي الله عنها
المخرج في الصحيحين أيضا في بدء الوحي وسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى **وفيه** فغطني الثالثة حتى
بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرجف بوادره الحديث **قلت** الصواب الذي عليه جمهور العلماء أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق اقرأ باسم
ربك الذي خلق كما صح به في حديث عائشة **ومن** قال إن المدثر أول ما نزل من القرآن فضعيف لا يعتد به وإنما
كان نزولها بعد فترة الوحي كما صح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر **ويدل** عليه أيضا قوله في الحديث وهو
يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر **وأيضا** قوله ثم حمي الوحي وتتابع فالصواب أن أول
ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي سو رة
المدثر فيحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله أعلم **قوله** فإذا هو قاعد على عرش يعني به الكرسي الذي
يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت
روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير **وروي** بثاءين مثلثتين بعد
الجيم ومعناهما فرعبت منه وفزعت **وقوله** وحمي الوحي وتتابع أي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت
الشمس والنار إذا ازداد حرهما **وقوله** فصبوا علي ماء فيه أنه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه الماء ليسكن فزعه
والله أعلم **وأما التفسير** فقوله عز وجل يا أيها المدثر أصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها
وأجمعوا على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما سماه مدثرا لقوله عليه الصلاة والسلام دثروني **وقيل** يا أيها المدثر

بدثار النبوءة والرسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى فجعل النبوءة كالدثار واللباس مجازاً قم فانذر
أي خوفهم من عذاب ربك إن لم يومنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قيام عزم واشتغال بالإنذار والرب
فكبره وربك فكبر أي عظم ربك مما يقول عبدة الأوثان وثيابك فطهر فيه أربعة وجوه أحدها أن يترك
لفظ الثياب والتطهير على المجاز أما الوجه الأول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات
وذلك أن المشركين لم يكونوا يتحرزوا عنها فأمر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسة وغيرها خلافاً
للمشركين الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك أن المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون
ثيابهم على النجاسة وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والنهي ما ليس في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب
وأمره بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل تكون من وجه حلال
وكسب طيب الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة وشككت بالرمح الأصم
ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم ومعنى ثيابه نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهما وكنى أي نفسه
بالثياب عن الجسد لأنها تشتمل عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل
معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه فخلقك فحسن وسئل ابن عباس
عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي
وإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء هو
طاهر الثياب وتقول لمن غدر إنه لدنس الثياب والسبب في ذلك أن الثوب كالشيء الملازم للإنسان فلهذا جعلوه
كناية عن الإنسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في إزاره وقيل إن من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله
تعالى والرجز فاهجر يعني الأصنام والأوثان ولا تقربها وقال ابن عباس أي اترك المآثم وقيل الشرك
والمعنى اترك كل ما أوجب لك العذاب من الأعمال والأقوال ولا تمنن تستكثر يعني لا تعط مالك مصانعة
لتعطى أكثر منه هذا قول أكثر المفسرين وهذا النهي مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى في ذلك تنزيهاً
لمنصب النبوءة وإن من أعطى شيئاً لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد وأن يتواضع لذلك الذي أعطاه ومنصب النبوءة
يجل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الأمة فيجوز للغير من الأمة ذلك كما قيل هما ربا ان حلال وحرام
فالحلال الهدية يهديها الرجل ليعطيه أكثر منه وأما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط
شيئاً للمجازاة في الدنيا أعط لله وأرد به وجه الله وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره
ولا يكبر عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك به وأعطاك قليل وقيل معناه لا تمنن على أصحابك
بتعليمهم من أمر الدين وتبليغهم من الوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوءتك فتأخذ
منهم على ذلك أجراً تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير لتستكثر منه وقيل لا
تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثاراً منك لتلك العطية فإن المن يحبط العمل ولربك فاصبر
على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله فإذا نقر في
الناقور أي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل وهي النفخة الأولى وقيل الثانية وهو
الأصح فذلك يومئذ يعني يوم النفخة وهو يوم القيامة يوم عسير أي شديد على الكافرين يعني يعسر
عليهم في ذلك اليوم يعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم غير يسير أي هين [illegible] ما بعده اليوم

قوله

قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة التكرار للتوكيد كقوله انا محبك غير مبغض
وقيل المعنى انه على الكافرين غير يسير دل على انه يسير على المومنين بخلاف الكافر فانه عليهم عسير ايسر
فيه ليزداد غضب الكافرين وبشارة المومنين قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا اي خلقته في
بطن امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد
والمعنى ذرني واياه فانا اكفيكه هو نزلت هذه الاية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى
الوحيد في قومه وجعلت له مالا ممدودا اي كثيرا يمد بعضه بعضا اي انه غير منقطع وقيل
ما يمد بالنما كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان الف دينار وقيل اربعة
آلاف درهم وقيل الف الف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين
مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثير وعبيد وجواري وقيل كان له عمر كثير وبستان
بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر وبنين شهودا اي حضورا
بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا
اي رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع وقيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن المغيرة
الوليد وخالد وهشام وعمارة والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة
ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة في قومه
وكان الوليد من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش ثم يطمع اي يرجو ان ازيد اي ان ازيد ماله وولدا
وتمهيدا كلا اي لا افعل ولا ازيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان ماله وولده حتى
هلك انه كان لاياتنا عنيدا اي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلايل التوحيد والقدرة والبعث
والنبوة وكان منازعا منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذه بقلبه وينكرها
بلسانه وهو اقبح الكفر واخبثه سارهقه صعودا يعني ساكلفه مشقة من العذاب لا راحة
له فيه وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود
عقبة في النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوي فيها سبعين خريفا فهو كذلك ابدا اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله سارهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها
عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت قال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف
الكافر ان يصعدها لا يترك ان يتنفس في صعوده يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع
من حديد فيصعدها في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها ثم يجذب من امامه
ثم يضرب من خلفه فذلك دابه ابدا قوله عز وجل انه فكر وقدر في الامر الذي يريد ونظر فيه وتدبر
ورتب في قلبه كلاما وهيا ذلك الامر وهو المراد بقوله تعالى وقدر اي وقدر ذلك الكلام في قلبه وذلك
ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه المصير
قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله
صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراءة الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال

فقال والله لقد سمعنا انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا هو من كلام الجن ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم
فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن
اخي فقال وما يمنعني ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام
محمد وانك تدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش اني
من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه
فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه قط تكهن
قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين
قبل النبوءة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل
واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يوثر فذلك قوله عز وجل انه فكر وقدر اي في محمد والقرءان وقدر
في نفسه ماذا يمكنه ان يقول في محمد والقرءان **فقتل كيف قدر** اي عذب **وقيل** لعن كيف قدر وهو على طريق
التعجب والانكار والتوبيخ **ثم قتل كيف قدر** تكرير للتوكيد **وقيل** معناه لعن على اي حال قدر من الكلام
ثم نظر في طلب ما يدفع به القرءان ويرده **ثم عبس وبسر** اي كلح وكره وجهه كالمهتم في شيء يدبره **ثم ادبر**
اي عن الايمان **واستكبر** اي عن ان يتبعوا اليه **فقال ان هذا** اي الذي يقوله محمد ويقرؤه **الا سحر يوثر** اي يروى
ويحكى عن السحرة **ان هذا الا قول البشر** يعني يسارا وجبرا اعجميان عنهما قال الله تعالى **سأصليه** اي ساء
حله **سقر** وهو اسم من اسماء جهنم **وقيل** امرار كلها **وما ادراك ما سقر** اي وما علمك اي شيء هو
سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لها **لا تبقي ولا تذر** **وقيل** هما بمعنى كما تقول صد عني
واعرض عني **وقيل** لا بد من الجمع لاجل التكرار **وقيل** معناه لا تبقي احدا من المستحقين للعذاب الا اخذته
ثم لا تذر من لحومهم ولا شيء الا اكلته واهلكته **وقيل** لا يموت فيها ولا يحيا اي لا يبقى من فيها حيا ولا
تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا واعيدوا **وقيل** لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما **وقيل**
لكل شيء ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة يعني لا تبقي عليهم ولا تذرهم **لواحة للبشر**
جمع بشرة اي مغيرة للجلد حتى تجعله اسود فقال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه اشد سوادا من الليل
وقال ابن عباس محرقة للجلد **وقيل** تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا **عليها تسعة عشر**
اي على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الاثر اعينهم كالبرق
الخاطف وانيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم
الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم **وقال عمرو بن دينار** ان احدهم يدفع
بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر **وقال ابن عباس** لما نزلت هذه الاية قال ابو
جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة اخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعني الشجعان
افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد من خزنة جهنم وقال ابو الاشد بن اسيد الاسود كلدة بن خلف الجمحي
انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني انتم اثنين **وروي عنه**
انه قال انا امشي بين ايديكم على الصراط وادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي

الجنة بإذن الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة يعني لا رجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة ولما
جعلناهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين وأشد منهم لأن الجنسية مظنة الرأفة والرحمة وما
جعلنا عدتهم يعني عددهم في القلة إلا فتنة للذين كفروا أي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا وقيل
فتنتهم هو قولهم لم لم يكونوا عشرين وما الحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل افتتانهم هو قولهم كيف
يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار وأجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بأن أفعال
الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لأمر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة في كونهم
تسعة عشر أن هذا العدد يجمع أكثر القليل وأقل الكثير ووجه ذلك أن الآحاد أقل الأعداد وأكثرها تسعة وأقل الكثير
عشرة فوقع الاقتصار على عدة يجمع أقل الكثير وأكثر القليل لهذه الحكمة وما سوى ذلك من الأعداد فكثير لا
يدخل تحت الحصر وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع أهل النار وذلك
بأن الله يعطي هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله تعالى وأنه على كل
شيء قدير وأن أحوال القيامة على أحوال خلاف الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية ليستيقن
الذين أوتوا الكتاب يعني أن هذا العدد مكتوب في التوراة والإنجيل وأنهم تسعة عشر ويزداد الذين
آمنوا إيمانا يعني من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن هذا العدد
كان موجودا في كتابهم وأخبر به صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعليم علم أن
ما حصل له ذلك إلا بالوحي السماوي فلهذا ازدادوا بذلك إيمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يرتاب
أي ولا يشك الذين أوتوا الكتاب والمومنون يعني في عددهم وإنما قال ولا يرتاب وإن كان الاستيقان
يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين إثبات اليقين ونفي الشك وذلك أبلغ وآكد لأن فيه تعريضا بحال غيرهم
كأنه قال وليخالف حالهم حال المشككين المرتابين من أهل الكفر والنفاق وليقول الذين في قلوبهم مرض
أي شك ونفاق والكافرون يعني مشركي مكة فإن قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في
قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه سورة مكية قلت لأنه كان في علم الله تعالى أن النفاق سيحدث
فأخبر عما سيكون وهو كسائر الإخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
لأنه أخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل أن يراد بالذين في قلوبهم مرض أهل
مكة لأن فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب ماذا أراد الله بهذا مثلا يعني أي شيء أراد الله
بهذا المثل العجيب وإنما سموه مثلا لأنه استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا
منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى أي غرض في جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم
بذلك إنكاره من أصله وأنه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا كذلك أي كما أضل من أنكر عدد الخزنة
وهدى من صدق كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء لأن الله تعالى له الهداية والإضلال
وما يعلم جنود ربك إلا هو قيل هو جواب لأبي جهل حين قال أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر والمعنى
أن الخزنة تسعة عشر ولهم أعوان وجنود من الملائكة وما يعلم عددهم إلا الله تعالى خلقوا لتعذيب
أهل النار وقيل معناه أن مقدورات الله تعالى غير متناهية وما هي يعني النار إلا ذكرى للبشر أي إلا تذكرة
وموعظة للناس وقيل وما هي يعني آيات القرآن ومواعظه إلا تذكرة للناس يتعظون بها

كلا أي لا يتعظون ولا يخافون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون من زعم انه يكفي اصحابه خزنة النار
وقيل كلا هنا بمعنى حقا والقمر والليل اذا ادبر أي ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى اقبل تقول
العرب دبرني فلان أي جاء خلفي والليل يأتي خلف النهار والصبح اذا اسفر أي اضاء وتبين وهو قسم
وجوابه قوله تعالى انها لاحدى الكبر يعني ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات النار
وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نذيرا للبشر قيل يجوز ان
يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما انذر بشيء ادهى من النار وقيل يجوز
ان يكون صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منه نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى
يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر أي يتقدم في الخير والطاعة او يتاخر
عنهما فيقع في الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن وكفر وقيل هذا تهديد واعلام
من يريد ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه واجيب بان مشيئة العبد تابعة لمشيئة
الله تعالى وقيل اضافة المشيئة للمخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة
لله تعالى والمعنى لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة أي مرتهنة
في النار بكسبها وماخوذة بعملها الا اصحاب اليمين يعني فانهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن
يغفرها الله لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء
الحق الذي عليه واختلفوا في اصحاب اليمين من هم فقيل هم المومنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون
كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم اخذ الميثاق حين قال الله تعالى لهم هؤلاء في
الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين كانوا ميامين أي مباركين على انفسهم روي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال هم الملايكة في جنات أي هم في جنات يتساءلون عن المجرمين
أي يسالون المجرمين وعن حالهم فيقولون لهم ما سلككم في سقر قيل وهذا يقوي قول من قال ان
اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التي توجب النار وقيل معناه يسال بعضهم
بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم يقول المسؤولون للسائلين قلنا ما سلككم
في سقر أي ادخلكم وقيل ما حبسكم في سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع قالوا مجيبين لهم لم نك من
المصلين أي لله في الدنيا ولم نك نطعم المسكين أي لم نتصدق عليه وكنا نخوض مع الخائضين
أي في الباطل وكنا نكذب بيوم الدين أي بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة حتى اتانا اليقين
يعني الموت قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود تشفع الملائكة
والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المومنين فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الاية
وقال عمران بن الحصين الشفاعة نافعة لكل احد دون هؤلاء الذين تسمعون روى البغوي بسنده عن انس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة
فيقول الرجل منهم يا فلان فيقول ما تريد فيقول تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك
لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ما

أي يزيد فيقول أتزكي رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا وكذا فيقول الحق وانما لا نية هو فيقول نعم فيستشفع له
فيشفع فيه فما لهم عن التذكرة معرضين أي عن مواعظ القرءان كأنهم حمر مستنفرة قرئ بالكسر أي نافرة
وقرئ بالفتح أي منفرة مذعورة محمولة على الفرار فرت من قسورة قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد
له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس وعنه انه القناص وعنه قال هو حبال الصيادين وقيل معناه
الشدة من رجال اقوياء وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال ابو هريرة هو الاسد وذلك ان الحمر
الوحشية اذا عاينت الاسد هربت وكذلك هؤلاء المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ
القرءان هربوا منه شبههم بالحمر الوحشية في البلادة والبله وذلك انه لا يرى مثل حمر الوحش اذا خافت
من شيء بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله تؤمر فيه باتباعك وقيل
ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرايل كان يصبح عند راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك كلا
أي لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات بل لا يخافون الاخرة أي لا يخافون عذاب الاخرة
والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في
الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت كلا أي حقا انه تذكرة يعني عظة عظيمة
فمن شاء ذكره أي اتعظ به فانه يعود نفع ذلك عليه وما تذكرون الا ان يشاء الله أي الا ان يشاء الله
لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا هو اهل التقوى واهل المغفرة أي هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا
عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان
يتقى محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية هو
اهل التقوى واهل المغفرة قال قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الها فانا اهل ان
اغفر له اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده سهيل بن عبد الله القطعي وليس بالقوي في الحديث
وقد تفرد به عن ثابت عن انس والله اعلم

تفسير سورة القيامة مكية وهي اربعون آية وماية وتسعون كلمة وستماية واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لا اقسم بيوم
القيامة اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا في لفظة لا فقيل ادخال لا على القسم مستفيض في كلام العرب
واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر فالواو هنا لتأكيد القسم كقولك
لا والله ما ذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ في الوجوه التي مع اثباتها وقيل انها صلة
كقوله لئلا يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا في وسط الكلام لا في اوله واجيب عنه بان
القرءان في حكم السورة الواحدة وبعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه
في سورة اخرى كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة ن ما انت بنعمة ربك بمجنون
واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القرءان في حكم السورة
الواحدة في عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لا رد لكلام المشركين
المنكرين للبعث أي ليس الامر كما زعموا ثم ابتدأ فقال اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوامة وقيل

الوجه فيه ان يقال ان لا هي للنفي والمعنى في ذلك كانه قال لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا
اعظاما لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شانه وقيل معناه لا اقسم بهذه الاشيا على اثبات
هذا المطلوب فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه وروى البغوي في تفسير القيامة عن المغيرة بن
شعبة يقولون القيمة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت
قيامته وفيه ضعف لا تعلق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الاية في ذلك وقوله ولا
اقسم بالنفس اللوامة قيل هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة
هي التي تندم على ما فات فتقول لو فعلت لو لم افعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم
نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول يا ليتني لم افعل الحسن هي نفس المومن ان
ان المومن ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي وان الكافر يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا
يعاتبها وقيل هي النفس الشريفة التي تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى
وقيل النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هو النفس الشقية
تلوم نفسها حين تعاين اهوال يوم القيامة فتقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله فان قلت
اي مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه المناسبة
ان في يوم القيامة تظهر احوال النفوس اللوامة من الشقاوة والسعادة فلهذا احسن الجمع بينهما في القسم
وقيل انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها
واجتهادها في طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيامة ولم يقسم باللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة
او الفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير
حاصله انه اقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه
الاشيا قسم بربها في الحقيقة فكانه قال اقسم برب يوم القيامة وقيل لله تعالى ان يقسم بما شاء من
خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان
الن نجمع عظامه وقيل جواب القسم قوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه ومعنى ايحسب الانسان
ايظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعدما سفتها الرياح
وطيرتها في ابعاد الارض ان لن نجمع عظامه ليلا يكتنفا جمعها مرة اخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد
وما علم ان القادر على الابتداء قادر على الاعادة نزلت هذه الاية في عدي بن ربيعة حليف
بني زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السو
يعني عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة
وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك
ولم او من بك او يجمع الله العظام فانزل الله تعالى ايحسب الانسان يعني الكافر ان لن نجمع عظامه بعد
التفرق والبلى فنحييه كما كان اول مرة وقيل ذكر العظام واراد به نفسه جميعه لان العظام قالب النفس
ولا يستوي الخلق الا باستوايها وقيل انه خرج على وفق هذا القول او يجمع الله العظام بلى قادرين يعني
على جمع عظامه وتاليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك

وهو

وهو ان نسوي بنانه يعني انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير او كحافر العير فلا يقدر
على ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها وقيل معناه ظن الكافر
انا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها ونؤلف بينها حتى
نسوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل
انما البنان بالذكر لانه آخر ما يتم به الخلق قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه اي ليدوم على فجوره فيما
يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب قال سعيد بن جبير يقدم الذنب
ويؤخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى يأتيه الموت وهو على اسوء حالة واشر اعماله وقيل
هو طول الامل يقول اعيش واصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه
من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق يسأل ايان يوم
القيامة اي متى يكون يوم القيامة والمعنى ان الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال
الله تعالى فاذا برق البصر اي اذا شخص البصر عند الموت فلا يطرف لما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا
وقيل يبرق ابصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وبرق اي شق عينيه
وفتحهما من البريق وهو التلألؤ وخسف القمر اي اظلم وذهب ضوءه وجمع الشمس والقمر يعني اسودا مكورين
كأنهما ثوران عقيران وقيل جمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى
يقول الانسان يعني الكافر المكذب يومئذ اين المفر اي المهرب وهو موضع الفرار كلا اي لا ملجأ لهم
يفرون اليه وهو قوله لا وزر اي لا حرز ولا ملجأ ولا جبل كانوا اذا فزعوا لجأوا الى الجبل فتحصنوا
به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وكلما التجأت اليه وتحصنت به فهو
وزر ومنه قول كعب بن مالك الناس ألب علينا فيك ليس لنا الا السيوف واطراف القنا وزر ومعنى الآية انه
لا شيء يعصمهم من امر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستترون به من النار الى ربك يومئذ المستقر
يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اليه المصير والمرجع وهو بمعنى المستقر
وقيل الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء ادخله الجنة
برحمته ومن شاء ادخله النار بعدله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر قال ابن مسعود وابن عباس
بما قدم قبل موته من عمل صالح او سيء وما اخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وعن ابن عباس
ايضا بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله فضيعه وقيل
باول عمله وآخره وهو ما عمله في اول عمره وفي آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته
وما اخر من ماله لورثته بل الانسان على نفسه بصيرة اي بل على الانسان رقباء يرقبونه ويشهدون
عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه ولذا دخل الهاء في البصيرة لانه المراد من الانسان وقيل
معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فيكون
الهاء للمبالغة كعلامة ولو القى معاذيره يعني لو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه
قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره وقيل
ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق

واغلق الابواب ليخفي ما يعمل فلنفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه
عليه جوارحه بما عمل في الدنيا قوله عز وجل **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ق **عن ابن عباس**
في قوله لا تحرك به لسانك لتعجل قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه
فقال ابن جبير فقال ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل
الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به **ان علينا جمعه وقرءانه** قال جمعه في صدرك ثم تقرؤه فاذا قراناه
فاتبع قرءانه قال فاستمع وانصت ثم علينا ان تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بعد
ذلك استمع له فاذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه **وفي رواية** كما وعده الله تعالى اخرجه
الحميدي **وروى البغوي** من طريق البخاري وقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه
جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الاية التي
في لا اقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرءانه قال ان علينا ان نجمعه في صدرك
وتقرأه فاذا قراناه فاتبع قرءانه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال
فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى **وفي رواية** كان يحرك شفتيه اذا
انزل عليه الوحي يخشى ان ينفلت منه وقيل له لا تحرك به لسانك ان علينا جمعه ان نجمعه في صدرك وقرءانه ان
تقرأه ومعنى الاية لا تحرك بالقرءان لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه
لتعجل به اي بحفظه ان علينا جمعه اي جمعه في صدرك وحفظك اياه وقرءانه اي وقراءته عليك والمعنى
سنقرئك يا محمد حتى تحفظه لا تنسى **فاذا قراناه فاتبع قرءانه** اي لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة
جبريل عليه بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحي اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيه وجعل
قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل الوحي ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه اعمل به
واتبع حلاله وحرامه وانما هو موضع امره باستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك اذا انزل عليه جبريل بالوحي اصغى اليه فاذا فرغ من قراءته علمه النبي صلى الله عليه وسلم
وحفظه **ثم ان علينا بيانه** اي نبينه بلسانك فتقرأه كما اقرأك جبريل وقيل اذا اشكل شيء من
معانيه فعلينا نبينه لك وقوله تعالى **كلا** اي حقا **بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة** اي
تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة **وجوه يومئذ** يعني يوم القيامة **ناضرة**
من النضارة وهي الحسن **قال ابن عباس** حسنة **وقيل** مسرورة **وقيل** ناعمة **وقيل**
مسفرة مضيئة **وقيل** يعلوها نور وبهاء **وقيل** مشرقة بالنعيم **الى ربها ناظرة** قال
ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها ان تنضر وهي تنظر الى الخالق سبحانه
وتعالى **وروي عن مجاهد** وابي صالح انهم فسروا النظر في هذه الاية بالانتظار قال مجاهد تنتظر
من ربها ما امر لها به **وقال ابو صالح** تنتظر الثواب من ربها قال الازهري ومن قال ان معنى
قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى الشيء بمعنى انتظرته انما تقول نظرت
فلانا اي انتظرته ومنه قول الحطيئة وقد نظرتكم ابناء صادرة للورد طال بها حوزي وتنساسي ۞
فان قلت نظر الى البدل لا يكون الا بالعين وانما قلت نظر مع الالهام احتمل ان يكون تفكرا فيه وتدبرا ۞

بالقلب هذا اخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في
موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله والوجه اذا وصف
بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الروية واما قوله انظر الى الدم البيت على معنى انتفع بفضل الله ثم فضلك ويكون
النظر بمعنى نظر القلب لا الانتظار واذا ابطل المعنيان لم يبق لتعلقه الى الا الروية كلام وان شق ذلك عليهم
والاحاديث الصحيحة تعضد قول من قال ان النظر في هذه الاية بالنظر وسنذكرها ان شاء الله تعالى

فصل في اثبات روية المومنين ربهم سبحانه وتعالى في الاخرة **قال علماء اهل السنة**
روية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على وقوعها في الاخرة وان المومنين يرون
الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوايف
من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رويته مستحيلة
عقلا وهذا الذي قالوه خطا صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة
فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات روية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وايات القران فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة في كتب المتكلمين
وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان الروية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال
الاشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك **فاما** الاحاديث الواردة في اثبات الروية فمنها ما روي عن ابن عمر
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه
ونعيمه وخدمه وسرره الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب **وقال**
وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه **ق عن جرير بن عبد الله** قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى
القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا
تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
الغروب قوله لا تضامون روي بضم التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد ايضا ومعناه لا ينضم
بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروي بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رويته
فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الروية بالروية في
الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئي بالمرئي **عن ابي هريرة رضي الله عنه** ان ناسا
قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر
قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانكم سترونه كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي وليس عنده في اوله ان ناسا سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب **قال الترمذي وقد روي مثل هذا الحديث عن**
ابي سعيد وهو صحيح طرف من حديث طويل قد اخرجه البخاري ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد
عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما
اية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما

هو خلق من خلق الله يعني النظر الى الله اجل واعظم اخرجه ابو داود م عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا
الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى الله تبارك وتعالى والاحاديث
في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم قوله عز وجل **ووجوه يومئذ باسرة** اي عابسة كالحة متغيرة
مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما ادركها من الياس من رحمة الله وذلك حين
يميز بين اهل الجنة والنار **تظن** اي تستيقن والظن بمعنى اليقين **ان يفعل بها فاقرة** اي يفعل بها امر عظيم
من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذي يكسر فقار الظهر وفيه قيل الفاقرة دخول النار
وقيل هو ان تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى **كلا** اي حقا **اذا بلغت التراقي** يعني النفس كناية
عن غير مذكور **التراقي** جمع ترقوة وهو العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي
عن الاشفاء على الموت **و**منه قول دريد بن الصمة ورب عظيمة دافعت عنهم وقد بلغت نفوسهم التراقي
وقيل يعني وقال من حضره **من راق** اي هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته
ودوائه وقيل المعنى ان هذا من امر الله تعالى فالتمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا
وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرون عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت
فيصعد بها ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب **وظن** اي ايقن الذي بلغت روحه التراقي **انه الفراق** يعني
الخروج من الدنيا وفراق الاهل والمال والولد **والتفت** اي اجتمعت **الساق بالساق** اي الشدة بالشدة
يعني شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه **وقيل** شدة الموت بشدة الاخرة **وقيل**
تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب الا جاء ما هو اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة وكان
في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه
وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا في الكفن **وقيل** هما ساقاه عند الموت الا ترى كيف يضرب
باحدى رجليه على الاخرى عند النزع **وقيل** اذا مات يبست ساقاه فلم تحملاه وقد كان جوالا عليهما **الى ربك**
يومئذ المساق اي مرجع العباد الى الله تعالى يساقون الى الله يوم القيامة ليفصل بينهم قوله تعالى **فلا صدق**
ولا صلى يعني ابا جهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى **ولكن كذب وتولى** اي اعرض عن الايمان والتصديق
ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ويختال في مشيته وقيل اصله يتمطط اي يتمدد من الكسل **اولى**
لك فاولى هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك
يعوده وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك اجدر بهذا العذاب واحق واولى به يقال
ذلك لمن يصيبه مكروه ويستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية اخذ بمجامع
ثوب ابي جهل بالبطحاء وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد والله ما
تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا واني لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه وقتله
اسوأ قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل **ايحسب**
الانسان ان يترك سدى اي مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الاخرة **الم يك**
نطفة اي ماء قليلا **من مني يمنى** اي يصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شيء مستقذر ان يتكبر

ويتمنى

ويخرج عن الطاعة ثم كان علقة اي صار الانسان علقة بعد النطفة فخلق فسوى اي فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاءه فجعل منه اي من الانسان الزوجين اي الصنفين ثم فسرهما فقال الذكر والانثى اي خلق من مائه اولادا ذكورا واناثا اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى اي بقادر على اعادته بعد الموت عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله اخرجه ابو داود وله عن موسى بن ابي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان ايضا مدنية قاله مجاهد

وقتادة والجمهور وقيل مكية حكي ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة ○ وقيل ان المدني من اولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الاية الى آخرها كله مكي حكاه الماوردي وهي احدى وثلاثون آية ومائتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل هل أتى اي قد أتى على الانسان يعني آدم عليه السلام حين من الدهر يعني اربعين سنة وهو من طين ملقى م عن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به وينظر اليه فلما رآه اجوف عرف انه خلق لا يتمالك قوله يطيف به اي يدور حوله فلما رآه اجوف اي صاحب جوف وقيل هو الذي داخله خال وقوله عرف انه خلق لا يتمالك اي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب وروي في تفسير الاية ان آدم بقي اربعين سنة طينا واربعين حمأ مسنونا واربعين صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة لم يكن شيئا مذكورا اي لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان شيئا ولم يكن شيئا مذكورا عن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الاية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه وروي نحوه عن ابي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهم بنو آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان فالانسان في الموضعين واحد وعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدر لم يكن شيئا مذكورا يعني انهم كانوا نطفا في الاصلاب ثم علقا ومضغا في الارحام لم يذكروا بشيء انا خلقنا الانسان يعني ولد آدم من نطفة اي مني الرجل ومني المرأة امشاج اي اخلاط قال ابن عباس وغيره ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له ما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو امشاج قال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة

وقيل هي نطفة مشيجة اي خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المراة ارتفع الحيض وقيل
ذا امشاج اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا اخر وقيل
ان الله تعالى خلق في النطفة اختلاطا من الطبائع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات امشاج نبتليه اي نختبره بالامر والنهي فجعلناه سميعا بصيرا قيل
فيه تقديم وتاخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه
انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع
والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما خصهما
بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها انا هديناه السبيل اي بينا له السبيل الحق والباطل والهدى
والضلالة وعرفناه الخير والشر وقيل معناه ارشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه والمراد
من هداية السبيل نصب الدلائل وبعث الرسل وانزال الكتب اما شاكرا واما كفورا يعني اما موحدا طائعا
لله واما مشركا بالله في علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته
من معصيته وقيل في معنى الاية اما مومنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء
يعني بينا له الطريق ان شكر او كفر وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه
سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما لكل الفريقين فوعد الشاكر
واوعد الكافر فقال تعالى انا اعتدنا اي هيأنا في جهنم للكافرين سلاسل يسحبون بها واغلالا
اي في ايديهم تغل بها الى اعناقهم وسعيرا يعني وقودا لا يوصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب
والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى ان الابرار يعني المومنين الصادقين في ايمانهم
المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر المتوسع في الطاعة يشربون من كاس يعني
فيه شراب كان مزاجها كافورا قيل يمزج لهم شرابهم به قلت قال اهل المعاني اراد
كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين
في الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان اهل
لا يمسهم ضرر فيما ياكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس
ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل عينا
بدلا من الكافور وقيل اعني عينا يشرب بها اي يشرب منها عباد الله قال ابن عباس اولياء الله يفجرونها
تفجيرا اي يقودونها الى حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا تمتنع عليهم قوله تعالى
يوفون بالنذر لما وصفهم الله تعالى بثواب الابرار في الاخرة وصف اعمالهم في الدنيا التي استوجبوا بها هذا
الثواب والمعنى كانوا في الدنيا يوفون بالنذر النذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه الطاعات
من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر في عرف الشرع واللغة
ان يوجب الرجل على نفسه شيئا ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله علي كذا وكذا من صدقة او صوم او
صلاة او حج او عمرة تعلق ذلك بامر يلتمسه من الله على كذا وكذا من صدقة او صوم او صلاة او حج او عمرة تعلق
ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضي او قدم غائبي كان لله تعالى علي كذا وكذا والنذر

في معصية

في معصية لا يجب الوفاء به (خ) عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من نذر أن يطيع الله فليف بنذره ومن نذر أن يعصي الله فلا يف به فليطعه ولا يعصيه وعنها أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي (ق)
عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على أمه فتوفيت
قبل أن تقضيه فأمره أن يقضيه عنها أخرجه الجماعة وفي هذه دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة
في وصفهم على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه كان لما أوجبه الله عليه أوفى ويخافون يوما
كان شره مستطيرا أي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه في أهل السموات وأهل الأرض
وفي أولياء الله وأعدائه وقيل فشا شره في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة
وكورت الشمس والقمر وفي الأرض فنسفت الجبال وغارت المياه وكسر كل شيء على الأرض من جبال وبناء
والمعنى أنهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته ثم لهم والحاجة إليه فوصفهم الله
تعالى فوصفهم الله تعالى بأنهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم بالطعام ويواسون به أهل الحاجة بقوله ويطعمون
الطعام على حبه وذلك لأن أشرف أنواع الإحسان والبر إطعام الطعام لأن به قوام الأبدان وقيل على حب
الله عز وجل أي حب الله مسكينا يعني فقيرا وهو الذي لا مال له ولا يقدر على الكسب ويتيما أي صغيرا
وهو الذي لا أب له يكتسب له وينفق عليه وأسيرا قيل هو المسجون من أهل القبلة يعني من المسلمين
وقيل الأسير هو من أهل الشرك أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك
فعلى هذا الوجه يجوز إطعام الأسراء وإن كانوا على غير ديننا وأنه يرجى ثوابه ولا يجوز أن يعطى
من الصدقة الواجبة كالزكوات والكفارات وقيل الأسير المملوك وقيل الأسير المرأة لقول النبي صلى الله
عليه وسلم اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان يعني أسراء وقيل غريم يملك أسيره وأحسن إلى الأسير (ه)
واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الدحداح صام يوما فلما
كان وقت الإفطار جاءه مسكين ويتيم وأسير فأطعمهم ثلاثة أرغفة وبقي له ولأهله رغيف واحد فنزلت
هذه الآية فيه وروي عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب وذلك أنه عمل ليهودي بشيء من شعير فقبض
ذلك الشعير فطحن منه ثلثه وأصلحوا منه شيئا يأكلونه فلما تم أتى مسكين فسأل فأخرجوا له الطعام
إليه ثم عمل الثلث الثاني فلما تم أتى مسكين فسأل فأخرجوا له الطعام أتاهم يتيم فسأل فأطعموه ذلك ثم عمل
الثلث الباقي فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه
الآية وقيل الآية عامة في كل من أطعم المسكين واليتيم والأسير لله تعالى وآثر على نفسه إنما نطعمكم لوجه
الله أي لأجل وجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قيل إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله من قلوبهم فأثنى
به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافأة وقيل قالوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك
ومن المراد أن الإحسان إلى الغير تارة يكون لأجل الله تعالى لا يريد به غيره وهذا هو الإخلاص وتارة يكون لطلب
المكافأة أو لطلب الحمد من الناس أو لهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله لأن فيهما شركا ورياء فنفوا
ذلك عنهم بقولهم إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوما يعني إحساننا
إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافأتكم عبوسا وصف اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صائم

ابواح

وقد تكم [illegible] واحد
[illegible] لا يتكلوا [illegible] الناس
وفيه الرد [illegible] ويعود لله تعالى [illegible] رياء الناس
[illegible] بالتزين [illegible] أموال الناس
بالله [illegible] ويتقي [illegible] ويتقون
وقال [illegible] وما [illegible] ويتقيهم [illegible] الشيطان
فلا يريدوا [illegible] الله وما [illegible] المعجب [illegible]
وجه الله بما ولله [illegible] المن والأذى [illegible] إذا عرف أنه
التماس الشكر من [illegible] المال إنما نطعمكم لوجه الله
هذا فيقول القوم أطعم لوجه الله [illegible] هذا
يبقى فيه احتمال أنه [illegible] التشكر [illegible] شكورا
ولا غرض على سبيل [illegible] جزاء
الاحتمال [illegible] رتبتي من [illegible]

والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة
قمطريرا يعني شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي لا انبساط فيه والقمطرير
الشديد وقيل هو اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء فوقاهم الله شر ذلك اليوم اي الذي يخافونه
ولقاهم نضرة اي حسنا في وجوههم وسرورا اي في قلوبهم وجزاهم بما صبروا على طاعة الله واجتناب معاصيه
وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والايثار جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير متكئين فيها
اي في الجنة على الارائك جمع اريكة وهي السرر في الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا اجتمعا لا يرون فيها شمسا ولا
زمهريرا يعني لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم في الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكي
ان الزمهرير في قول ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه في لغة طيء وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر
قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان الجنة ضياء ولا يحتاج فيها الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها
اي قريبة منهم ظلال اشجارها وذللت اي سخرت وقربت قطوفها اي ثمارها تذليلا اي يا كلون من ثمارها قياما
وقعودا او مضطجعين يتناولونها كيف شاءوا وعلى اي حال ارادوا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب
قيل هي الكيزان التي لا عرى لها كالقدح ونحوه كانت قواريرا قواريرا من فضة قال اهل
التفسير اراد بياض الفضة في صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى ان آنية اهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج
يرى ما في باطنها من ظاهرها قال الكلبي ان الله تعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة
من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل ان القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من
من فضة ولكنها اصفى من الزجاج قدروها تقديرا اي قدروا الكؤوس على قدر ريهم وكفايتهم لا يزيد ولا ينقص
والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم ويسقون فيها اي في الجنة كاسا
كان مزاجها زنجبيلا قيل الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشربه
المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في شرابهم
لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشارا الاري العسل
والمشار المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب في معناه فكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة
الخمر فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة بذلك وقيل ان شراب الجنة على
برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كلما ذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة
وسماه ليس له مثل في الدنيا لان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا عينا فيها تسمى سلسبيلا
اي سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاءوا وقيل حديدة الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها
تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لانها
في غاية السلاسة في الحلق ومعنى تسمى اي توصف لان اكثر العلماء على ان سلسبيل صفة لا اسم ويطوف
عليهم ولدان مخلدون اي في الخدمة مسورون ومقرطون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا يعني في
بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا نثر على البسط كان احسن منه منظوما وقيل انما شبهوا
بالمنثور لانتشارهم في الجنة قوله تعالى واذا رايت قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل
احد ممن يدخل الجنة ومعنى اذا رميت ببصرك ونظرت به ثم يعني الجنة رايت نعيما اي لا يوصف عظمه وملكا

والعلماء في ذكر السلسبيل هو ان ذلك الشراب
يكون فيه طعم الزنجبيل وليس فيه لذعه لان نقيض
اللذع هو السلاسة وقد عزوا الى علي بن ابي طالب
ان معناه سل سبيلا اليها وهذا بعيد الا ان
يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت
علما للعين كما قيل تابط شرا وسميت بذلك
لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا
بالعمل الصالح المسالة الثانية في نصب
عينا وجهان احدهما انه بدل من زنجبيلا
وثانيهما انه نصب على الاختصاص المسالة
الثالثة سلسبيلا حكى ... الرواية وطرح
كقوله الظنونا والسبيلا وقد تقدم في مقدمة
السورة بيان ذلك واعلم انه تعالى ذكر بعد
ذلك من يكون خادما في تلك المجالس فقال
سبحانه ويطوف عليهم ولدان مخلدون وقد تقدم
تفسير هذين الوصفين في سورة الواقعة والاقرب
ان المراد به دوام كونهم على تلك الصورة التي لا يراد في
الخدمة ابلغ منها وذلك يتضمن دوام حياتهم وحسنهم
ومواظبتهم على الخدمة الحسنة الموافقة قال
... وقال مخلدون مسورون مقرطون وروي بعضهم
... اي مخلدون انتهى

كبيرًا قيل هو انّاهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه، وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليهم الا باذنه وهو استيذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكًا لا زوال له ولا انتقال عاليهم
ايّ فوقهم ثياب سندس خضر وهو ما رق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ منه وكلاهما اخل في اسم
الحرير وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا يعني طاهرًا من الاقذار والاقذار لم تمسه الايدي ولم
تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولًا ولكنه يستحيل رشحًا في ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يوتون
بالطعام ثم بعده يوتون بالشراب الطهور فيشربون فيطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحًا يخرج من جلودهم اطيب
من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه
نزع الله ما كان في قلبه من غل وحسد وغش ان هذا كان لكم جزاء اي يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء فقد وعدكم الله الى هذا الوقت بهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله
تعالى لعباده المومنين انه قد اعد لهم في ماضيه وكان سعيكم مشكورًا اي شكرتكم عليه واثبتكم
افضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعات واعطاوه اياهم الكثير من
الخيرات قوله عز وجل انا نحن نزلنا عليك القرءان تنزيلًا قال ابن عباس متفرقًا اية بعد اية ولم ينزله
جملة واحدة والمعنى انا نزلنا عليك القرءان متفرقًا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين والمقصود منه
تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي انزله عليه وحي منه ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك
الوحشة التي حصلت له من قول الكفار انه سحر او كهانة فاصبر لحكم ربك اي الصادر عن حكمه محضة قيل
معناه فاصبر لحكم ربك في تاخير الاذن في القتال وقيل هو عام في جميع التكاليف اي اصبر في كل ما حكم الله به
سواء كان تكليفًا خاصًا كالعبادات والطاعات او عامًا متعلقًا بالغير كالتبليغ واداء الرسالة وتحمل
المشاق وغير ذلك ولا تطع منهم آثمًا او كفورًا يعني وكفورًا وقيل اراد به ابا جهل وذلك انه
لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها وقال ان رايت محمدًا يصلي لاطان عنقه وقيل
اراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت انما
صنعت هذا لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتي واسوقها اليك بغير مهر وقال
الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله عز وجل الاية فان قلت هل من فرق
بين الاثم والكفور قلت نعم الاثم هو المقدم على المعاصي اي معصية كانت والكفور هو الجاحد
فكل كفور اثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه واذكر اسم ربك
بكرة واصيلًا قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح واصيلًا يعني صلاة
الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الاية جامعة لمواقيت
الصلاة الخمس وسبحه ليلًا طويلًا يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد
من الاية هو الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذاكر الله تعالى في جميع اوقات الليل والنهار بقلبه ولسانه قوله
تعالى ان هولاء يعني كفار مكة يحبون العاجلة يعني الدار العاجلة وهي الدنيا ويذرون وراءهم يعني
يعني امامهم يومًا ثقيلًا يعني شديدًا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يومنون به ولا يعملون
له نحن خلقناهم وشددنا اي قوينا واحكمنا اسرهم اي خلقهم واوصالهم شددنا بعضهم الى بعض بالعروق

والاعصاب وقيل مسالك مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضتا واذا شئنا بدلنا امثالهم
تبديلا اي اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم ان هذه اي السورة تذكرة اي تذكير
وعظة فمن شاء اتخذ لنفسه في الدنيا الى ربه سبيلا اي وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذا مما يتمسك
به القدرية ويقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته فقال
اهل السنة ورد عليهم قوله تعالى في سياق الاية وما تشاءون الا ان يشاء الله اي لستم تشاءون
الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد فجميع ما يصدر عن العبد بمشيئة
الله تعالى تعالى ان الله كان عليما اي باحوال خلقه وما يكون منهم حكيما اي حيث خلقهم مع علمه بهم
يدخل من يشاء في رحمته اي في دينه وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك بامر الله تعالى وان
فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق والظالمين
اعد لهم عذابا اليما يعني المشركين اعد لهم عذابا اليما والله اعلم

تفسير سورة المرسلات مكية وهي خمسون اية ومائة

وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا
او نذرا اعلم ان المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها الاول ان المراد بالكل هنا الرياح ومعنى المرسلات
عرفا الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا اي كثيرا فالعاصفات عصفا يعني الرياح الشديدة
الهبوب والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة وقيل هي الرياح التي ارسلها نشرا اي بين يدي رحمته
وقيل هي الرياح التي ارسلها نشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتاتي
بالمطر فالفارقات فرقا يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني ان الرياح اذا ارسلت
عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الاثار فيحصل بذلك خوف في قلوب العباد فيلجأوا الى
الله تعالى ويذكروه فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والمعرفة في القلوب عند حدوث هبوبها الوجه الثاني
ان المراد بالكل هنا الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى ومعنى والمرسلات عرفا هم الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف
من امر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود والعاصفات عصفا يعني الملائكة تعصف في طيرانها
ونزولها كعصف الرياح في السرعة والناشرات نشرا يعني انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم وقيل
هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعني
الملائكة تاتي بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني الملائكة تلقي الذكر الى الانبياء وقيل يجوز ان
يكون المراد من الذكر هو القران خاصة فعلى هذا يكون الملقي هو جبريل وحده وانما ذكر بلفظ الجمع على سبيل التعظيم
الوجه الثالث ان المراد بالكل هنا ايات القران ومعنى المرسلات عرفا ايات القران المتتابعة في النزول على محمد
صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعني ايات القران تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى
تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعني ان ايات القران تنشر انوار الهداية والمعرفة
في قلوب المومنين فالفارقات فرقا يعني ان ايات القران تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني ان ايات
القران هي الذكر الحكيم التي تلقي الايمان والنور في قلوب المومنين الوجه الرابع انه ليس المراد من هذه

الكلمات

الكلمات الخمس شيئا واحدا بعينه وعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا الملايكة **فان قلت** وما المجانسة بين
الرياح والملايكة حتى جمع بينهما في القسم **قلت** الملايكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم
شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهم من هذا الوجه فحصل الجمع بينهم في القسم عذرا او نذرا اي للاعذار
و الانذار **وقيل** عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله تعالى **انما
توعدون** اي من امر الساعة ومجيئها **لواقع** اي لكاين نازل لا محالة **وقيل** انما توعدون به من الخير والشر
لواقع ثم ذكر متى يقع فقال تعالى **فاذا النجوم طمست** اي محي نورها **وقيل** محقت **واذا السماء فرجت**
اي شقت **وقيل** فتحت **واذا الجبال نسفت** اي قلعت من اماكنها **واذا الرسل اقتت** وقرئ وقتت
ومعناهما واحد اي جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم **لاي يوم اجلت**
اي اخرت وضرب الاجل لجمعهم كانه تعالى يعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل في ذلك اليوم
لتعذيب من كذبهم وتعظيم من امن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى **ليوم الفصل** **قال ابن عباس** يوم يفصل
الرحمن فيه بين الخلايق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى **وما ادراك ما يوم الفصل** اي وما علمك بيوم الفصل
وهوله وشدته **ويل يوميذ للمكذبين** اي بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب قوله تعالى **الم نهلك
الاولين** يعني الامم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم **ثم نتبعهم الاخرين** اي السالكين سبيلهم
في الكفر والتكذيب يعني كفار قريش اي نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم **كذلك نفعل بالمجرمين**
اي انما فعلنا بهم ذلك لكونهم مجرمين **ويل يوميذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين** يعني النطفة **فجعلناه
في قرار مكين** يعني الرحم **الى قدر معلوم** يعني وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلمه غيره **فقدرنا** قرئ
بالتشديد من التقدير اي قدرنا ذلك تقديرا **فنعم القادرون** اي المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة اي
قدرنا على خلقه وتصويره كيف شينا فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن صورة وهيية **ويل يوميذ للمكذبين**
اي المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة **الم نجعل الارض كفاتا** يعني وعاء واصله الضم
والجمع **احياء وامواتا** يعني تكفتهم احياء على ظهرها يعني تضمهم في دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا في بطونها في قبورهم
ولهذا تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها **وجعلنا فيها** اي في الارض **رواسي شامخات** يعني جبالا
عاليات **واسقيناكم ماء فراتا** يعني عذبا **ويل يوميذ للمكذبين** يعني ان هذا كله اعجب من البعث فالقادر
عليه قادر على البعث قوله عز وجل **انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون** اي يقال يوميذ يوم القيامة
للمكذبين في الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله **انطلقوا الى ظل ذي ثلاث
شعب** يعني دخان جهنم اذا سطع وارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق وكذلك شان الدخان العظيم
فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى في ظل عرشه **وقيل** يخرج عنق من النار فيتشعب
ثلاث شعب على رؤوسهم ومن ايمانهم وعن شمايلهم **لا ظليل** اي ذلك الظل لا يظل من حر **ولا يغني من اللهب** اي يرد عنهم
لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب **انها** يعني جهنم **ترمي بشرر** جمع
شررة وهو ما تطاير من النار **كالقصر** اي كالبناء العظيم ونحوه **وقيل** هو اصول الشجر والنخل العظام واحدها
قصرة **وسيل ابن عباس** عن قوله ترمي بشرر كالقصر فقال هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى

الخشبة ونقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر كانه يعني الشرر جمالات
جمع الجمال قال ابن عباس هي حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الرجال صفر جمع أصفر يعني انه
لون تلك الشرار وانتشر بعضهم عنهم باعلى صوته ورفقتهم يشبه الجمال الصفر في ناحية الشنوى وقيل
الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء في الحديث ان شرر جهنم اسود كالقير والعرب تسمي سود الابل صفرا لانه
انه يشوب سوادها شيء من الصفرة وقيل هو قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كانه شيء مجموع
غليظ أصفر ويل يومئذ للمكذبين قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون يعني بحجة تنفعهم وقيل هذا في مواطن
القيامة ومواقفها وذلك لان في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم على افواههم فلا
ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤوس الايات بالنون فلو قال فيعتذروا
لم يوافق الايات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافي والقرآن نزل على ما تستحب العرب
من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون لهم اذن واعتذار قال الجنيد اي عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر
اياديه ونعمه فان قلت قد يوهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر
في الحقيقة لانه قد تقدم الانذار والاعذار في الدنيا لم يبق لهم عذر في الاخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا
ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم في ذلك العذر الفاسد ويل يومئذ للمكذبين يعني انه لما تبين انه لا عذر لهم ولا
حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم قال في حقهم ويل يومئذ
للمكذبين هذا يوم الفصل يعني بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق
والمحاكمات جمعناكم والاولين يعني مكذبي هذه الامة والذين كذبوا الانبياء من الامم الماضية فان
كان لكم كيد فكيدون اي ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون ان الحيل
يومئذ منقطعة لا تنفع وفي هذا نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا عقبه بقوله ويل يومئذ للمكذبين
قوله عز وجل ان المتقين اي الذين اتقوا الشرك في ظلال جمع ظل وهو ظل الاشجار وعيون اي في
ظلهم عيون ماء وفواكه مما يشتهون اي يلتذون بها كلوا واشربوا اي ويقال لهم كلوا واشربوا
وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله بلا واسطة وما اعظمها من نعمة وان يكون من جهة الملائكة
على سبيل الاكرام هنيئا اي خالص اللذة لا يشوبه تنغيص بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الطاعات
انا كذلك نجزي المحسنين قيل المقصود تذكير الكفار ما فاتهم من النعيم العظيم ليعلموا انهم لو كانوا من
المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قوله
تعالى كلوا وتمتعوا قليلا اي يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا في الدنيا الى منتهى آجالكم وهذا وان كان
في ظاهر اللفظ امرا الا انه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم انكم مجرمون اي مشركون بالله مستحقون للعقاب
في جهنم واتبعه بقوله ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا قيل لهم اطيعوا محمدا
واصحابه لا يصلون وعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها قال ابن عباس انما يقال
لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده
اي بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به فبأي شيء يؤمنون والله اعلم

تفسير سورة النبإ وتسمى سورة عم والتساؤل مكية

وهي

حزب

وهي اربعون اية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عمّ اصله عن ما يتساءلون اي عن اي شيء تتسألون
يعني المشركين ولفظه استفهام ومعناه التعجيب كقولك اي شيء زيد اذا عظمت شانه وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلى عليهم القرءان جعلوا يتساءلون بينهم
فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد ثم ذكر عن ماذا تسألوا فقال الله تعالى عن النبإ العظيم اي عن الخبر
العظيم الشان قال الاكثرون هو القرءان وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما
جاء به الذي هم فيه مختلفون فمن فسر النبإ العظيم بالقرءان قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر او شعر او
كهانة ونحو ذلك مما قالوه في القرءان ومن فسر النبا بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المومنون ومن
مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوءة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القرءان
كلا قيل ردع وزجر وقيل هو نفي لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا سيعلمون وعيد على اثر
وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون
يعني المومنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشياء من بدائع صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده
ويعلموا انه قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده وانه اهل للبعث والحساب والثواب والعقاب
فقال تعالى الم نجعل الارض مهادا اي فراشا وبساطا لتستقروا عليها بالاقدام والجبال اوتادا يعني للارض
حتى لا تميد وخلقناكم ازواجا يعني اصنافا ذكورا واناثا وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم
وليس الغرض ان السبات الراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويريح ومع ذلك تحصل الراحة
اصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع الحركة والتصرف في الاعمال وجعلنا الليل لباسا اي
غطاء وغشاء يستتر كل شيء بظلمته ولهذا سمي الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة في ذلك هو
ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك وجعلنا النهار معاشا
اي سببا للمعاش والتصرف في المصالح وقال ابن عباس يبتغون فيه من فضل الله وما قسم لهم من رزقه
وبنينا فوقكم سبعا شدادا يعني سبع سماوات ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر
الزمان الى ان ياتي امر الله تعالى وجعلنا سراجا وهاجا يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج
الوقاد وقيل جعل في الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة وانزلنا من المعصرات يعني الرياح
التي تعصر السحاب وهي رواية عن ابن عباس وقيل هي الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من
بمعنى الباء وانزلنا بالمعصرات وذلك ان الريح تستدر المطر وقيل هي السحاب وهو رواية اخرى عن
ابن عباس وقيل المعصرات السحابة التي تتحلب بالمطر ولم تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو
المغيث وقيل المعصرات السماوات وذلك ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ماء ثجاجا اي صبابا
مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب
دماء الهدي لنخرج به اي بذلك الماء حبا يعني ما ياكله الناس كالحنطة ونحوها ونباتا اي ما ينبت في
الارض من الحشيش مما ياكل الانعام وجنات الفافا اي ملتفة بالشجر ليس بينها خلل ولما ذكر البعث
بذكر ابتداء الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى ان يوم الفصل اي الحساب كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور

المغيثات

يعني النفخة فتأتون أفواجا يعني زمرا زمرا من كل مكان للحساب وفتحت السماء فكانت أبوابا
يعني فكانت ذوات أبواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتشقق حتى تصير فيه أبوابا وطرقا وسيرت
الجبال أي عن وجه الأرض فكانت سرابا أي هباء منبثا كالسراب في عين الناظر إن جهنم كانت
مرصادا أي طريقا وممرا فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار روي عن ابن عباس أن على جسر
جهنم سبع محابس يسأل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها تامة جاز إلى الثاني حض
فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الثالث فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع
فيسأل عن الصوم فإذا جاء به تاما جاز إلى الخامس فيسأل عن الحج فإن جاء به تاما جاز إلى السادس فيسأل
عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها وإلا يقال له انظر فإن كان له
تطوع أكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة وقيل كانت مرصادا أي معدة لهم وقيل من رصدت
الشيء أرصده إذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى أن جهنم ترصد الكفار
لئلا تنفلت منهم للطاغين أي الكافرين مآبا أي مرجعا يرجعون إليها لابثين فيها أي الكافرين في جهنم
أحقابا جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة
روي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل الحقب الواحد تسع عشرة ألف سنة فإن قلت
ما الأحقاب وإن طالت فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناهي فما معنى قوله أحقابا قلت
ذكروا فيه وجوها أحدها ما روي عن الحسن قال إن الله تعالى لم يجعل لأهل النار مدة بل قال لابثين
فيها أحقابا فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر إلى الأبد فليس للأحقاب عدة إلا الخلود
وروي عن عبد الله بن مسعود قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم
أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا الوجه الثاني أن لفظ الأحقاب لا يدل على نهاية
والحقب الواحد متناهي والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقابا لا يذوقون أي في تلك الأحقاب بردا ولا شرابا انهم فيها
إلا حميما وغساقا أي لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذي انتهى حره
وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل صديد أهل النار جزاء وفاقا
أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب
أعظم من النار إنهم كانوا لا يرجون حسابا أي لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون
بالبعث ولا بأنهم يحاسبون وكذبوا بآياتنا أي التي جاءت بها الأنبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد
والنبوة والبعث والحساب كذابا أي تكذيبا قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل
فعالا قال وقد سألني أعرابي منهم يستفتيني الحلق أحب إليك أم القصار يريد التقصير وكل شيء أي من
الأعمال أحصيناه أي بيناه وأثبتناه كتابا أي في كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه
وكل شيء وإنما نجزيهم على قدر أعمالهم جزاء وفاقا فذوقوا أي يقال لهم ذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا قيل
هذه الآية أشد آية في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه قوله
تعالى إن للمتقين مفازا يعني فوزا أي نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوا من نعيم الجنة ويحتمل أن
يفسر الفوز بالأمرين جميعا لأنهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال

حرابو

بغير علمهم

حدائق جمع حديقة وهو البستان المحوط فيه نخل وأعنابا يريد تعظيم ذلك العنب وكواعب جمع كاعب يعني جواري نواهد وقد تكعب ثديهن أترابا يعني مستويات في السن وكأسا دهاقا قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية لا يسمعون فيها أي في الجنة وقيل في حال شربهم لغوا يعني باطلا من الكلام ولا كذابا أي تكذيبا والمعنى أنه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به جزاء من ربك عطاء حسابا رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا أي لا يقدر الخلق أن يكلموا الرب إلا بإذنه أي في ذلك اليوم يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل هو جبريل عليه السلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم من السماوات والأرض والجبال وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجيء يوم القيامة صفا وقيل يقومون سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة لا يتكلمون يعني الخلق كلهم إجلالا لهيبة الله عز وجل ومن هول ذلك اليوم إلا من أذن له الرحمن أي في الكلام وقال صوابا أي حقا في الدنيا وعمل به وقيل قال لا إله إلا الله وقيل الاستثناء يرجع إلى الروح والملائكة ومعنى الآية لا يشفعون إلا في شخص أذن الرحمن في الشفاعة فيه وذلك الشخص من كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا إله إلا الله ذلك اليوم الحق أي الكائن الواقع لا محالة وهو يوم القيامة فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا أي سبيلا يرجع إليه وهو طاعة الله وما يتقرب به إليه إنا أنذرناكم أي خوفناكم في الدنيا عذابا قريبا أي هو آت وكل ما هو آت قريب يوم ينظر المرء ما قدمت يداه أي من خير وشر مثبتا في صحيفته ينظر إليه يوم القيامة ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا قال عبد الله بن عمر إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فإذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص إنا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين أيام حياتكم فارجعوا إلى ما كنتم كونوا ترابا فإذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت ترابا في الدنيا في صورة بعض البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل إذا قضى الله بين الناس وأمر أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وقيل لسائر الأمم سوى الناس ومؤمني الجن عودوا وا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معناه أن الكافر إذا رأى ما أنعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال يا ليتني كنت ترابا يعني متواضعا في طاعة الله في الدنيا ولم أكن جبارا متكبرا وقيل أن الكافر هنا هو إبليس وذلك أنه عاب آدم كونه خلق من تراب وافتخر عليه بأنه خلق من نار فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال أبو هريرة فيقول التراب لا ولا كرامة من جعلك مثلي والله أعلم

تفسير سورة النازعات مكية وهي ست وقيل خمس وأربعون آية وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا اختلف عبارة المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشيء واحد أم لأشياء مختلفة على أوجه واتفقوا على أن المراد

بقوله فالمدبرات أمرا اوصفا للشيء واحد وهم الملائكة **الوجه** الاول في قوله والنازعات يعني الملائكة تنزع
ارواح الكفار من اقاصي اجسادهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ به غاية المد والغرق اي والنازعات اغراقا وقال
ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكفار كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج
نفس الكافر كالغريق في الماء والناشطات نشطا هم الملائكة تنشط نفس المومن اي تحله حلا رفيقا فتقبضها كما
ينشط العقال من يد البعير **واما** حظ النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المومن لان بينهم فرق فالنزع جذب
بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعني الملائكة يقبضون ارواح المومنين يسلونها سلا رفيقا **ثم**
يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة **وقيل** هم الملائكة ينزلون
من السماء مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع في جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعني الملائكة سبقت
ابن ادم بالخير والعمل الصالح **وقيل** هم الملائكة تسبق بارواح المومنين الى الجنة **الوجه الثاني** في قوله
والنازعات يعني النفس حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا **قال ابن عباس**
هي نفس المومنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده من الجنة قبل ان يموت
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هي ارواح الكفار تنشط من بين الجلد والاظفار حتى تخرج من افواههم
بالكرب والغم والسابحات سبحا يعني ارواح المومنين حين تسبح في الملكوت فالسابقات سبقا يعني استباقها
الى الحضرة القدسية **الوجه الثالث** في قوله فالسابقات سبقا يعني النجوم تنزع من افق الى افق تطلع
ثم تغيب والناشطات نشطا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك والسابقات سبقا يعني النجوم
يسبق بعضها بعضا في السير **الوجه الرابع** في قوله والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع في اعنتها
وتغرق في عرقها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهي السابحات سبحا في جريها وهي السا
بقات لاستباقها الى الغاية **الوجه الخامس** في قوله والنازعات يعني الغزاة حين تنزع في قسيها
في الرمي فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا اي السهام في الرمي والسابحات يعني الخيل
والابل حين يخرجونها اصحابها الى الغزو **الوجه السادس** ليس المراد بهذه الكلمات شيئا واحدا
فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا حتى يبلغ الغاية والناشطات نشطا يعني النفوس تنشط
من القرنين بمعنى تجذب والسابحات سبحا يعني السفن والسابقات سبقا يعني مسابقة نفوس المومنين
الى الخيرات والطاعات **اما قوله فالمدبرات امرا** فاجمعوا على انهم الملائكة **قال ابن عباس**
هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها **وقال** عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا اربعة
جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فاما جبريل فهو موكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فهو موكل
بالقطر والنبات **واما** ملك الموت فهو موكل بقبض النفوس **واما** اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى
وهذه اقسام من الله بهذه الاشياء ولله ان يقسم بما يشاء من خلقه او يكون التقدير ورب هذه الاشياء
وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن **وقيل** جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى **وقيل**
هو قوله قلوب يومئذ واجفة **يوم ترجف الراجفة** يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء
ويموت منها جميع الخلق **تتبعها الرادفة** يعني النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة **قال**
قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شيء والاخرى تحيي كل شيء باذن الله عز وجل **وقيل** الراجفة التي تزلزل

الأرض والجبال والرادفة تنشق السماء، وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البغوي
بسنده الثعلبي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام وقال
أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة
أي خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة وقيل زائلة عن أماكنها أبصارها خاشعة أي أبصار
أهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى يقولون يعني المنكرين للبعث إذا قيل لهم إنكم
مبعوثون بعد الموت أئنا لمردودون في الحافرة يعني إلى أول الحال وابتداء الأمر فنصير أحياء بعد
الموت كما كنا أولا وهو من قول العرب تقول رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم لابتداء
الشيء وأول الشيء وقيل يقال رجع فلان في حافرته أي في طريقه التي جاء فيها فحفرها بمشيه فحصل بأثر
قدميه حفر أي فهي محفورة في الحقيقة وقيل الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم فسميت حافرة لأنها تستقر
عليها الحافرة والمعنى أئنا لمردودون إلى الأرض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقيل الحافرة النار
أئذا كنا عظاما نخرة أي بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التي تمر فيها الريح
فتنخر أي تصوت قالوا يعني المنكرين للبعث إذ عاينوا أهوال يوم القيامة تلك إذا كرة خاسرة أي رجعة
غابنة يعني إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت فإنما هي يعني النفخة الأخيرة زجرة واحدة
أي صيحة واحدة يسمعونها جميعا فإذا هم بالساهرة يعني وجه الأرض سميت ساهرة لأن عليها
نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطء عليها كأنها سهرت والمعنى أنهم كانوا في بطن الأرض
فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هي أرض الشام وقيل هي أرض القيامة وقيل
هي أرض جهنم قوله تعالى هل أتاك حديث موسى يعني قد أتاك يا محمد حديث موسى وذلك أنه صلى الله
عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه السلام وأنه كان يتحمل المشاق من قومه ليتأسى
به إذ ناداه ربه بالواد المقدس أي المطهر طوى هو اسم واد بالشام عند الطور اذهب إلى فرعون
إنه طغى أي علا وتكبر وكفر بالله فقل هل لك إلى أن تزكى أي تطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم
وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد أن لا إله إلا الله وأهديك إلى ربك أي أدعوك إلى عبادة
ربك وتوحيده فتخشى يعني عقابه وإنما خص فرعون بالذكر وإن كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه
لأن فرعون كان أعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه فأراه يعني فأرا موسى بأنها من الله وعصى أي تمرد وطغى
النبي ثم أدبر يسعى أي أعرض عن الإيمان وسعى بعمل الفساد في الأرض فحشر فجمع قومه وجنوده فنادى أي
لما اجتمعوا فقال يعني فرعون لقومه أنا ربكم الأعلى أي لا رب فوقي وقيل أراد أن الأصنام أرباب وهو
ربها وربهم فأخذه الله نكال الآخرة والأولى أي عاقبه فجعله عبرة لغيره بأن أغرقه في الدنيا ويدخله النار
في الآخرة وقيل بالآخرة والأولى كلمتي فرعون وهو قوله ما علمت لكم من إله غيري وقوله أنا ربكم الأعلى
وكان بينهما أربعون سنة إن في ذلك أي الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى لعبرة أي لعظة لمن يخشى أي
يخاف الله عز وجل ثم خاطب منكري البعث فقال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها معناه أخلقكم
بعد الموت أشد أم خلق السماء عندكم وفي تقديركم فإن كلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله واحد لأن خلقة
الإنسان على صغره وضعفه إذا أضيف إلى خلق السماء مع عظمها وعظم أحوالها كان يسيرا فبين الله تعالى

ان خلق السماء اعظم والامكان كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بان خلق
السموات والارض ولا ينكرون ذلك ثم انه تعالى وصف كيفية خلق السماء والارض فقال **رفع سمكها**
يعني علو سقفها وقيل رفعها بغير عمد **فسواها** اي اتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور
واغطش ليلها اي اظلم ليلها والغطش الظلمة **واخرج ضحاها** اي نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى
لانه اكمل اجزاء النهار في النور والضوء وانما اضاف الليل والنهار الى السماء لانهما يجريان بسبب غروب
الشمس وطلوعها وهي في السماء ثم وصف كيفية الارض فقال تعالى **والارض بعد ذلك دحاها**
اي بسطها ومدها قال امية بن ابي الصلت دحوت البلاد فسويتها ... وانت على طيها قادر **فان قلت**
ظاهر هذه الاية يقتضي ان الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله بعد ذلك وقال تعالى في حم السجدة
ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الايتين وما معناهما **قلت** خلق الله تعالى الارض اولا مجتمعة
ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التقدير الجمع بين الايتين
وزال الاشكال **قال ابن عباس** خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء
ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات ثم دحى الارض بعد ذلك **وقيل** معناه والارض مع
ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اي مع ذلك **اخرج منها ماءها ومرعاها** اي فجر من الارض عيونها
ومرعاها اي رعيها وهو ما ياكله الناس والانعام واستعار الرعي للانسان على سبيل التجوز
والجبال ارساها اي اثبتها **متاعا لكم ولانعامكم** اي المنفعة لكم من الارض بلغة لكم ولانعامكم قوله
عز وجل **فاذا جاءت الطامة الكبرى** يعني النفخة الثانية التي فيها البعث **وقيل** الطامة القيامة
سميت بذلك لانها تطم كل شيء فتعلوا عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع **يوم
يتذكر الانسان ما سعى** اي ما عمل في الدنيا من خير او شر **وبرزت الجحيم لمن يرى** اي انه يكشف
عنها الغطاء فينظر اليها الخلق **فاما من طغى** اي كفر **وآثر الحياة الدنيا** اي على الاخرة **فان الجحيم
هي الماوى** اي لمن هذه صفته **واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى** اي المحارم
التي تشتهيها **وقيل** هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يدي الله للحساب فيتركها
لذلك **فان الجنة هي الماوى** اي لمن هذه صفته قوله تعالى **يسألونك** اي يا محمد **عن الساعة
ايان مرساها** اي متى ظهورها وقيامها **فيم انت من ذكراها** اي لست في شيء من علمها وذكراها
حتى تهتم لهم وتذكرونها **الى ربك منتهاها** اي منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو
وقيل معنى فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قال انت يا محمد من ذكراها اي من علاماتها
لانك من اخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها **انما انت
منذر من يخشاها** اي انما ينفع انذارك من يخافها **كانهم** يعني الكفار **يوم يرونها** اي يعاينون يوم
القيامة **لم يلبثوا** اي في الدنيا وقيل في قبورهم **الا عشية او ضحاها** **فان قلت** العشية
ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها **قلت** الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى
وقيل اضاف الضحى الى يوم كانه قال الا عشية او ضحى يومها والله اعلم

تفسير سورة عبس مكية وهي احدى واربعون آية وماية

وثلاثون

وثمانون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل عبس أي كلح وقطب وجهه وتولى أي أعرض بوجهه أن جاءه الأعمى يعني ابن أم
مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن زهرة
ابن رواحة القرشي العامري من بني عامر بن لؤي واسم أمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خال
خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن
ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية بن خلف وهو يدعوهم
إلى الله يرجو إسلامهم فقال ابن أم مكتوم [illegible] من خلفه يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك
الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه تقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعبيد والسفلة فعبس
وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين كانوا يكلمهم فأنزل الله هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه إذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه يكرمه
ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة ثلاثة عشر مرة في غزواته وكان من المهاجرين الأولين
وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء
عن عائشة رضي الله عنها قالت أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا ففي
هذا أنزلت أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وما يدريك أي أي شيء يجعلك داريا لعله يزكى أي
يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك أو يذكر أي يتعظ فتنفعه الذكرى أي الموعظة أما
من استغنى قال ابن عباس عن الله وعن الإيمان بما له من المال فأنت له تصدى أي تتعرض له وتقبل عليه
وتصغي إلى كلامه وما عليك ألا يزكى أي لا يؤمن ولا يهتدي إنما عليك البلاغ وأما من جاءك يسعى
يعني يمشي يعني ابن أم مكتوم وهو يخشى يعني الله عز وجل فأنت عنه تلهى أي تتشاغل وتعرض
عنه كلا أي لا تفعل بعدها مثلها إنها يعني الموعظة وقيل آيات القرآن ثم وصف جلالته ومحله
عنده فقال عز وجل في صحف مكرمة يعني القرآن في اللوح المحفوظ مرفوعة أي رفيعة القدر عند الله
وقيل مرفوعة في السماء السابعة مطهرة يعني الصحف لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة بأيدي
سفرة قال ابن عباس كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبين واحدهم سافر وقيل للكاتب
سفر وقيل هم الرسل من الملائكة إلى الأنبياء واحدهم سفير ثم أثنى عليهم بقوله تعالى كرام أي هم كرام
أي هم كرام على الله بررة أي مطيعين له جمع بار قوله تعالى قتل الإنسان أي لعن الكافر وطرد ما أكفره
أي ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده وهذا على سبيل التعجب أي اعجبوا من كفره
وقيل معناه أي شيء حمله على الكفر نزلت هذه الآية في عتبة بن لهب وقيل في أمية بن خلف وقتل
كافرا يوم بدر وقيل الآية عامة في كل كافر ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه فقال
الله تعالى من أي شيء خلقه لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى من نطفة

خلقه فقدره يعني خلقه أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر خلقه وقيل قدره يعني خلق رأسه وعينيه
ويديه ورجليه على قدر ما أراده ثم السبيل يسره أي سهل له طريق خروجه من بطن أمه وقيل سهل له العلم
بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل أحد ما خلق له وقدر عليه ثم أماته فأقبره أي جعل له قبرا يوارى
فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور والقبر مما أكرم به بنو آدم حيث
يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذا تكرمة له بني آدم على سائر الحيوان ثم إذا شاء أنشره أي أحياه بعد
موته للبعث والحساب وإنما قال تعالى إذا شاء أنشره لأن وقت البعث غير معلوم لأحد فهو الى مشيئة
الله تعالى متى شاء أن يحيي الخلق أحياهم كلا ردع وزجر للإنسان عن تكبره وترفعه وعن كفره وإصراره
على إنكار التوحيد وإنكار البعث والحساب لما يقض ما أمره أي لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض
الله عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر به فإنه موضع الاعتبار فقال تعالى فلينظر الإنسان
الى طعامه أي كيف قدره ربه ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل الى مدخل طعامه ومخرجه ثم بين
ذلك فقال تعالى أنا صببنا الماء صبا يعني المطر ثم شققنا الأرض شقا أي بالنبات فأنبتنا
فيها أي بذلك الماء حبا يعني الحبوب التي يتغذى بها الإنسان وعنبا يعني غذاء وجه وفاكهة من وجه
ولهذا اتبعه الحب وقضبا يعني القت وهو الرطبة سمي بذلك لأنه يقضب أي يقطع في كل أيام وقيل
القضب هو العلف كله الذي تعلف به الدواب وزيتونا وهو ما يعصر منه الزيت ونخلا وحدائق
جمع حديقة غلبا يعني غلاظ الشجر وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه في بعض وقال ابن عباس
طوالا وفاكهة يعني جميع ألوان الفاكهة وأبا يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما يأكله الأنعام والدواب
ما يأكله الدواب وقال ابن عباس ما أنبتت الأرض مما يأكله الناس والأنعام وقيل الأب ما تأكله الدواب
وروى إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني
إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم خ عن أنس رضي الله عنه أن عمر قرأ وفاكهة وأبا فقال
فما الأب ثم قال ما كلفنا أو ما أمرنا بهذا لفظ البخاري وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا
الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم يعني الفواكه والحب والعشب منفعة لكم ولأنعامكم ثم ذكر أحوال
القيامة فقال تعالى فإذا جاءت الصاخة يعني صيحة القيامة سميت صاخة لأنها تصخ أسماع
الخلق أي تبالغ في أسماعهم حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته
وبنيه أي أنه لا يلتفت الى أحد من هؤلاء لشغله بنفسه فالمراد من الفرار التباعد والسبب في ذلك
الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالأخ يقول ما واسيتني بمالك والأبوان يقولان قصرت في برنا
والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفر هابيل
من أخيه قابيل والنبي صلى الله عليه وسلم من أمه وإبراهيم عليه السلام من أبيه ولوط من صاحبته ونوح
من ابنه وقيل يفر المرء من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى أن هؤلاء الذين كان المرء يفر منهم في الدنيا
ويتقوى بهم ويتعزز فإنه يفر منهم في الدار الآخرة وفائدة الترتيب كأنه قيل يوم يفر المرء من أخيه بل من
أبويه لأنهم أقرب من الإخوة بل من الصاحبة والولد لأن تعلق القلب بهم أشد من تعلقه بالأبوين لكل امرئ
منهم يومئذ شأن يغنيه أي يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه

وما قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أينظر أو يرى بعضنا عورة بعض فقال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة وأهوالها بين حال المكلفين وأنهم على قسمين منهم السعداء والأشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى **وجوه يومئذ مسفرة** أي مشرقة مضيئة من أسفر الصبح إذا أضاء قيل مسفرة من قيام الليل وقيل من آثار الوضوء وقيل من الغبار في سبيل الله ۝ **ضاحكة** أي عند الفراغ من الحساب **مستبشرة** أي بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الأشقياء بقوله **ووجوه يومئذ عليها غبرة** أي سواد وكآبة من الهم الذي نزل بهم **ترهقها قترة** أي تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس يغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة أن الغبرة ما كان أسفل في الأرض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء **أولئك** أي الذين صنع بهم هذا **هم الكفرة الفجرة** جمع كافر وفاجر والله أعلم

تفسير سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

ومائة وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت أخرجه الترمذي

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **إذا الشمس كورت** قال ابن عباس أظلمت وقيل غورت وقيل اضمحلت وقيل كما تلف العمامة وأصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض ومعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا خ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة وقيل الشمس والقمر جمادان فإلقاؤهما في النار يكون سببا لازدياد الحر في جهنم **وإذا النجوم انكدرت** أي تناثرت من السماء وسقطت على الأرض قال الكلبي وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم إلا وقع **وإذا الجبال سيرت** أي عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا **وإذا العشار عطلت** يعني النوق الحوامل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي أنفس مال عند العرب فإذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع أهملها أهلها وقد كانوا لا يرسلونها ولم يكن مال أعجب إليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة **وإذا الوحوش** يعني دواب البر **حشرت** أي جمعت يوم القيامة ليقتص بعضها من بعض قال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شيء موته غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة **وإذا البحار سجرت** قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها حميما لأهل النار وقيل سجرت يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة ۝ قال أبي بن كعب ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على الأرض فتحركت واضطربت وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت تحيلين

تقول الجن للانس تعالوا ننظر لكم ما هذا الذي وقع بكم فينطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما

هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال هي اثنا عشر خصلة

ستة في الدنيا وستة في الاخرة وهو ما ذكر بعد هذه وهو قوله واذا النفوس زوجت روى النعمان

ابن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح

في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقيل الحق كل امرئ بشيعته اليهودي باليهود

والنصراني بالنصارى فيحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس باعمالها وقيل

زوجت نفوس المومنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح

في الاجساد واذا الموءودة سئلت يعني الجارية التي تدفن وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من

التراب فيوءدها اي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل في الجاهلية ذلك في البنات خيفة الفاقة والعار

والحاجة وروي عن ابن عباس قال كانت المراة في الجاهلية اذا حملت وكان اوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت

على راس الحفرة فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وان ولدت غلاما احبسته وقيل كان الرجل

في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد ابقاءها احيا البسها جبة من صوف او شعر وتركها ترعى الابل

والغنم في البادية واذا اراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى

احمائها وقد حفر بيرا في الصحراء فيبلغ بها البير فيقول لها انظري فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل التراب

عليها حتى يستوي بالارض عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة

والموءودة في النار اخرجه ابو داود وكان صعصعة ابن ناجية ممن منع الوأد وله يسير فافتخر به الفرزدق في شعره

فقال ومنا الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوأد بأي ذنب قتلت معناه يسال الموءودة فيقال

لها باي ذنب قتلت ومعنى سوالها توبيخ قاتلها لانها تقول قتلت بغير ذنب واذا الصحف نشرت يعني

صحائف الاعمال فتنشر للحساب واذا السماء كشطت اي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف

وقيل كشفت وزالت عما فيها واذا الجحيم سعرت اي اوقدت لاعداء الله واذا الجنة ازلفت

اي قربت لاولياء الله تعالى علمت نفس ما احضرت يعني عند الله تعالى ذلك تعلم نفس ما احضرت من خير

او شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا قوله تعالى فلا اقسم لا زائدة والمعنى اقسم وقد تقدم

ذلك في قوله لا اقسم بيوم القيامة بالخنس الجوار الكنس يعني النجوم تبدو بالليل وتطلع وتخنس

بالنهار وتخفى نور الشمس ونحو هذا المعنى وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل هي النجوم

الخمس زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس في مجاريها اي ترجع وراءها في الفلك وتكنس اي تستتر

وقت اختفائها وقيل انها تخنس اي تتاخر عن مطالعها في كل عام تتاخر بتاخرها عن تعجيل ذلك الطلوع

وتخنس عنه والكنس معناه انها تستتر بالنهار وقيل هي الضبا وهي رواية عن ابن عباس واصل الخنوس

الرجوع الى وراء والكنوس هو ان تاوي الى كناسها وهو الموضع الذي تاوي اليه الوحوش والليل اذا

عسعس اي اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرفي الليل والصبح اذا تنفس

اي اقبل وبدا اوله وقيل اسفر وفي تنفسه قولان احدهما ان في اقبال الصبح روح ونسيم فجعل ذلك تنفسا

في الوايرات

على الحجاز

والثاني انه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا جعل له التنفس وجد راحة فكانه من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو
استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى **انه** يعني القرآن **لقول رسول كريم**
يعني جبريل عليه السلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عز وجل لا انه تكلم به ابتداء **ذي قوة** وكان من قوته
انه اقتلع قريات قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وانه ابصر ابليس
يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه الى اقصى جبل بالهند
وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد في اسرع من الطرف
عند ذي العرش مكين اي في المنزلة والجاه **مطاع ثم** اي في السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة
له انهم فتحوا ابواب السماوات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله
امين يعني على وحي الله الى انبيائه **وما صاحبكم** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة **بمجنون**
وهذا ايضا من جواب القسم اقسم الله على ان القرآن نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقوله
اهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وان ما يقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون **ولقد راه**
يعني راى جبريل على صورته التي خلق فيها **بالافق المبين** يعني بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع
الشمس **روى البغوي** باسناد الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك في صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء
ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فبمنى قال لا يسعني قال فبعرفات قال ذلك بالحري ان يسعني فواعده فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق
والمغرب وراسه في السماء ورجلاه في الارض فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل
في صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة
وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير كالصعو يعني العصفور حتى ما يحمل
عرش ربك الا عظمته **وما هو** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **على الغيب** اي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما
كان غائبا عن علمه من القصص والانباء **بظنين** قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين
بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه ياتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن
ما عنده حتى ياخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراءة الظاء اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله
عنه تلك التهمة ولو اراد البخل لقال وما هو بالغيب **وما هو** يعني القرآن **بقول شيطان رجيم** يعني ان
القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى
الله ذلك عنه **فاين تذهبون** اي فاين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان **وقيل معناه**
اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم **ان هو** يعني ما هو القرآن **الا ذكر للعالمين**
اي موعظة للخلق اجمعين **لمن شاء منكم ان يستقيم** اي يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشيئة
العبد موافقة بمشيئته فقال تعالى **وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين** اعلمهم الله ان
المشيئة في التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام
ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه ومشيئته والله اعلم

تفسير سورة انفطرت مكية وهي تسع عشرة آية وثمانون كلمة
وثلاثمائة وتسع وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
اذا السماء انفطرت اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت اي فجر بعضها
في بعض واختلط العذب بالمالح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت واذا القبور بعثرت اي بحثت
وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احياء علمت نفس ما قدمت واخرت يعني علمت في ذلك الوقت
ما قدمت من عمل صالح او سيء واخرت بعدها من سنة حسنة او سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت
يعني علمت في ذلك الوقت من التركات وهذه احوال يوم القيامة قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
اي ما خدعك وسول لك الباطل حتى ضيعت ما ضيعت وصنعت ما وجب عليك والمعنى ماذا امنك من عقابه
قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في ابي الاشد واسمه اسيد كلدة وقيل كلدة بن خلف
وكان كافرا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وانزل هذه الاية وقيل الاية عامة في كل كافر وعاص
يقول ما الذي غرك بربك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حين
لم يعاجله بالعقوبة في اول مرة بربك الكريم اي المتجاوز عنك فمن كرمه لم يعاجلك بالعقوبة بل بسط لك
المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول يا ابن
آدم ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين قيل للفضيل بن عياض
لو اقامك الله يوم القيامة فقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة وقال
يحيى بن معاذ لو اقامني بين يديه فقال ما غرك بي لقلت غرني كرم الكريم وقال بعض اهل
الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه حجته في الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم
الذي خلقك اي ولم تك شيئا من العدم في الوجود فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضاء يسمع ويبصر
فعدلك اي عدل خلقك في مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا
حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية في اي صورة ما شاء ركبك اي في شبه من اب او ام او خال
او عم وجاء في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ في اي صورة ما
شاء ركبك وقيل معناه ان شاء ركبك في صورة انسان وان شاء في صورة دابة او حيوان
وقيل في صورة ما شاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة
والانوثة وفي هذا دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات
دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى قوله عز وجل كلا بل تكذبون
بالدين اي بيوم الحساب والجزاء وان عليكم لحافظين يعني رقباء من الملائكة يحفظون اعمالكم كراما
على الله كاتبين اي يكتبون اقوالكم واعمالكم يعلمون ما تفعلون يعني من خير او شر قوله تعالى
ان الابرار يعني الذين بروا وصدقوا في ايمانهم باداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه لفي نعيم
يعني نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم ليت شعري ما لنا
عند الله فقال اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال فاين اجد ذلك في كتاب الله
قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فقال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من

المحسنين

المحسنين يصلونها يوم الدين يعني يوم القيامة لا يموتون فيها وما هم عنها بغائبين اي عن النار ثم عظم
شأن ذلك اليوم فقال تعالى وما ادراك ما يوم الدين قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له
وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى اي شيء علمك به لو لم يعلمك احواله ثم ما ادراك
ما يوم الدين التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتعظيم شأنه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تملك النفوس
لنفس شيئا اي لا تملك نفس لنفس كافرة شيئا من المنفعة والامر يومئذ لله يعني انه لم يملك الله تعالى في
ذلك اليوم احدا شيئا كما ملكهم في الدنيا والله اعلم

تفسير سورة المطففين وهي مدنية في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهو من قوله ان الذين اجرموا الى آخرها وقيل فيها انها مكية وهي اول ما نزل عليه ايضا قال السيوطي هذا وهي وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة في الهجرة وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ويل اي قبح وهي كلمة تذكر عند البلاء يقال وقوعه
ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم للمطففين يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لانه
يكون المطفف يسرق في الكيل والوزن الا الشيء اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله ويل للمطففين فاحسنوا الكيل
وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل
باحدهما ويكتال بالآخر فانزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى الذين اذا اكتالوا
على الناس يستوفون اي استوفوا شيئا استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن واذا كالوهم او
وزنوهم يعني واذا كالوا لهم او وزنوا لهم لغير للناس كما يقال نصحته ونصحت له يخسرون اي ينقصون
الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من ياخذ لنفسه زائدا ويدفع لغيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل لكن
اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على
كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهي مبنية على امر الكيل والوزن قال نافع كان
ابن عمر يمر بالبايع فيقول اتق الله اوف الكيل والميزان قال نافع فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم
العرق وقال قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وقال
الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة الا يظن اي الا يعلم ويستيقن اولئك الذين يفعلون هذا
الفعل وهم المطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين يعني من قبورهم
لامره وجزائه وحسابه وعن نافع ان ابن عمر تلا الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وروي مرفوعا
عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى
تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذي او اثنين قال سليم ابن عامر والله ما ادري ما يعني بالميل امسافة
الارض ام الميل الذي يكحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه
ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمهم العرق الجاما واشار رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الرقيه قوله تعالى كلا قيل انه ردع وتنبيه اي ليس الامر على
ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتدا
متصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار اي الذي كتب فيه اعمالهم لفي سجين قال ابن عمر هي
الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروى البغوي باسناد الثعلبي عن البراء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليون في السماء السابعة تحت العرش وقال
شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول الله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين قال
ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتابى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل
تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع
تحت جند ابليس بمعرفتها الهلاك لحساب يوم القيامة وقيل هي صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضرا
من خضرة السماء منها تقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هو اخر سلطان ابليس وجاء في
الحديث الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح وقيل معناه لفي سجين حبس
وضلال وقيل مشتق من السجن ومعناه لفي حبس وضيق شديد وما ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما
كنت تعلمه انت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين كتاب مرقوم ليس في هذا تفسير
للسجين انما هو بيان للكتاب المذكور في قوله تعالى ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم اي مكتوب
فيه اعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به ويحاسبوا عليه وقيل
مرقوم اي مكتوب فيه اعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى رقم عليهم بالشر كانه اعلم
بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اي مختوم وهو بلغة حمير ويل يومئذ للمكذبين وقيل
انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين والمعنى ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه رقم
عليه الشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك الكتاب المرقوم عليهم فيه بالشقاوة الذين يكذبون
بيوم الدين اي بيوم القيامة لانه يوم الجزا وما يكذب به اي بيوم القيامة الا كل معتد اي متجاوز
عن نهج الحق اثيم هو مبالغة في الاثم وهو المرتكب للاثام والمعاصي اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين قوله عز وجل كلا اي لا يؤمنون ثم استانف فقال بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد
اذا اخطا خطيئة نكتت في قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد
فيها حتى يعلو قلبه وهو الران الذي قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واصل الرين الغلبة ومعنى الاية ان الذنوب والمعاصي غلبت
على قلوبهم واحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس ران
على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع الله على القلب
وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب
شيء كثيف كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب كلا قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقال
معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم في الاخرة خيرا ثم استانف فقال تعالى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون

قيل

قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف
الا ان حمله على معنى الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثاني فان من حجب
عن الله فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذي ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن
رؤيته وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الاية من اثبت الرؤية للمومنين قالوا ولولا ذلك لم يكن للتخصيص
فائدة ووجه اخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب في موضع الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا
للكفار لا يجوز حصوله في حق المومنين فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المومنين قال الحسن
لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا وقيل كما حجبهم
في الدنيا عن توحيده حجبهم في الاخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الاية فقال لما حجب اعداءه
فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وقال الشافعي في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
دلالة على ان اولياء الله يرون الله وعنه لما حجب قوم بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى ثم اخبر الكفار
ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار
ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون اي ليس الامر كما يتوهمه الكفار من انكار البعث وقيل
كلا لا يومن بالعذاب الذي يصلاه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين
جمع علي من العلو وقيل هو موضوع على صفة الجمع له لا واحد له من لفظه وتفرع في حقيقة اي المراد
المرفوع ان عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجد خضراء معلق
تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية
عنه هو الجنة وقيل هو سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل
هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قد عظمها الله واعلاها وما ادراك ما عليون تنبيها له على عظم شانه
كتاب مرقوم ليس بتفسير لعليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم في عليين قيل لهم فيه نعيم
وهو ما اعد لهم فيه من الكرامة وقيل مكتوب فيه اعمالهم وعليين محل الملائكة وضده سجين
وهو محل ابليس وجنده يشهده المقربون الذين هم في عليين يشهدون يعني يحضرون ذلك المكتوب
ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة
لكرامة المومن قوله تعالى ان الابرار يعني المطيعين لله لفي نعيم ينظرون الى ربهم تعالى تعرف في
وجوههم نضرة النعيم يعني انك اذا رايتهم تعرف انهم من اهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور
والحسن والبياض وقيل النضرة في الوجه والسرور في القلب يسقون من رحيق يعني الخمر الصافية
الطيبة البيضاء مختوم يعني ختم على ذلك الشراب ومنع من ان تمسه يد الى ان يفك ختمه للابرار فان
قلت قد قال في سورة محمد وانهار من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بينهما فيتعين
قلت يحتمل ان يكون هذا الخمر المذكورة في هذه الاية في اوان مختوم عليها وهي غير تلك الخمر التي في
الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها ختامه مسك اي طينه الذي ختم عليه مسك بخلاف خمر
الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اي ممزوج ختامه اي اخر طعمه وعا
قبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اي

وليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل أصله من الشيء
النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يبخل ويبخل ومزاجه من
تسنيم اي من شراب ينصب عليهم من علو من غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهواء مسنما فينصب
في اواني أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلات امسك واصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير
لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من اشرف شراب أهل الجنة قال ابن مسعود وابن
عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال
هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين عينا يشرب بها المقربون اي منها وقيل يشرب
المقربون صرفا قوله عز وجل ان الذين اجرموا اي اشركوا يعني كفار قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص
ابن وائل واصحابهم من مترفي اهل مكة كانوا من الذين امنوا اي من عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم
من فقراء المهاجرين يضحكون اي منهم ويستهزؤون بهم واذا مروا بهم يعني مر المومنين والفقراء بالكفار
الاغنياء يتغامزون يعني يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب يشيرون اليهم بالاعين استهزاء
بهم واذا انقلبوا الى اهلهم يعني الكفار انقلبوا فكهين اي معجبين بما هم فيه وقيل ينقلبون يذكرهم
كانهم يتفكهون بحديثهم واذا راوهم يعني راوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ان هولاء لضالون
اي هم في ضلال يأتون محمدا ويرون انهم على شيء قال الله تعالى وما ارسلوا يعني المشركين عليهم يعني
على المومنين حافظين اي لاعمالهم والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم قوله تعالى فاليوم يعني في الاخرة
الذين امنوا من الكفار يضحكون وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون من المومنين
لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما افضوا الى الاخرة انعكس لهم الامر فصار المومنون في السرور والنعيم
وصار الكفار في العذاب والبلاء فضحك المومنون على الكافرين لما راوا من حالهم وقال ابو صالح يفتح
للكفار ابواب النار وهم فيها فيقول لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا
والمومنون ينظرون اليهم ويضحكون وقال ابو صالح يفتح للكفار ابواب النار وهم فيها
فيقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم كعب بين الجنة والنار
كوى فاذا اراد المومن ان ينظر الى عدو له من الكفار كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى فاذا اطلع
عليه وهو يعذب ضحك منه فذلك قوله فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك اي وهي
السرير بتحتي الحجلة وهو الكلة تزين بالثياب وارائك الجنة من الدر والياقوت ينظرون يعني اليهم
وهم في النار يعذبون قال الله تعالى هل ثوب الكفار اي جوزي الكفار ما كانوا يفعلون اي بالمومنين
من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب واثاب واثيب بمعنى قال اوس سأجزيك
او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمد والله اعلم

تفسير سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون اية ومائة وسبع كلمات
واربعمائة واربعون ثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا السماء
انشقت يعني عند قيام الساعة وهو من علاماتها واذنت لربها اي سمعت امر ربها بالانشقاق
والطاعة من الاذان وهو الاستماع وحقت اي حق لها ان تطيع ربها واذا الارض مدت يعني من

165

ولا ادم العكاظي وزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل وألقت ما فيها أي أخرجت ما
في بطنها من الموتى والكنوز وتخلت أي فرغت لما الذي كان في بطنها وأذنت لربها وحقت واختلفوا في جواب
إذا فقيل جوابه محذوف تقديره إذا كانت هذه الأشياء يرى الانسان الثواب أو العقاب وقيل جوابه
يا أيها الانسان إنك كادح والمعنى إذا انشقت السماء لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه
وأذنت ربها وحقت فتكون الواو زائدة يا أيها الانسان إنك كادح أي مسارع إليه في عملك سعيا والكدح عمل الانسان
وجهده في الأمر من الخير والشر وقيل معناه إنك كادح في لقاء ربك وهو الموت والمعنى هذا الكدح
يستمر بك إلى الموت وقيل معناه إنك كدوح في عملك كدحا تصير به إلى ربك كدحا فملاقيه أي فملاق جزاء
عملك خيرا كان أو شرا وقيل فملاق ربك فأما من أوتي كتابه بيمينه أي ديوان عمله فسوف يحاسب
حسابا يسيرا أي سهلا من الله واجب والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم
يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا
يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فإنه من حوسب يطالب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة
فيفتضح ق عن ابن أبي مليكة أن عائشة رضي الله عنها كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه
حتى تعرفه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت أوليس يقول الله فسوف يحاسب
حسابا يسيرا فقال إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وينقلب إلى أهله يعني في الجنة
من الحور العين والآدميات مسرورا أي بما أوتي من الخير والكرامة وأما من أوتي كتابه وراء ظهره يعني
أنه تغل يده إلى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع
يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى كتابه فسوف يدعو ثبورا يعني عند إعطائه كتابه بشماله
من وراء ظهره يعني أنه من أهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه ويصلى سعيرا أي
يعني في الدنيا
ويقاسي التهاب النار وحرها إنه كان في أهله مسرورا يعني باتباع هواه وركوب شهواته إنه ظن
أن لن يحور أي لن يرجع إلينا ولن يبعث والحور الرجوع بلى أي ليس الأمر كما ظن بل يحور إلينا ويبعث ويحاسب
إنه كان به بصيرا أي من يوم خلقه إلى أن يبعثه قوله تعالى فلا أقسم بالشفق تقدم الكلام في تفسير أقسم
في سورة القيامة وأما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته في ذلك أنه عطف عليه الليل فيجب
أن يكون المذكور أولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه
وقيل هو ما بقي من النهار وقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد
غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب أبي حنيفة
والليل وما وسق أي جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك أن الليل إذا أقبل
أوى كل شيء إلى مأواه وقيل وما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجد العبد فيجوز أن يقسم به والقمر
إذا اتسق أي اجتمع وتم نوره وذلك في أيام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به أتبعه
بالمقسم عليه فقال تعالى لتركبن طبقا قرئ بفتح الباء وهو خطاب للواحد والمعنى لتركبن يا محمد سماء
بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا
بعد حال خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم

صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا أنه لا يكون له الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم له بالجميل العاقبة قال ولا يحزنك
تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الأشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن أيها
الإنسان حالا بعد حال وأمرا بعد أمر وذلك في موقف القيامة فتنقلب بهم الأحوال فيصيرون في الآخرة على
غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد والأهوال الموت ثم البعث
ثم العرض وقيل حال الإنسان حالا بعد حال رضيعا ثم فطيما ثم غلاما ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ه
وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى الآية إنه أراد به السماء
تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى أخرى فما لهم لا يؤمنون
يعني بالبعث والحساب وهو استفهام إنكار وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون أي لا يصلون
فعبر بالسجود عن الصلاة لأنه جزء منها وقيل أراد به سجود التلاوة وهذه السجدة من سجدات
القرآن عند الشافعي ومن وافقه ق عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ إذا السماء انشقت
فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه م
عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك وإذا السماء انشقت بل الذين كفروا يكذبون
يعني بالقرآن والبعث والله أعلم بما يوعون يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب فبشرهم بعذاب
أليم يعني على تكذيبهم وكفرهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون يعني مقطوع
ولا منقوص في الآخرة والله أعلم

تفسير سورة البروج مكية وهي اثنان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وخمس وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر وإنما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري
سبحانه وتعالى وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج هي
الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها واليوم الموعود يعني يوم القيامة وشاهد ومشهود
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة
والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه
ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له ولا يستعيذ من شيء إلا أعاذه الله
منه أخرجه الترمذي وضعف أحد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والأكثرين أن الشاهد يوم
الجمعة وقيل الشاهد يوم التروية يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة
والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وإنما حسن القسم بهذه
الأيام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل
الشاهد هم الأنبياء والمشهود عليهم هم الأمم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود عليه هو ابن آدم وقيل
الشاهد هذه الأمة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود هم الأمم المتقدمة وقيل الشاهد هم الأنبياء ه

والمشهود لهم

والمشهود له محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوءة وفي قوله والسماء ذات البروج
واليوم الموعود وشاهد ومشهود اقسام اقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قتل
اصحاب الاخدود وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود اي لعنوا والاخدود
الشق المستطيل في الارض واختلفوا فيهم فروي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك
فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه
غلاما يعلمه وكان في طريقه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد
اليه فاذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكى
الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر ۞
فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر
فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه حتى يمضي الناس فرماها فقتلها
ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى
فان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس سائر الادواء فسمع
جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ها هنا لك اجمع ان انت شفيتني فقال اني لا اشفي
احدا انما يشفي الله عز وجل فان انت امنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فامن بالله فشفاه
الله عز وجل فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري
قال الله ربي وربك فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له اي بني قد بلغ من سحرك ما
تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه
حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق
راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع
المنشار في مفرق راسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من
اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا
فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا فجاء يمشي فقال
له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقورة فتوسطوا
به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم فانكفات بهم السفينة فغرقوا
وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل
ما امرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم تاخذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم
في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على
جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال الملك بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع
السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس امنا برب الغلام ثلاثا فاتي الملك
فقيل له ارايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود فخدت بافواه السكك
واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قال له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امراة

معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبري فإنك على الحق هذا حديث صحيح أخرجه مسلم
في هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع الى الدين وفي انقاذ النفس
من الهلاك والاكمه الاعمى الذي خلق اعمى والميشار باليا وتخفيف الهمزة وروي بالنون وذروة الجبل
الضم والكسر اعلاه ورجف تزلزل واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة وانكفأت اي انقلبت
والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق وافواهها والاخدود الشق العظيم في الارض واضرموه اي
ارموا فيها وتقاعست اي تأخرت وكرهت الدخول في النار **قال ابن عباس** كان بنجران ملك
من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس ابن شرحبيل بن شراحيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة
وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم
يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فأعجبه ذلك
وذكر نحو حديث صهيب **وقال وهب ابن منبه** ان رجلا كان قد بقي على دين عيسى فوقع
الى نجران فأجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير وخيرهم بين النار او اليهودية فأبوا عليه
فخد الاخاديد واحرق فيها اثني عشر الفا ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر
بفرسه فغرق **وقال محمد بن اسحاق** عن عبد الله بن ابي بكر ان خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجد
عبد الله بن تامر واضعا يده على ضربة في رأسه اذا ابيطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفي
يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا الذي وجدتم عليه **وقال**
سعيد بن جبير وابن ابزى لما انهزم اهل اسفنديار قال عمر بن الخطاب اي شيء يجري على المجوس من الاحكام
فانهم ليسوا باهل كتاب فقال علي بن ابي طالب بلى كان لهم كتاب وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها
ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي
اتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات فقال
الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقربه ما جاءنا به من نبي ولا انزل علينا في كتاب فبسط فيهم
السوط فأبوا ان يقروا فجرد فيهم السيف فأبوا ان يقروا فخد لهم الاخاديد واوقد فيها النيران وعرض
من عليها فمن ابى قذفه في النار ومن اجاب سيبه **وروي** عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ على ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك الآية فدعاهم فتابعه اناس فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه واخذوا من انفلت منهم
فاوثقوه ثم خدوا لهم اخدودا فملؤوها نارا فمن تبع ذلك النبي رمي به في النار ومن تابعهم تركوه فجاءوا
بامرأة ومعها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا اماه مري ولا تنافقي **وقيل** كانت الاخدود ثلاثة
واحد بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التي بالشام فهو بطاموس الرومي
واما التي بفارس فبختنصر وزعموا انهم اصحاب دانيال واما التي باليمن فذو نواس يوسف واما
التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وانزل في التي بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة
عند اهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره في الدين
وقوله تعالى **النار ذات الوقود** وهو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله

فاتهم صح

المومنين

المومنين نجى الله المومنين الذين القوا في النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار على شفير
الاخدود من الكفار فاحرقتهم **اذ هم عليها قعود** اي جلوس عند الاخدود **وهم** يعني الملك الذين
خدّ الاخدود واصحابه **على ما يفعلون بالمومنين** اي من عرضهم على النار وارادة ان يرجعوا الى دينهم
شهود اي حضور وقيل يشهدون ان المومنين ضلال حين تركوا عبادة الاصنام **وما نقموا منهم** قال
ابن عباس ما كرهوا منهم **الا ان يومنوا بالله** وقيل ما علموا ولا عابوا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله **العزيز**
الحميد يعني ان الذي يستحق العبادة هو العزيز اي الغالب القاهر الذي لا يغالب فهو ابرا به الحميد الذي يستحق
ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك وهو الله تعالى **الذي له ملك السماوات والارض** اي هو المستحق للعبادة
والله على كل شيء من افعالهم بالمومنين **شهيد** وفيه وعد عظيم للمومنين ووعيد عظيم للكافرين قوله
عز وجل **ان الذين فتنوا المومنين والمومنات** بالنار **ثم لم يتوبوا** اي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه
دليل على انهم اذا تابوا وامنوا يقبل منهم وخرجوا من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة
القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا **فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** يعني لهم عذاب جهنم بكفرهم
ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المومنين **وقيل** لهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان الله احرقهم بالنار التي احرقوا
بها المومنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الاخرة ثم ذكر ما اعد للمومنين فقال
تعالى **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير** قوله
تعالى **ان بطش ربك لشديد** قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد **انه**
هو يبدئ ويعيد اي يخلقهم اولا في الدنيا ثم يعيدهم احياء بعد الموت ليجازيهم باعمالهم يوم القيامة **وهو**
الغفور يعني لذنوب المومنين **الودود** اي المحب لهم **وقيل** المحبوب يوده اولياوه ويحبونه **وقيل**
هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة **ذو العرش** اي خالقه ومالكه **المجيد** قرئ بالرفع على انه صفة لله لان المجد
من صفات التعالي والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش اي السرير العظيم
اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى **وقيل** حسنه فوصفه بالمجيد وقد قيل ان العرش احسن
الاجسام **فعال لما يريد** يعني انه لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه شيء طلبه **وقيل** فعال لما يريد لا يعترض
عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته ولا يمنعه من ذلك مانع ويدخل اعداءه النار لا
ينصرهم منه ناصر **هل اتاك** اي قد اتاك **حديث الجنود** اي خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم
بين من هم فقال تعالى **فرعون** يعني وقومه **وثمود** وكانت قصتهم عند اهل مكة مشهورة **بل الذين**
كفروا يعني من قومك يا محمد **في تكذيب** لك وللقرءان كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن
اهلكنا منهم **والله من ورائهم محيط** اي عالم لا يخفى عليه شيء من اعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن قبلهم
بل هو قرءان مجيد اي كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة **في لوح**
محفوظ قرئ بالرفع على انه نعت للقرءان يعني ان القرءان محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ
بالكسر على انه نعت اللوح المحفوظ لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه تنسخ الكتب
وسمي محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش **روى البغوي** باسناد
الثعلبي عن ابن عباس قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن بالله عز

وجل وصدق بوعده واتبعهم نسله اذ خله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضا طوله ما بين السماء والارض
وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمرا وقلمه من نور وكلامه معقود
بالعرش واصله في حجر ملك والله اعلم

تفسير سورة الطارق وهي سبع عشرة اية واحدى وستون كلمة ومائة وتسع وثلاثون كلمة حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والسماء والطارق قيل نزلت في ابي طالب وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما
هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب فانزل الله عز وجل والسماء والطارق يعني النجم
يطلع بالليل وكل ما اتاك في الليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمي النجم طارقا لانه يطلع بالليل قالت
هند نحن بنات طارق نمشي على النمارق تريد ان اباها في علوه وشرفه وما ادراك ما الطارق قيل لم يدر
النبي صلى الله عليه وسلم ما هو حتى بينه له بقوله النجم الثاقب اي المضيء المنير وقيل المتوهج وقيل
هو الذي يطلع العالي وقيل هو الذي يرمى به الشيطان فيثقبه اي ينفذه والنجم الثاقب قيل هو الثريا
لان العرب تسميه النجم وقيل هو كل نجم زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشياطين لطعن
لانه يثقبه فيحرقه وهذه اقسام اقسم الله بهذه الاشيا وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب
القسم قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ يعني ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي
عليها ما تكسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل يحفظها من المهالك
والمعاطب الى ما قدر لها قوله تعالى فلينظر الانسان يعني نظر تفكر واعتبار مم خلق اي من اي شيء خلق
ربه ثم بين ذلك فقال تعالى خلق من ماء دافق اي مني ذي اندفاق مدفوق مصبوب في الرحم واراد به الرجل
وماء المراة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما يخرج يعني ذلك الماء وهو المني من بين الصلب
والترائب يعني صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هي موضع القلادة
وعنه انه بين ثديي المراة قيل ان المني يخرج من جميع اعضاء الانسان واكثر ما يخرج من الدماغ فينصب
في عرق في ظهر الرجل وينزل من عروق كثيرة من مقدم بدن المراة وهي الترائب فلهذا السبب خص الله هذين
العضوين بالذكر انه على رجعه لقادر يعني ان الله تعالى قادر على ان يرد النطفة في الاحليل وقيل
قادر على رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب
الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبسه حتى لا يخرج لقادر وقيل معناه وان الذي قدر
على خلق الانسان ابتداء قادر على ان يعيده حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الراجح والاولى
بمعنى الاية لقوله تعالى بعده يوم تبلى السرائر وذلك هو يوم القيامة وقيل معناه تظهر الخبايا
ومعنى تبلى تختبر وقيل السرائر هي فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه
سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل
فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من اداها ممن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدي الله يوم القيامة
كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من اداها كان وجهه مشرقا مستنيرا

يوم القيامة

يوم القيامة ومن ضيعها أو انتقص منها كان وجهه أغبر فما له أي لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة أي
يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر أي ينصره من الله ثم ذكر الله قسماً آخر فقال تعالى والسماء ذات الرجع أي ذات
المطر سمي به لأنه يجيء ويرجع ويتكرر والأرض ذات الصدع أي تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والأنهار
وجواب القسم قوله تعالى إنه يعني القرآن لقول فصل أي إنه حق وجد يفصل بين الحق والباطل وما
هو بالهزل أي باللعب والباطل إنهم يعني مشركي مكة يكيدون كيداً يعني يحتالون في المكر
بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه وأكيد كيداً يعني أجازيهم على
كيدهم بأن أستدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالنار ه
فمهل الكافرين أي لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم وقال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم
للمامي بأموالهم بين أن ذلك الإمهال قليل فقال أمهلهم رويداً يعني قليلاً فأخذهم الله يوم بدر
ونسخ الإمهال بآية السيف والله أعلم

حزب

تفسير سورة الأعلى مكية وهي تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وإحدى وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله
عز وجل سبح اسم ربك الأعلى أي قل سبحان ربي الأعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين
يدل عليه ما روي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الأعلى فقال سبحان ربي الأعلى
ذكره البغوي بإسناد الثعلبي وقيل معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم
صلة وقال ابن عباس سبح أي صل بأمر ربك الأعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم
ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها
في سجودكم أخرجه أبو داود الذي خلق فسوى أي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين
وقيل خلق الإنسان مستوياً معتدل القامة والذي قدر فهدى قيل قدر الأرزاق وهدى لاكتسابها
وقيل قدر لكل شيء شكله فهدى أي فعرف كيف يأتي الذكر والأنثى وقيل قدر مدة الجنين
في الرحم وهداه إلى الخروج منه وقيل السعادة لأقوام والشقاوة لأقوام ثم هدى كلاً من الطائفتين
سلوك سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى إليهما وقيل هو قوله تعالى
والذي أخرج المرعى أي أنبت العشب وما ترعاه الأنعام من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك
فجعله يعني المرعى بعد الخضرة غثاء أي هشيماً يابساً بالياً كالغثاء الذي تراه فوق السيل أحوى
أي أسود بعد الخضرة وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس اسود قوله تعالى سنقرئك أي نعلمك القرآن
بقراءة جبريل عليك فلا تنسى يعني ما تقرأ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه جبريل بالوحي
لم يفرغ من آخر آية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله عز
وجل سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئاً بعد ذلك إلا ما شاء الله يعني أن تنساه وهو ما نسخ الله
تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه إلا ما شاء الله أن تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما جاء
من حديث عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله
لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت نسيتها من سورة كذا وكذا وفي رواية كنت أسقطتهن من

سورة كذا اى جاء في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشا الله ان ينسى شيئا انه يعلم
الجهر من القول والفعل وما يخفى يعني منهما والمعنى انه يعلم السر والعلانية ونيسرك لليسرى اي نهون
عليك ان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة
وقيل متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم ما تقرأ على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى ما
تقرأ في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى اي نهون عليك الوحي حتى تحفظه
ولا تنساه فذكر اي فعظ بالقرآن ان نفعت الذكرى اي ان نفعت الموعظة والتذكير والمعنى عظ
انت وذكر ان نفعت او لم تنفع انما عليك البلاغ سيذكر من يخشى اي سيتعظ من يخشى الله تعالى
ويتجنبها اي الذكرى ويتباعد عنها الاشقى اي في علم الله تعالى الذي يصلى النار الكبرى اي النار العظيمة
الفظيعة وقيل النار الكبرى هي نار الآخرة والنار الصغرى هي نار الدنيا ثم لا يموت فيها
اي في النار فيستريح ولا يحيى اي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل قد افلح من تزكى اي تطهر من الشرك
وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روي
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله قد افلح من تزكى قال اعطى صدقة الفطر وذكر اسم ربه فصلى
قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية قال
نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعني من يوم العيد قال يا نافع اخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى
المصلى وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانما نزلت هذه الآية في هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت
ما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا انزل بمكة سيهزم الجمع ويولون
الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه ذلك وهو انه كان في علم الله تعالى انه
سيكون كذا فاخبر عنه وذكر اسم ربه فصلى اي ذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس وقيل
اراد بالذكر تكبيرات الاحرام العيد وبالصلاة صلاة العيد قوله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة
خير وابقى يعني ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني وانتم تؤثرون الفاني على الباقي
قال عرفجة الاشجعي كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة
قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها وان الآخرة
تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل انه اريد بذلك الكفار والمعنى انهم يؤثرون
الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وان اريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على
الثواب الذي يحصل في الآخرة وهو خير وابقى ان هذا اي الذي ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا وهو اربع
آيات لفي الصحف الاولى اي المتقدمة التي نزلت قبل القرآن ذكر في تلك الصحف الاولى فلاح من تزكى والمصلي
وايثار الدنيا وان الآخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال صحف ابراهيم وموسى يعني ان هذا القدر المذكور في صحف
ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور في صحف جميع الانبياء التي منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور
في هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه وعن ابي ذر قال دخلت المسجد فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية قلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت

يا رسول الله

يا رسول الله هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى قال يا أبا ذر اقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه
فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى قلت يا رسول
الله ما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار ثم
يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن أيقن بالحساب
ثم لا يعمل أخرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الأثير في كتابه جامع الأصول ولم يعلم عليه شيئا
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل
يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد في ركعة ركعة أخرجه الترمذي والنسائي عن عبد العزيز بن جريج قال
سألنا عائشة بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى
وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين أخرجه أبو داود والنسائي
والترمذي وقال حديث حسن غريب والله أعلم

تفسير سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية واثنتان

وتسعون كلمة وثلاثمائة وأحد وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
هل أتاك أي قد أتاك يا محمد حديث الغاشية يعني القيامة سميت غاشية لأنها تغشى كل شيء بأهوالها
وقيل الغاشية النار سميت بذلك لأنها تغشى وجوه الكفار وجوه يومئذ يعني يوم القيامة خاشعة
يعني ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولأن الوجه أشرف أعضاء الإنسان فعبر به عنه ۝
عاملة ناصبة قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار
أهل الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة يدخلون النار يوم القيامة ومعنى
النصب الدؤوب في العمل بالتعب ف عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أما الرواية الأولى
فإنها تختص بمن أحدث في دين الإسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو رد مردود عليه ولا يقبل منه وأما
الرواية الثانية فإنها تشمل كل عامل في دين الإسلام أو غير دين الإسلام فإنه مردود عليه إذا لم يكن تابعا لنبينا
صلى الله عليه وسلم وقيل في الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة
ناصبة في النار لأنها لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل والأغلال وهي رواية
عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل وقيل يكلفون ارتقاء
جبل من حديد في النار وهو قوله تصلى نارا حامية قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله
تعالى تسقى من عين آنية أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت لو وقع منها قطرة على
جبال الدنيا لذابت فيردون إليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى ليس لهم طعام إلا
من ضريع قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالأرض تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموه الضريع وهو أخبث
طعام وأبشعه وهو رواية عن ابن عباس فإذا يبس لا تقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك
اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار
يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار قال أبو الدرداء إن الله تعالى يرسل على أهل النار

الجوع حتى ينسيهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون
بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة
ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة فإذا ادنوه من وجوههم سلخ جلد وجوههم وشواها
فإذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم **قال المفسرون**
فلما نزلت هذه الآية **قال** المشركون ان ابلنا تسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فإن الابل انما ترعاه
رطبا فإذا يبس لا تاكله فانزل الله تعالى **لا يسمن ولا يغني من جوع** يعني ان هذا الطعام لا تقدر البهائم
على اكله فكيف يقدر عليه الانسان على اكله فهو اذن لا يسمن ولا يغني من جوع **فإن قلت** قد ذكر الله
تعالى في هذه الآية انه لا طعام لهم الا من ضريع وذكر في موضع آخر لا طعام لهم الا من غسلين فكيف الجمع بينهما
قلت ان النار دركات وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من
طعامه الضريع ومنهم من طعامه غسلين ثم وصف اهل الجنة فقال تعالى **وجوه يومئذ ناعمة** اي متنعمة
ذات بهجة وحسن في نعمة وكرامة **لسعيها راضية** اي لسعيها في الدنيا راضية في دار الاخرة حين اعطيت
الجنة بعملها **في جنة عالية** قيل هو من العلو في المكان وذلك ان اهل الجنة درجات بعضها فوق بعض
العلو من بعض كل درجة كما بين السماء والارض **لا تسمع فيها لاغية** اي ليس فيها لغو ولا باطل **فيها**
عين جارية اي على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث أراد وا من منازلهم وقصورهم **فيها**
سرر مرفوعة **قال ابن عباس** الواح من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجئ أهلها
فإذا اراد اهلها الجلوس تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى موضعها **واكواب** يعني الكيزان التي لا
عرى لها **موضوعة** يعني عندهم بين ايديهم **وقيل** موضوعة على حافات العين الجارية كلما
ارادوا الشرب منها وجدوها مملوءة **ونمارق مصفوفة** يعني وسائد ومرافق مصفوفة بعضها الى جانب
بعض اينما اراد ان يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند باخرى **وزرابي مبثوثة** يعني البسط العريضة
قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدها زربية مبثوثة مبسوطة وقيل متفرقة
في المجالس قوله تعالى **افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت** قال اهل التفسير لما نعت الله عز وجل
ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال **افلا ينظرون**
الى الابل كيف خلقت وانما بدأ بالابل لانها من انفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي
صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر
من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة اعظم منها ولم يشاهدوا الفيل الا الشاذ منهم **وقال**
الكلبي لانها تنهض بحملها وهي باركة **وقال قتادة** لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة
وفرشها قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل الفيل
اعظم اعجوبة فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يوكل لحمه ولا
يحلب دره والابل اعز مال للعرب وانفسه تاكل النوى والقت وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها
تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير ياخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها
انها فضلت على سائر الحيوانات انما تقتنى اما للزينة أو للركوب او للحمل او للبن أو لاجل اللحم ولا يوجد

اعرف ان الفيل خنزير لا يركب ظهره ولا يوكل لحمه ولا يحلب دره

جميع هذه الخصال التي في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل ويقطع عليها
المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير وياكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عشرة ايام ومنها انه
يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترعى كل نبات في البراري مما
يابى عنه غيرها من الحيوانات وهي مسخرة لمن يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة كان شريح يقول
اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء
والارض والجبال ولا مناسبة بينها ولم بدأ بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر
الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من اعظم شيء عند العرب
ينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا وسفرا ذكر عظيم نعمته عليهم فيها فلهذا بدأ بها ولانها من اعجب
الحيوانات عندهم والى السماء كيف رفعت يعني فوق الارض بغير عمد ولا يناله شيء والى الجبال كيف
نصبت اي على الارض نصبا ثابتا راسخا لا تزول والى الارض كيف سطحت اي بسطت ومهدت بحيث
يستقر على ظهرها كل شيء قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل
السماء او ينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض غيري ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها
خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى فذكر انما انت مذكر فعظ انما انت واعظ لست عليهم
بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الايمان وهذه الاية منسوخة نسختها اية القتال الا من
تولى وكفر استثناء منقطع عما قبله معناه من تولى وكفر بعد التذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو
ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر
وكانت النار اكبر من هذا كله ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت ثم ان علينا حسابهم والله اعلم

تفسير سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاثون اية

ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والفجر اقسم الله بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد وهي انها دلائل باهرة
وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معنى هذه
الالفاظ فروي عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم به لما يحصل فيه من انقضاء
الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوان في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم
للبعث وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها
مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول
يوم من المحرم لان منه تتفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر
يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربان وليال عشر قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف
الذي لا يحصل في غيرها روي عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها ايام الاشتغال
باعمال الحج واخرج الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل فيهن احب الى
الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروي عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر من رمضان لان
فيها ليلة القدر وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان شد المئزر

وايقظ اهله للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء والشفع
والوتر وقيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى روي ذلك عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه وقيل
الشفع الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض
والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق
كله منه شفع ومنه وتر وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر عن عمران بن حصين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هو الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال
الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروي ان رجلا ساله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال
اما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه فهما الشفع
والوتر واما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليل
معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز
والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى
التي تفرد بها من عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت والليل
اذا يسر اذا سار وذهب وقيل اذا جاء واقبل واراد به كل ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التي يسار فيها
من عرفات الى مزدلفة وعلى هذا يكون المعنى والليل الذي يسار فيه هل في ذلك قسم فيما ذكرت قسم
مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التاكيد لذي حجر اي عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما
لا يحل ويجمل كما سمي عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمي نهى لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغي واصل الحجر
المنع ولا يقال لذي حجر الا لمن هو قاهر لنفسه وضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها مما تريد والمعنى
ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما اقسم الله عز وجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده
وربوبيته فهو حقيق ان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين
القسم وجوابه قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب
هذه الاشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله الم تر الم تعلم وانما اطلق لفظ الرؤية على العلم لان اخبار عاد
وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم وقوله الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد كيف فعل ربك
بعاد ارم ذات العماد يعني ان المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم وكانوا اطول اعمارا
واشد قوة من هؤلاء فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من جعل عادا
اسما للقبيلة لقوله تعالى انه اهلك عادا الاولى وارم هو جد عاد على ما ذكر في نسبه عاد وقيل ان
المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون ارم باسم جدهم وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان فيهم
الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد ابوهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن سام بن
سام بن نوح وقال الكلبي ارم هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل
الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه
ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف وقيل انها كانوا

أهل

اهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنان
وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى لم يخلق مثلها في البلاد وسموا ذات العماد لانهم
كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عن ابن عباس وقيل سموا
ذات العماد لطول قامتهم يعني طولهم مثل العماد في الشبهة قال مقاتل كان طول احدهم اثنا
عشر ذراعا وقوله لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم اليوم
الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع
بناءه قيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد
وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة
وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا وروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه
خرج في طلب ابل له شردت فبينما هو يسير في صحاري عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن
وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها وظن ان فيها احدا يساله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته
وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا ببابين عظيمين مرصعين بالياقوت الاحمر فلما راى ذلك
دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف
غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللولو والياقوت واذا ابواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة
يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللولو وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله
ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا في تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انهار مطردة تجري ماوها في
قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لولوها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع
الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث بما راى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فساله عن ذلك فقص
عليه ما راى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال يا ابا اسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب
وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد فحدثني حديثها قال لما اراد شداد عملها امر عليها قال
مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوه بما في بلادهم من الجواهر فخرج
القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا ارضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء
ومروج فقالوا هذه الارض التي امر الملك ان يبنى فيها فوضعوا اساسها من الجزع اليماني واقاموا في بنائها
ثلاثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا واجعلوا حصنا
يعني سورا واجعلوا حوله الف قصر عند كل قصر الف علم ليكون في كل قصر منها وزير من وزرائي ففعلوا
وامر الملك وزراءه وهم الف وزير ان يتهيئوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله في جهازهم
عشر سنين ثم سار اليها فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة
من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك
احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال
هذا والله ذلك الرجل قوله عز وجل وثمود اي وفعل بثمود مثل ما فعل بعاد الذين جابوا اي قطعوا
الصخر اي الحجر بالواد يعني بوادي القرى وكانت ثمود اول من قطع الصخر ونحته واتخذ مساكن في الجبال

وبيوتا وفرعون ذي الاوتاد سمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها
اذا نزلوا فقيل معناه ذي الملك كما قيل في كل ثابت ملكه راسخ الاوتاد وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب
الناس بالاوتاد وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان فرعون انما سمي ذو
الاوتاد لانه كانت امراة وهي امراة خازنه حزبيل وكان مومنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امراته
ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت
تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله السماوات
والارض واحد لا شريك له فقامت فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك فقالت الماشطة امراة خازنك
تزعم ان الهك والهها واله السماوات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت
فقال لها ويحك اكفري بالهك واقري باني الهك قالت لا افعل فمد لها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات
والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني بهذا العذاب سبعين شهرا
ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال اكفري بالله والا عذبتك
بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني بهذا العذاب سبعين شهرا ما كفرت بالله ثم جيء بالصغرى فلما ضجعها
وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من على الارض على فيّ ما كفرت بالله عز وجل فاتي بابنتها فلما اضجعت على
صدرها واراد ذبحها جزعت المراة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا
اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله قد بنا لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله
وكرامته فذبحت فلم تلبث الام ان ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزبيل
فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد روي في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه
فانتهيا اليه وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما راوا ذلك انصرفوا فقال حزبيل اللهم
انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة لم يظهر علي احد فايما هذين الرجلين كتم علي فاهده الى
دينك واعطه من الدنيا سوله وايما هذين الرجلين اظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في
النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وامن واما الاخر فاخبر فرعون بالقصة على
رؤوس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعا به فقال حق ما يقول هذا قال ما رايت مما قال
شيئا فاعطاه فرعون فاجزل واما الاخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل النساء من بني اسرائيل
يقال لها اسية بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني ان اصبر على ما ياتي فرعون
وانا مسلمة وهو كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت
يا فرعون انت شر الخلق واخبثه عمدت الى الماشطة فقتلتها فقال فلعل بك الجنون الذي كان بها فقالت
ما بي من جنون وان الهي والهها والهك واله السماوات والارض واحد لا شريك له فمزق عليها ثيابها وضربها
وارسل الى ابويها فدعاهما فقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة اصابها فقالت اعوذ بالله من ذلك
اني اشهد ان ربي وربك ورب السماوات والارض واحد لا شريك له فقال لها ابوها يا اسية الست من
خير نساء العالمين وزوجك اله العالمين فقالت اعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له ان يتوجني
تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجاها فمد لها بين اربعة

اوتاد

اوتاد يعذبها فيه ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون وبعض ذلك قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها واسكنها الجنة قوله تعالى الذين طغوا في البلاد
يعني عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا واشد ما فسر ذلك الطغيان بقوله فاكثروا فيها الفساد
يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع
اقسام الاثم فصب عليهم ربك سوط عذاب يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون
في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان اصل السوط خلط الشيء بعضه ببعض
وقيل هذا على الاستعارة ولان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل سوطه الذي ضربهم به
العذاب وكان الحسن اذا اتى على هذه الاية يقول ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها ان ربك لبالمرصاد
قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته احد وقيل عليه ممر الناس لان الرصد
والمرصاد الطريق وقيل اليه مرجع الخلق الى حكمه وامره واليه مصيرهم وقيل انه يرصد اعمال بني آدم والمعنى انه لا يفوته
شيء من اعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقيل ارصد النار على طريقهم حتى تهلكهم قوله عز وجل فاما
فاما الانسان اذا ما ابتلاه اي امتحنه ربه بالنعمة فاكرمه اي بالمال ونعمه اي وسع عليه فيقول ربي اكرمن
اي بما اعطاني المال والنعمة واما اذا ما ابتلاه يعني بالفقر فقدر اي ضيق وقيل قتر عليه رزقه اي وقد اعطاه
ما يكفيه فيقول ربي اهانن اي اذلني بالفقر وقيل نزلت في امية بن خلف الجمحي الكافر وقيل
ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ
في الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى كلا اي ليس
الامر كذلك لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه فاخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة
الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المومن لا لهوانه
لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى والمكرم من اطاعه ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصحاب
المال ليختبره ايشكر ام يكفر ويضيق عليه ليختبره ايصبر ام يضجر ويقلق كلا بل لا تكرمون اليتيم اي
لا يعطونه حقه الثابت له من الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف
وكان يدفعه عن حقه ولا تحاضون على طعام المسكين اي لا يطعمون مسكينا ولا يامرون باطعامه وقرئ
ولا تحاضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك وتاكلون التراث اي الميراث اكلا لما اي شديدا وهو
والمعنى انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان وياكلون
نصيبهم وقيل الاكل اللم الذي ياكل كل شيء يجده ولا يسال احلال ام حرام وياكل الذي له ولغيره وتحبون
المال حبا جما اي كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به كلا اي ما ينبغي ان يكون الامر هكذا من الحرص على
جمع المال وجمعه وقيل معناه ولا يفعلون ما امروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم
على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا اي دقت وكسرت مرة بعد
مرة وكسر كل شيء عليها من جبل وبناء وشجر حتى لم يبق على ظهرها شيء وجاء ربك اعلم ان هذه الاية
من ايات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلمون فيها وامروها كما
جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تاويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتاولها بعض

بعض المشايخ من غلاة المتكلمين وقالوا قد ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله محال فلا بد من تاويل الآية وقيل
في تاويلها وجاء امر ربك بالمحاسبة والمجازاة وقيل وجاء امر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دليل آيات ربك
فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الآيات والملك صفا صفا اي تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون
صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف وجيء يومئذ بجهنم يعني يوم القيامة بجهنم قال
ابن مسعود في هذه الآية تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ
وزفير حتى تنصب على يسار العرش يومئذ بجهنم يتذكر الانسان اي يتعظ من الكلام ويتوب وأنى له الذكرى يعني يوم يجاء ج
يعني انه يظهر التوبة ومن اين له التوبة يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي قدمت الخير والعمل الصالح
لحياتي في الآخرة التي لا موت فيها فيومئذ لا يعذب عذابه احد اي لا يعذب احد في الدنيا كعذاب الله
الكافر يومئذ ولا يوثق وثاقه احد يعني لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق وهو
الاسار في السلاسل والاغلال وقرئ لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب هذا العذاب
احد ولا يوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه قوله تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة اي الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله الموقنة الموقنة وقيل هي الراضية
بقضاء الله وقيل هي الآمنة من عذاب الله وقيل هي المطمئنة بذكر الله وقيل انها نزلت في حمزة بن عبد المطلب
حين استشهد باحد وقيل في خبيب بن عدي الانصاري وقيل في عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل
في ابي بكر الصديق والاصح ان الآية عامة في كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية ارجعي الى ربك
الى ما وعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمر اذا توفي العبد المومن ارسل
ارسل الله عز وجل ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجي ايتها النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان
وربك عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجده احد في انفه والملائكة على ارجاء السماء يقولون قد جاءكم
من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله
فيسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المومنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون
عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وان
لم يكن جعل الله له فيه نورا مثل الشمس ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله واذا
توفي الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد اي من كساء انتن من كل نتن واخشن من كل
خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان وقيل في معنى قوله
ارجعي الى ربك اي الى صاحبك وهو الجسد والمعنى يقال عند البعث فيأمر الله تعالى الارواح ان ترجع الى الاجساد
وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعي الى ثواب ربك وكرامته راضية عن الله
بما اعد لك مرضية اي رضي عنك ربك وقيل يقال لها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم
القيامة قيل لها ادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل معنى في عبادي اي في جملة عبادي الصالحين
المطيعين وادخلي جنتي قال سعيد بن جبير مات ابن عباس في الطائف فشهدت جنازته فجاء
طائر لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى
من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال بعض

اهل الاشارة

اهل الاشارة في تفسير هذه الاية يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع اليه هو
سلوك سبيل الاخرة والله اعلم بمراده

تفسير سورة البلد مكية وهي عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لا اقسم بهذا البلد تقدم الكلام على قوله لا اقسم في اول سورة القيامة والبلد هو مكة في قول جميع المفسرين وانت حل اي حلال بهذا البلد اي مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل اي حلال والمعنى احلت لك فاصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها احل الله عز وجل مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة فاحل دماء قوم وحرم دماء قوم اخرين فقال من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحلها له حتى يقاتل وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى وهو مقيم بمكة ان يفتحها في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعده وقيل في معنى قوله وانت حل بهذا البلد قال يحرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه ووالد وما ولد يعني ادم وذريته اقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبادم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد قال ابن عباس في نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الاخرة وعن ابن عباس ايضا قال في شدة خلقه وحمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته واصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال الكبد الاستواء والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شيء من الحيوان يمشي منكبا وقيل منتصبا راسه في بطن امه فاذا اذن الله في خروجه انقلب راسه الى اسفل وقيل في كبد اي في قوة نزلت في ابي الاشد اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى موضع الاديم تحت موضع قدميه ايحسب يعني ابا الاشد من قوته ان لن يقدر عليه احد يعني ايظن لشدته في نفسه ان لن يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي يقول يعني هذا الكافر اهلكت مالا اي انفقت مالا اي كثيرا من التلبيد الذي يكون بعضه فوق بعض يعني في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ايحسب ان لم يره احد يعني ايظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وقيل كان كاذبا في قوله انه انفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين يعني ان نعم الله على عبده متظاهرة يقرره بها كيما يشكره وجاء في الحديث ان الله عز وجل يقول يا ابن ادم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك

عليه بطبقتين والحيوان نازع في شيء فيما حرمت عليك فقد اغلقت عليه بطبقتين فاطبق وهديناه النجدين
قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين
قوله تعالى فلا اقتحم العقبة يعني فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان
فيكون ذلك خيرا له من انفاقه على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولم يجاوزها والاقتحام
الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثلا ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي
يتكلف صعود العقبة يقول لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة ولا الاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب
على مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة واطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروي عن ابي عمر
ان هذه العقبة جبل في جهنم وقيل هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة
النفس وقيل هو الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهلا وصعودا
وانه بجنبيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس في
النار فمنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل
يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار وقيل
معنى الاية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ما هي فقال تعالى وما ادراك ما العقبة اي وما ادراك ما
اقتحام العقبة فك رقبة يعني عتق الرقبة وهو ايجابها الحرية لها وابطال الرق والعبودية عنها وذلك
بان يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه او يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت
فداءه من النار ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة
مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوي بسنده عن البراء
ابن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة
قال لئن كنت قصرت الخطبة لقد اعرضت المسألة اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليسا واحدا قال لا عتق
النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم
فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك
الا من خير وقيل في معنى الاية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات
التي يصير بها الى رضوان الله والجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار او اطعام في يوم ذي مسغبة
اي يوم ذي مجاعة والمسغبة المجاعة يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة يريد تطعم يتيما بينك وبينه قرابة
او مسكينا ذا متربة يعني قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح في
التراب لا يقيه شيء والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله ثم كان من الذين آمنوا
والمعنى انه كان مؤمنا نفعته هذه القرب وكان مقتحما للعقبة وان لم يكن مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم
العقبة وتواصوا بالصبر يعني اوصى بعضهم بعضا بالصبر على اداء الفرائض وجميع اوامر الله ونواهيه وتواصوا
بالمرحمة اي برحمة الناس وفيه اشارة الى تعظيم اوامر الله والشفقة على خلق الله اولئك يعني اهل
هذه الخصال اصحاب الميمنة ∴ والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة ∴
يعني مطبقة عليهم ابوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله اعلم

تفسير

تفسير سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية واربع وخمسون كلمة
ومائتان وسبع واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والشمس وضحاها اي ضوءها حين تطلع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى
هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا
اشتد نورها قوي حرها وهذا ضعيف والاول والقمر اذا تلاها اي تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر
اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين يكمل
ضوءها فيصير مستويا وذلك في الليالي البيض وقيل تلاها تبعها في الطلوع وذلك في اول ليلة من الشهر اذا
غربت الشمس طلع الهلال فكانه تبعها والنهار اذا جلاها يعني جلا الظلمة بضيائه وكشفها بنوره
وكناية عن غير مذكور لكونه معروفا والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس حين يغيب فيظلم
الافق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار وينتشر
الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر والسماء وما بناها اي ومن بناها وقيل والذي بناها
وعلى هذا فكانه اقسم به وباعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اي والسماء
وبنائها والارض وما طحاها اي بسطها وسطحها على الماء ونفس وما سواها اي عدل خلقها
وسوى اعضاءها هذا ان اريد بالنفس الجسد وان اريد به المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها اعطاها
القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والفكرة المخيلة وغير ذلك من العلم والفهم
وقيل انما نكرها لانه اراد به النفس البشرية المكلفة التي تفهم عنه خطابه وهو نفس جميع من خلق
من الانس والجن فالهمها فجورها وتقواها قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة
والمعصية وعنه عرفها ما تاتي وما تتقي وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل جعل فيها ذلك
بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور
م عن ابي الاسود الدؤلي قال قال لي عمران بن حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء
قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت
الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا
وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي يرحمك الله اني لم ارد
بما سألتك الا لاحزر عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت ما
يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم
به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم به فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك
في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها م عن جابر رضي الله عنه قال جاء
سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان فيم العمل اليوم فيما جفت
به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما نستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل
فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه اقسام اقسم بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم
بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها واورد على هذا القول انه فيه دخل في جملة هذا القسم

قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لا يجوز ولا يجيء
عنه بأن ما إن فسرت بالمصدرية فلا اشكال فيه فإن فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذي بناها وجواب
القسم قوله تعالى قد أفلح من زكاها أي فاز وظفر وسعدت نفس زكاها الله أي أصلحها وطهرها من الذنوب
ووفقها للطاعة وقد خاب من دساها أي خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأفسدها وأصله من دس
الشيء إذا أخفاه فكأنه تعالى أقسم بأشياء من مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسار من خذله وأضله حتى
لا يظن أحد أنه يتولى تطهير نفسه أو هلاكها بالمعصية من غير قدر منه تقدم وقضاء سابق ق عن زيد بن
أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر
اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من علم لا
ينفع وقلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها قوله تعالى كذبت ثمود وهم قوم صالح
عليه السلام بطغواها أي بطغيانها وعدوانها والمعنى أن الطغيان حملهم على التكذيب حتى يكذبوا بطغواها
أي بطغيانها وعدوانها والمعنى أن الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا إذ انبعث أشقاها أي قام وأسرع
وذلك أنهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف وقد كان رجلا أشقر
أزرق قصيرا فقام فعقر الناقة ق عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر النا قة
والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في
أهله مثل أبي زمعة لفظ البخاري قوله عارم أي شرير ممتنع قوله تعالى فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعني صالحا عليه السلام ناقة الله أي ذروا ناقة الله وإنما قال لهم ذلك لما عرف منهم أنهم قد عز موا
على عقرها وإنما أضافها إلى الله تعالى تشريفا كبيت الله وسقياها أي وشربها أي وذروا شربها ولا تتعرضوا
للماء يوم شربها فكذبوه يعني صالحا فعقروها يعني الناقة فدمدم عليهم ربهم أي فدمر عليهم ربهم
وأهلكهم والدمدمة هلاك الاستئصال وقيل دمدم أي أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم ينفلت منهم أحد
بذنبهم أي فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه السلام وعقرهم الناقة فسواها
أي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الأمة وأنزل بصغيرهم وكبيرهم
وغنيهم وفقيرهم العذاب ولا يخاف عقباها أي ولا يخاف الله تبعة من أحد في إهلاكهم قاله ابن عباس
وقيل هو راجع إلى صالح عليه السلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما نزل بهم من العذاب أن يؤذيه أحد بسبب
ذلك والله أعلم بمراده. وتفسير كتابه هو

تفسير سورة الليل مكية وهي إحدى وعشرون آية وإحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والليل إذا يغشى أي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه أقسم الله تعالى بالليل لأنه سكن لكافة الخلق
يأوي فيه كل حيوان إلى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله والنهار إذا تجلى
أي بان وظهر بعد الظلمة لأن فيه حركة الخلق في طلب الرزق وما خلق الذكر والأنثى أي ومن خلق فعلى هذا يكون
أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وإن أريد به جنس الذكر
والأنثى من ماء وقيل هما آدم وحواء وإنما أقسم بهما لأنه تعالى ابتدع خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم

وجواب

وجواب القسم قوله تعالى إن سعيكم لشتى أي إن أعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها
روى أبو مالك الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو
موبقها قوله موبقها أي مهلكها قوله تعالى فأما من أعطى أي أنفق ماله في سبيل الله عز وجل واتقى أي
ربه وفيه إشارة إلى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي وصدق بالحسنى قال ابن عباس صدق بلا إله إلا الله وعنه
صدق بالخلف أي أيقن أن الله سيخلف عليه ما أنفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعود
الله الذي وعده أنه يثيبه فسنيسره أي فسنهيئه في الدنيا لليسرى أي للخلة والفعلة اليسرى
وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل وأما من بخل أي بالنفقة في الخير والطاعة واستغنى أي عن ثواب الله تعالى
فلم يرغب فيه وكذب بالحسنى أي بلا إله إلا الله وكذب بما وعده الله من الجنة والثواب فسنيسره للعسرى
أي فسنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر
عليه أن يأتي خيرا وفي هذه الآية دليل لأهل السنة وصحة قولهم في القدر وأن التوفيق والخذلان والسعادة
والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل مع ما سبق له في الأزل ق عن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه
مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة
فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من
أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل أهل الشقاوة
ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده والنكت بالتاء المثناة فوق
ضرب الأرض بذلك أو غيره مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه
اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فأعتقه فأنزل الله تعالى والليل إذا يغشى إلى قوله إن سعيكم
لشتى يعني سعي أبي بكر وأمية بن خلف وقيل كان لرجل من الأنصار نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال
فكان صاحب النخلة إذا صعد نخلته ليأخذ منها الثمر فربما سقطت الثمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل
الرجل من نخلته حتى يأخذ الثمرة من أيديهم وإن وجدها في فم أحدهم أدخل إصبعه في فيه حتى يخرجها فشكا ذلك
الرجل الفقير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال أعطني نخلتك التي فرعها في دار
فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل إن لي نخلا وما فيها أعجب إلي منها ثم ذهب فسمع بذلك أبو الدحداح
رجل من الأنصار فقال لصاحب النخلة هل لك أن تبيعنيها بحش يعني حائطا له فيه نخل فقال هو لك فأتى
أبو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشترها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك
فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الفقير جار الأنصاري صاحب النخلة فقال خذها لك ولعيالك فأنزل الله
هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لأن هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فإن كانت القصة
صحيحة فتكون هذه السورة فيها نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله
عنه وأمية بن خلف لأن سياق الآية يقتضي ذلك قوله عز وجل وما يغني عنه ماله أي الذي بخل به إذا
تردى أي إذا مات وقيل هوى في جهنم إن علينا للهدى أي علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك

انه لما ذكر ما للمحسن من التيسير وما للمسيء من العسرى اخبر ان بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها **وقيل** معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر احدهما والمعنى ارشاد او ابتداء الى العمل بطاعتي واحتج باعراض عن العمل بطاعتي **وقيل** معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله وان لنا للآخرة والاولى اي لنا ما في الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطأ الطريق **فأنذرتكم نارا تلظى** اي تتوقد وتتوهج **لا يصلاها الا الاشقى** يعني الشقي **الذي كذب** يعني الرسول وتولى اي عن الايمان **وسيجنبها الاتقى** يعني التقي **الذي يؤتي** اي يعطي **ماله يتزكى** اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يطلب بما انفقه رياء ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق رضي الله عنه في قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه اي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهري اريد فنزل فيه وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة **وذكر محمد بن اسحق** قال كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك احد احد **قال محمد بن اسحاق** عن هشام بن عروة عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابي بكر في بني جمح فقال لامية الا تتقي الله في هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى فقال ابو بكر أفعل عندي غلام اسود اجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيكه به قال قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وام عبيس وزنيرة فاصيب بصرها حين اعتقها ابو بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان فرد الله عليها بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار فمر بهما ابو بكر رضي الله عنه وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول والله لا اعتقكما ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق ابي بكر اياهم وكان اسم ابي بكر رضي الله عنه عتيقا وقال في ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه ۔ عتيقا واخزى فاكها وابا جهل
عشية هما في بلال بسوءة ۔ ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الانام وقوله ۔ شهدت بان الله ربي على مهل
فان تقتلوني تقتلوني ولم اكن ۔ لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب ابراهيم والعبد يونس ۔ وموسى وعيسى نجني ثم لا تمل
لمن ظل يهوى الغي من آل غالب ۔ على غير حق كان منه ولا عدل

وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له اتبيعنيه قال نعم ابيعه بنسطاس عبد لابي بكر رضي الله عنه وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواشي وكان مشركا فحمله ابو بكر رضي الله عنه على الاسلام على ان يكون ماله له فأبى فابغضه ابو بكر رضي الله عنه فلما قال له امية ابيعه بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر رضي الله عنه وباعه فانزل الله عز وجل **وما لاحد عنده** اي عند ابي بكر رضي الله عنه **من نعمة تجزى** اي من يد يكافيه عليها **الا ابتغاء وجه ربه الاعلى** يعني لم يفعل ذلك مجازاة لاحد بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه الله ربه الاعلى وطلب رضاه

ولسوف يرضى

ولسوف يرضى اي بما يعطيه الله عز وجل في داره من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله اعلم
تفسير سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة
واثنان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والضحى
اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة اقوال الاول ق عن جندب بن سفيان البجلي قال
اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امراة فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك
قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاثا فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ○
وفي رواية الترمذي عن جندب قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قال فابطا عليه جبريل فقال
المشركون قد ودع محمد فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى قيل ان المراة المذكورة في الحديث المتفق عليه
هي ام جميل امراة ابي لهب القول الثاني قال المفسرون سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن
ذي القرنين واصحاب الكهف فقال ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عليه الوحي القول الثالث
قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس جبريل عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل عاتبه رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل
اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل اربعون يوما قالوا فلما نزل جبريل قال النبي صلى الله عليه
وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد مامور ونزل وما نتنزل
الا بامر ربك وانزل الله تعالى هذه السورة قوله تعالى والليل اذا سجى وقيل يعني وقت الضحى وهي الساعة
التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء والليل اذا سجى قال ابن عباس اقبل بظلامه
وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شيء بظلامه وقيل معناه سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك
وهذا قسم اقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما
تركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤوس الآي وقيل معناه وما
قلاك ولا احدا من اصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة وللآخرة خير لك من الاولى اي الذي اعطاك ربك في الآخرة خير
لك واعظم من الذي اعطاك في الدنيا روى البغوي بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى
قال ابن عباس هو الشفاعة في امته حتى يرضى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي
صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم
فسله ما يبكيه فاتاه جبريل فساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل
فاساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته
واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات من امتي لا يشرك بالله شيئا
عن عوف بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل
نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا اخرجه الترمذي قال

وابن قيس سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول انكم يا معشر اهل العراق تقولون ارجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك
فترضى **وقيل** معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى **وقيل** من النصرة والتمكين وكثرة المومنين
فترضى **وقيل** حمل الآية على خيري الدنيا والآخرة معا أولى وذلك ان الله تعالى اعطاه في الدنيا النصر والظفر على
اعدائه وكثرة الاتباع والفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة واعلاء دينه وان امته خير الامم واعطاه
في الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما اعطاه في الدنيا والآخرة **ثم** اخبر عن حاله
صغيرا وكبيرا **وقيل** الوجه وذكره نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز وجل **الم يجدك يتيما فآوى** أي
الم يعلمك الله يتيما من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمعنى الم اجدك يتيما صغيرا حين مات ابواك ولم يخلفا لك مالا ولا
مأوى فجعلت لك مأوى تأوي اليه وضممتك الى عمك ابي طالب حتى احسن تربيتك وكفاك المونة وذلك ان عبد الله مات
ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه ابو طالب الى أن
قوي واشتد وتزوج خديجة **وقيل** هو من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك
اليه ونشر فيك نبوته واصطفاك برسالته **ووجدك ضالا** اي عما انت عليه اليوم **فهدى** اي فهداك الى توحيده
ونبوته **وقيل** وجدك ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها **وقال** ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب
وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة
فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه
السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك
وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدري من انت فعرفك نفسك وحالك **وقيل** وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك
وهداك الى الايمان والى ارشادهم **وقيل** الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو
بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه حتى هداه الله الى دينه **وقال الجنيد** ووجدك متحيرا في بيان ما
انزل اليك فهداك لبيانه **فهذا** ما قيل في هذه الآية ولا ينبغي ان يقول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة
على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء قبله منذ ولدوا ونشأوا على التوحيد
والايمان قبل النبوة وبعدها وانهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله وتوحيده ويدل على ذلك ان
قريشا عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك ولوازم الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه
سبيلا ولو كان فيه ما سكتوا ولنقل ذلك الينا ولأنه نقل ما قالوه فيه وعيروه به ويؤكد هذا ما روي
في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه ابي طالب
الى الشام ورأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبي فاختبره بذلك **فقال** له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني
بهما فوالله ما ابغضت شيئا بغضهما ويؤكد هذا ايضا شق صدره صلى الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج
العلقة منه وقال جبريل هذا حظ الشيطان وملأه حكمة وايمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى **وقال**
الزمخشري ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم
وان اراد انه كان على دين قومه فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر

والصغائر

الثانية جا بمال الكعبة والجمل الطائع مما كان لنا ان نشرك بالله من شيء والله اعلم وقوله تعالى ووجدك عايلا
فاغنى يعني وفقيرا ذا عيال فاغناك بمال خديجة ثم بالغنايم وقيل ارضاك بما اعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح
العين والراء المال عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله سالت ربي عز وجل مسالة
وددت اني لم اكن سالته قلت يا رب انك اتيت سليمان بن داود ملكا عظيما واتيت فلانا كذا وفلانا كذا
قال يا محمد الم اجدك يتيما فآويتك قلت بلى اي رب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال الم اجدك
عايلا فاغنيتك قلت بلى اي رب زاد في رواية الم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى رب فان
قلت كيف يحسن الجواد الكريم ان يمن بانعامه على عبده والمن مذموم في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق
تبارك وتعالى قلت المحسن لانه تعالى قصد بذلك ان يقوي قلبه ويعده بدوام نعمته عليه فظهر الفرق بين
امتنان الله الممدوح وامتنان المخلوق وهو المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كانه قال ما لك تقطع رجاك
عني الست الذي ربيتك واويتك وانت يتيم صغير اتظنني تاركك ومضيع ما صنعت اليك بل لا بد وان اتم نعمتي
عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه بالايتام والمساكين والفقراء فقال
تعالى فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه
وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في امر اليتامى ياخذون اموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي
بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر
بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال انا وكافل اليتيم في الجنة وشير باصبعه عن سهل بن
سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج
بينهما واما السايل فلا تنهر يعني السايل على الباب يقول لا تزجره اذا سالك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه
واما ان ترده ردا جميلا برفق ولين وقيل لا تكهر في وجهه وقال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون
زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم السايل بريد الآخرة يجي الى باب احدكم فيقول هل توجهون الى اهليكم
بشيء وقيل السايل هو الطالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهر
ولا يلقى بمكروه واما بنعمة ربك فحدث قيل اراد بالنعمة النبوة اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة
التي آتاك الله وقيل النعمة هو القرآن امره ان يقراه ويقري به غيره وقيل اشكر لما ذكر من نعمه عليك
في هذه السورة من جبر اليتم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والفقر امره ان يشكره على انعامه
عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اعطي عطاء فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد
كفره ومن تحلى بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زور اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن

النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن
لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب
والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب
ذلك أن الوحي لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فلما ختم النبي
صلى الله عليه وسلم لنزلها فلما نزل والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله أعلم

تفسير سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
ألم نشرح لك صدرك استفهام بمعنى التقرير أي قد فعلنا ذلك لك ومعنى الشرح الفتح بإذهاب ما يصد عن الإدراك والله تعالى
فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة بإذهاب الشواغل التي تصد عن إدراك الحق وقيل معناه ألم نوسع
قلبك ونوسعه ونلينه بالإيمان والعلم والحكمة وقيل هو شق صدره في صغره م عن أنس رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه
فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده
إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا إن محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس
وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره ووضعنا عنك وزرك أي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية
وهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك فأضافها
إليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى يبلغها لأن الوزر في اللغة الثقل
تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك من الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى
العصمة وضعا مجازا واعلم أن القول في عصمة الأنبياء قد تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله وعصى آدم
ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الذي أنقض ظهرك أي أثقله وأوهنه حتى
سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل أو الرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال
هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور كان فعلها قبل نبوته إذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد
النبوة عدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها فوضعها الله عنه وغفر له ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة
قال هو ترك الأفضل لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك روى البغوي بإسناد
الثعلبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا
لك ذكرك قال قال الله عز وجل إذا ذكرت ذكرت معي وقال ابن عباس يريد الأذان والإقامة والتشهد
والخطبة على المنابر ولو أن عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع من ذلك بشيء وكان
كافرا وقال قتادة ورفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب
صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قال الضحاك لا تقبل صلاة إلا به وقال مجاهد يعني
التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين
وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله وقيل رفع ذكره بأن قرن اسمه باسمه محمد رسول الله ونبي الله ومن طاعته

ربع

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد وشق له

على طاعته

على اقامة الطاعة اطيعوا الله واطيعوا الرسول من يطع الله ورسوله ونحوه للمحمد في الفقه ان وعيني ومن تعقبه الانبيا ثم وعد
اليسر والرخا بعد الشدة والعنا وذلك انه كان في شدة بمكة فقال تعالى فان مع العسر يسرا اي مع الشدة التي
انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخا بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جيتهم به ان مع العسر يسرا
كرره لتاكيد الوعد وتعظيم الرجا وقال الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا
فقد جاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين قال ابن مسعود لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه
وانه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ
العسر وذكره بلفظ المعرفة وذكر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان
الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم اعادته كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما
فالثاني غير الاول واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الاية مكرر بلفظ
التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكررا بلفظ النكرة فكانا يسرين فكانه قال ان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر
يسرا اخر وزيف ابو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب
عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان مع العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسرا واحدا ويسران وهذا
قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين
مجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف وكانت قريش تعيره بذلك
حتى لو قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك حتى تكون كايسر اهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن قومه
انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى
فان مع العسر يسرا اي لا يحزنك ما يقولون فان مع العسر يسرا عاجلا ثم انجز ما وعده وفتح عليه القرى العربية ووسع
ذات يده حتى كان يعطي المئين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدا فضلا اخر من امر الاخرة فقال تعالى ان مع
العسر يسرا والدليل على ابتدايه تعريه من الفا والواو وهذا وعد لجميع المومنين والمعنى ان مع العسر الذي
في الدنيا للمومنين يسرا في الاخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكر في الاية الاولى ويسر الاخرة
وهو ما ذكر في الاية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اي لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله
للمومنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم الله في الاخرة وانما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة
فدايم ابدا غير زايل اي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان
في النقص قال القشيري كنت يوما بالبادية بحالة من الغم فالقي في روعي بيت من الشعر فقلت
اري الموت لمن اصبح : مغموما له اروح . فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهوى الا ايها
المرء الذي الهم به برح وقد انشد بيتا لم يزل في فكره يسنح . اذا اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح . فعسر
بين يسرين اذا ابصرته فافرح . قال في وظيفة الابيات ورحمه الله عني وقال اسحق
ابن بهلول القاضي . فلا تياس وان اعسرت يوما . فقد ايسرت في الزمن الطويل . ولا تظنن بربك غير خير .
فان الله اولى بالجميل . فان العسر يتبعه يسار . وقول الله اصدق كل قيل . وقال سليمان ابن
احمد الراقي في المعنى توقع اذا دهاك الخطوب سرورا . فقد بات دهاك بسرور بسر اذا بسر الله قد جعل
مبعدا . وقد قال ان مع العسر يسرا . قوله تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب لما عدد الله

الذي في الدنيا

على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها
وان لا يخلو وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس
اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسألة وقال ابن مسعود
اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك
وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة
فانصب في الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب اني لأكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا
لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة السبهلل الذي لا شيء معه وقيل السبهلل الباطل والى ربك فارغب
اي فتضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله في جميع احوالك لا الى احد سواه، والله اعلم

تفسير سورة التين مكية وهي ثمان آيات واربع وثلاثون كلمة وخمسة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم. قوله عز وجل والتين
والزيتون قال ابن عباس هو تينكم وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة
مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه لا عجم فيه ومن خواصه انه
طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويخرج بطريق الرشح ويلين الطبع ويقلل البلغم واما
الزيتون فلانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته في اغلب البلاد ولا يحتاج
الى خدمة وتربية وينبت في الجبال التي ليست فيها دهنية ويمكث في الارض الوفا من السنين فلما كان
فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لا جرم اقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين
الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور تينا
وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون
مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف
والزيتون مسجد ايليا وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي والزيتون مسجد
بيت المقدس وطور سينين يعني الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام وسينين
اسم للمكان الذي فيه الجبل سمي سينين وسيناء لحسنه ولكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة
يسمى سينين وسيناء وهذا البلد الامين يعني الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذي يأمن
فيه الناس في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد وهذه
اقسام اقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم يعني اعدل قامة واحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه الا
الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول ماكله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل
والتمييز والنطق ثم رددناه اسفل سافلين يعني الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص
عقله فالسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير اسفل من هؤلاء جميعا لانه لا
يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها
دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني

فلهم

فإنهم لا يردون إلى النار وإلى أسفل سافلين وعلى القول الأول يكون هذا استثناء منقطعا والمعنى رددناه أسفل سافلين
من زال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له حسنة إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها إلى أيام الشيخوخة
والهرم والضعف فإنه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة **وقال**
ابن عباس هم نفر ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عذرهم وأخبرهم أن لهم
أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم فعلى هذا القول الاستثناء خاص وحكمه عام **قال عكرمة** ما يضر
هذا الشيخ كبره إذا ختم الله له بأحسن ما كان يعمل **وروي** عن ابن عباس إلا الذين قرأوا القرآن ومن قرأ القرآن
لم يرد إلى أرذل العمر **فلهم أجر غير ممنون** يعني مقطوع لأنه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل
ثم قال إلزاما للحجة **فما يكذبك بعد** يعني أيها الإنسان وهو خطاب على طريق الالتفات **بعد** هذه الحجة والبرهان
بالدين أي بالحساب والجزاء **والمعنى** فما الذي يلجئك أيها الإنسان إلى هذا الكذب ألا تتفكر في صورتك وشبابك
ومبدإ خلقك وهرمك فتعتبر وتقول إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة
وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين
أليس الله بأحكم الحاكمين أي بأقضى القاضين يحكم بينك وبين أهل التكذيب يوم القيامة عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والتين والزيتون فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك
من الشاهدين أخرجه الترمذي **وعن البراء** أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصلى العشاء الآخرة فقرأ في إحدى
الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة اقرأ مكية وهي تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا

قال أكثر المفسرين هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله ما لم يعلم **فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله
عنها** أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة وفي مسلم الصادقة في النوم وكان
لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي
ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق **وفي
رواية** حتى فجئه وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد
ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال
اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فرجع
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه
حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله
لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب
الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة وكان امرأ
تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان
شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا

اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَمخرجيّ هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي
وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي زاد البخاري فقال وفتر الوحي
فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما
اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه
وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك
فصل في هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ اول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال
ان المدثر اول ما نزل وسيأتي الكلام على ذلك والجمع بين القولين في اول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل
الصحابة لان عائشة رضي الله عنها لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم أو من غيره
من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني واما ابتداؤه النبي صلى
الله عليه وسلم بالرؤيا فلئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا يحتملها صلى الله عليه وسلم لعدم القوى البشرية
فبدئ باوائل علامات النبوة توطئة للوحي واما التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان اصل
التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان اصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه يفعل
فعلا يخرج به عن الاثم وقوله فجاءه الحق أي جاءه الوحي بغتة وقوله فغطني بالغين المعجمة والطاء المهملة أي
عصرني وضمني ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ مني الجهد قال العلماء والحكمة في الغط شغله عن الالتفات
الى غيره والمبالغة في احضار قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكرر مرتين ومعناه
غطوني بالثياب قوله حتى ذهب عنه الروع أي الفزع وقوله كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا روي بضم الياء وبالخاء
المعجمة من الخزي أي لا يفضحك الله ولا يهينك ولا يذلك وروي بفتح الياء وبالحاء المهملة لا يحزنك
من الحزن الذي هو ضد الفرح قوله وتحمل الكل أي الثقل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم أي تعطي المال لمن هو
معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وجميل الافعال وخصال
الخير وذلك اسباب السلامة من مصارع السوء قولها وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرا نية
وفي رواية مسلم كان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله ان يكتب ومعنا
هما صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب اي موضع شاء منه
بالعبرانية ان اراد وبالعربية ان اراد ذلك قوله هذا الناموس الذي نزل الله على موسى هو بالنون وبالسين يعني
جبريل عليه السلام ومعنى الناموس الذي نزل على موسى هو بالنون وبالسين يعني جبريل صاحب الخير وانما سمي جبريل
بذلك لان الله خصه بالوحي الى الانبياء قوله يا ليتني فيها أي في ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا أي شابا
قويا حتى ابالغ في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا أي قويا بالغا قولها فلم ينشب
ورقة ان توفي أي فلم أي فلم يلبث ان مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله حتى يتردى أي يترامى الوقوع من علو
وذروة الجبل اعلاه تبدى له أي ظهر له فيسكن لذلك جاشه أي قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر
العظيم المهول وقيل ما ثار من فزعه وهاج من حزنه والله اعلم بمراده واسرار كتابه
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقرأ باسم ربك قيل الباء زائدة مجازه اقرأ

اسم ربك

اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك أمره ان يبتدئ القراءة باسم الله تاديبا وقيل الباء صلة والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا
باسم ربك اي قل بسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون فيه دلالة على استحباب البداية بالبسملة في اول القراءة وقيل
معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ما تتحمله من النبوءة واعباء الرسالة الذي خلق يعني جميع الخلائق وقيل
هو الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه وقيل الذي خلق كل شيء خلق الانسان يعني ابن آدم
وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة من علق جمع علقة ولما كان
الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلقة ولمشاكلة رؤوس الآي ايضا اقرأ أكرره تاكيدا وقيل الاول
اقرأ في نفسك والثاني اقرأ للتبليغ وتبليغ امتك ثم استانف فقال تعالى وربك الاكرم يعني هو الذي لا يوازيه
كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكرم اعطاء الشيء
من غير طلب عوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله
سبحانه وتعالى يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك في وصفه لانه الاكرم الذي لا يبقى وقيل الاكرم هو الذي له الابتدا
في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون
هذا حثا على القراءة والكتابة التي بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتاب لما فيهما من
المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرف اخبار الماضين واحوالهم وسير هم
ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة
لولا القلم لم يقم دين ولا يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قيل له فما قيده قال
الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه علم الانسان ما لم يعلم قيل يحتمل ان يكون
المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك المعنى واحدا وقيل علمه من انواع العلم والهداية
والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله
تعالى كلا اي حقا ان الانسان ليطغى اي يتجاوز الحد ويستكبر على ربه ان رآه استغنى اي راى نفسه
غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل كان اذا اصاب
مالا زاد في مركبه وثيابه ومطعمه فذلك طغيانه ان الى ربك الرجعى اي المرجع في الآخرة وفيه تهديد وتخويف
لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت
في ابي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال ابو جهل
هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رايته يفعل ذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن يعفر
وجهه بالتراب قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجئهم منه الا وهو
ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك قال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله لا ادري في حديث ابي هريرة
او شيء بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله لا تطعه قال وامره بما امره به زاد في رواية فليدع ناديه
يعني قومه خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال ابو جهل لئن رايت محمدا يصلي عند الكعبة لاطأن
على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعل لاخذته الملائكة زاد الترمذي عيانا ومعنى
ارايت تعجيب للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التعميم في قوله عبدا اي انه كامل

العبودية والمعنى أرأيت الذي ينهى أشرف الخلق عبودية في العبودية وهذا دأبه وعادته وقيل هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله ولا يلزم منه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة ولا في الأوقات المكروهة لأنه ورد النهي عن ذلك في الأحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك منع المولى عبده ولا الرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لأن ذلك لاستيفاء مصلحة إلا أن يأذن المولى فيه أو الزوج **أرأيت إن كان على الهدى** يعني العبد المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم **أو أمر بالتقوى** يعني بالإخلاص والتوحيد **أرأيت إن كذب** يعني أبا جهل **وتولى** أي عن الإيمان وتقدير نظم الآية أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الإيمان أي فما أعجب من هذا **ألم يعلم** يعني أبا جهل **بأن الله يرى** يعني ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم **كلا** أي لا يعلم ذلك أبو جهل **لئن لم ينته** يعني عن إيذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه **لنسفعن بالناصية** أي لنأخذن بناصيته فلنجرنه إلى النار يقال سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذباً شديداً والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب أي لنلطمن وجهه بالنار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل **ناصية كاذبة خاطئة** أي صاحبها كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل أتنتهرني فوالله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً جرداً ورجالاً مرداً **وعن ابن عباس** قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره فقال أبو جهل إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله تبارك وتعالى **فليدع ناديه سندع الزبانية** قال ابن عباس لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه أي عشيرته وقومه فليستنصر بهم وأصل النادي المجلس الذي يجمع الناس ولا يسمى نادياً ما لم يكن فيه أهله سندع الزبانية يعني الملائكة الغلاظ الشداد **قال ابن عباس** يريد زبانية جهنم سموا بذلك لأنهم يدفعون أهل النار إليها بشدة مأخوذ من الزبن وهو الدفع **كلا** أي ليس الأمر على ما هو عليه أبو جهل **لا تطعه** أي في ترك الصلاة **واسجد واقترب** أي من الله **عن أبي هريرة** رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعي فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عندها يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك وإذا السماء انشقت أخرجه مسلم

أي صل لله

تفسير سورة القدر مدنية وقيل إنها مكية والقول الأول هو الأصح وهو قول الأكثرين وقيل إنها أول ما نزل بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة

ومائة واثنا عشر حرفاً بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **إنا أنزلناه** يعني القرآن كناية عن غير مذكور **في ليلة القدر** وذلك أن الله عز وجل أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم نجوماً متفرقة في مدة عشرين سنة وكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة إليه **وقيل** إنما نزل إلى السماء الدنيا ليشعر الملائكة بذلك ولأنها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهي لهم مسكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لأن فيها

تقدير

تقدير الامور والاحكام والارزاق والاجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة
يقدر الله ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله تعالى يطلع ذلك الملائكة ويامرهم بفعل ما هو من وظيفتهم
بان يكتب ما قدر في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه ان يحدثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير
قبل ان يخلق السموات والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السما وات
والارض في الازل قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل
سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند فلان اي منزلة وجاه وقيل
سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة

فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم
انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان اني خرجت
لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول
لان اخر الحديث يرد عليه فانه صلى الله عليه وسلم قال في اخره فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة
وكان المراد رفع وجودها في ذلك العام بالتماسه وعامة الصحابة والعلماء من بعدهم على انها باقية الى يوم القيامة ع وروى
عن عبد الله بن يحنس مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت
هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم ثم من قال ببقائها ووجودها اختلفوا في محلها فقيل هي متنقلة تكون
في سنة في ليلة وفي سنة اخرى في ليلة اخرى هكذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في اوقاتها المختلفة
وقال مالك والثوري واحمد واسحاق وابو ثور انها تنتقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل تنتقل في رمضان
كله وقيل انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها ابدا في جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هي في ليلة القدر من
السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابي حنيفة وصاحبيه **وروي عن ابن مسعود** انه قال من يقم
الحول يصيبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكن
اراد ان لا يتكل الناس وقال جمهور العلماء انها في شهر رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلي
هي اول ليلة من شهر رمضان وقيل ليلة سبع عشرة وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر وحكي
عن زيد بن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون انها في العشر الاواخر من رمضان ويدل
على ذلك الاحاديث الواردة في ذلك ق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور
العشر الاواخر من رمضان م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ليلة
القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الغوابر وذهب الشافعي الى انها ليلة احدى
وعشرين ق عن ابي سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كان صبيحة عشرين
نقلنا متاعنا فاتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه فاني اريت هذه الليلة ورايتني
اسجد في ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء من اخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش فلقد رايت
على انفه وارنبته اثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كان ليلة احدى وعشرين وهي الليلة
التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وورد في ليلة القدر

فمطرنا فو الذي بعثه بالحق
لقد هاجت السماء ع

اثنين وعشرين حديثا عن عبد الله بن انيس قال كنت في مجلس بني سلمة وانا اصغرهم فقالوا من يسأل
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت
النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ارسلني اليك رهط من بني سلمة يسالونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت
اثنتان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاثا وعشرين ومال اليه الشافعي ايضا
خ عن الصنابحي انه سأل رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيئا فقال اخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انها في اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ يحتمل عن عبد الله بن انيس قال قلت يا رسول
الله ان لي بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة انزل الى هذا المسجد فقال انزل ليلة
ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك يفعل قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج منه لحاجة حتى
يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته اخرجه ابو داود
ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني اسجد صبيحتها
في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف
وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة اربع وعشرين
خ عن ابن عباس قال التمسوها في اربع وعشرين وقيل هي ليلة خمس وعشرين دليله
قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع
وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وابن عباس واليه ذهب احمد م عن زر
ابن حبيش قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة
اصاب ليلة القدر فقال ابي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف لا يستثني والله اني لاعلم
اي ليلة هي هي الليلة التي امرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين
وامارتها ان تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه
وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين اخرجه ابو داود وقيل ليلة تسع وعشرين دليله قوله
تحروا ليلة القدر وقيل هي ليلة اخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ليلة القدر وانا اسمع هي في كل رمضان اخرجه ابو داود وقال ويروى موقوفا عليه ذكر ليال مشتركة
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة
سبع عشرة من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه ابو داود وعن
عيينة بن عبد الرحمن قال حدثني ابي قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة فقال ما انا ملتمسها لشيء
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين
او في سبع يبقين او في خمس يبقين او ثلاث يبقين او اخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته
في سائر السنة فاذا دخل العشر اجتهد اخرجه الترمذي خ عن عبادة بن الصامت قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة
والسابعة والخامسة قوله فتلاحى رجلان اي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم ترفع عينها وانما رفع

بجهلها بيان

بيان ونسيه ولو كان المراد وجودها لم يأمر بالتماسها خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هي في العشر في سبع يمضين او سبع يبقين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة
تبقى في خامسة تبقى قال ابو عيسى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها ليلة احدى
وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وسبع وعشرين وخمس وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعي كان
هذا عندي والله اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسأل عنه يقال له نلتمسها في كذا
فيقال التمسوها في ليلة كذا قال الشافعي واقوى الروايات عندي فيها ليلة احدى وعشرين
قال البغوي وفي الجملة ابهم الله تعالى هذه الليلة على هذه الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان
طمعا في ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه
الاعظم في اسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها واخفى
قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روي عن الحسن رفعه انها ليلة
سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها ق عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد
المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره
ق عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف
ازواجه بعده ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان ت عن عائشة
قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه ايضا النسائي وابن ماجه قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر
اي اي شيء يبلغ دراية قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خبرها ثم ذكر فضلها
من ثلاثة اوجه فقال تعالى ليلة القدر خير من الف شهر قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من
بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك
لامته وقال يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من
الف شهر التي حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة وعن مالك انه لما سمع من
يثق به من اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الناس قبله او ما شاء من ذلك فكانه تقاصر
اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خير من العمل
الصالح في الف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان ذلك لما يجعل الله فيها من المنافع والارزاق وانواع
الخير والبركة الوجه الثاني من فضلها قوله تعالى تنزل الملائكة يعني الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المومنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة
والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا مما قالوه ويستغفرون لهم لما يرون من تقصير
يقع من بعضهم والروح يعني جبريل عليه السلام قاله اكثر المفسرين وفي حديث انس عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد
يذكر الله عز وجل ذكره البغوي وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من

التمس

لرويتهم الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة فيها باذن ربهم اي في تلك الليلة اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامر ربهم من كل امر اي بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امر به وقضاه من كل امر والوجه الثالث من فضلها قوله سلام اي سلام على اولياء الله واهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملائكة في ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مومنا او مومنة سلموا عليه من ربه وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدا فقال تعالى سلام هي يعني ليلة القدر سلام وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوا ولا يحدث فيها اذى هي حتى مطلع الفجر اي ان ذلك السلام او السلامة تدوم الى مطلع الفجر والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة لم يكن وتسمى البينة مدنية في قول الجمهور وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان ايات واربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى والمشركين اي ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل الكتاب وسبب كفرهم ما احدثوه في دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون اهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب الله فذكر الله الجنسين في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين اي منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين حتى تاتيهم لفظه مضارع ومعناه المضي والبينة الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقرءان فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجهالة ودعاهم الى الايمان فامنوا فانقذهم الله به من الجهل والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثة الرسول اليهم وهذه الاية فيها امر من العربية قال الواحدي في بسيطه وهذه الاية من اصعب ما في القرءان نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى للانتهاء فهذه الاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول فحينئذ يحصل بين الاية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال فيما اظن قال والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار

فيمن كان

بذكر ما كان يقوله توبيخًا وإلزامًا قال الإمام فخر الدين حاصل هذا الجواب يرجع إلى حرف واحد وهو
أن قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة مذكور حكاية حالهم وهو قوله وما تفرق الذين أوتوا
الكتاب فهو إخبار عن الواقع والمعنى أن الذي وقع كان خلاف ما ادعوا وثانيها أن تقدير هذه الآية لم يكن الذين كفروا
منفكين عن كفرهم وإن جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير في الآية إشكال إلا أن تفسير لفظ حتى بهذا ليس من اللغة
في شيء وذكر وجوهًا أخر قال والمختار هو الأول ثم بين البينة فقال تعالى رسول من الله أي تلك البينة
رسول من الله يتلو صحفًا أي يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم صحفًا أي كتبًا يريد ما تضمنته الصحف من المكتوب فيها
وهو القرآن لأنه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب مطهرة أي من الباطل والكذب والزور والمعنى
أنها مطهرة عن القبيح وقيل مطهرة مكرمة معظمة وقيل مطهرة أي لا ينبغي أن يمسها إلا المطهرون فيها
أي في الصحف كتب أي آيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الحكم قيمة أي عادلة مستقيمة غير ذات عوج
وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالأمر إذا أجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب
فقال تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب يعني في أمر محمد إلا من بعد ما جاءتهم البينة يعني جاءهم البيان في
كتبهم أنه نبي مرسل قال المفسرون ولم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى
فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال تعالى
وما أمروا يعني هؤلاء الكفار إلا ليعبدوا الله أي وما أمروا إلا أن يعبدوا الله قال ابن عباس ما أمروا في التوراة
والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين له مخلصين له الدين الإخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها
عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الإخلاص من ابتداء الفعل إلى انتهائه والمخلص هو الذي يأتي بالحسن
لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة فقد دلت هذه الآية على أن كل مأمور به فلا بد أن يكون
منويًا فلا بد من اعتبار النية في جميع المأمورات قال أصحاب الشافعي الوضوء مأمور به ودلت هذه الآية
على أن كل مأمور به يجب أن يكون منويًا فتجب النية في الوضوء وقيل الإخلاص محله القلب وهو أن يأتي بالفعل
لوجه الله تعالى مخلصًا لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضًا آخر حتى قالوا في ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودًا
ولا النجاة من النار مطلوبًا وإن كان لا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافًا لربه عز وجل
بالربوبية وقيل في معنى مخلصين له الدين مفردين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضى الله تعالى
بالعبادة (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لا ينظر
إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم حنفاء أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام
وقيل متبعين ملة إبراهيم عليه السلام وقيل حنفاء أي حجاجًا وإنما قدمه على الصلاة والزكاة لأن
فيه صلاة وإنفاق مال وقيل حنفاء أي مختونين محرمين نكاح المحارم وقيل الحنيف الذي آمن
بجميع الأنبياء والرسل ولم يفرق بين أحد منهم فمن لم يؤمن بأفضل الأنبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف
ويقيموا الصلاة أي المكتوبة في أوقاتها ويؤتوا الزكاة أي المفروضة عند محلها وذلك أي الذي أمروا
به دين القيمة أي الملة المستقيمة والشريعة المتبعة وإنما أضاف الدين إلى القيمة وهي نعته لاختلاف
اللفظين وأنث القيمة ردًا إلى الملة وقيل الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التي
جرى ذكرها أي وذلك دين أصحاب الكتب القيمة وقيل جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين

القايمين لله بالتوحيد واستقامة الهدى الاية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد اولا واتبعه
بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الدين بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المو
منين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر مثال الفريقين فقال تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين فان قلت لم قدم اهل الكتاب على المشركين قلت لان جنايتهم اعظم في حق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث انكروه وحسدوه
مع العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين اعظم
جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع والنبوة والقيامة واهل الكتاب اقروا بذلك غير انهم
انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى بين الفريقين في العذاب قلت لما اراد
اراد اهل الكتاب الرفعة في الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذلهم الله في الدنيا فادخلهم اسفل سافلين
في الدركات ولا يمنع هذه دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم في العذاب في نار جهنم خالدين فيها
اولئك هم شر البرية اي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا جعل الى خروج
من سبيل لا يبعثون خالدين فيها فكانهم قالوا ذلك فقال لا انكى شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية يعني انهم بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم جزاؤهم
عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه قيل
الرضى ينقسم الى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضي ويقدر قال السري
اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضي اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الجنة
والكرامة ذلك اي هو الجزاء والرضى عنه لمن خشي ربه اي لمن خاف ربه في الدنيا وتناهى عن المعاصي
وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ان الله عز وجل امرني ان اقرأ
عليك لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية للبخاري ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب ان الله امرني ان اقرئك القرآن قال الله سماني لك قال نعم قال وقد ذكرت
عند رب العالمين قال نعم فذرفت عيناه شرح الحديث اما بكاء ابي فانه بكاء سرورا واستصغارا
لنفسه عن تأهيله لهذه النعمة واعطائه المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا
عليه بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم عليه فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة
وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فلانها مع وجازتها
الاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار واما الحكمة في امر النبي صلى الله عليه وسلم
بالقراءة على ابي فهي ان يتعلم ابي الفاظه من الفاظه صلى الله عليه وسلم وصيغة اسلوب الوزن المشروع وقراءته
بخلاف بعدها سواء من النغم المستعملة في غيره وكانت قراءته على ابي ليتعلم منه لا ليتعلم هو من ابي وقيل
انما قرأ على ابي ليعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب المرتبة العالية وان يتعلم القرآن
ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابي وحث على الاخذ عنه وتقديمه في ذلك وكان كذلك بعد النبي
صلى الله عليه وسلم راسا واماما في القراءة وغيرها وكان احد علماء الصحابة رضي الله عنهم والله اعلم

تفسير سورة الزلزلة مكية وقيل مدنية وهي ثمان ايات وخمس وثلاثون

كلمة

كلمة وماية وتسعة واربعون حرفا :. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرءان وقل هو الله احد تعدل ربع القرءان اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب ولـه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له نصف القرءان
ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القرءان ومن قرا قل هو الله احد عدلت له ثلث القرءان وقال حديث
غريب :. بسم الله الرحمن الرحيم :. قوله عز وجل اذا زلزلت الارض زلزالها
اي حركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تتزلزل من شدة صوت اسرافيل حتى
ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة فولان احدهما وهو قول الاكثرين انه في الدنيا وهي من اشراط الساعة
والثاني انها زلزلة يوم القيامة واخرجت الارض اثقالها من قال ان الزلزلة تكون في الدنيا قال اثقالها كنوزها
وما في بطنها من الدفاين والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيقول
القاتل في هذا قتلت ويجي القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه
فلا ياخذون منه شيئا اخرجه مسلم الافلاذ جمع فلذة وهي القطعة المقطوعة المستطيلة شبه ما يخرج من
باطنها بافلاذ كبدها لان الكبد مستوية في الجوف وانما خص الكبد لانه من اطيب ما يشوى عند العرب من الجزور
واستعار القيء للاخراج ومن قال ان الزلزلة تكون يوم القيامة قال اثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها فقيل
ان الميت اذا كان في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سمي الانس والجن بالثقلين لان
الارض تثقل بهم احياء وامواتا وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي
الانسان قولان احدهما انه اسم جنس يعم المومن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة
والمعنى انها حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسال بعضهم بعضا عن ذلك والثاني انه اسم
الكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المومن عارف بها فلا يسال عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت
سال عنها وقيل المجاز الاية يومئذ تحدث اخبارها فيقول الانسان ما لها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل على
ظهرها من خير او شر فتشكو العاصي وتشهد عليه وتشكر للطايع وتشهد عليه له عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا
الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا
فهذه اخبارها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح بان ربك اوحى لها اي امرها بالكلام واذن لها في ان تخبر بما عمل
عليها قال ابن عباس اوحى اليها فقيل ان الله تعالى يخلق في الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما امرها
الله به وهذا مذهب اهل السنة قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اي عن موقف الحساب بعد العرض اشتاتا
اي متفرقين فيأخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم قال ابن عباس ليروا جزاء
اعمالهم وقيل معناه ليروا صحايف اعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
اي وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال
ابن عباس ليس من مومن ولا كافر عمل خيرا او شرا في الدنيا الا اراه الله يوم القيامة فاما المومن فيرى
حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته

اعرب لم سمي الانس والجن بالثقلين

قال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده حتى يخرج من
الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا من مومن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده واهله
حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الاية في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه
وكان احدهما ياتيه السايل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا اليسير بشيء يوجر
عليه انما يوجر على ما يعطي ونحن نحبه وكان الاخر يتهاونون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة والغيبة واشباه
ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكبائر وليس في هذا اثم فانزل الله هذه الاية يرغبهم في القليل من الخير ان
يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر والاثم الصغير في عين صاحبه فانه
يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة **قال** ابن مسعود احكم اية في القران فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية الجامعة الفاذة حين سيل عن زكاة
الحمر فقال ما انزل علي فيها شيء الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعايشة رضي الله عنها كل واحد بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل
كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة رضي الله عنهم قال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن
وهو يقرا هذه السورة فلما بلغ اخرها قال حسبي قد انتهت الموعظة والله اعلم

تفسير سورة والعاديات مكية في قول ابن مسعود وغيره ومدنية في قول ابن عباس وغيره وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم :. قوله عز وجل **والعاديات ضبحا** فيه قولان احدهما انها الابل في الحج قاله علي وابن مسعود وقال علي تعدوا من عرفة الى مزدلفة
ومن مزدلفة الى منى وعنه قال كانت اول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد
ابن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحا ضبعا وهو مد اعناقها في السير واصله
من حرك النار في العود **فالموريات قدحا** يعني ان اخفاف الابل ترمي بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا
اخر فيوري نارا وقيل هي النيران بجمع **فالمغيرات صبحا** يعني الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى
والسنة ان لا يدفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير **فاثرن به نقعا**
اي هيجن بمكان سيرها غبارا **فوسطن به جمعا** اي وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله
اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريض بابل الحج للترغيب فيه وفيه تعريض لمن لم يحج بعد القدرة عليه
فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثاني في تفسير والعاديات قال
ابن عباس وجماعة هي الخيل العادية في سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا عدت قال ابن عباس وليس بشيء
من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من تعب او
فزع ومن قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعني انها تورى النار بحوافرها اذا سارت
في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغدو في سبيل
الله ثم تاوي بالليل فيورون نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب والعرب تقول
اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك :. فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها

على العدو

على العدو وعند الصباح لان الناس في غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد قوله تعالى فأثرن به اي بالمكان :: نقعا اي غبارا
فوسطن به جمعا اي دخلن به اي بذلك النقع وهو الغبار وقيل ضرب بعد وهذا وسط جمع العدو وهم الكتيبة
وهذا القول في تفسير هذه الآيات أولى بالصحة واشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا إيراء النار بحوافرها ها
واثار الغبار ايضا وانما اقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة وتنبيها
على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى
ان الانسان لربه لكنود وهذا جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعم الله تعالى
وقيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وهو قليل الخير ماخوذ من الارض الكنود
وهي التي لا تنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من الاساءة ربع
الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذي انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة
وانه على ذلك لشهيد قال اكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان
والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع وانه يعني الانسان لحب الخير اي المال لشديد اي لبخيل والمعنى انه من اجل
حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوي شديد افلا يعلم هذا الانسان اذا بعثر اي اثير
واخرج ما في القبور يعني من الموتى وحصل ما في الصدور اي ميز وابرز ما فيها من خير او شر ان ربهم [illegible] بهم ح
جمع الكناية لان الانسان اسم والمراد به الجنس يومئذ لخبير اي عالم والله تعالى اعلم خبير بهم في ذلك اليوم وفي
غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات في القلوب
لما حصلت اعمال الجوارح والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القارعة مكية وهي ثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم :: قوله عز وجل القارعة اصل القرع
الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اي شدائده والقارعة من اسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب
بالفزع والشدائد والقارعة من اسماء القيامة قيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع
الخلائق من شدة صوت نفخته ما القارعة تهويل وتعظيم والمعنى فانها القوارع في الهول والشدة وما ادراك
ما القارعة معناه لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها وهم احد وكيف ما قدرت امرها فهي اعظم
من ذلك يوم يكون الناس كالفراش المبثوث الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سمي بذلك لتفرشه
وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة
الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يفزعون فيذهب كل واحد الى غير جهة الاخر والمبثوث
المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كانهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب
بعضه بعضا فيشبه الناس عند البعث بالجراد في الكثرة يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول
وتكون الجبال كالعهن المنفوش وذلك انه يتفرق اجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند
الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على ان تاثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلبة
حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة
قسم الخلق الى قسمين فقال تعالى فاما من ثقلت موازينه اي رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون
وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه

الأعمال فيؤتى بحسنات المؤمن في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فإذا رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات
الكافر في أقبح صورة فيخف ميزانه فيدخل النار وقيل إنما يوزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته
على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها
ثم يخرج منها فيدخل الجنة أو يعفو الله فيدخله الجنة بفضل رحمته وأما الكفار فقد قال في حقهم فلا
نقيم لهم يوم القيامة وزنا روي عن أبي بكر الصديق إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة
باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وإنما خفت
موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان أن يوضع
فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا وقوله تعالى وقوله تعالى **فهو في عيشة راضية** أي مرضية في الجنة
وقيل في عيشة ذات رضى يرضاها صاحبها **وأما من خفت موازينه** أي رجحت سيئاته على
حسناته **فأمه هاوية** أي مسكنه النار سمي المسكن أما لأن الأصل في السكون إلى الأمهات وقيل
معناه فأم رأسه هاوية في النار والهاوية اسم من أسماء النار وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهوون
فيها على رؤوسهم وقيل كان الرجل إذا وقع في أمر شديد يقال هوت أمه أي هلكت حزنا وثكلا
وما أدراك ما هيه يعني الهاوية ثم فسرها فقال **نار حامية** أي حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله
وعظمته منها والله أعلم

تفسير سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **ألهاكم التكاثر** أي شغلكم
المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم
أن من اشتغل بشيء أعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون سعيه وشغله في تقديم الأهم وما يقربه
من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والأعوان والأقرباء تفاخر بأخس المراتب والاشتغال به يمنع الإنسان
من الاشتغال بتحصيل السعادة الأخروية روى عن مطرف بن عبد الله الشخير عن أبيه
قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ألهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك
من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
ق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه
أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله **حتى زرتم المقابر** أي حتى متم ودفنتم في المقابر
يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم
الموت وأنتم على ذلك وقيل نزلت هذه الآية في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني
فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حيين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم
جرى بينهم تفاخر فتعادوا السادة والأشراف أيهم أكثر فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيدا وأعز
عزيزا وأعظم نفرا وأكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا
الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقال هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم
كانوا في الجاهلية أكثر عددا فأنزل الله هذه الآية وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لأن قوله حتى زرتم المقابر

يدل على أمر

يدل على امر عظيم مضى وكانه تعالى يعجبهم في انفسهم ويقول هب انكم اكثر منهم عددا فماذا ينفع وفي الله عليم ۞
فقال كلا اي ليس الامر كما يتوهمه هولاء بالتكاثر والتفاخر وقيل معناه حقا سوف تعلمون عاقبة
تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا
سوف تعلمون يعني وصاحب هذا القول كان يقرا الاولى بالتاء والثانية بالياء كلا لو تعلمون علم اليقين
اي علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة
كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت ∴ لترون الجحيم اللام يدل على انه جواب قسم محذوف والقسم
لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم عن بعد ثم لترونها يعني ۞
مشاهدة عين اليقين يعني كفار مكة في الدنيا في الجنة والنعمة فيسالون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم
لم يشكروا رب النعم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر
بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره فيسالهم عن ذلك وقيل ان هذا السوال يعم الكافر والمومن لكن ۞
سوال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما انعم به عليه والمومن يسال سوال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم به
عليه واطاع ربه فيكون السوال في حقه تذكيرا بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت
ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله واي نعيم نسئل عنه وانما الاسودان التمر والماء قال اما
انه سيكون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسال العبد عنه فروي عن ابن
مسعود رفعه قال لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يسال عنه العبد يوم القيامة من النعم فيقال له الم نصح لك جسمك ونروك
من الماء البارد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة
قالا الجوع قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما قوموا فقاموا معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو
ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب
يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اليوم
اكرم اضيافا مني فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم
الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم واخرجه الترمذي بالطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وبارد
وماء وروي عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسال الله العبيد فيما استعملوها وهو
اعلم بذلك منهم وقيل يسال عن الصحة والفراغ والمال خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذي يسال العبد عنه هو القدر
الزائد على ما يحتاج اليه فانه لابد لكل احد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسال عن تخفيف الشرائع
وتيسير القران وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسال عما انعم به عليكم وهو محمد صلى الله
عليه وسلم الذي انقذكم به من الضلالة الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله اعلم ۞ ۞

تفسير سورة العصر مكية قال ابن عباس والجمهور وقيل هي مدنية وهي ثلاث آيات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **والعصر** قال ابن عباس والدهر قيل اقسم الله به لما
فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم يضيفون النوائب
والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه بما حصل فيه من النوائب والنوازل كان
بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران
فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خلقتان لا عمال الانسان وقيل اراد بالعصر آخر طرفي النهار اقسم
بالعشي كما اقسم بالضحى وقيل اراد صلاة العصر اقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله
تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى قيل هي صلاة العصر وكذا وكذا هو
في مصحف عائشة وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيح شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر
وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله وقيل اراد بالعصر زمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقسم بزمانه كما اقسم بمكانه في قوله لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد نبه بذلك على ان زمانه
افضل الازمان واشرفها وجواب القسم قوله تعالى **ان الانسان لفي خسر** اي لفي خسران ونقص وقيل اراد
بالانسان جنس الانسان بدليل قوله كثر الدهر في ايدي الناس اي الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران
لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما ان تكون تلك الساعة في معصية فان كانت
في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت في طاعة فلعل غيرها افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان
فعل غير الافضل تضييع وخسران فبان بذلك انه لا ينفك احد عن خسران وقيل ان سعادة الانسان في طلب
الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب
الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان اكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار
وبوار قد اهلكوا انفسهم بتضييع اعمارهم وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المومنين فقال
تعالى **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان كل ما الانسان في طاعة الله
فهو صالح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك **وتواصوا** اي اوصى بعض المومنين بعضا **بالحق**
يعني بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد **وتواصوا بالصبر** اي على اداء الفرائض واقامة امر الله
وحدوده **وقيل** اراد بالانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين امنوا فانه يكتب اجورهم
ومحاسن اعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهو مثل قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله اعلم

تفسير سورة الهمزة وهي تسع ايات وثلاث وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **ويل** اي قبوح وقيل هو اسم واد في جهنم
لكل همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون العنت وقيل معناهما
واحد وهو العياب المغتاب للناس وبعضهم قال اذا لقيته لم تزل تكاشره وان تغيب كنت الهامز اللمزه
وقيل قد يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو عكسه

وقيل

وقيل الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم واللمزة الطعان عليهم وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم
واللمزة الذي يلمز بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة الطعان في الناس واللمزة الطعان في انسابهم
وحاصل هذه الاقاويل ترجع الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب واصل الهمز الكسر القبض على الشيء بالعنف
والمراد منه هنا الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم وفي خلقهم من يحاكي الناس باقوالهم وافعالهم
واصواتهم ليضحكوا منهم وهما نعتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت
هذه الاية فقيل في الاخنس بن شريق بن وهب الثقفي وكان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحاق ما
زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف الجمحي وقيل انها نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي
صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل هي عامة
في كل شخص هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ والحكم ومن قال
انها في اناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام
بقرينة العرف والاولى ان يحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى **الذي جمع مالا وعدده** والمعنى
وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو اعجابه بما جمع من المال فيستصغر الناس ويسخر
منهم وانما ذكر مالا لانه بالنسبة الى مال هو اكثر منه كالشيء الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق با
العاقل ان يفتخر بالشيء الحقير **وعدده** اي احصاه من العدد وقيل هو من العدة اي استعده وجعله ذخيرة
وعتادا له **يحسب ان ماله اخلده** اي يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت بيساره وغناه **وقال الحسن**
ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت مع انهم يعملون
عمل من يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت **كلا** رد عليه اي لا يخلده ماله بل يخلده ذكر العلم والعمل الصالح ومنه
قول علي مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر وقيل معناه حقا **لينبذن** واللام في لينبذن
جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن **في الحطمة** اي في النار وهو اسم من اسمائها
مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى
يا ايها الهمزة اللمزة الذي ياكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة التي تاكل اللحوم وتكسر العظام
وما ادراك ما الحطمة اي نار لا كسائر النيران **نار الله** انما اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لها
الموقدة اي لا تخمد ابدا **عن ابي هريرة رضي الله عنه** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار
الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت
فهي سوداء مظلمة اخرجه الترمذي وقال وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه موقوفا وهو اصح **التي تطلع على الافئدة**
اي يبلغ المها ووجعها القلوب والمعنى انها تاكل كل شيء حتى تنتهي الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطف
شيء في بدن الانسان وانه يتألم بادنى شيء فكيف اذا اطلعت عليه واستولت به ثم انه مع لطافته لا يحترق
اذ لو احترق لمات صاحبه وليس في النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد
والنيات الفاسدة **انها عليهم مؤصدة** اي مطبقة مغلقة **في عمد ممددة** قال ابن عباس ادخلهم في عمد
فمدت عليهم بعماد وفي اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون
بها في النار وقيل هي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل

الموقدة اوتاد عليهم ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح والممددة من صفة العمد اي مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار ومن حرها والله اعلم

تفسير سورة الفيل مكية وهي خمس ايات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وكانت قصة اصحاب الفيل على ما ذكر محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي ان النجاشي ملك الحبشة كان بعث ارياط الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح ابو يكسوم فساخطه ارياط في امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع ارياط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارياط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة راى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخها بالعذرة فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترا علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها وكتب الى النجاشي يخبره بذلك وساله ان يبعث اليه بفيله وكان فيلا يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل فسمع العرب بذلك فاعظموه وراوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال ايها الملك استبقني فان بقائي خير لك من قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه من قبائل اليمن نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا فقال له نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله واتى بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف انما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه اموال الحرم واصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان ابرهة بعث حناطة الحميري الى اهل مكة فقال سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلني به اليه اخبره اني لم ات لقتال وانما جئت لهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك ارسلني اليك لاخبرك انه لم يات لقتال الا ان تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال ولا لنا به يد انا سنخلي بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة او عشيا ولكن سابعث الى انيس سائس الفيل فانه لي صديق فاساله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال

يستاذن عليه

يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على السرير وأن يجلس تحته فهبط من سريره إلى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك إلى الملك فقال الترجمان ذلك له فقال عبد المطلب حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له قد أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك قال لم قال جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني وتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك قال عبد المطلب أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمتنع مني قال فأنت وذاك وأمر بإبله فردت عليه فلما ردت الإبل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ حلقة الباب وجعل يقول يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا إن عدو البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا قراكا وقال لاهم إن العبد يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه فأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وعبأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت معه اثنا عشر فيلا فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم وأخذ بأذنه وقال له ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول في رأسه وأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فبزغوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم يصب تلك الحجارة أحدا إلا هلك وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاؤوا منه يتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال وفي ذلك يقول نفيل ألا حييت عنا يا ردينا نعمناكم مع الإصباح عينا فإنك لو رأيت ولم تريه لدى جنب المحصب ما رأينا حمدت الله إذ أبصرت طيرا وحصب حجارة تلقى علينا وكلهم يسائل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا وخرج القوم ومات بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله على أبرهة داء في جسده فجعلت تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة اتبعتها مدة من قيح ودم فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدي وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الآخر شجعوا فحصبوا ويقال رموا بالحصباء وقال بعضهم انفلت أبو يكسوم وزير أبرهة وتبعه طير يحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت إن آيات ربنا ثاقبات ما يماري فيهن إلا الكفور حبس الفيل في المغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس

وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر أصحاب الفيل ان فتية من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فدنوا
من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا نارا واشتووا فلما ارتحلوا تركوا
النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشي فاسف غضبا
للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وقال فيه انه كان بمكة يومئذ ابو مسعود الثقفي وكان مكفوف
البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برايه وكان خليلا لعبد
لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك هذا يوم لا يستغنى فيه عن رايك فقال ابو مسعود اعمد الى
مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا ثم ابثها في الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيئا فيغضب
رب هذا البيت فياخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها
وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت
واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما راى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له
جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشات من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك اين ق
رارها فقال اراها قد دارت على رؤوسنا فقال هل تعرفها قال والله ما اعرفها ما هي بنجدية ولا بتهامية ولا ع
ربية ولا شامية قال ما قدرها قال اشباه اليعاسيب في مناقيرها حصى كانها حصى الخذف قد اقبلت
كالليل يكسع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت
عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على
كل حجر اسم صاحبه ثم انها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة
فلم يونسا احدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم
فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها حتى تقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب
الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من فؤوسهم فحفر حتى عمق في الارض فملاه من الذهب
الاحمر والجوهر وحفر لصاحبه فملاه ثم قال لابي مسعود هات فاختر ان شئت حفيرتي وان شئت
حفيرتك وان شئت فهما لك معا فقال ابو مسعود فاختر لي على نفسك فقال اني لم ءال ان اجعل اجود المتاع في
حفيرتي فهي لك وجلس كل واحد منهما على حفيرته ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا واصابوا من فضلهما
حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته المقادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود في اهليهما في غنى
من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته وقد اختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والصحيح الذي عليه الاكثرون من علماء السير
والتواريخ واهل التفسير انه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل
وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم **واما التفسير** فقوله تعالى الم تر اي الم تعلم وذلك لان هذه الواقعة
كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا مع قرب العهد وانما كان
كذلك وكانه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى له الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم
فيل واحد وقيل كانت الفيلة ثمانية وقيل اثنى عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال
له محمود وقيل انما وحده لوفاق رؤوس الاي وفي قصة اصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته

في تضليل

لا يستحيل في العقل أن طيرا يأتي من قبل البحر بحجارة، وترمي بها ناسا مخصوصين، وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له، وذلك أن الله تعالى خلق النبي من ارتقاء، وهو محمد صلى الله عليه وسلم الراغبون في توحيده، وهذا الامر سقط عليه وذلك النبي في قريش لانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك تشريف محمد صلى الله عليه وسلم فكأنه قال تعالى انا الذي فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لمولدك واظهارا لقدرك قبل مولدك وبعثتك اذ ذلك بعد ظهورك. وقوله تعالى **ألم يجعل كيدهم** يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة **في تضليل** اي في تضييع وخسار وابطال ما ارادوا واضل كيدهم بحرق بيعة كنيستهم واحرقت وهلكوا وهو قوله **وأرسل عليهم طيرا أبابيل** يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل ابابيل اقاطيع كالابل المؤبلة وقيل ابابيل جماعات في تفرقة ولا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طير لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها رؤوس كرؤوس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا يصيب شيئا الا هشمه ووجه الجمع بين هذه الاقاويل في اختلاف اجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله اعلم

قوله تعالى **ترميهم بحجارة** قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الآخر وان وقع على راسه خرج من دبره **من سجيل** قيل السجيل اسم علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون مما كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط واصله سنك كيل فارسي معرب وقيل السجيل الشديد **فجعلهم كعصف مأكول** يعني كزرع وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم وتفرقها بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا اكل فصار اجوف وقال ابن عباس كالقشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله اعلم

تفسير سورة قريش مكية وقيل مدنية والاول اصح واكثر وهي اربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاث وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **لإيلاف قريش** اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة فقال تعالى فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش يعني اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل ابي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما واجيب عن مذهب ابي بن كعب في جعل هذه السورة والتي قبلها سورة واحدة بان القرآن كله كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله تعالى لإيلاف فقيل هي لام التعجب

اي اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته وقيل وهو كقول
على وجه التعجب انظر والزيد واكرامنا اياه اي اعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا
رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والإيلاف من
الفة الشيء إلفا وهي بمعنى الايتلاف فيكون المعنى لإيلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا
وقيل هو من التأليف كذا اي الى منه والتقسيم اي الى منعه الله في قريش ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر
فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي م عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم م
عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر ق عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم
عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد هوان قريش اهانه الله اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا فاذق
آخرهم نوالا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والنقمة والشدة والنوال
العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقرش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم اي يكتسب
وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا على جمع المال والافضال حراصا وقال ابو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت
قريش قريشا قال لدابة في البحر هي من اعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل
ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم وانشد شعر الجمحي وقريش هي التي تسكن
البحر وبها سميت قريش قريشا سلطت بالعلو في لجة البحر على سائر البحور جيوشا تاكل الغث والسمين ولا تترك
فيه لذي الجناحين ريشا هكذا في الكتاب حي قريش ياكلون البلاد اكلا كميشا ولهم آخر الزمان نبي يكثر
القتل فيهم والخموشا يملأ الارض خيله ورجالا يحشرون المطي حشرا كميشا وقيل انما سميت قريشا لانهم كانوا متفرقين
في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وانزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لجمعهم والتقريش التجمع يقال
تقرش القوم اذا اجتمعوا وسمي قصي مجمعا لذلك قال الشاعر ابوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل
من فهر وقوله تعالى إيلافهم هو بدل من الاول تفخيما لأمر الايلاف وتذكيرا لعظيم المنة فيه رحلة الشتاء
والصيف قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فامرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا
رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء الى اليمن لانها ادفأ ورحلة
في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش سكان حرم الله تعيش بتجارتهم
ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم
وتعزهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف
الى اليمن والشام فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل حملوا الطعام في البحر على
السفن الى مكة واهل البر حملوا على الابل والحمر فالقى اهل الساحل بجدة واهل البر بالمحصب واخصب الشام
فحملوا الطعام الى مكة والقوا بالابطح فامتار اهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال
ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى

وكان يقريهم كعفيهم وقال الكلبي وكان اول من حمل السمراء من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه
يقول الشاعر: قل للذي طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف * هلا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من جهد ومن اقراف
الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف * والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقائمين بكل وعد صادق * والراحلين برحلة الايلاف * عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف * قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت يعني الكعبة وذلك
ان الانعام على قسمين احدهما دفع ضر وهو ما ذكره في سورة الفيل والثاني جلب نفع وهو ما ذكره في هذه السورة
ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى
لما كفاهم امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو الذي أطعمهم من جوع وامنهم من خوف
ومعنى الذي اطعمهم من جوع اي بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر وقيل في معناه انهم لما كذبوا محمدا صلى
الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجهد
فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد
القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف اي بالحرم وبكونهم من اهل مكة حتى
لم يتعرض لهم احد في رحلتهم وقيل امنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل امنهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وبالاسلام والله اعلم

تفسير سورة ارايت مكية وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وايل والنصف
الثاني بالمدينة في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وهي سبع ايات وخمس
وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم :. قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين
قيل نزلت في العاص بن وايل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في عمرو بن عايذ المخزومي وفي رواية
ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الاية هل عرفت الذي يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه فذلك الذي
يدع اليتيم ولفظ ارايت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارايت يا ايها الانسان او يا ايها العاقل هذا الذي يكذب بالدين
بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم اي يقهره ويدفعه عن حقه والدع
الدفع بعنف وجفوة والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة
وقيل يزجره ويضرب به ويستخف به وقرئ يدع بالتخفيف اي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة ولا يحض على
طعام المسكين اي لا يطعمه ولا يامر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهو غاية البخل ان يبخل بماله ومال غيره ولا
يامر غيره بالاطعام قوله تعالى فويل للمصلين يعني المنافقين ثم وصفهم فقال تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون

ب ٤ نعتهم

روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال
اذا اخروا الوقت قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا
معهم لقوله تعالى الذين هم يراءون وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس
وقيل ساهون عنها لا يبالي صلى ام لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا
وقيل غافلون عنها يتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها

وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال في صلاتهم ساهون بلفظة عن علم أنها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين أن سهو المنافق هو أن لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن إذا سهى في صلاته تداركها في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين أن سهو المنافق هو أن لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن إذا سهى وقيل السهو عن الصلاة هو أن يبقى ناسيا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر إلا من المنافق الذي يعتقد أنه لا فائدة في الصلاة فأما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وأنها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة بمعنى أنه يصير ساهيا في بعض أجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه أحد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق أن السهو عن الصلاة من أفعال المنافقين والسهو في الصلاة من أفعال المؤمنين الذين هم يراءون يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي أن المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان والمرائي يظهر الأعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه أنه من أهل الدين والصلاح أما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى ويمنعون الماعون روي عن علي أنه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك أن الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روي عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر أخرجه أبو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون أعلاه الزكاة المفروضة وأدناه عارية المتاع وقال وقال محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل أصل الماعون من القلة فسمي الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لأنه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع به ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة فإن البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب أن يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج إليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله أعلم

تفسير سورة الكوثر مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل إنها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل إنا أعطيناك الكوثر الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة أتباعه وأمته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير إن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم أعطي النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الأتباع والإسلام وإظهاره على الأديان كلها والنصر على الأعداء

وكثرة الفتوح

المفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة واولى ما قاويل في الكوثر والذي عليه جمهور العلماء انه نهر في الجنة كما
جاء مبينا في الحديث ق عن انس رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ
اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله
الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر فقلنا الله ورسوله
اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء
فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدثوا بعدك لفظ مسلم وللبخاري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال
هذا الكوثر زاد في رواية الذي اعطاك ربك فاذا طينه او طينته مسك اذفر شك الراوي عن انس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم
ما الكوثر قال ذاك نهر اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزر
قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها انعم منها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب
من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج اخرجه الترمذي قال حديث حسن صحيح خ عن علي بن عبد
الله بن مسعود قال سالت عائشة عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقالت الكوثر اعطيه نبيكم صلى الله عليه
وسلم آنيته كعدد نجوم السماء ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ ابدا
زاد في رواية وزواياه سواء ق عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امامكم حوضي ما بين
جنبتيه كما بين جربا واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة ايام وفي رواية
فيه اباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها ابدا ق عن انس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتي وفي رواية لابتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفي رواية
مثل ما بين المدينة وعمان وفي رواية قال ان قدر حوضي كما بين ايلة وصنعاء اليمن وان فيه من الاباريق كعدد
نجوم السماء عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته اكثر
من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب
فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل م عن
ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لبعقر حوضي اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاي حتى يرفض عليهم
عليهم فسيل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسيل عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت
فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من ورق ق عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا
دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك ق عن انس رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب
اصحابي فليقولن انك لا تدري ما احدثوا بعدك ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي او قال من امتي فيحلؤون عن الحوض فاقول يا رب اصحابي

فيقول انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد علي
امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست
لاحد غيركم تردون علي غرا محجلين من اثر الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فاقول يا رب هولاء من اصحابي
فيجيبني ملك فيقول هل تدري ما احدثوا بعدك وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لاذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض وعن حذيفة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن والذي نفسي بيده لاذود عنه الرجال كما يذود الرجل الابل
الغريبة عن ابله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء ليست لاحد غيركم
وعن زيد بن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم جزء من مائة
الف جزء ممن يرد علي الحوض قيل وكم كنتم يومئذ قال سبع مائة او ثمان مائة اخرجه ابو داود

فصل

في شرح هذه الاحاديث وما يتعلق بالحوض قال الشيخ محيي الدين النووي رحمة الله عليه قال
القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة
والجماعة لا يتاول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وابي سعيد
وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله وعبد الله بن عمرو وعائشة وام سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة
وحارثة بن وهب والمستورد وابي ذر وثوبان وانس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية ابي بكر وزيد
بن ارقم وابي امامة وعبد الله بن زيد وسويد بن غفلة وعبد الله الصنابحي والبراء بن عازب واسماء بنت ابي بكر
الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيي الدين ورواه البخاري ومسلم ايضا من رواية
ابي هريرة رضي الله عنه ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو واخرين رضي الله عنهم اجمعين وقد
جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرات قلت
وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره في الحديث وفيه بيان ما
اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما واخرجا ايضا حديث الحوض عن اسماء بنت ابي بكر الصديق وذكرها القاضي عياض
فيمن خرج له في الصحيحين قال القاضي عياض وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا واما صفة الحوض
ومقداره فقد قال في رواية مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبتيه كما بين جربا واذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعاء
اليمن وفي رواية عرضه مثل طوله كما بين عمان الى ايلة وفي رواية ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن وهذا الاختلاف في
هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيه لانه لم يات في حديث واحد بل في احاديث مختلفة الرواة
عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا
لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع
للتحديد بل للاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافات منع
من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحة الرواية والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك
القول في انية الحوض ان العدد المذكور في الاحاديث على ظاهره وانها اكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من
ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك في ذلك القول في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم
وقوله صلى الله عليه وسلم ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد علي الحوض لم يات به الحصر بهذا العدد المذكور وانما ضرب مثلا

لكثرة العدد

لا كذ الورد المعروف للشافعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب فهذا صريح في أن جميع الواردين
يشربون وإنما منع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم في
فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك وفي رواية وليرفعن إلي رجال منكم
إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ونحو هذا من
من الروايات المذكورة في الأحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه والمراد به من هم فقيل
المراد به المنافقون والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنهم إذا حشروا عرفهم النبي صلى الله
عليه وسلم للسيما التي عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت أنهم قد بدلوا بعدك أي لم يكونوا على ما
ظهر من إسلامهم وقيل المراد من أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمن أبي بكر الصديق وهم الذين
قاتلهم على الردة وهم أصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعرف من إيمانهم في حياته فيقال
له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم أصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعهم عن الإسلام وأصحاب المعاصي الكبائر
الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم بل يجوز أن يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة
من غير عذاب وقال أبو عمر بن عبد البر كل من أحدث في الدين كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء فهو من
المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف أن
يكونوا ممن عني بهذا الحديث وقوله من شرب منه شربة لم يظمأ أبدا قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث أن الشرب
منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة وقدر عليه دخول النار لا يعذب
فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لأن ظاهر الحديث أن جميع الأمة تشرب منه إلا من ارتد وصار كافرا وقيل
إن جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يعذب الله من يشاء من عصاتهم وقيل إنما يأخذ بيمينه النا
جون منهم خاصة والشارب من الحوض مثله **شرح غريب ألفاظ الحديث** قوله فيختلج
العبد منهم أي ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبتيه كما بين جرباء وأذرح أما جرباء فبجيم ثم راء ساكنة
ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخاري فيه المد والقصر أولى وهي قرية من الشام وأما
أذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم حاء مهملة وهي مدينة في طرف الشام قريب من الشوبك وأما عمان فبفتح وتشديد
الميم بليدة بالبلقاء من أرض الشام وأما أيلة بفتح الهمزة وإسكان الياء المثناة تحت وفتح اللام معروفة
في طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر والمدينة بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة
وبين مصر ثمان مراحل وإلى دمشق اثنتا عشرة مرحلة وهي آخر الحجاز وأول الشام وأما صنعاء فإنها قاعدة اليمن
وأكبر مدنه وأما وإنما قيده باليمن في الحديث لأن بدمشق موضع يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام
على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت
وبالشين والخاء المعجمتين أي يسيل فيه وفي الحديث الآخر يغت بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد
التاء المثناة فوق أي يدفق فيه ميزابان دفقا شديدا متتابعا وقوله إني لبعقر حوضي هو بضم العين المهملة
وإسكان القاف وهو موقف الإبل من الحوض إذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض الفرط بفتح الفاء والراء
هو الذي يتقدم على الوراد فيصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء والمعنى أنا سابقكم إلى الحوض كالمهيء
له قوله فأقول سحقا أي بعدا وفيه دليل لمن قال إنهم أهل الردة إذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت

في حديث انس الاول دليل على ان الاغفاء يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة يعني نام نومة ثم رفع رأسه متبسما والله اعلم قوله تعالى **فصل لربك وانحر** معناه
ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي له وينحر له فمعنى فصل
لربك يريد بذلك **وقيل** معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة
المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى **قال** ابن عباس فصل لربك وانحر ضع يدك اليمنى على الشمال في الصلاة عند
النحر **وقيل** هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزي ومعنى الآية قد اعطيناك ما لا نهاية
لكثرته من خير الدنيا والآخرة وخصصتك بما لم اخصص به احدا غيرك فاعبد ربك الذي اعطاك هذا العطاء الجزيل والخير
الكثير واجعل لله ولا تبال بمكايدة الخلق ورفع منزلتك فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن
متقربا اليه **ان شانئك** يعني عدوك ومبغضك **هو الابتر** يعني هو الاقل الاذل المنقطع دابره **نزلت** في
العاص بن وائل السهمي وذلك انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني
سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا من الذي كنت تتحدث معه فقال
ذلك الابتر يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة **وقيل**
ان العاص بن وائل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره
فانزل الله هذه السورة **وقال ابن عباس** نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم
كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا
الصنبور المنبتر من قومه فقال انتم خير منه فنزلت فيه ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت الآية ونزلت في الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر اي المنقطع من كل خير. قولهم في النبي
صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور اراد والله اعلم انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المنفردة
يدق اسفلها وتسمى الصنبور **وقيل** هو النخلة التي تخرج في اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت
من جذع النخلة تضر بها ودواؤها ان تقطع تلك الصنابر منها فاراد كفار قريش ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة
صنبور نبت في جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة وكذا محمد اذا مات انقطع ذكره **وقيل** الصنبور
الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم اشنع
رد فقال ان شانئك هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت الاعلى الاشرف الافضل والله اعلم

تفسير سورة قل يا ايها الكافرون مكية وهي ست آيات وستة وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا

عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت بنصف القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن
قرأ قل هو الله احد عدلت له بثلث القرآن اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال
فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القرآن ان القرآن مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما
ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة
مشتملة على النهي عن عبادة غير الله وهي من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة
ربع القرآن على هذا التقسيم والله اعلم. بسم الله الرحمن الرحيم. قوله عز وجل

قل يا أيها الكافرون الآية هذه السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وائل
والوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن أمية بن خلف قالوا يا محمد هلم
فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فإن كان الذي جئت به خيرا كنا قد
شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وإن كان الذي بأيدينا خيرا كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فقال
حتى أنظر ما يأتيني من ربي فأنزل الله تعالى قل يا أيها الكافرون إلى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك ۝
وآذوه وآذوا أصحابه قيل إنهم لقوا العباس فقالوا يا أبا الفضل لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول
ولآمنا بإلهه فأتاه العباس فأخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في أبي جهل والمستهزئين
ومن لم يؤمن منهم ومعنى قل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بتبليغ جميع ما أوحي فلما قال الله تعالى قل يا أيها
الكافرون أداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكأنه صلى الله عليه وسلم قال أمرت بتبليغ
جميع ما أنزل علي وكان فيما أنزل علي قل يا أيها الكافرون وقيل إن النفوس تأبى سماع الكلام الغليظ الشنيع
من النظم وهي أشنع ولا أغلظ من المخاطبة بالكفر فكأنه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي إنما هو من عند
الله وقد أنزل علي قل يا أيها الكافرون والمخاطبون بقوله قل يا أيها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله تعالى
أنهم لا يؤمنون **لا أعبد ما تعبدون** في معنى الآية قولان أحدهما أنه لا تكرار فيه فيكون المعنى لا أعبد ما
تعبدون الآن ولا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم **ولا أنتم عابدون ما أعبد** أي ولا أنتم
فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ثم قال **ولا أنا عابد ما عبدتم** أي ولست في حال
بعابد معبودكم **ولا أنتم عابدون ما أعبد** أي ولا أنتم في حال بعابدين معبودي وقيل يحتمل أن يكون
الأول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصح كل واحد منهما أن يكون للحال والاستقبال ولكن نخص أحدهما
بالحال والثاني بالاستقبال لأنه أخبر أولا عن الحال ثم أخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون
في الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في الحال ولا أنا عابد ما عبدتم في الاستقبال ولا أنتم عابدون ما أعبد
في الاستقبال أبدا وما بمعنى أي من تعبدون ويحتمل أن يكون بمعنى الذي أي الذي تعبدون القول الثاني
حصول التكرار في الآية فعلى هذا القول أن التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة إلى التأكيد أشد كان
كان التكرار أحسن ولا موضع أحوج إلى التوكيد من هذا الموضع لأن الكفار راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم
في هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار في هذا الموضع لأن القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم
التكرار إرادة التوكيد والإفهام كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز وقيل تكرار الكلام
لتكرير الوقت وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن سرك أن ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا
عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم **لكم دينكم ولي دين** أي لكم كفركم ولي إخلاصي وتوحيدي ۝
والمقصود منه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الآية منسوخة بآية القتال والله أعلم ۝

تفسير سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبع وسبعون حرفا ۝

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

إذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكر محمد بن إسحاق وأصحاب الأخبار أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين
يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده
دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت
خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم إن بني بكر عدت على خزاعة وهم
على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير فأصابوا منهم رجلا وتحاوزوا فاقتتلوا ورفدت قريش بني
بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة إلى الحرم وكان ممن أعان بني
بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم متنكرين صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو
مع عبيدهم فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة إنه لا
إله له اليوم يا بني بكر أصيبوا ثاركم أنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهرت بنو بكر
وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من
العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهري الناس
فقال يا رب إني ناشد محمدا ۞ حلف أبينا وأبيه الأتلدا ۞ قد كنتم ولدا وكنا والدا ۞ ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا ۞ وادع عباد الله يأتوا مددا ۞ فيهم رسول الله قد تجردا ۞ إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا ۞ إن قريشا أخلفوك الموعدا ۞ ونقضوا ميثاقك المؤكدا ۞ وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أحدا ۞ وهم أذل وأقل عددا ۞ هم بيتونا بالوتير هجدا ۞ وقتلونا ركعا وسجدا ادعو
فانصر هداك الله نصرا أيدا ۞ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال إن هذه لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء
في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر
عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد
جاء ليشد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بعسفان وقد بعثته قريش
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان
بديلا قال من أين أقبلت يا بديل وظن أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل
وبطن هذا الوادي قال أوما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف
بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففتته فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو
سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب
ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني
فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب
إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أأنا أشفع

إلى رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم عليه ثم خرج فدخل على علي بن ابي طالب وعنده فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن ابن ابي طالب غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك امس القوم
رحما واقربهم مني قرابة وقد جئتك في حاجة فلا ارجعن كما جئت خائبا اشفع لنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ويحك يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة
وقال يا ابنة محمد هل لك ان تامري بنيك هذا فيجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا ابا حسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله ما اعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة
فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال او ترى ذلك مغنيا عني شيئا قال والله ما اظن ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام
ابو سفيان في المسجد فقال يا ايها الناس قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما
وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب
فوجدته اعدى القوم وقد اشار علي بشيء فصنعته فوالله ما ادري هل يغني ذلك شيئا ام لا قالوا وبما امرك قال
امرني ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ان زاد علي على ان لعب بك فما يغني
عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه
فدخل ابو بكر على ابنته عائشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي بنية امركم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ما ادري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها
في بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسيره واستخلف على المدينة ابا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم عامدا الى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه
ج ب حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج افطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة الاف من المسلمين لم يتخلف من المها
والانصار عنه احد فلما نزل مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا ياتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يدرون ما هو فاعل وخرج في تلك الليالي ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الاخبار
وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض
الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله
عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس قريش والله لئن دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان ياتوه فيستامنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى
هم الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الى الاراك لعلي اجد حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة يدخل مكة فيخبر
عنوة قال العباس فوالله اني لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام ابي سفيان وبديل بن ورقاء وهما
يتراجعان وابو سفيان يقول ما رايت كالليلة نيرانا قط قال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب
فقال ابو سفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها قال فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال ابو الفضل
قلت نعم قال ما لك فداك ابي وامي قلت ويحك يا ابا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءك بما لا قبل لكم به بعشرة الاف
من المسلمين قال فما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلا استامنه لك فاردفته ورجع صاحباه فخرجت اركض به بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين
نظروا فقالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فقال من هذا وقام الي فلما راى ابا سفيان على عجز الدابة قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن
منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة
البطيئة الرجل البطيء قال فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عمر فقال يا رسول
الله هذا ابو سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله اني
قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت براسه وقلت والله لا يناجيه الليلة احد دوني
فلما اكثر عمر في شانه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني
عدي بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الي من اسلام الخطاب
لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فاتني به قال فذهبت به الى
رحلي فبات عندي فلما اصبحت غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه قال ويحك يا ابا سفيان الم يان
لك ان تعلم ان لا اله الا الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد
اغنى شيئا بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك
اما هذه فان في النفس منها حتى الان شيئا فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل
يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن ومن
دخل المسجد فهو امن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادي
عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حتى حبسته حيث امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه حتى مرت
به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء فاقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفذت القبائل
لا تمر قبيلة الا سالني عنها فاذا اخبرته فيقول ما لي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء
وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال
سبحان الله من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار قال ما لاحد
بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوءة قال نعم
اذن فقلت الحق الان بقومك فحذرهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا حتى اتى مكة فصرخ في المسجد
باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار ابي سفيان فهو امن قالوا
ويحك وما تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد الحرام فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن فتفرق الناس الى دورهم
والى المسجد قالوا وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وبايعاه فلما
بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن
ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث في اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار
وامره ان يركز رايته باعلى مكة بالحجون وقال لا تبرح حيث امرتك ان تركز رايتي حتى اتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما انتهى الى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع راسه

تواضعا

لله عز وجل حين رأى ما رأى ما به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل مكة وضربت قبته باعلى مكة وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاعة وبني سليم ان يدخلوا من اسفل مكة وبها
بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الاحابيش أمرتهم قريش ان يكونوا باسفل مكة
وان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكم وأمر سعد بن عبادة ان يدخل في بعض
الناس من كدا فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل
هو عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نأمن ان يكون له في قريش صولة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب ادركه فخذ الراية فكن انت الذي تدخل بها ولم يكن باعلى مكة من قبل الزبير
قتال واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزموهم ولم يكن بمكة
قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنا عشر او ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة
ابن الميلاء من خيل خالد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس من خيل خالد بن الوليد فشذا عنه وسلكا طريقا
غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرائه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا انه لا يقاتلوا الا من
قاتلهم الا نفرا سماهم أمر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وانما امر بقتله
لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ان اطمأن أهل مكة فاستامنه له وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب وانما امر بقتله لانه
كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح
له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان قينتان
يغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما معه والحويرث بن نقيذ بن وهب وكان ممن يوذيه
ومقيس بن صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل اخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولى
لبني عبد المطلب كانت ممن يوذيه بمكة وعكرمة بن ابي جهل فاما عكرمة فتوجه الى اليمن واسلمت امراته ام
حكيم بنت الحارث بن هشام فاستامنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول
الله صلى الله عليه وسلم واما عبد الله بن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومي وابو برزة الاسلمي اشتركا
في دمه واما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه واما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما
وهربت الاخرى حتى استومن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها واما سارة فتغيبت حتى استومن
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى اوطأها رجل من الناس فرسا في زمن عمر بن الخطاب
بالابطح فقتلها واما الحويرث بن سعيد فقتله علي بن ابي طالب قالت ام هانئ بنت ابي طالب لما نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فر الي رجلان من احمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة المخزومي قالت فدخل علي علي بن ابي
طالب أخي والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل
من جفنة ان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات
الضحى ثم انصرف الي فقال مرحبا واهلا يا ام هانئ ما جاء بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن ابي طالب فقال
قد اجرنا من اجرت وامنا من امنت فلا يقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمان الناس حتى

ابن ابي وهب صح

حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة
فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب
الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده الا كل مأثرة او دم او مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج وقتيل
الخطأ شبه العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل اربعون منها في بطونها اولادها
يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا
هذه الآية يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا
خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله
امكنه منهم عنوة فبذلك سموا اهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام اليه
علي بن ابي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء قال ولما اجتمع
الناس للبيعة جلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه ياخذ على الناس
فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة ابن
الزبير خرج صفوان يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا نبي الله ان صفوان بن امية سيد
قومه قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه في البحر فامنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو آمن قال
يا رسول الله اعطني شيئا يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة
فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال يا صفوان فداك ابي وامي اذكرك الله في نفسك ان
تهلكها فهذا امان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به فقال ويلك اغرب عني فلا تكلمني فقال
اي صفوان فداك ابي وامي افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك
وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان هذا يزعم انك امنتني قال صدق قال فاجعلني فيه بالخيار شهرين قال انت فيه
بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على
الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم اترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه
ارضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحاق وكان جميع من شهد
فتح مكة من المسلمين عشرة الاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمسة عشر ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا
حنينا ف عن ابي هريرة رضي الله عنه ان خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس واثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط
عليها رسوله والمؤمنين الا وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الا وانما احلت لي ساعة من نهار
الا وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل

دام ج

فهو بخير النظرين

أهلها

يعني النظرين إما أن يعرفه وإما أن يجهله فقال العباس إلا الإذخر فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الإذخر فقام أبو شاه رجل من اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لأبي شاه قال الأوزاعي يعني الخطبة التي سمعها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم **وأما التفسير** فقوله تعالى إذا جاء نصر الله يعني إذا جاءك يا محمد
نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجيء النصر أن جميع الأمور مرتبطة بأوقاتها يستحيل
تقدمها عن وقتها وتأخرها فلما جاء ذلك الوقت المعين حصل معه ذلك الأمر المقدر فلهذا المعنى قال إذا جاء
نصر الله **والفتح** يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم
على الإطلاق والفرق بين النصر والفتح أن النصر هو الإعانة والإظهار على الأعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كا
لسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف عليه بالفتح **وقيل** إن النصر هو إكمال الدين وإظهاره والفتح هو الإقبال
الرباني الذي هو تمام النعمة **ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا** يعني زمرا وأرسالا القبيلة بأسرها
والقوم بأجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قالت العرب بعضها
لبعض إذا ظفر بأهل مكة أهل الحرم وكان قد أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله
أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحدا واثنين **وقيل** أراد بالناس أهل اليمن **ق عن أبي هريرة رضي الله عنه**
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية
ودين الله هو الإسلام وأضافه إليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله **فسبح بحمد ربك واستغفره**
إنه كان توابا يعني فإنك حينئذ لاحق به **خ** عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم
لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله فقال إنه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال
وما أريته دعاني يومئذ إلا ليريهم فقال ما تقولون في قول الله عز وجل إذا جاء نصر الله والفتح حتى
ختم السورة فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل
شيئا فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس قلت لا قال فما تقول **قلت** هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
أعلمه فقال إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا فقال عمر ما أعلم
منها إلا ما تعلم **ق عن عائشة** رضي الله عنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت
عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن وفي
رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه وقال
أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب
إليه فقد رأيتها إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره
إنه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه نعيت إليه نفسه **وقال**
الحسن أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة في العمل الصالح **قيل** عاش النبي صلى
الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين **وقيل** في معنى السورة إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس
يدخلون في دين الله أفواجا فاشتغل أنت بالتسبيح وبالتحميد والاستغفار فإنه يشتغل بهذه الطاعات

يصير سبيل من بعده جاتمة في الدنيا وفي معنى التسبيح وجهان احدهما انه ربما علا بلفظ الحمد لله ثم احمد، والثاني فصل الرب
من التسبيح جزء من اجزاء الصلاة ثم قيل عنى به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
ثمان ركعات وقيل هو صلاة الضحى وفي هذه الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل الاكتفاء بهما
في اداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح **فان قلت** ما معنى هذا الاستغفار ومن غير ذنب لا يستغفر
قلت انه تعبد الله به ليقتدى به غيره اذ لا يأمن كل احد من تقصير يقع في عبادته
واجتهاده وفيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن
الاستغفار فكيف بمن هو دونه **وقيل** هو على ترك الافضل والاولى عن ذنب صدر منه قط لا عسى ان
يكون قد وقع من ذلك ما امر منه **وقيل** المراد منه الاستغفار لذنوب امته وهذا ظاهر لان الاستغفار
من ذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة تبت مكية وهي خمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **تبت يدا ابي لهب ق** عن ابن عباس رضي الله عنه
قال لما انزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا وجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون
قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتم لو
اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير
بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى
عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه
فاجتمعت اليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسران المفضي الى الهلاك
والمراد من اليدين صاحبهما وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه وقيل
رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فادمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يداه وشحت
واضيفت الافعال الى اليد وابو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني
بابي لهب لحسنه واشراق وجهه **فان قلت** لم كناه وفي الكناية تشريف وتكرمة **قلت** فيه وجوه
احدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى
فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه كان من اهل النار ومآله الى النار والنار ذات لهب فوافقت
حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها **وتب** قيل هذا والاول خرج مخرج الدعاء عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما
يقال اهلكه الله وقد هلك **وقيل** تبت يدا ابي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال
وتب يعني نفسه اي وقد هلك نفسه **ما اغنى عنه ماله وما كسب** قال ابن مسعود لما دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقربيه الى الله تعالى قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فاني افتدي نفسي بمالي
وولدي فانزل الله عز وجل ما اغنى عنه ماله يعني اي شيء يغني عنه ماله اي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع
من المال وكان صاحب مواشي وما كسب اي ربح بعد راس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لان ولد الانسان من
كسبه كما جاء في الحديث ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي ثم جاء في الكرم
ثم اوعده بالنار فقال تعالى **سيصلى نارا ذات لهب** اي تتلهب عليه **وامراته حمالة الحطب** يعني

صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز
الصغائر على الانبياء يكون المعنى
واستغفره لما صح

ام جميل بنت بن أمية اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية بن ابي سفيان وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم حمالة الحطب قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه ليعقرهم بذلك وهي رواية عن ابن عباس فإن قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف
يليق بها حمل الحطب قلت انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين
في ذلك بأحد بل تفعله هي بنفسها وقيل كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس
وتوقد نار الحرب بالحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به وقيل حمالة الخطايا والآثام التي حملتها
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كالحطب في مصيرها الى النار في جيدها اي في عنقها حبل من
مسد قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل في فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها
في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذي كانت تحطب به فبينما هي
ذات يوم حاملة الحزمة أعيت فقعدت على حجر تستريح أتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها وقيل هو حبل من
شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت خرزات في عنقها وقيل كانت لها
قلادة فاخرة فقالت لأنفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة الإخلاص مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا

فصل في فضل سورة الإخلاص (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا سمع رجلا يقرأ سورة الإخلاص يرددها
فلما أصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وفي رواية قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أيعجز أحدكم أن يقرأ
ثلث القرآن وفي رواية قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أيعجز احدكم ان يقرأ ثلث
القرآن في ليلة فشق عليهم ذلك فقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله احد الله الصمد ثلث القرآن
(م) عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن
(م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأ عليكم ثلث القرآن
فقرأ قل هو الله احد الله الصمد حتى ختمها قيل ذكر العلماء في كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث
القرآن أقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القرآن العزيز لا يعدو ثلاثة اقسام وهي الارشاد الى معرفة ذات
الله وتقديسه أو صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص
على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لان منتهى
التقديس ان يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله
لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه دل عليه قوله ولم يولد ولا يكون في درجته وإن لم يكن
أصلا له ولا فرعا من هو مثله دل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله احد وجملته
وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تتناهى أسراره ولا تنقضي
وقال الامام فخر الدين الرازي لعل الغرض منه ان المقصود الاشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات
الله تعالى ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة الله تعالى فلهذا كانت هذه

السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله انه قيل معناه لان القرآن على ثلاثة انحاء قصص
واحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله احد متمحضة للصفات فهي ثلث القرآن وجزء من ثلاثة اجزاء وقيل معناه
ان ثواب قراءتها يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله تعالى يقال استغلقت الشيء وتقالّته
وتقالّلته اذ اعددته قليلا في بابه ونظرت اليه بعين القلة وقد سميت قل هو الله احد سورة الاخلاص امّا
لانه خالص لله تعالى في صفته او لان قارئها اخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة ان الاشتغال بقراءتها
يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل ما لا يليق به لانه
مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير عن انس رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله احد محي عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين
وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله احد مائة
مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه
ان رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله احد قال حبك اياها ادخلك الجنة اخرجه الترمذي
عن ابي هريرة قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله احد الله الصمد فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل هو الله احد عن ابي بن كعب ان المشركين
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي
لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت ولا شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث
ولم يكن له كفوا احد قال ولم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شيء اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن ابي
العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو
الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب وهذا اصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن
ربيعة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب
هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه السورة واهلك الله اربد بالصاعقة وعامر بالطاعون وقد تقدم ذكره في سورة الرعد وقيل جاء ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله انزل نعته في التوراة فاخبرنا من اي شيء هو وهل ياكل ويشرب
وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة قل هو الله احد يعني الذي سألتموني عنه
هو الله الواحد في الالهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبيه والمثل والنظير
وقيل لا يوصف احد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات الله
تعالى استأثر بها فلا يشاركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل في الاحد والاحد لا
ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات رأيت رجلا واحدا
وفي النفي ما رأيت احدا فيفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه احد والاحد هو
المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه احد الله الصمد قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة
من المفسرين ووجه ذلك من جهة اللغة ان الصمد الشيء المصمت الصلب الذي ليس فيه خور ولا رخاوة

رجل

الفرق بين الواحد والاحد

وصفه

ومنه قيل لسراج القارورة الصمد فإن فسر الصمد بهذا كان من صفات الأجسام ويتعالى جلال الله عن
صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول هو أن الصمد الذي ليس بأجوف معناه هو الذي لا يأكل ولا
يشرب وهو الغني عن كل شيء فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على أنه تعالى
بخلاف من أثبتوا له الإلهية وإليه الإشارة بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس بأجوف شيئان أحدهما دون الإنسان وهو سائر
الجمادات والثاني أشرف من الإنسان وأعلى منه وهو البارئ جل جلاله وعن أبي بن كعب الصمد الذي لم يلد
ولم يولد لأن من يولد سيموت ومن يموت يورث منه روى الثعلبي في افراده عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال
الصمد هو السيد الذي انتهى سؤدده وهي رواية عن ابن عباس أيضا قال هو السيد الذي كمل فيه جميع أنواع
السؤدد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب إليه في الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج
الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وتلك دلالة على أنه المتناهي في السؤدد والشرف والعلو
والعظمة والكمال والكرم والإحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه
أحد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد
هو الأول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال والأولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل لأنه
محتمل له فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى وأنه اسم لله تعالى انفرد به له الأسماء الحسنى
والصفات العلى ليس كمثله شيء وهو السميع العليم البصير قوله تعالى لم يلد ولم يولد وذلك أن مشركي العرب قالوا
الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فأكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه
ما قالوا بقوله لم يلد يعني كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه أن من ولد كان له والد فنفى عنه إحاطة النسب
من جميع الجهات فهو الأول الذي لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان
كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا أحد أي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله ولم يكن له
كفوا أحد العديل والنظير والصاحبة والولد خ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال
الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني
وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد والله أعلم

تفسير سورة الفلق مدنية وقيل مكية والأول أصح وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا م عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل
أعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه رد على
من نسب إلى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان أن لفظة قل من القرآن أيضا وأنه من أول السورتين بعد البسملة
وقد أجمعت الأمة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه خ عن زر بن حبيش قال سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وفي رواية مثله ولم يذكر ابن مسعود عن عبد

الله بن حبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي بنا فخرج فقال
قل فلم اقل شيئا قال قل قلت ما اقول قال قل اعوذ برب الفلق فختمها ثم قال قل اعوذ برب الناس حتى ختمها
ثم قال ما تعوذ الناس بافضل منهما اخرجه النسائي وله عن جابر بمثله معناه والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **قل اعوذ برب الفلق** قال ابن عباس وعائشة والكلاع
كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ وامن مشاطة راس
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن أعصم
رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه **وعن عائشة رضي الله عنها** ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى
كان يُخيل اليه انه يصنع الشيء ولم يصنعه **وفي رواية** انه يخيل اليه فعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم
وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال اشعرت يا عائشة ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك
يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي ثم قال احدهما لصاحبه ما وجع
الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط ومشاطة
وجف طلعة ذكر قال واين هو قال في بئر ذي اروان **ومن الرواة** من قال في بئر ذروان قال وذروان
بئر في بني زريق قال فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس من اصحابه الى البئر فنظر اليها وعليها نخل قال ثم
رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين قلت
يا رسول الله فاخرجته قال اما انا فقد عافاني الله وشفاني وخشيت ان اثور على الناس منه شرا
وفي رواية للبخاري كان يرى انه ياتي النساء ولا ياتيهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من
السحر اذا كان كذا **عن زيد بن ارقم** قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما
فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا راه في وجهه اخرجه النسائي وروي انه كان تحت
صخرة في البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلع فاذا فيه مشاطة من راسه صلى الله عليه وسلم واسنان
مشطه **وقيل** كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة **وقيل** كانت مغروزة بالابر فانزل الله هاتين
السورتين وهما احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات فكان كلما قرأ اية انحلت
عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال **وروي** انه لبث ستة
أشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان **عن ابي سعيد الخدري** رضي الله عنه ان جبريل
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت فقال نعم فقال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل
نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك **فصل** وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى
الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر وجواز الرقى اما قوله في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه
انه كان يصنع الشيء ولم يصنعه قال الامام المازري مذهب أهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات
السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف ما يقع
منه الى خيالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكر الله السحر في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر فيه اشارة الى انه مما

يفرق به

ما يكيد به وانه يجمع بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن ان يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته
ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق او تركيب اجسام او المزج بين قوى لا يعرفها
الا الساحر وانه لا فاعل الا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة اجراها الله على يد من يشاء من عباده فان قلت
المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره ام لا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يامر بالاستعاذة مع ان ما قدر لابد
واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فكيف يامر بالاستعاذة مع ان ما قدر لابد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره
فذلك قدح في القدرة قلت كل ما وقع في الوجود هو بقضاء الله وقدره ولا الاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء
الله يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن ابي خزامة عن ابيه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
ارايت رقى نسترقي بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله فصل
وقد انكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه
يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل لان الدلائل القطعية العقلية والنقلية قد
قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه
باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امور الدنيا ما لا حقيقة
له وقد قيل انه كان يخيل اليه انه وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا قد ما يتخيله الانسان في المنام فلا يبعد
ان يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل انه يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله
فيكون اعتقاده انه على السداد قال القاضي عياض وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث
مبينة ان السحر انما تسلط على بدنه وظاهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب
لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة قوله وجب طلعة ذكر وروي بالقاف وهو وعاء
طلع النخل واما الرقى والتعوذ فقد نقلوا الاجماع على جواز ذلك اذا كان بايات من القرآن واذكار وردت
في الحديث ويدل على صحة ذلك الاحاديث الصحيحة الواردة في ذلك منها حديث ابي سعيد المتقدم ان جبريل رقى
النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان
ولد جعفر تسرع اليهم العين افنسترقي لهم قال نعم فانه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول
اعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية ولنا المنهي عنه منها ما كان فيه كفر او شرك
او ما لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز ان يكون فيه كفر او شرك والله اعلم واما التفسير
قوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس ان الليل ينفلق
عنه الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ
ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح كذلك
الخائف يترقب مجيء النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة
الملهوفين فكانه يقول قل اعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه عن المهمومين والمغمومين وروي عن ابن عباس
ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم اذا فتح استعاذ اهل النار من حره ووجه ان المستعيذ

قل أعوذ برب هذا العذاب الفلق لخلقه وجه هذا الثناء وقيل إن الله تعالى خلق ظلمات في العدم فأزالها بإيجاد الأنوار وخلق منها الخلق فكأنه قال قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات **من شر ما خلق** قيل يريد إبليس خاصة لأنه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولأن السحر لا يتم إلا به وبأعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والإنس **ومن شر غاسق إذا وقب** عن عائشة رضي الله عنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر إذا خسف واسود وذهب ضوؤه وقيل إذا وقب دخل في المحاق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة **وقال ابن عباس** الغاسق الليل إذا وقب أي أقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لأنه أبرد من النهار والغسق البرد وإنما أمر بالتعوذ من الليل لأن فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا إذا سقطت وغابت ويقال إن الأسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا أمر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها **ومن شر النفاثات في العقد** يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن أعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل إنه النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعوذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وأنكر جماعة النفث والتفل في الرقى وأجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث في العقد إنما يكون مذموما إذا كان سحرا مضرا بالأرواح والأبدان وإذا كان النفث لإصلاح الأرواح والأبدان وجب أن لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب إليه **ومن شر حاسد إذا حسد** الحاسد هو الذي يتمنى زوال النعمة عن الغير وربما يكون مع ذلك سعي في إزالتها فلذلك أمر الله بالتعوذ منه وأراد بالحاسد هنا اليهود فإنهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم أو لبيد بن أعصم وغيره والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الناس مدنية وقيل مكية والأول أصح وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسع وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **قل أعوذ برب الناس** إنما خص الناس بالذكر وإن كان رب جميع المخلوقات لأنه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس فكأنه قال قل أعوذ من شر الوسواس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم وهو إلههم ومعبودهم فإنه هو الذي يعيذ من شرهم وقيل إن أشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر **ملك الناس** إنما وصف نفسه أولا بأنه رب الناس لأن الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون فنبه بذلك على أنه ربهم وملكهم ثم إن الملك لا يكون إلا إلها فقيده بقوله **إله الناس** بأن الإله خاص له سبحانه وتعالى لا يشاركه فيه أحد ولتسميته وتكرير لفظة الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم **من شر الوسواس** يعني الشيطان ذي الوسواس والوسوسة الهمس والصوت الخفي **الخناس** يعني الراجع الذي من عادته أن يخنس أي يتأخر قيل إن الشيطان جاثم وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على القلب يمنيه ويحدثه فإذا ذكر

الزجاج

الله خنس

الله خنس واذا لم يذكره جع ووضع راسه على القلب فذلك قوله تعالى **الذي يوسوس في صدور الناس**
يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب **من الجنة** يعني الجن
والناس وفي معنى الاية وجهان احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب
جاء قوم من الجن فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا في قوله يعوذون برجال من الجن فعلى
هذا يكون معنى الاية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثاني ان الوسواس
الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس وكما ان شيطان الجن قد يكون تارة ويخنس اخرى فكذلك
شيطان الانس فهو يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد في الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس
وانقبض فكانه تعالى امر ان يستعاذ من شر الجن والانس جميعا **ف** عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عايشة رضي الله عنها ان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت
اقرا عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها اخرجه مالك في الموطا ولهما بمعناه **ف** **عن ابن عمر رضي الله**
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله القران فهو يقوم به اناء الليل
واناء النهار ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه اناء الليل واناء النهار **عن ابن عباس رضي الله**
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل
قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي ؂ ه
اخر لباب التاويل في معاني التنزيل والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا ولله الحمد على توفيقه اياي
لكتابته وإياي اسال ان يجعله لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وان ينفع
به في حياتي في جنات النعيم وان يجعله خيرا لي عنده انه ذو الفضل العظيم وان ينفع به طالبيه
انه جواد كريم وان يثيب مؤلفه ومحرره العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم
البغدادي الصوفي الجنة وان يجعلها عملا فيه فكره وانعب فيه بدنه في ليله ونهاره خالصا لوجهه الكريم
وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وان ينفع به من حين في جنات النعيم وان يجعله خيرا له انه ذو الفضل
العظيم قال مؤلفه ووافق الفراغ من جمعه وكتابته يوم الاربعاء العاشر من شهر رمضان من سنة خمس
وعشرين وسبعماية من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية والحمد لله رب العالمين

كتبه العبد الفقير الى رحمة ربه الغني القوي عبد الله بن محمد العروي
السوسي مولدا ومنشا الفاطن بمدينة طرابلس المحمية وما امنها امنها الله
من حوادث الفتن ما ظهر منها وما بطن انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير
وكان الفراغ من نسخه في يوم الجمعة العاشر من جمادى الاولى من عام
اثنين ومايه والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية
والحمد لله رب العالمين وهو حسبي ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم

334

الله خنس واذا لم يذكر رجع ووضع راسه على القلب فذلك قوله تعالى **الذي يوسوس في صدور الناس**
يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب **من الجنة** يعني الجن
والناس وفي معنى الآية وجهان احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب
جاء قوم من الجن فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا في قوله يعوذون برجال من الجن فعلى
هذا يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثاني ان الوسواس
الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس وكما ان شيطان الجن قد يكون تارة ويخنس اخرى فكذلك
شيطان الانس فانه يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد في الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس
وانقبض فكانه تعالى امر ان يستعاذ من شر الجن والانس جميعا (ف) عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عائشة رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت
اقرأ عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها اخرجه مالك في الموطا ولهما بمعناه (ف) **عن ابن عمر رضي الله
عنهما** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به اناء الليل
واناء النهار ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه اناء الليل واناء النهار **عن ابن عباس رضي الله
عنهما** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل
قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي ❁
آخر لباب التاويل في معاني التنزيل والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا وله الحمد على توفيقه اياي
لكتابته واياه اسأل ان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وان يرفع
به درجتي في جنات النعيم وان يجعله ذخيرة لي عنده انه ذو الفضل العظيم وان ينفع به طالبيه
انه جواد كريم وان يثيب مؤلفه وهو جامعه العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم
البغدادي الصوفي الجنة وان يجعله عملا فيه بكرة وان ينفعني به برزخي ليلة ونهارا خالصا لوجهه الكريم
وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وان يرفع به درجته في جنات النعيم وان يجعله ذخيرة له انه ذو الفضل
العظيم قال مؤلفه وافق الفراغ من جمعه وكتابته يوم الاربعاء العاشر من شهر رمضان من سنة خمس
وعشرين وسبعماية من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية والحمد لله رب العالمين

كتبه العبد الفقير الى رحمة ربه الغني القوي عبد الله بن محمد العربي
السوسي مولدا ومنشأ الفاطن بمدرسة طرابلس المحروسة وما معها امنها الله
من حوادث الفتن ما ظهر منها وما بطن انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير
وكان الفراغ من نسخه في يوم الجمعة العاشر من جمادى الاولى من عام
اثنين ومايه والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية
والحمد لله رب العالمين وهو حسبي ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم